شؤون فلسطينية

٢١٩ ـ ٢٢٠ حزيران (يونيو) ـ تموز (يوليو) ١٩٩١

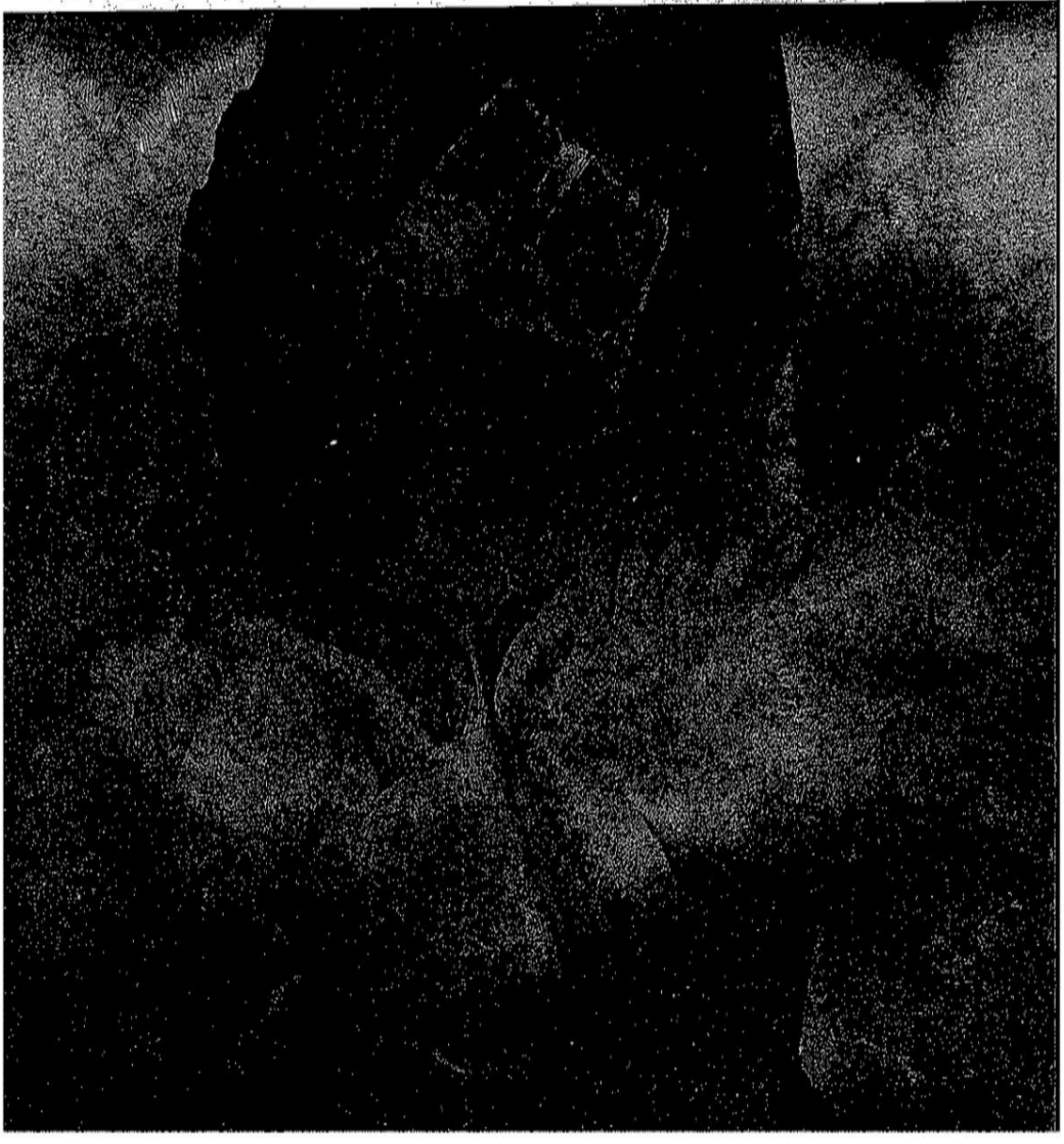

شؤون فلسطينية

٢١٩ ـ ٢٢٠ حزيران (يونيو) ـ تموز (يوليو) ١٩٩١

شَهريَّة فِكريَّة لمعَالجة أحدَاث القضيَّة الفِلسطينية وشؤونهَا المختَلفة
تَصدُر عَن مَركَز الأبحاث في منظمَة التحْرير الفلسطينيَّة

المحتويات

٣ حرب الخليج وتأثيراتها المستقبلية في «القومية» والمصير العربي ..... د. ابراهيم ابراش

١٤ الحاج امين الحسيني ودوره القومي في العراق (١٩٣٩ ـ ١٩٤١) ..... سميح شبيب

٣١ فلسطين في ثقافة وتاريخ البحرين ..... بدر عبدالملك

٤٨ اسرائيل واطماعها المائية في المنطقة العربية ..... د. جمال مظلوم

٦٥ الغموض النووي الاسرائيلي، واهدافه ..... د. تيسير الناشف

٧٦ السياسة السوفياتية في الشرق الأوسط ..... محمد شهير العبسة

مراجعات

٩٧ لماذا وقعت حرب الخليج ؟ ..... أحمد شاهين

شهريات

١٠٢ المقاومة الفلسطينية ـ سياسياً: تحرّك لتنقية الأجواء ..... س. ش.

١٠٦ المقاومة الفلسطينية ـ عربياً: نحو بناء موقف عربي مشترك ..... أ. ش.

١١١ المقاومة الفلسطينية ـ دولياً: تجسير المواقف المتعارضة ..... د. نبيل حيدري

١١٧ المقاومة الفلسطينية ـ عسكرياً: عمليات صدامية ونشاط حدودي ..... د. يزيد صايغ

اسرائيليات:

١٢٢ جولتان اخريان لبيكر ..... هاني العبدالله

١٣١ «عملية سليمان» وازمة الاستيعاب ..... مها بسطامي

١٣٩ المناطق المحتلة: مصارحة لـ «ضبط» المسار ..... ربعي المدهون

وثائق

١٤٦ الرئيس الفلسطيني ياسر عرفات:
«اللاءات» الاميركية والاسرائيلية سواء

يوميات

١٥١ موجز الوقائع الفلسطينية
من ١٦/٤/١٩٩١ الى ١٥/٦/١٩٩١

بيبليوغرافيا

١٧٠ القضية الفلسطينية والصراع العربي ـ الاسرائيلي ..... اعداد: ماجد الزبيدي

لوحة الغلاف من اختيار الاتحاد العام للفنانين التشكيليين الفلسطينيين للفنان عدنان الشريف

الآراء الواردة تعبّر عن وجهات نظر كاتبيها؛ ولا تعكس، بالضرورة، آراء منظمة التحرير الفلسطينية، ولا المحررين، ولا المستشارين، ولا الناشرين

ISSN 0258 - 4026

المدير العام : صبري جريس

مدير التحرير : د. محمود الخطيب

المراسلات

Al-Abhath Publishing Co. Ltd
16 Artemidos Street, Strovolos
P. O. Box 5614
Nicosia, Cyprus

Tel 429396, Fax 312104, Telex 4706 PALCU CY, Cables: PLOCS

الاشتراك السنوي

[بريد سطحي] في الدول العربية واوروبا ـ للأفراد ٤٠ دولاراً، للمؤسسات والدوائر الحكومية ٥٠ دولاراً (يضاف ٣٠ دولاراً للبريد الجوي) □ في باقي دول العالم ـ للأفراد ٥٠ دولاراً، للمؤسسات والدوائر الحكومية ٦٠ دولاراً (يضاف ٥٠ دولاراً للبريد الجوي)

حرب الخليج وتأثيراتها المستقبلية في «القومية» والمصير العربي

د. ابراهيم ابراش

قال الجنرال العسكري والمنظّر البروسي، كارل فون كلاوزفيتش (١٧٨٠ ـ ١٨٣١) ان الحرب ظاهرة اجتماعية؛ بمعنى انها جزء من حياة المجتمعات عبر العصور؛ كما انها تقوم بوظيفة اجتماعية، حيث ان نتائجها على الاطراف المتحاربة، سواء أمنتصرة كانت او مهزومة، لا تخلو من ايجابية؛ ايجابية مباشرة بالنسبة الى المنتصرين وايجابية غير مباشرة بالنسبة الى المهزومين، حيث انها تحفز العقل الجمعي للأمة المهزومة على الاستقصاء والسؤال عن اسباب الهزيمة، وعن المسؤولين عنها، حتى تكون عبرة للمستقبل ولاعادة تأسيس المجتمع على أُسس صحيحة، متحررة من اسباب وعوامل الهزيمة.

ان هذه الايجابية المرتبطة بالحروب تكون اكثر وضوحاً في الحروب العادلة والمشروعة، كالحرب من اجل الدفاع عن النفس، او حروب التحرر الوطني، حيث ان الهزيمة في معركة لا تعني تنازل الامّة المهزومة عن حقها، وعن عدالة قضيتها، بل تكون الهزيمة حافزاً وعاملاً على تجميع القوى، واعادة الحسابات، وتطوير وسائل النضال حتى يستعاد الحق. وممّا لا شك فيه ان النصر يكون اكثر احتمالاً، والقدرة على استيعاب الهزيمة وتجاوز آثارها يكونان ايسر منالاً، اذا أخذت الحرب طابعاً شعبياً، حيث يلتحم الشعب مع قيادته وجيشه. امّا الحروب التي تخوضها الانظمة دفاعاً عن مصالحها وعروشها، او خدمة لاهداف اجنبية، فان الشعب، غالباً، لا يشارك الانظمة فرحة النصر، ولا مرارة الهزيمة، ولا يكون لهزائم هذه الحروب ايجابيات، بل تكون هزائم مدمّرة للمجتمع.

ففي أي نوع يمكن ان نصنّف «حرب الخليج»؟ وما هي المرجعية في مشروعية كل طرف من أطراف الحرب؟ وهل الجماهير العربية في الدول المشاركة في الحرب ملتحمة مع قياداتها، وموافقة على دخولها الحرب؟ وبالتالي هل تشارك هذه الجماهير انظمتها في فرحة «النصر» بالنسبة الى المنتصرين، أو مرارة «الهزيمة» بالنسبة الى المهزومين؟

لا يختلف اثنان على ان السلطة السياسية تحتكر عملية اتخاذ القرار في العالم العربي، دون ان يكون للجماهير اي دور في هذه العملية، على الرغم من ان العديد من هذه الانظمة العربية تدّعي بأنها تنطق باسم الجماهير، وتجسّد ارادة الأمة، وتحكم باسمها.

ان القرار السياسي في العالم العربي يتمدد حتى يتغلغل في ثنايا نشاطات المجتمع كافة، فارضاً نفسه على كل مؤسساته، من ادناها اهمية، كتحديد سعر رغيف الخبز او ثمن تذكرة الحافلة او السينما، الى اخطرها واكثرها اهمية، كأمور الحرب ومصير الشعب. فالحقل السياسي، في المجتمعات العربية، يستوعب كل المجالات الاخرى، ويخصصها له. فالسلطة حاضرة دوماً، وفي كل

مكان، سواء بشكل مباشر او بشكل غير مباشر. فالمجتمع المدني لا وجود له في الدول العربية[1]؛ هذا المجتمع الذي به تخلق القنوات والأطر المعبّرة عن ارادة الشعب، وبه يحدّد المواطنون حقوقهم والتزاماتهم، وبه يجدون الحماية من تجاوزات السلطة السياسية وتعدّياتها، سواء على حقوقهم الشخصية والمدنية او على حقوقهم السياسية والوطنية التي تمسّ مصالح الوطن برمّته.

ان غياب المجتمع المدني يطلق يد السلطة السياسية، بكل اجهزتها، لتستوعب النشاطات المجتمعية، وتوجّهها بما يخدم من هم في السلطة والذين هم، جميعاً، في الانظمة الملكية، او الجمهورية، على السواء، لم يصلوا الى الحكم بانتخابات، بل توارثوا الحكم أباً عن جد، أو من طريق انقلابات أو ثورات[2]. وغياب المجتمع المدني وغياب الديمقراطية يثيران الشك في مدى تمثيل الانظمة الحاكمة لارادة الأمّة، وبالتالي الى أي حدّ يمكن القول ان الممارسات السياسية التي تنتهجها هذه الانظمة على مستوى السياسة الداخلية، او السياسة الخارجية، تحظى برضى الشعب وتعكس اهدافه ومصالحه، سواء في حالات الحرب او في حالات السلم؟

انطلاقاً من هذه الاسئلة، التي نزعم انها تشكل فرضيات صالحة لتحليل واستقراء مجمل النزاعات والصراعات التي شهدها العالم العربي ـ ولا يظهر في الافق ما يبشّر بأنها على وشك الاختفاء، بل انها مرشحة للتزايد ـ والتي تأخذ، احياناً، شكل حرب لا تعكس، او تعبّر، بالضرورة، عن حالة عداء بين الجماهير العربية، او تناقض في المصالح فيما بينها. فهذه الجماهير غالباً لا تشاطر انظمتها في معاركها ولا تقاسمها فرحة النصر او مرارة الهزيمة، بل كثيراً ما تقيّم الجماهير العربية الحروب والنزاعات انطلاقاً من حسها القومي ومن اعتبارات المصلحة القومية، فتناوىء حكّامها في مواقفهم ان احست بأن هذه المواقف تتعارض مع المصلحة القومية، وهذا ما لمسناه في غير حالة، حيث لم تتفق حسابات الانظمة مع حسابات الجماهير، و«حرب الخليج» تعدّ من هذه الحالات.

ولأن حسابات الانظمة لا تتفق دائماً مع حسابات الجماهير، فقد وجدت الجماهير العربية نفسها، في اثناء «حرب الخليج»، في وضع متناقض محيّر تتداخل فيه الفرحة مع الخوف، والامل مع الحذر، والثقة بالنصر مع الهلع من اختلال موازين القوى بين طرفي الصراع. كانت غالبية الجماهير العربية لا تخفي فرحتها بقوة العراق وتأييدها لمواقفه، ولكنها تتخوف من هزيمة جديدة؛ هزيمة مغايرة للهزائم العربية السابقة؛ هزيمة عناصرها وركائزها واسبابها داخلية وعربية، وانْ كان بأسلحة وقوات اجنبية. وكانت الجماهير العربية يحدوها الامل بغد عربي متحرر قوي، متحكّم بثرواته، موحّد الارض والانسان، ولكن، في الوقت عينه، ينتابها الشك والحذر في مدى تجاوب الانظمة العربية مع ارهاصات هذا الغد الجديد، والشك في مدى قدرة، او رغبة، هذه الانظمة على التحرر من الهيمنة الاجنبية، الاقتصادية والعسكرية والثقافية، مع حذر لا يخفى، وخصوصاً لدى بعض المثقفين، ازاء المصداقية في الاهداف والتحالفات، سواء على مستوى الساحة الخليجية، او القومية العربية، او الدولية[3]. وبصورة عامّة، لقد كانت خارطة المواقف العربية ابّان الحرب على الشكل التالي، تقريباً:

- العراق، كطرف رئيس في الحرب، تفرّد في مواقفه.
- انظمة عربية متحالفة مع الولايات المتحدة الاميركية ومشاركة، فعلياً، في الحرب ضد العراق، وهذه الانظمة هي الدول الخليجية والسعودية وسوريا ومصر.
- انظمة عربية تعارض احتلال العراق للكويت، وتؤيده في مواجهته للتحالف العدواني،

وهذه الانظمة هي الاردن واليمن والسودان وموريتانيا، اضافة الى منظمة التحرير الفلسطينية.

○ انظمة تعارض احتلال العراق للكويت، ووقفت موقف المحايد في الحرب، وهي ليبيا وتونس والجزائر ولبنان والمغرب.

امّا بالنسبة الى الموقف الشعبي العربي، والذي، كما قلنا، لا يتطابق مع مواقف الانظمة، فنظراً الى التعتيم الاعلامي، من جهة[٤]، والتضييق على حرية الرأي والتعبير، من جهة أخرى، فمن الصعب اعطاء احصائية دقيقة عن الموقف الشعبي من الحرب، وان كانت مؤشراته توحي بأن الموقف كان رافضاً للحرب، ورافضاً لمشاركة الجيوش العربية في العدوان على العراق، ومتعاطفاً مع العراق. فالتحذيرات الشديدة التي وجّهتها الانظمة العربية التي شاركت في التحالف ضد كل من يخلّ بالأمن، او يبدي تعاطفاً مع العراق، واللجوء الى القوة لقمع التظاهرات المؤيدة للعراق، كل ذلك يؤشر الى ان الموقف الشعبي العربي كان، في غالبيته، متعاطفاً مع العراق.

ان النتيجة التي نتوصل اليها ترجّح ان غالبية الانظمة العربية[٥] لم تتعاطف مع، او تساند، العراق في حربه ضد دول التحالف. فالانظمة التي اعلنت معارضتها للحرب وللعدوان على العراق التزمت بالحصار المفروض عليه، ومعظمها لم يقدّم أي دعم ملموس اليه[٦]؛ كما ان الانظمة التي ادّعت بالحياد، عنى حيادها القبول الضمني، وحتى الصريح، بما يجرى وبما تعرّض له العراق.

في مقابل ذلك، كانت غالبية الجماهير العربية متعاطفة مع العراق، في حربه ضد دول التحالف، وغامضة في مواقفها من احتلال العراق للكويت[٧]. هذا على مستوى المواقف المعلنة؛ امّا على مستوى الاهداف والغايات، فان الانظمة العربية المشاركة في التحالف ضد العراق، كانت تعرف ما تريده من الحرب، او على الأقل كانت لها اهداف ومصالح ترمي الى تحقيقها من خلال هزيمة العراق وارضاء الولايات المتحدة الاميركية والدول الغربية والدول الخليجية، ولم تكن هذه الاهداف، بالضرورة، اهدافاً معبّرة عن الموقف الشعبي، أو اهدافاً قومية استراتيجياً، بل كانت اهدافاً ذات علاقة بخلافات شخصية بين القادة، او لحسم صراع حول الزعامة ـ الزعامة الكاريزمية للعشيرة العربية ـ او تعبيراً عن مصالح نخبوية داخلية وتوازنات اقليمية عربية، او ارضاء لمواقف دولية لا تملك هذه الانظمة، في مواجهتها، الّا الرضوخ والاذعان. وبصورة عامة، كانت اهدافاً اقليمية سلطوية مصلحية، وانْ كانت تُنْعت بالمصلحة القومية العربية، او بالدفاع عن السلام، او بالأمن والسلام! امّا اهداف الجماهير العربية من تعاطفها مع العراق، فقد كان يشوبها الغموض وعدم الوضوح في الاهداف. حتى بالنسبة الى المثقفين الذين عبّروا عن تأييدهم للعراق، فهم لم يبدوا وضوحاً في الغايات والاهداف التي يتوقعونها من هذه الحرب في حالة انتصار العراق. صحيح انهم كانوا يرسمون تصوراً مأساوياً للوضع العربي، في حالة انتصار الحلف المعادي للعراق، ولكنهم لم يضعوا التصور المقابل له في حالة انتصار العراق[٨].

فممّا لا شك فيه ان التحالف الشعبي العربي مع العراق كان تعبيراً عفوياً وصادقاً، معبّراً عن الرفض للواقع العربي بكل مكوّناته، اقتصادياً واجتماعياً، وعن حماس وشعور بأن النظام الاقليمي العربي، بأنظمته ومؤسساته وعلاقاته، لم يعد يحظى بقبول الجماهير العربية؛ هذه الجماهير كانت تتوق الى التغيير خارج اطار النمطية السياسية التي تعوّدت عليها ولم تفتح امامها اي آفاق فعلية للتغيير[٩]. كما عبّر هذا التعاطف عن عدم الثقة بالولايات المتحدة الاميركية، وبسياساتها في المنطقة العربية؛ ولكن، في المقابل، لم تبلور هذه الجماهير البديل المنشود في حالة انتصار العراق في الحرب. وكانت الجماهير معجبة بالقوة العراقية وبارادة التحدي عند القيادة العراقية؛ ولكن عندما تواجه

هذه الجماهير بالسؤال هل ان العراق قادر على هزيمة دول التحالف؟ وما هي صورة العالم العربي الذي سيؤسسه الانتصار العراقي؟ عندئذٍ، لا نجد الاجابة المحددة بتاتاً، بل نجد اجابة مستمدة من تشوقات وتطلعات مختزنة في الوجدان الشعبي العربي، لا تعبّر عن حقيقة الواقع الراهن[١٠]. وهنا تكمن المفارقة. فالجماهير قومية في مواقفها ورافضة للواقع الاقليمي، ولكنها محكومة بأنظمة اقليمية، ممارسة وفكراً، او اقليمية ممارسة وقومية على مستوى الشعارات. والأمر سيّان. فالجماهير ترفض الواقع الذي فرض عليها ولم تشارك في صنعه، وفي الوقت عينه عاجزة عن تغييره، منتظرة الفارس او الزعيم الملهم الذي ينوب عنها في تغيير هذا الواقع[١١]؛ ترفض الحرب ضد العراق لأنها تحسّ بالابعاد الحقيقية لها، ولكنها عاجزة عن فعل شيء في مواجهة هذه الحرب؛ تريد ان تشارك وتساهم في حل الازمة بكل ابعادها، ولكنها تفتقد الاطر الموجِّهة والتنظيمات القائدة والمثقف الملتزم، لكي تأخذ بيدها وتحوّلها الى قوة فاعلة في مجريات الاحداث، وتنقلها من موقع المتفرج الى موقع الفاعل والمانع للحدث.

لقد عاشت الجماهير العربية، خلال الازمة، حالة من الاضطراب والضياع والحيرة؛ لا تعرف كيف تتصرف؛ ولم يسعفها في ذلك لا انظمتها ولا احزابها وقواها السياسية ولا مثقفوها. في مقابل ذلك، كانت الانظمة العربية المشاركة في الحرب ـ وحتى بعض المدعية بالحياد ـ تسير ضمن مخطط واستراتيجية محددة متفق عليها مسبقاً؛ ولكنها لم تكن استراتيجية قومية عربية، بل استراتيجية غربية تسعى الى اقامة نظام عربي متجاوب مع متطلبات نظام كوني جديد، تلعب فيه الدول الغربية، وعلى رأسها الولايات المتحدة الاميركية، دور القيادة، والانظمة العربية، والثالثية عموماً، دور الكومبارس[١٢] والتابع.

بعد توقف الحرب ـ ونعتقد بأن ذلك هدنة مؤقتة، لأن المنطقة العربية مقبلة على مرحلة ستشهد فيها حروباً وقلاقل خطيرة ـ بدأت حسابات الربح والخسارة تفرض نفسها؛ مَنْ انتصر على مَنْ؟

لقد كان قائد القوات البريطانية في الخليج محقّاً عندما طلب من البريطانيين ان يقرعوا الاجراس، احتفالاً بالنصر في الخليج، لأن بريطانيا، بالفعل، انتصرت هي ومصالحها في المنطقة.

وكان الرئيس الاميركي جورج بوش محقاً، ايضاً، عندما هنّأ الاميركيين بانتهاء الازمة، وبالانتصار الساحق لقوات الحلفاء على العراق؛ وكان محقّاً كذلك عندما عبّر عن فرحته بأنه لأول مرة تتعاون اسرائيل وأنظمة عربية ضد «عدو مشترك» (يقصد العراق). ولفرحة الرئيس الاميركي ما يبرّرها اميركياً، لأنها فرحة بانتصار المصالح الاميركية والاستراتيجية الاميركية المقبلة على تأسيس نظام عالمي يخضع لسيادتها.

ولكن، عن أي انتصار ستتحدث الانظمة العربية التي شاركت في الحرب ضد العراق؟ وهل تجرؤ هذه الانظمة على التحدث عن النصر وفرحة النصر؟ وانْ فعلت ذلك، فما هي الانجازات التي حققتها؟ هل ستتحدث عن الانتصار في عملية تجويع الشعب العراقي؟ ام تراها ستتحدّث عن الانتصار بتدمير المدن والقرى والمؤسسات الاقتصادية والاجتماعية في العراق؟ ام تراها تتحدث عن الانتصار في تدمير الجيش العراقي وابادة عشرات الآلاف من جنوده؟ وهل يكون تدمير ملجأ العامرية على من فيه من اطفال ونساء وشيوخ، انتصاراً للجيوش العربية المشاركة في الحرب؟ وهل يعد انتصاراً في نظرها احتلال جزء من اراضي العراق واثارة حرب اهلية بين مواطنيه، ومحاولة تجزئته الى دويلات طائفية واثنية؟ وهل سيكون انتصاراً في نظرها الاخلال بموازين القوى لمصلحة العدو الصهيوني، من خلال مساهمتها في تدمير قوة العراق التي كانت ترهب العدو، وتشكّل ورقة ضاغطة في اية تسوية

محتملة لمشكلة الشرق الاوسط ؟ انْ كانت هذه الاعمال تعد انتصاراً للانظمة العربية المشاركة في الحرب ضد العراق، فهل تشاطر الجماهير العربية هذه الانظمة فرحة النصر؟ انها لمفارقة هذه التي نتجت عن الحرب؛ انتصار عسكري تعلن عنه الانظمة، وحسرة ومرارة ونقمة تعبر عنها الجماهير العربية. وانْ كان انتصار الانظمة لا ترضى عنه الجماهير ولا تشعر بأنه يصب في مصلحتها، فلمصلحة من سيجيّر هذا الانتصار؟

وانها لمعادلة معقّدة حقّاً. فالجماهير العربية لا تخفي عداءها للكيان الصهيوني وللولايات المتحدة الاميركية، وبعض الانظمة العربية يتعاون مع الولايات المتحدة الاميركية، ويسعى الى كسب ودّ اسرائيل. كما انه لأمر خطير عندما تتفق الانظمة العربية المشاركة في الحرب ضد العراق مع الولايات المتحدة الاميركية والغرب واسرائيل، لأن الاتفاق لا يكون من فراغ وعلى سراب، ولكنه اتفاق على مصالح واهداف ـ فعلى اي شيء اتفقوا يا ترى؟ كما ان حدوث الاتفاق فيما بينها يعني زوال حالة الصراع المفترض انها كانت موجودة بينها، وخصوصاً بين اسرائيل والانظمة العربية. والسؤال هو هل ان زوال حالة العداء، والانتقال الى مرحلة التعاون المشترك، يعني زوال الاسباب المولّدة للعداء، وهي كما هو معروف اسباب متعلقة بحقوق الشعب الفلسطيني وبالصراع العربي ـ الاسرائيلي بشكل عام؟

ان مجريات الاحداث في الخليج والشرق العربي عموماً، والترتيبات التي تُعَد لدول المنطقة ولشعوبها، تؤكد ان «حرب الخليج» كانت مجرد بداية لمخطط أخطر من الحرب ذاتها. مخطط يرمي الى اقامة نظام عربي اقليمي جديد، يشكّل، في حالة نجاحه، نهاية للقومية العربية وللنضال القومي الوحدوي؛ وبمقتضاه سيوضع حدّ للصراع العربي ـ الصهيوني، من خلال تسوية الصراع الاسرائيلي ـ العربي، على حساب الصراع الاسرائيلي ـ الفلسطيني، اي ضرب فكرة قومية القضية الفلسطينية. وفي ظل هذا النظام الاقليمي الجديد، سيصبح مركز اتخاذ القرارات، المتعلقة بحاضر، ومستقبل، المنطقة، ليس في أيدي شعوبها، ولا حتى في ايدي انظمتها، ولكنه سيتمركز في ايدي واشنطن ودول المنطقة غير العربية، وخصوصاً تركيا وايران واسرائيل. والأخطر من كل هذا كان هذا التواجد العسكري الاميركي الذي بدأ، رسمياً وعلنياً، يتحوّل الى وجود ثابت، من خلال قواعد عسكرية في بعض دول المنطقة. اي انه، في الوقت الذي تتحرك الجماهير في اكثر من موقع، في العالم، لوضع حدّ للقواعد الاجنبية، يحتضن العالم العربي ما لفظته الشعوب الاخرى. ويمكن لمن يستقرىء الاحداث والتصريحات حول المنطقة ان يتلمّس جذور هذا المخطط، ليس في احتلال العراق للكويت ـ والذي كان في مفهوم الحرب ضربة استباقية لحرب كان العراق يعرف انها مقبلة ـ ولكن منذ ان خرج العراق منتصراً من حربه مع ايران، حائزاً قوة جبّارة تؤهلة للعب دور خارج اطار حدوده المعترف بها.

ان قراءة قومية استراتيجية لـ «حرب الخليج»، بعيدة من حسابات الانظمة من جانب، ومتحررة من شطحات العاطفة والانفعال الجماهيري من جانب آخر، تضعنا ازاء المعطيات والمؤشرات التالية للنظام الاقليمي العربي المقبل:

اولاً: التزام دول التحالف، وفي مقدّمها الولايات المتحدة الاميركية، بالحفاظ على الوضع القائم في الخليج، وفي الشرق الاوسط، من خلال الحؤول دون اية قوة محلية عربية والاخلال بالحدود الاقليمية القائمة بين دول المنطقة، او بأنظمة الحكم الخليجية. فقد سبق للدول الغربية ان شجّعت العراق ليقوم بمهمة التصدي لايران في عهد الخميني، عندما حاولت هذه الاخيرة الاخلال بالوضع القائم؛ واليوم تدور الدائرة ويُضرب العراق من قبل الولايات المتحدة الاميركية والدول الغربية وانظمة

المنطقة، عندما بدأ العراق يسعى الى الاخلال بالوضع القائم باحتلاله الكويت. وما يميز المحاولة الاخيرة للغرب في مسعاه للحفاظ على الوضع الراهن، انه فاز بدعم الانظمة العربية، واكتسابه لشرعية رسمية عربية من خلال جامعة الدول العربية وشرعية «قومية وثورية» من خلال مشاركة انظمة عربية تدّعي بأنها ناطقة باسم القومية والثورية، و«شرعية اسلامية»، من خلال انظمة وعلماء دين منحوا «الشرعية الدينية» للقتال ضد الرئيس صدام حسين.

ان سعي الدول الغربية، وفي مقدمها الولايات المتحدة الاميركية، الى الحفاظ على الوضع الراهن ليس دافعه الحرص على السلام والاستقرار في المنطقة، وليس الالتزام بقواعد الشرعية الدولية، ولكن دافعهم الى ذلك هو الحفاظ على وضع اقليمي تحكمه انظمة غير فعالة، مقيّدة بالديون الخارجية وبوضع اقتصادي متدهور، ولا تحظى بالشرعية الشعبية، وتفتقر الى مؤسسات وانظمة دستورية؛ وهي، في غالبيتها، تعترف باسرائيل، صراحة او ضمنا، او تسير نحو الاعتراف بها. وهي انظمة، في غالبيتها، تتعامل بحذر مع اي تحولات ثورية او طروحات تدعو الى العمل العسكري ضد العدو الصهيوني، او تدعو الى الوحدة العربية على اساس شعبي؛ وبالتالي، فان الوضع الذي تكرّسه هذه الانظمة غير مؤهل آنياً، أو مستقبلاً، لا لتحرير فلسطين، ولا لاقامة وحدة عربية، ولا لخلق مجتمع عربي متحرّر من الهيمنة الاجنبية.

ثانياً: ان قراءة استراتيجية قومية لـ «حرب الخليج»، من جانبها المتعلق بالصراع العربي - الصهيوني، ستكشف عن ان من اهداف هذه الحرب ضرب البعد القومي للقضية الفلسطينية، من خلال رفض الربط بينها وبين قضايا المنطقة الاخرى، وعدم السماح لأي نظام عربي بأن يتصرف - اي ينتقل من الشعار الى الفعل - باسم المصلحة القومية، او باسم مساندة الشعب الفلسطيني، اعتماداً على مقولة قومية القضية الفلسطينية وقومية المسؤولية العربية عن تحرير فلسطين.

لقد كانت الولايات المتحدة الاميركية ودول التحالف، في رفضها الربط بين قضايا المنطقة، ترمي الى جعل المواجهة العربية - الاسرائيلية تأخذ طابع مواجهة، او خلاف، بين اسرائيل، من جهة، وكل دولة عربية منفردة، من جهة اخرى، بما في ذلك الشعب الفلسطيني، الامر الذي يجعل اسرائيل الطرف الاقوى في هذه المواجهات، سواء حول طاولة المفاوضات او في ساحات المعارك. فقوة العرب هي في وحدتهم على قاعدة الالتزام القومي الوحدوي[١٣]؛ والخشية تكمن في ان تكون اطراف عربية قد وقعت في احابيل هذا المخطط، وقبلت قواعد اللعبة، وبدأت تسعى الى تسويات منفردة مع العدو.

ثالثاً: ان تواتر الحديث عن نظام امني اقليمي في المنطقة العربية، وخصوصاً في المشرق العربي، اطرافه الدول العربية التي شاركت في الحرب ضد العراق ودول اخرى محتملة، كاسرائيل وايران وتركيا، وتحت المظلّة الاميركية، ما هو في الحقيقة الاّ محاولة لتثبيت الامر الواقع المترتب عن الحرب وموازين القوى، واضفاء «شرعية» على هذا الواقع وهذه الموازين. انه محاولة تتستر بأمن المنطقة واستقرارها؛ الاّ انها، في الواقع، تهدف الى أمرين: ١ - اضفاء «الشرعية» الدولية على تحالف الانظمة التي شاركت في الحرب وحمايتها من اي خطر يتهددها؛ ٢ - محاولة تعميم، وتعريب، كامب ديفيد، من خلال اشراك اسرائيل في هذا النظام الامني ودفع انظمة عربية الى الاعتراف باسرائيل، وبشرعية وجودها، تحت شعار «الامن والاستقرار في المنطقة». ان الأمن الذي تسعى الولايات المتحدة الاميركية الى تحقيقه من وراء بلورة هذا النظام هو أمن اسرائيل في الاساس؛ وهو الامن الذي هدّدته القوة العراقية والصواريخ العراقية. وقد يكون هذا الاعتراف الرسمي العربي من الدول العربية

التي تحالفت ضد العراق، باسرائيل هو ثمن ضمان استمرارية دعم وحماية الولايات المتحدة الاميركية لهذه الدول، ومكافأة، في الوقت عينه، من هذه الدول للولايات المتحدة الاميركية على ازاحتها للقوّة العراقية، ومكافأة لاسرائيل على تصرّفها «الحكيم» خلال الحرب.

رابعاً: مستخلص هذه المؤشرات الثلاثة يؤكد ان الولايات المتحدة الاميركية ليست جادة، فعلاً، في تطبيق قرارات الامم المتحدة المتعلقة بالقضية الفلسطينية، وليست بعازمة على اجبار اسرائيل على الانسحاب من على الاراضي العربية المحتلة. فالولايات المتحدة الاميركية واسرائيل لم تلتزما تطبيق هذه القرارات عندما كان الوضع العربي في حال افضل ممّا هو عليه اليوم، وعندما كان الموقف الدولي، وخصوصاً موقف المنظومة الاشتراكية، داعماً للمطالب العربية حول تطبيق الشرعية الدولية، فكيف ستلتزم الولايات المتحدة الاميركية واسرائيل تطبيق هذه القرارات والوضع العربي في أسوأ حال؟

ان الشخص، او الشيء، لا يمكن ان يكون الشيء ونقيضه في آن. فلا يمكن، اذاً، ان تكون اميركا، المتآمرة على العرب والمتناقضة مصالحها مع مصالح الأمة العربية، ضد العرب تاريخياً وفي ازمة الخليج اخيراً، ومع العرب في مواجهة اسرائيل بعد الازمة. بل ان الاقرب الى الحقيقة هو القول ان حربها ضد العراق ما هو الّا استباق لأية محاولة عربية لاجبار اسرائيل على تطبيق قرارات الامم المتحدة المتعلّقة بمشكلة الشرق الاوسط تحت تهديد القوة العربية التي جسّد العراق نواتها.

ان حديث اميركا وعرب اميركا عن السلام، اليوم، ما هو الّا محاولة لامتصاص النقمة الشعبية العربية ضد ما يجرى في الخليج؛ ومحاولة لاخفاء مخطط خطير يحاك ضد العراق وضد الأمة العربية؛ كما انها محاولة لاضفاء بعض المصداقية على الانظمة العربية المتحالفة ضد العراق، وعلى دول التحالف، وعلى الامم المتحدة نفسها.

ان اسرائيل لن تنسحب من على الاراضي المحتلة؛ ولن تطبّق قرارات الامم المتحدة؛ وانْ كان ثمّة تسوية للصراع العربي ـ الاسرائيلي يمكن ان تتحقق، فانها ستكون تسوية متمّمة لما يجرى في الخليج؛ تسوية على حساب الحق العربي، والشعب الفلسطيني، ولمصلحة الثنائي الاميركي ـ الاسرائيلي.

خامساً: ان الاحداث الجارية في العراق، حيث تتحالف اطراف عدّة، بما فيها اطراف عربية، ضد وحدة العراق، ما هي الّا مظهر ونموذج لمعطيات الواقع العربي بعد حرب الخليج، حيث ستنتكس المسيرة الوحدوية العربية. فبدلاً من السعي الى وحدة الدول العربية، ستصبح هذه الدول مهددة بالتجزئة الى دويلات، على اسس طائفية، او اثنية.

ولا يُستغرب موقف الولايات المتحدة الاميركية وايران في تغذية هاتين الدولتين للانفصاليين في العراق؛ ولكن المستغرب هو موقف انظمة عربية تدعم الانفصاليين، وأخرى تسكت عمّا يجرى. فكيف يقبل التحليل والمنطق القومي، او الاسلامي، ان تشذر دولة عربية الى كيانات طائفية واثنية؟ وما هو موقف القوميين ممّا يجرى في العراق؟ بل يمكن، وحتى من منطلق قطري لدول المنطقة، ان نسأل: هل ان ما يجرى في العراق يخدم مصلحة دول المنطقة، التي هي، في تركيبتها الاجتماعية، تفتقر الى الاندماج والانصهار، بل ان بناها فسيفسائية تتغلب فيها الانتماءات العشائرية والطائفية والاثنية على الانتماء الى وطن؟ انها دول ما قبل الدولة ـ الامة. وفي حالة نجاح المخطط المعدّ للعراق، فان العدوى ستسري في بقية دول المنطقة، ولن تبقى اسرائيل وحدها كياناً انفرادياً طائفياً، بل ستصبح المنطقة مليئة بمثل هذا الكيان، وهذا ما كانت تسعى اسرائيل اليه منذ مدة طويلة؛ وما زالت تسعى اليه في لبنان، وحتى في مصر، من خلال اثارة فتنة بين المسلمين والاقباط[١٤].

سادساً: لقد كشفت ازمة الخليج هشاشة الحركة القومية العربية. فما كان يسمّى بالحركة القومية العربية، كانت، في الحقيقة، فلسفة قومية يقودها فلاسفة يتحدّثون عن القومية العربية والوحدة العربية باعتبارها افكاراً طوباوية تبشيرية مجردة من حقائق الواقع؛ فلاسفة متطفّلون على الحركة النضالية الشعبية، متطرّفون شعاراتياً، قوميون بالكلمة واقليميون بالممارسة. والأمة العربية التي نظروا اليها، والوحدة العربية التي رسموا معالمها، لم تخرجا من صفحات الكتب والمجلات؛ وعليه لم يكن حالهما بأفضل من حال جمهورية افلاطون الفاضلة؛ وهكذا تحول مناضلونا، او من كنّا نعتقد بأنهم مناضلون، الى فلاسفة قابلين للتعامل مع كل الانظمة ومع كل من يدفع اكثر.

كما تجسّدت الازمة الحقيقية للحركة القومية السياسية العربية، ابّان ازمة الخليج، من خلال الموافقة السلبية لحركات ومثقفين كانوا يصنّفون بأنهم قوميون ـ وحدويّون ـ ثوريون، واذ بهم يهللون للحشود الغربية ولحرب التدمير ضد العراق؛ وبعضهم رفع شعار حق تقرير المصير للشعب الكويتي، الامر الذي يتنافى مع المفهوم العلمي ومع السياق التاريخي الذي ظهر به مبدأ حق تقرير المصير، ويتنافى مع الفكر القومي العربي، ذلك ان حق تقرير المصير ـ كما وضعت خطوطه الاولى في النقاط الاربع عشرة للرئيس الاميركي ويلسون في العام ١٩١٨ ـ مرتبط بفكرة القومية. فهو يُعطى للامم وليس لجزء من امّة؛ لأنه لو أُعمل داخل الأمة الواحدة لأصبح من حق كل جماعة ذات مصلحة، او ذات ارتباطات خارجية، ان تطالب بتطبيق مبدأ حق تقرير المصير، الأمر الذي يتنافى مع حقيقة ومرامي الفكر القومي، وفكرة الدولة القومية المتحدة.

ان الحقيقة التي اكدتها ازمة الخليج هي غياب حركة قومية عربية جماهيرية ملتحمة بالجماهير ومعبّرة عن تطلعاتها واهدافها؛ وان الحركات والتنظيمات والمثقفين والأنظمة القومية كانوا، في الواقع، يوظفون شعارات قومية وحدوية لخدمة مصالح نخبوية واقليمية، الامر الذي يحتّم دراسة علمية ـ اجتماعية ـ سياسية لبُنية الحركة القومية العربية حالياً، بل ولظروف نشأتها والجذور الاجتماعية والطائفية والسياسية لمؤسسيها، ولقادتها، خلال العقود الماضية، وعلاقة هذه الظروف والاصول باسلوب عمل الحركة القومية وبمواقفها في ظل التغيّرات العربية الدولية[١٥].

سابعاً: ان التحالفات ونقاط الالتقاء، او التقاطع، بين اطراف النظام الاقليمي الجديد، من عرب وعجم، تشكل تحوّلاً خطراً على المسيرة القومية العربية وعامل قلق على مصير الامة العربية المتطلعة الى الوحدة والاستقلال. ومن اهم هذه التحوّلات والتحالفات الداخلية زوال الفواصل الايديولوجية بين الانظمة العربية. فلم يعد، هناك، ولو على مستوى الشعارات، مجال للتحدث عن انظمة ثورية وانظمة محافظة، او عن انظمة قومية وانظمة اقليمية، وهو الامر الذي كان يتيح هامشاً للجماهير العربية للمناورة، والاستفادة من هذا التناقض، لتعطي لتطلعاتها ونضالاتها المصداقية والامل، ما دام هناك انظمة تبني شعاراتها ونضالاتها وتقف معها في جبهة واحدة، ولو على مستوى الشعارات.

لقد وضعت الانظمة الثورية والقومية نفسها في خدمة الانظمة المحافظة والاقليمية، او قبلت قواعد اللعبة التي تحدّدها هذه الاخيرة. فالتحوّل لم يكن لمصلحة «القومية» و«الثورية»، بل لمصلحة «المحافظة» و«الاقليمية».

أمّا على مستوى التحالفات الخارجية، فقد منح الغرب، وفي مقدّمه الولايات المتحدة الاميركية، «شهادة حسن سير وسلوك» رسمية من الانظمة العربية اهّلته للانتقال من معسكر «العدو» لفظاً و«الصديق» ممارسة، الى معسكر «الصديق والحليف» لفظاً وممارسة. بل أصبحت الولايات

المتحدة هي الحامية للانظمة العربية، وضامنة استقرارها الامني والغذائي. وكنتيجة لهذا العامل، تغيّرت نظرة الانظمة العربية الى اسرائيل، التي لم تعد العدو الاستراتيجي للامة العربية، او انها تشكل خطراً على استقرارها، بل اصبحت اسرائيل، بالنسبة اليهم، امراً واقعاً لا ضرر منه، تحتّم المصلحة الاقليمية لهذه الانظمة وموقفها الجديد من الغرب ان تعترف باسرائيل وتدمجها ضمن نظام امني اقليمي؛ اي ان العلاقة تحوّلت، او هي في طريقها الى التحوّل، من علاقة عداء معلن وتعايش ضمني، الى علاقة تعايش واعتراف معلن وتحالف ضمني. وبديهي ان هذه التحوّلات، في مستوياتها الثلاثة، لا تخدم المشروع القومي الوحدوي العربي.

ثامناً: لقد افرزت ازمة الخليج، وما رافقها من تحركات جماهيرية ورسمية، ظاهرة تحوّل في الفعالية القومية الجماهيرية والفكرية من المشرق العربي الى المغرب العربي، حيث كان الجمهور العربي المغاربي شديد التعبير عن الموقف القومي، سواء على مستوى تحرك الشارع او مستوى المثقفين، وهذا الامر يحتاج الى وقفة تفسير لهذا التحوّل الذي يناقض ما كان سائداً من ان دول المغرب العربي غير معنيّة بالفكر القومي وغير منجذبة الى فكرة الوحدة العربية. الّا ان للايديولوجية القومية الناهضة في المغرب العربي سماتها الخاصة، والتي أهمّها بعدها من القومية العلمانية، التي كانت سائدة في المشرق العربي، وقربها من قومية عربية اسلامية قريبة من تزاوج وتعايش العروبة والاسلام في الحضارة العربية الاسلامية في أوج ازدهارها. وقد يكون مرجع ذلك بنية المجتمعات المغاربية، من حيث عدم وجود طوائف مسيحية فيها، ووجود البربر الذين صهرهم الاسلام في بنية عربية اسلامية؛ وبالتالي، لقد تقبّلوا العروبة ان كان مدخلها ومحتواها اسلاميين. ورفضوها في غير ذلك من الحالات.

---

(١) ومع ذلك، فالأنظمة العربية ليست على الدرجة ذاتها. فهناك بعض الدول استطاع ان يقطع خطوات هامة على طريق اقامة مجتمع مدني، حيث استطاع كسر حاجز الخوف من الديمقراطية، وافسح في المجال للشعب بأن يقول كلمته. الّا ان هذه الديمقراطية لها خصوصيتها. فهي ديمقراطية ابوية، او موجّهة؛ اي انها لم تنطلق من القاعدة، بل من القمّة. فالحاكم هو الذي يضع قواعدها واصولها ويحدّد موقع وحدود كل الاطراف المشاركة فيها.

(٢) يأخذ مفهوم «الثورة» في العالم العربي دلالة خاصة به، تبعدها عن المعنى الاصطلاحي الحقيقي للكلمة، ذلك ان حوالى نصف الأنظمة العربية هو انظمة جمهورية، قادتها وصلوا الى السلطة من طريق «ثورة»، او ثورة على الثورة، او متابعة مسيرة ثورية لمن سبقوهم. ومع ذلك، فان الثورة، هنا، لا تعني ثورة شعب بل تمرّد نخبة؛ ولا تعني ثورة اجتماعية تسعى الى تغيير جذري لأوضاع المجتمع، بل تعني ثورة نخبة، غالباً عسكرية، على شخص او نخبة؛ وبالتالي، فان الثورة تعتبر انها انجزت مهمتها بمجرد سقوط القيادة السياسية السابقة. ونادراً ما يتعمّق مفهوم الثورة ليسعى الى تثوير اوضاع المجتمع الاقتصادية والاجتماعية والثقافية. فالثوار الجدد، لافتقادهم الشرعية الشعبية ولعجزهم عن التجاوب مع متطلبات الشعب، يصبح هاجسهم الوحيد الحفاظ على نظامهم ووجودهم، والتصدي للمؤامرات التي تحاك ضدهم، او يعتقدون بوجودها. أمّا تثوير الواقع، فيترك لثورة مقبلة، وهكذا دواليك.

(٣) الملاحظ ان المثقفين الذين لم يؤيدوا العراق في الحرب، اعتماداً على تبريرات مسبقة، كانوا من أشد المتحمّسين للرئيس صدام حسين والممجّدين له قبل اندلاع أزمة الخليج.

(٤) لقد وعت الدول المتحالفة ضد العراق عمق التعاطف الشعبي مع العراق والمعارضة الشعبية العربية للتحالف؛ كما انها كانت مدركة لتأثير

الرأي العام في وسائل الاعلام؛ هذا التأثير الذي لمسه الغرب في حرب فيتنام قديماً، وفي الانتفاضة الفلسطينية حالياً، فوضعت خطة اعلامية مشتركة قبل اندلاع الحرب هدفها الحؤول بين صدام حسين وتوظيف التعاطف الشعبي العربي لمصلحته، وذلك بفرضهم حصاراً على مجريات الحرب، وبثّ بلاغات كاذبة ومتناقضة، والتقليل، الى أقصى حدّ ممكن، من الاعلان عن خسائر الحلفاء، وتضخيم الخسائر التي تصيب العراق.

(٥) كان هذا من اسباب ضعف الموقف العراقي، ليس فقط على المستوى العسكري، اي وقوفه وحيداً في مواجهة دولة، بل على المستوى المعنوي السياسي، حيث شكّك البعض في مصداقية الخطاب القومي لصدام حسين، بالقول: «انه لا يمكن ان يكون العراق وحده محقّاً وكل الأنظمة العربية على خطأ»؛ كما ان غزو العراق الكويت زاد في تفسّخ الموقف العربي الرسمي وليس في ابقائه على الحد الادنى من التضامن، وهو التضامن المطلوب في اي عمل يراد له ان يكون قومياً، وعلى مستوى مواجهة اسرائيل والولايات المتحدة الاميركية.

(٦) مثال على ذلك، ان الرئيس الجزائري الاسبق، احمد بن بيّلا، كشف، في حديث له، عن ان العراق طلب، خلال الأزمة، مئة مليون دولار من الجزائر؛ وان حكومة الجزائر رفضت تقديم المبلغ؛ كما زعمت المعارضة ان الدماء التي جمعها الهلال الاحمر الجزائري لمصلحة الشعب العراقي خلال الحرب، قد بيعت لفرنسا.

(٧) وهذه من أوجه الاختلاف بين جمال عبدالناصر وصدام حسين. فمع ان كليهما كان يرفع خطاباً قومياً، ومع ان مصر الناصرية كانت أقل قوة عسكرية من قوة العراق قبيل الحرب، الّا ان عبدالناصر كان يحظى ليس فقط بالتأييد الشعبي العارم، بل وبتأييد بعض الانظمة العربية ودول العالم الثالث ودول المنظومة الاشتراكية. وهذا التأييد كان مصدر قوة كبيرة لعبدالناصر، عكس ما هو الامر مع العراق اليوم. وربما مرجع ذلك الاختلاف، بالاضافة الى التحوّلات في النظام الدولي وضعف الحركة التحررية العربية والعالمية، وحالة القهر والتيئيس التي تعيشها الجماهير العربية، هو ان المواجهة التي دخل فيها صدام حسين كانت، في البداية، ضد دولة عربية، وليس ضد اسرائيل والمصالح الغربية.

(٨) لهذا الامر معان عدة؛ فهو، من جهة، يظهر ان الجماهير العربية، بمن فيها المثقفون وحتى الانظمة المتعاطفة مع العراق، فوجئت بالازمة، وبالتالي لم تتوفر لها الفرصة لدرس ابعادها ومراميها؛ ومن جهة ثانية، انه يظهر غياب الجماهير عن صناعة القرار السياسي، فهي لم تساهم في اتخاذ قرار الحرب، وبالتالي كيف لها ان تعرف اهدافها الحقيقية؛ ومن جهة ثالثة، يعكس هذا الغموض في الموقف العربي شيئاً من العقلية العربية الاتكالية والقدرية والارتكاسية، عقلية تغلغلت فيها الهزيمة، وفقدت ارادة الفعل، واقتصر دورها على ردّ الفعل على فعل يقوم به الآخر. وحيث انها تعودت على الهزائم، فقد أصبح همّها هو التخطيط لما بعد الهزيمة وكيفية مواجهة أخطارها. فهي لم تتعود على النصر لتبحث في آفاق هذا النصر. فالتاريخ العربي المعاصر تاريخ هزائم؛ امّا النصر، فهو زائر عابر يأتي او لا يأتي. ومن جهة أخيرة، فان جزءاً من تعاطف الجماهير العربية مع العراق ينطلق من المثل القائل: «ليس حباً بعلي، ولكن كرهاً بمعاوية».

(٩) ومن هنا يكمن فهم الاهتمام الذي تحظى به الحركات المتطرفة، اسلامية وغيرها، من قبل الشارع العربي. فمرجع هذا الاهتمام، كما نعتقد، ليس الفكر الذي تتبنّاه هذه الحركات، لأنه غالباً لا يخرج عن اطار الايديولوجيات السائدة، ولكن سببه تجاوز هذه الحركات، بالنقد النظري والممارسة العملية، للواقع العربي، انظمة وأحزاباً ومؤسسات، ولجوئها الى العنف كمظهر من مظاهر رفض الشرعية السائدة للأنظمة وللمعارضة أيضاً. هذا العنف، وانْ كان ذا تأثير مادي محدود، فان تأثيره المعنوي على الجماهير كبير جداً، لأنه يجسّد حالة الرفض في أقصى معانيها. وعليه، فان الجماهير تعمل مقارنة بين واقع رديء واي قوة صاعدة ترفض الواقع وتتجاوزه الممارسة، فتسير وراء هذه الاخيرة. ومن هنا كان شقّا المقارنة التي عملتها الجماهير العربية المسحوقة والرافضة للواقع بكل معطياته، بين الانظمة العربية، وبين صدام حسين؛ الاول يجسّد الواقع المرفوض، والثاني يجسّد، بالنسبة اليها، النقيض لهذا الواقع، لأنه تمرّد عليه ويسعى، بالممارسة، الى تغييره. انها مع العراق، لأن العراق مع التغيير، ولكن التغيير الى أين؟ هذا ما لا اجابة عنه.

(١٠) هذا الشك كانت تحسّ به حتى القيادة الفلسطينية. فما هو معروف ان مبادرة صدام حسين الداعية الى الربط بين مختلف مشاكل المنطقة،

هي فكرة فلسطينية تبنّاها العراق؛ ومعنى هذا ان القيادة الفلسطينية كانت تعلم مسبقاً بأن هدف العراق من احتلال الكويت ليس تحرير فلسطين، وعليه لم تعوّل القيادة الفلسطينية كثيراً على نجاح الخطة العراقية؛ وبالتالي لم يلاحظ، على المستوى الفلسطيني، الشعبي الرسمي، أية تحرّكات او اعدادات مرتبطة باحتمال انتصار العراق وانسحاب اسرائيل من على الاراضي المحتلة.

(١١) تظهر عادة فكرة الزعيم الملهم والمنقذ في الدول التي لا يتوفّر فيها مجتمع مدني ومؤسسات يجد فيها المواطن الحل لمشاكله وأداة لتحقيق أهدافه. وهذا هو الوضع السائد في العديد من دول العالم الثالث، بما فيها الدول العربية، حيث يرتبط مصير الأمّة بشخص يختزل آمالها وأهدافها، ويحدّد لها الصالح والطالح. ففكرة الزعيم الملهم تتناقض مع فكرة الديمقراطية، ومع ارادة الأمة.

(١٢) وظهر هذا الأمر جلياً خلال كل مراحل الأزمة، حيث كانت اميركا هي المتحدث الوحيد في مواجهة العراق ومواجهة العالم، ولم يكن لا للكويت، وهي المعنيّة مباشرة بالأزمة، ولا للانظمة العربية المتحالفة، أي دور في النقاشات الدائرة حول الازمة قبل الحرب، وفي اثنائها، وبعدها. وكل القرارات والمشاريع المتعلقة بالأزمة كانت تصدر، او ترفض، من البيت الابيض، او من البنتاغون.

(١٣) للاشارة، فان هذا الهدف ليس جديداً. فهو يشكّل مرتكز الاستراتيجية الاستعمارية الغربية في المنطقة العربية منذ القرن التاسع عشر مع التطلّعات الاستعمارية البريطانية والفرنسية، ومنذ النصف الثاني من القرن العشرين مع صعود الولايات المتحدة الاميركية كقوة امبريالية. ونذكر، هنا، انه في العام ١٩٠٧ وضع ما سمّي بتقرير كامبل ـ بنرمان، حيث دعا هذا التقرير الى ضرورة تجزئة المنطقة العربية، بفصل اجزائها عن بعضها البعض، وذلك باقامة كيان يهودي وسطها. وقد بوشر، كما هو معروف، بتنفيذ هذا المخطط منذ العام ١٩١٦ باتفاقية سايكس ـ بيكو، والعام ١٩١٧ بـ «وعد بلفور»؛ ثمّ توالت مراحل التنفيذ. معنى هذا ان هناك ثباتاً في الاستراتيجية الغربية تجاه المنطقة.

(١٤) ان ما يجرى في شمال وجنوب العراق لا يندرج في اطار النضال الديمقراطي، بل هو حركات انفصالية مدفوعة بأغراض أجنبية؛ وهو مؤامرة لتقسيم العراق والغاء وجوده التاريخي. والولايات المتحدة الاميركية ترمي، من وراء ذلك، الى جعل ما يحدث للعراق عبرة لأي دولة عربية تتمرّد عليها.

(١٥) الملاحظة التي تفرض نفسها هنا، هي ان غالبية مؤسسي وقادة الحركات القومية العربية، وكتّابها، منذ بداية هذا القرن وحتى نهاية الستينات، هم من الاقليات، وخصوصاً من المسيحيين، الامر الذي قد يكون وراء طبع العلاقة بين القومية العربية والاسلام بطابع العداوة، او بعدم الانسجام وصعوبة التعايش. ولكن، وبعد ان ظهر ما سمّي بالصحوة الاسلامية، التي أخذت طابعاً شعبياً، موحّدة بين القومي والاسلامي، او على الاقل غير مثيرة لعوامل الخلاف فيما بينهما، تراجع دور الحركات القومية والمفكرين القوميين الكلاسيكيين، وتراجع اهتمامهم بالنضال القومي، الامر الذي يطرح العديد من الاسئلة حول واقع، ومستقبل، الحركة القومية العربية التقليدية، في ظل التحوّلات التي يشهدها المجتمع العربي.

الحـاج امين الـحسيني ودوره القومي في العراق (١٩٣٩ ـ ١٩٤١)

سميح شبيب

شهدت منطقة المشرق العربي ، خلال الحرب العالمية الثانية، تنافساً دولياً، حاولت دول المحور، عبره، مدّ نفوذها اليها بالتعاون مع القوى الوطنية العربية، من ناحية، في حين حرصت دول الحلفاء على الحفاظ على نفوذها، واستمرار تواجدها في المنطقة، من ناحية أخرى.

وخـلال تلك الفتـرة، وتحديداً منذ ان أعلنت بريطانيا الحرب على المانيا، في الثالث من أيلول (سبتمبر) ١٩٣٩، شهدت الحياة السياسية الدولية اضطراباً واضحاً، شمل النواحي السياسية والاقتصادية كافة. وكان طبيعياً ان تنعكس تلك الحالة على العراق. «ففي بغداد، أصبحت الاوضاع غير مستقرة تجارياً، ومالياً، وأُوقفت الودائع في البنوك، وبدأ احتكار المواد الغذائية، وارتفعت الاسعار فجـأة. وأعلنت الحكـومة ان الموقف العالمي اصبح خطيراً، وخوّلت وزارة الداخلية مراقبة الاخبار والمطبوعات، وخاصة تلك التي لها تأثير على سياسة العراق الخارجية»[١].

وعليه، كان وضع بريطانيا في العراق قلقاً، في وقت كان حماس العراقيين للقضايا القومية، وفي المقدّم منها القضية الفلسطينية، آخذاً بالاشتداد، وكانت الصحف العراقية تهاجم، بشكل عنيف، السيـاسـة البـريطانية المتّبعة في فلسطين[٢]؛ فضلاً عن ان ذلك الحماس اتّخذ أشكالاً سياسية واضحة، فكان لنشاط الزعيم العراقي، ياسين الهاشمي، دور مميّز في نصرة فلسطين، لا سيما بعد تأليف الوزارة، في ١٩٣٥/٣/١٧. فعلى الرغم من وجود نوري السعيد وزيراً للخارجية في الوزارة، ومعارضته الشديدة لكل عمل يزعج بريطانيا، فان الهاشمي لم يأل جهداً لدعم الثوار الفلسطينيين بالمال، والسلاح، والعتاد، والمتطوّعين، مستفيداً من وجود أخيه الفريق طه الهاشمي على رئاسة اركان الجيش العراقي، «فكان يأمر بنقل التجهيزات العسكرية المشتراة من تشيكوسلوفاكيا الى فلسطين، ووضعهـا تحت تصرّف الثوار. وقد أكد ذلك احمد المناصفي، الذي كان يشغل، حينذاك، منصب السكرتارية في وزارة الدفاع». وأضاف المناصفي «ان ياسين الهاشمي لم يكتف بارسال الأسلحة الى فلسطين، وانما عزّزها بمساعدات نقدية كثيرة»[٣].

وعندما زار فوزي القاوقجي العراق، في حزيران (يونيو) ١٩٣٦، «أصدر رئيس الوزراء، ياسين الهاشمي، تعليمات سرية الى بعض متصرفي الالوية في الفرات الاوسط، أمرهم فيها بتسهيل مهمة فوزي القـاوقجي، لجمـع ما يستـطيـع جمعـه من الاسلحة والاعتدة بمعونة العشائر، من طريق

استثارة نخوتهم العربية. كما وان الاوامر أُصدرت الى دائرة جمارك الرمادي بعدم تفتيش السيارات الذاهبة الى سوريا وفلسطين، بأمر من رئيس الوزراء ياسين الهاشمي». ومن الطبيعي ان لا يكون هذا النشاط السري خافياً عن السفارة البريطانية، ذات النفوذ الواسع في العراق في ذلك الوقت؛ فعملت جهدها لاجبار الحكومة العراقية على منع الضباط والجنود العراقيين من دخول فلسطين، لكنها فشلت أمام اصرار الساسة والعسكريين الوطنيين، على الرغم من تحفّظ البعض منهم على ذلك(٤).

وخلال تلك المرحلة، كان الدكتور امين رويحة، واسطة الاتصال بين قيادة الثوار الفلسطينيين وبين القوميين في العراق. وقد روى ناجي شوكت، في مذكراته، ان القاوقجي اتصل به ذات يوم خلال العام ١٩٣٦، وطلب مساعدة الثوّار ببعض السلاح والعتاد والمال، فاتفق شوكت مع طه الهاشمي على «ان تقوم مديرية الشرطة العامة بتجهيزهم ببعض البنادق والرشاشات، على ان تعوّض من قبل وزارة الدفاع فيما بعد؛ كما سحبت ألف دينار من المخصصات السرية ودفعتها الى الدكتور رويحة؛ وقد نقلت الاسلحة في سيارات الشرطة الى الحدود الاردنية، وتسلّمها الثوار هناك»(٥).

من جهة أخرى، تأسست جمعية الدفاع عن فلسطين، في سنة ١٩٣٦، من قبل بعض الشخصيات القومية المعروفة، مثل المحامي سليمان فيضي، ورئيس حزب الاستقلال، محمد مهدي كبّه، ومحمد صدّيق شنشل، احد أركان حزب الاستقلال، وسعيد الحاج ثابت. وأُنيطت رئاسة هذه اللجنة بالفريق طه الهاشمي. وعقدت الجمعية الكثير من الاجتماعات التي تخللتها الخطب والمحاضرات حول القضية الفلسطينية بشكل خاص، والقضية العربية بشكل عام. وبالاضافة الى النشاط الثقافي والاعلامي، قامت الجمعية بجمع التبرّعات المالية لنصرة القضية الفلسطينية(٦).

وعبر أجواء التضامن، تلك، كان من الطبيعي ان تكون بغداد ملاذاً لرجالات الحركة الوطنية الفلسطينية، وقاعدة خلفية تستند اليها قيادات الحركة الوطنية. في هذا السياق، روى طالب مشتاق، الذي كان قنصلاً للعراق في بيروت، كيفية دخول عبدالقادر الحسيني الى بغداد، بقوله: «في يوم من أيام سنة ١٩٣٨، دخل الى مكتبي صديقي المحامي السوري ابو هدى اليافي، بصحبة عبدالقادر الحسيني، وطلب منّي المساعدة في ذهابه الى العراق، لأن الانكليز قد حكموا عليه بالاعدام، وانهم يتعقّبونه الآن؛ كما ان الفرنسيين... يحاولون القاء القبض عليه، وتسليمه الى اعدائه. كان عليّ ان أخرج على حدود صلاحيتي وأخالف أوامر حكومتي، ومتى كانت الصلاحية تعيقني عن أداء واجب وطني! فطلبت جواز سفر غير مستعمل، وأخذت القلم بيدي وصرت املاه. أفهمت عبدالقادر ان اسمه اصبح ' محمد عبداللطيف ' ، ومن مواليد الاعظمية. وهكذا، في مدة لا تتجاوز ربع ساعة، أصبح عبدالقادر عراقياً. واتصلت ببعض شركات النقل بالشام، وبعد يومين كان عبدالقادر الحسيني في بغداد»(٧).

استُقبل الحسيني بالترحاب من قبل احرار العراق، وأقام في حي الكرّادة الشرقية في بغداد، وعمل استاذاً للرياضيات في المدرسة العسكرية، ثمّ التحق بدورة للضباط الاحتياط في الكلية العسكرية، وتخرج ضابطاً في الجيش العراقي(٨).

كذلك، روى العقيد صلاح الدين الصباغ، انه كان، واخوانه من ضباط العراق، يمدّون، سراً، ثوار فلسطين، بالسلاح والعتاد: «وكنت أسلّم السلاح والعتاد للسيد عزالدين الشوا، وكان ذلك يجري بصورة سرية، فلم يعلم بنا احد، وكتمنا الامر حتى عن قادتنا وعن ياسين الهاشمي. ثمّ زادت هذه الامدادات بعلم من وزير الدفاع، طه الهاشمي، ورئيس أركان الجيش، فوزي، ومعاون رئيس

أركان الجيش ومدير الحركات و[أنا]. واستمرت الامدادات حتى توقّف القتال في فلسطين، حين لجأت بريطانيا الى فتح باب المفاوضات وتوسّط ملوك العرب وزعماؤهم بالامر»[٩].

وصول الحاج امين الى بغداد

اثر انتقال الحاج امين الحسيني من فلسطين الى لبنان، بدأت السلطات الفرنسية بمضايقته وشلّ حركته السياسية. وفي ضوء ما لمس المفتي من سياسات العراق القومية، وما تربطه من صلات مع رجالات الحركة القومية في العراق، بدأ المفتي يفكّر، جدياً، بالانتقال الى بغداد.

استذكر العقيد صلاح الدين الصباغ، في مذكراته، انه في سنة ١٩٣٩، «جاء عزالدين الشوّا يسألني انْ كان ثمّة ما يمنع قدوم المفتي الى العراق، اذا أُفلت من أيدي الفرنسيين في لبنان. فكان جوابي: معاذ الله ان يكون هناك مانع؛ فالعراق، بأسره، يرحّب بالمفتي، ولا يهمّه غضب الانكليز لذلك، أو رضاهم. على ان مراجعة وزير الدفاع طه الهاشمي أصوب، وان كنت واثقاً انه لن يردّ الطلب»[١٠].

دخل المفتي بغداد بتاريخ ١٥/١٠/١٩٣٩، بعد ان أطمئن، كل الاطمئنان، الى انها ستكون المقر المناسب لمزاولة نشاطه السياسي، مهما كان شكل هذا النشاط. وقد تولّد هذا الشعور اثر سلسلة الاتصالات التي قام بها قادة فلسطينيون سبقوه الى بغداد، وأبرزهم امين التميمي وأكرم زعيتر.

رحّب الجمهور العراقي، بمختلف هيئاته ومنظماته القومية والوطنية، ترحيباً حاراً بقدوم الحسيني. وأظهر الساسة العراقيون، بمن فيهم رئيس الوزراء آنذاك، نوري السعيد، ترحيبهم بالمفتي، «وخصّصت الحكومة له، بعد مصادقة البرلمان، مبلغاً قدره ١٨٠٠٠ دينار كمصاريف شخصية. غير ان ترحيب الساسة القابضين على دفّة الحكم في العراق كان أمراً اضطروا اليه، اضطراراً، مجاراة للرأي العام العراقي. والواقع، ان الحيرة والقلق استحوذا على نفوسهم لوصول المفتي، وما ينطوي عليه هذا الوصول من أعمال تؤثر على الامن والاستقرار، وخوفهم من انه سيصبح مصدر اضطراب سياسي»[١١]. وجدير بالذكر، في هذا السياق، ان الحكومة العراقية استأجرت داراً للمفتي في شارع الزهاوي، القريب من البلاط الملكي. وذكر المؤرخ العراقي، عبدالرزاق الحسني، «ان دار المفتي اصبحت مقراً للاتصالات الواسعة، حتى ان الذين كانوا يقصدون البلاط في الاعياد الرسمية والمناسبات المختلفة، من رجال الجيش والساسة وحملة الاقلام وكبار الموظفين على اختلاف ميولهم، كانوا يخرجون من البلاط ليقصدوا دار المفتي»[١٢].

أثار وجود المفتي، في العراق، حفيظة السلطات البريطانية. وسرعان ما تبدّى ذلك في اهتمام بعض أعضاء البرلمان البريطاني بمسألة وجود المفتي في بغداد. ففي جلسة مجلس العموم البريطاني، التي عقدت في ١/١٠/١٩٣٩، وجّه النائب ويليامز سؤالاً الى وزير الخارجية البريطانية، حول ما اذا كانت الحكومة العراقية قد أُعلمت بموقف الحكومة البريطانية تجاه المفتي؟ وهل أعطت ضماناً بعدم قيام المفتي بعمل عدائي ضد بريطانيا واليهود في العراق؟ فأجاب وزير الخارجية البريطانية، بتلر، بأن «الحكومة العراقية أعطت تأكيداً رسمياً بأنها سوف لن تسمح للمفتي، الحسيني، بالقيام بأي نشاط سياسي»[١٣].

وحول هذا، قال المفتي: «استقر رأينا على ان لا يتدخّل الفلسطينيون، خلال اقامتهم بالعراق، في الشؤون الحزبية، أو السياسية، المحلية، وان لا يتسببوا في أي حرج، أو ازعاج، للسلطات العراقية. و[جاء] هذا وفقاً للخطة التي التزمناها في كل قطر حللنا به من الاقطار العربية. حتى انني،

واخواني، اعتذرنا عن عدم تلبية الدعوات الكريمة التي وُجِّهت الينا من الهيئات والجمعيات وعليّة القوم في البصرة، والموصل، وغيرهما من كبريات المدن العراقية»(١٤).

لم تكن الساحة السياسية في العراق خالية من الاختلافات في وجهات النظر يوم وصل المفتي بغداد. لكن الاختلافات في وجهات النظر، تلك، لم تتعدّ المواقف المتعارضة تجاه القضايا الحيوية المستجدة، كقطع العلاقات السياسية مع المانيا، وتسليح الجيش العراقي. ولم يكن غريباً ان يتعاون نوري السعيد مع كتلة العسكريين، مثلاً، حول أمر معيّن، على الرغم من اختلافه معهم حول أمر آخر. ولم تكن الحالة قد وصلت الى حدّ الاصطدام. وكان موضوع المفتي نفسه احدى نقاط الخلاف بين الكتلة والتيارات. «ففي الوقت الذي رحّب القوميون، من مدنيين وعسكريين، كل الترحيب، بقدوم الحاج أمين، نظر نوري السعيد نظرة شك الى الرجل الذي كان يعتقد بأنه ما جاء الاّ ليخلق المشاكل في تربة خصبة ومتعطشة»(١٥). وقد وصف مُجايلي تلك الفترة، قائلاً: «ان نوري السعيد كان يكفهرّ كلّما طرق سمعه اسم المفتي، أو شدْنا بذكره ونحن مجتمعون في داره. ثمّ تأكّد لنا، فيما بعد، ان ما بين نوري والمفتي من خلاف ليس له حل، وان لا ائتلاف [فيما] بينهما»(١٦).

وبمحاولة لتلافي الاخطار المرتقبة من وجود المفتي في بغداد، اقترح نوري السعيد على المفتي ان يعطي تصريحاً لمحرري الصحف ينص على انه في العراق في ضيافة الحكومة العراقية، ولا رغبة له، أو اهتمام، بالنشاطات السياسية، وانه يأمل من الفلسطينيين في ان يحافظوا على الهدوء، وان يتبعوا أكثرية العرب في الاقطار العربية الاخرى في اعطاء تأييدهم لدول الحلفاء في الحرب.

والواقع، ان المفتي قد أقرّ، في بداية الامر، بفكرة عدم التدخل في سياسة العراق الداخلية، مراعاة لظروف سياسية تتعلّق بعلاقة الحكومة العراقية مع بريطانيا. الاّ انه كان من الصعوبة بمكان ان يستمر المفتي بنهجه هذا لفترة طويلة، لاعتبارات عديدة، أهمها شدة توجّه التيار التحرري والوطني نحوه، «ذلك التيار الذي كان يفتقر الى القيادة والتوجيه، فوجد في المفتي، الحسيني، الموجّه والقائد»(١٧). وفي الحقيقة، لم يجد المفتي أيّة صعوبة في كسب مؤيدين حقيقيين لسياسته. فلقد تجاوبت الكتلة العسكرية القومية معه، اضافة الى أوساط شعبية واسعة، دون ان يدعوهم الى ذلك. ووجد هؤلاء ان قضيتهم واحدة وهدفهم واحد.

عمل المفتي، مبدئياً، بتنظيم اجتماعات منتظمة تضمّ العقيد صلاح الدين الصباغ وزملاءه، ورشيد عالي الكيلاني، «بعد ان أقنع الضباط بأن الكيلاني هو الشخصية المناسبة، التي من الممكن ان تُحقق طموحاتهم القومية من خلالها، ومن المحتمل انه شكك في نوايا نوري السعيد، وهو الاعرف باتجاهاته ونواياه بشأن الثورة الفلسطينية وحرصه على عدم اغضاب بريطانيا»(١٨). وبذلك، حقق المفتي انضواء الساسة والعسكريين في اطار قومي واحد.

ووجد هذا التيار في شخصية المفتي ما يحقق قيادته وتوجيه نشاطه. «ولم يكن خافياً عن المفتي مدى تغلغل الروح القومية لدى الكتلة العسكرية، واهتمامها الشديد بقضايا الامة العربية، وعلى رأسها القضيتان، الفلسطينية والسورية»(١٩).

ومن مظاهر الروح القومية لدى الجيش العراقي هو انه كان الجيش العربي الوحيد، آنذاك، الذي قبل بأن ينخرط في صفوفه أبناء الاقطار العربية الاخرى منذ تأسيسه أواخر العشرينات. ومنذ السنوات الاولى لتأسيسه، وتحديداً سنة ١٩٢٧، شكّل بعض الضباط هيئة داخل الجيش، أطلقوا عليها اسم «كتلة الضباط القوميين»، ووضعوا لها منهجاً ونظاماً؛ وكان من أبرز أعضائها

صلاح الدين الصباغ وفهمي سعيد[٢٠]. الّا ان التيار العسكري القومي كان بحاجة الى قيادة سياسية توجّهه؛ وكان الانسب لتبوّؤ هذه القيادة، من وجهة نظر المفتي، هو رشيد عالي الكيلاني دون سواه؛ وذلك يعود لاعتبارات عدّة، في المقدم منها دور الكيلاني القومي، وقوة ووضوح العلاقة بينه وبين المفتي. وتعود جذور تلك العلاقة الى سنة ١٩٣٥/١٩٣٦، عندما قررت الحكومة العراقية مناصرة الثورة الفلسطينية، وخصّصت لهذا الغرض عشرة آلاف دينار شهرياً؛ كما فتحت المجال للعراقيين من أجل التطوّع للقتال في صفوف الثورة الفلسطينية. وكان لرشيد عالي الكيلاني دور بارز في هذا المجال؛ اذ تعرّف على المفتي ووطّد العلاقات معه.

وزارة الكيلاني الثالثة

بتكليف رشيد عالي الكيلاني بتشكيل الوزارة العراقية (١٩٤٠/٣/٣١)، وصل التيار القومي العراقي، وحلفاؤه العرب، الى نقطة هامّة ومفصلية. وكان الكيلاني حدّد نقاط الخطة التي ينوي السير عليها بما يلي:

١ ـ المحافظة على الصلات التقليدية مع البريطانيين، على أساس المعاهدة العراقية ـ البريطانية سنة ١٩٣٠.

٢ ـ عدم التساهل تجاه المطالب البريطانية التي تخرج على نصوص المعاهدة، الّا بما يضمن مصلحة للعراقيين، بالنظر الى ما تتطوّر اليه حالة الحرب، أو ما كان فيه ضمان لاستقلال العراق ووحدة العرب واستقلالهم، خاصة فلسطين وسوريا، على ان تعطى، في هذا الخصوص، عهود ومواثيق رسمية.

٣ ـ تزويد الجيش العراقي بالسلاح من أي مصدر كان، وعدم التردّد في هذا الامر، ما دام البريطانيون لا يتمكّنون من تجهيز الجيش العراقي بالسلاح.

٤ ـ النظر في أمر اعادة الانتخابات العامّة على أساس يؤمّن للمجلس النيابي أعضاء أحراراً يمثلون الأمّة، ويعبّرون عن رأيها، لا عن رأي الحكومة[٢١].

وأكد الكيلاني، في مداولاته مع القادة العسكريين قبل طرح خطته، تلك، على الملأ، انه يجزم في السير على تلك الخطة، وانه لن يحيد عنها قيد شعرة؛ وخاطب القادة، قائلاً: «اذا اتفقتم معي، فهذه يدي أمدّها اليكم، وسماحة المفتي كفيلي؛ واني أقسم على ذلك مقابل عهدكم لي بأن تلزموا جانب الحق»[٢٢].

نالت خطة الكيلاني رضاء قادة الجيش، وكان واضحاً في أذهانهم ان هذه الخطة لن تؤثر في التوجّهات القومية للحكومة، ولن تعيق تطوّر، ونمو، التيار القومي داخل الجيش، وتوطيد أواصر العلاقات بينهم وبين الحركة الوطنية الفلسطينية.

في هذا السياق، لا بدّ من التأكيد ان ثمّة عوامل متعدّدة حملت وزارة الكيلاني على اتخاذ طابع قومي واضح؛ لعلّ أولها هو تزعّم الكتلة القومية للجيش العراقي، التي كان على رأسها العقداء الاربعة، أو ما اصطلح على تسميتهم آنذاك، بـ «المربّع الذهبي»، وهم العقداء كامل شبيب وصلاح الدين الصباغ ومحمود سلمان وفهمي سعيد. ولم يكن تزعّم تلك الكتلة للجيش وليد صدفة، وانما يرجع، في الاساس، الى ان بناء الجيش العراقي، ذاته، كان، منذ البداية، بناء قومياً واضحاً؛ اذ

قام بتأسيسه، في ١٩٢١/١/٦، الرعيل الاول من الضباط العراقيين، الذين عايشوا مرحلة الوحدة العربية في المشرق العربي بكامل أبعادها في أواخر الحكم العثماني. وعند اعلان الشريف حسين الثورة العربية في الحجاز، سنة ١٩١٦، أسرع هؤلاء الضباط الى الالتحاق بالثورة، حيث شكّلوا نواة الجيش العربي الذي أخذ على عاتقه مهمة تحرير الاقطار العربية من الحكم التركي. وتولّى الضباط العراقيون، جعفر العسكري ونوري السعيد ومولود مخلص وغيرهم، مهام قيادية في الجيش العربي. كما اشترك هؤلاء الضباط، مع بقية اخوانهم العرب من بلاد الشام، في الحكومة العربية التي شُكّلت في سوريا في الفترة ١٩١٨ ـ ١٩٢٠ وتولّوا المناصب القيادية العالية[٢٣].

وسط أجواء تشكيل الوزارة الكيلانية الثالثة، سنة ١٩٤٠، نشط المفتي في دعم موقف الحكومة العراقية، وكثّف اتصالاته بالقادة العسكريين، وشاركهم في معظم هذه الاجتماعات وزير العدل آنذاك، ناجي شوكت، ومعه يونس السبعاوي. وقد تمخّضت الاجتماعات عن اتصال الكيلاني بوزير ايطاليا المفوّض في بغداد، بريبلي، طالباً منه الحصول من ايطاليا على تصريح تؤكد فيه «عطفها على أماني العرب القومية». ولما تلقّى الوزير المفوّض موافقة وزير الخارجية الايطالية، الكونت شيانو، على هذه الخطوة، أصدر تصريحاً كتابياً، في ١٩٤٠/٧/٧، تضمّن عطف ايطاليا على أماني العرب القومية، وكان التصريح موجّهاً الى الكيلاني. في تلك الاثناء، كان المفتي قد أرسل سكرتيره الخاص، عثمان كمال حدّاد، الى روما وبرلين للاتصال بقادة المحور. وعلى ذلك، يمكننا ان نلخّص سياسة المفتي، خلال تلك المرحلة، بالنقاط التالية:

- المشاركة في توجيه السياسة الخارجية العراقية بما يخدم القضية الفلسطينية، دون ان يُتهم بالتدخل في الشؤون الداخلية العراقية.
- توحيد جهود ضباط الجيش مع جهود السياسيين الذين تتفق أهدافهم مع أهدافه.
- الوقوف في طريق التحالف بين نوري السعيد وكتلة صلاح الدين الصباغ، باعتباره تحالفاً غير متوازن ولا متجانس في النوايا، والاهداف.
- البحث في دور لألمانيا في المنطقة، باعتبارها العدو الرئيس لبريطانيا، ولا سيما بعد الانتصارات التي حققتها المانيا في المراحل الاولى من الحرب[٢٤].

ولقد كان واضحاً من سير الاحداث ان المفتي حقق نجاحاً ملحوظاً في ما رمى اليه. وتجسّدت الخطوة الاولى على هذا الصعيد عندما قرر مجلس الوزراء العراقي، في جلسته بتاريخ ١٩٤٠/٦/١٩، الاتصال بتركيا، لمعرفة موقف حكومتها من تطوّر الموقف الدولي. وتقرّر ايفاد وزير الخارجية، ناجي شوكت، لهذا الغرض. «ولم يكن في نيّة ناجي شوكت ولا رشيد عالي الكيلاني الاتصال بسفير المانيا في تركيا، لو لم ينصحهما الحاج أمين بذلك، عندما زاره ناجي شوكت لينقل اليه خبر سفره وعزمه على الاتصال ببعض السفراء الذين تربطه بهم صداقات سابقة، منذ أيام اقامته في تركيا». وقد زوّده الحاج امين برسالة تعريف الى السفير الالماني، فون بابن، وبذلك «حقق الحاج أمين هدفه الثاني، بعد ان حقق هدفه الاول باقناع رشيد عالي الكيلاني بتأليف الوزارة وتحقيق التقارب بينه وبين الكتلة العسكرية»[٢٥]. في ذلك الوقت، وبتاريخ ١٩٤٠/٦/١٠، أعلنت ايطاليا الحرب على بريطانيا، الامر الذي كان من شأنه ابراز المزيد من التناقضات ما بين الحكومة العراقية وبريطانيا. فقد قام السفير البريطاني بزيارة وزارة الخارجية العراقية، «وأبلغ الى الوزارة، بصورة رسمية، دخول ايطاليا الحرب ضد بريطانيا وحلفائها، وطلب ان تقرر الحكومة العراقية موقفها، على ان

يتلقّى الجواب، بصورة رسمية، في الساعة الثانية عشرة من ظهر اليوم ذاته»[٢٦].

في هذه الاجواء المتوترة، أرسل الملك السعودي، عبدالعزيز، برسالة صريحة الى الكيلاني، كتب فيها: «انكم تعلمون بأن بريطانيا لها علاقة بالبلاد العربية من ثلاثة وجوه: أولاً، انها حكومة صديقة؛ ثانياً، انه، مهما يكن [أمرها]، فانها أهون شراً، وأصلح للبلاد العربية من غيرها؛ ثالثاً، ان زمام الامور التي فيها مصالح البلاد العربية هي في يد الله، ثمّ في يديها. فاذا تحقق عندنا ذلك، وجب علينا ان ننظر في الحال والاستقبال في الاتفاق معهم بكل ممكن، الّا في الامور التي فيها مضرّة لمصالح البلاد... وان ما أعرفه عن حكومة بريطانيا يجعلني أقول انني عرفت منها انها لا تحب تكليف العرب بأمر لا يطيقونه، ولا تحب الّا حُسن السمعة، ولا يستثنى من ذلك الّا المسألة التي نرجو من الله ان يحلّها، لأنها هي المعرقلة لبعض الاحوال، وهي مسألة فلسطين»[٢٧].

بعد رسالة الملك السعودي، اعلن وزير الخارجية العراقية، فوزي السعيد، موقفاً مكوّناً من النقاط التالية:

- قطع العلاقات مع المانيا وحلفائها، واعلان الحرب عليها فوراً.
- استخدام فرقتين من الجيش العراقي للقتال في صحراء ليبيا، أو في البلقان، تبعاً لما يقتضيه الموقف الحربي، ويتولّى صلاح الدين الصباغ قيادتهما.
- ارسال سماحة المفتي الى الولايات المتحدة الاميركية، ليتعرّف الى رجالاتها البارزين، وليكسب عطف الشعب الاميركي.
- تنقية الاجواء السياسية، واعادة الاعتبار الى المعارضين من رجالات العراق[٢٨].

وبهذا الموقف، وفي ضوء التطوّرات الدولية، والعربية، بدا وارداً ان تنقسم الوزارة العراقية على نفسها، وان يتعرّض الائتلاف لمحاولة فرطه. والواقع، لقد حاول نوري السعيد، بالاتفاق مع الوصيّ على العرش الامير عبدالاله، تحقيق هذا الانهيار، فدعا هذا الاخير مجلس الوزراء الى عقد جلسة، برئاسته، في البلاط الملكي، بهدف توضيح موقفه المؤيد لقطع علاقات العراق مع ايطاليا، ومحاولة التأثير في عدد من الوزراء لتغيير مواقفهم. غير ان الجلسة اختُتمت بما لا يرضي الامير، لأن جميع الوزراء، باستثناء نوري السعيد ومحمد أمين زكي، وقفوا الى جانب الكيلاني[٢٩].

لكن الامير عبدالاله ونوري السعيد لم يسلّما بهذه النتيجة، فسعيا، مجدداً، الى فرط الوزارة، بسلوك ثلاثة سبل: الاول، احداث انشقاق في صفوف الوزراء يتزعّمه نوري السعيد؛ الثاني، قيام الوصي على العرش بممارسة الضغوط على الوزراء لتحقيق هذا الغرض؛ الثالث، التهديد البريطاني المباشر. وقد ورد التهديد على لسان السفير البريطاني، الذي صرّح بـ «ان على العراق ان يختار بين صداقته لبريطانيا وبين رئيس وزرائه»[٣٠]. على ان الموقف البريطاني ذهب الى ابعد من التصريح، الى ممارسة الضغط بأن طلبت الحكومة البريطانية من الولايات المتحدة الاميركية ان توقف شحن الاسلحة الاميركية التي كانت حكومة الكيلاني طلبت شراءها. واثر تفاقم الصراع، برز تياران متضادان داخل الحكومة. تيار دعا الى «الانحياز المطلق الى جانب الحلفاء، لا سيما بريطانيا، دون قيد أو شرط، حتى وانْ أدّى ذلك الى قيام بريطانيا بتكليف الجيش العراقي بالقتال الى جانبها خارج حدوده. وكانت بريطانيا عرقلت، ووقفت في وجه، كل الجهود التي بذلت لتوسيع الجيش العراقي، وتسليحه، وكان على رأس هذا الاتجاه نوري السعيد، يؤازره عدد من الساسة». أمّا التيار

الثاني «فكان يرى وجوب الوقوف على الحياد في هذه الحرب، مع تطبيق التزامات العراق تجاه بريطانيا بموجب المعاهدة المعقودة بينهما في ٣٠ حزيران (يونيو) ١٩٣٠، واحترام بنودها، وعدم تجاوز ذلك من قبل أي من العراقيين. وقد تبنّى هذا الاتجاه عدد من الساسة القوميين والضباط، وعلى رأسهم العقيدان صلاح الدين الصباغ وفهمي سعيد؛ أمّا الساسة القوميون، فكان في مقدّمهم رشيد عالي الكيلاني وناجي السويدي ويونس السبعاوي»[٣١].

ومع نهاية العام ١٩٤٠، بدا كأن ثمّة حكومتين في العراق. واحدة «رسمية يرأسها رشيد عالي الكيـلاني؛ وحكومة سرية يرأسها مفتي فلسطين الحاج امين الحسيني»[٣٢]. يعزّز هذا الاستنتاج جملة الحقائق السياسية التي عايشها العراق في تلك المرحلة. فالكيلاني كان يستعين بقادة الجيش كلّما شعر بوطأة الضغط الذي يمارسه الوصي عليه بايحاء من السفارة البريطانية. وكان القادة هؤلاء يشدّون أزره، ويحرّضونه على الصمود، لتنفيذ سياسته القومية. الى جانب ذلك، كان المفتي يتربّع على القمّة؛ فهو الذي جمع بين الكيلاني والقادة وكفل رئيس الوزراء لديهم، وهو صاحب فكرة الاتصال السرّي بألمانيا. وعلى الرغم من قوة المفتي، الّا انه كان يوازن بين تحاشي اغضاب دول المحور وضرورة مسـايرة البريطانيين في آن، ولكن ضمن حدود المعاهدة العراقية ـ البريطانية، والعمل على تسليح الجيش العراقي وعدم التفريط به. كما انه كان يعمل على تحاشي دخول الحرب، والمحافظة على القوة العراقية[٣٣].

الّا ان فشل السياسة البريطانية في فلسطين، واصرار بريطانيا على عدم ايجاد حل ملائم للقضية الفلسطينية، شكّل أحد العناصر الاساسية التي استغلتها ألمانيا لكسب العرب الى جانبها. وقد حملت الدعاية الالمانية العرب الى الاعتقاد بأنه في حال انتصار المانيا، فانها ستساعدهم، وتدعمهم، لتحقيق استقلالهم. وهذا ما تمّت الاشارة اليه في البيان الالماني ـ الايطالي، الذي أُصدر في ١٣/١٠/١٩٤٠؛ اذ لم يعبّر البيان الّا عن التعاطف مع تطلعات الشعب العربي. وكان العقداء العراقيون الاربعة، في الوقت عينه، على اتصال مع قوى المحور، من خلال سفيري اليابان وايطاليا في بغداد[٣٤].

ما قبل المواجهة

بعـد ان بات من شبـه المـؤكد وقوع المواجهة بين التيارين المتصارعين، عقد مجلس الوزراء العراقي اجتماعاً، مساء الخميس ٣٠/١/١٩٤١، برئاسة الكيلاني، وحضره العقداء صلاح الدين الصباغ وفهمي سعيد ومحمود سلمان، فيما تغيّب رابعهم كامل شبيب. وفي اثناء الجلسة، اتخذ المجتمعون قراراً بأن تستقيل الوزارة فوراً. واثر الاجتماع، أبرق الكيلاني باستقالته الى الوصي على العرش، فوافق هذا الاخير عليها في الحال. وقبل ان ينتهي ذلك اليوم، كلّف طه الهاشمي بتشكيل وزارة جديدة، على أمل وضع حدّ لحالة الصراع التي سيطرت على الحكومة السابقة.

غير ان التشكيل الجديد لم يغيّر في واقع الحال. فما ان أُعلن عنه، حتى دبّ الخلاف، مجدداً، بين تيارين: تيار طالب بانتهاج سياسة تحررية بعيدة من الصراعات الدموية المتمثّلة في الحرب العالمية الثانية، على ان تتجاوز هذه السياسة حدود العراق، لتشمل، أيضاً، سوريا وفلسطين وبقية الاقطار العربية؛ وتيّار آخر رأى ا ن «المصلحة الوطنية» لا تتحقق الّا بالسير في ركاب السياسة البريطانية، وطالب بتأجيل حل القضايا العربية الملحّة، اذا ما وجدت، الى ان تفرغ بريطانيا من تبعات الحرب وأعبائها.

كان كل ما يستهـدفـه طه الهـاشمي، أول الأمـر، هو التـوفيق ما بين الوصي على العـرش

والقادة العسكريين. الّا ان حدّة التناقض فيما بين الجانبين أفشل مساعي الهاشمي، ودفعته، بالتالي، الى اظهار انحيازه الى جانب الوصي على العرش. وقد تجلّى ذلك باتخاذه اجراءات، هادئة في ظاهرها، ترمي الى تشتيت القادة العسكريين، عبر نقلهم الى مواقع متباعدة خارج العاصمة بغداد، الامر الذي أدّى، بدوره، الى دفع اولئك القادة الى توحيد صفوفهم والتحالف مع المفتي والكيلاني ورفاقهما من الساسة العرب، لمواجهة اجراءات رئيس الوزراء.

كان المفتي، بدوره، مستعداً لتبنّي فكرة التحالف، تلك، لأسباب عدّة، في مقدّمها ثلاثة، هي: ايمانه بامكانية انتصار ألمانيا في الحرب؛ وادراكه ان تحالف القادة العسكريين مع الساسة القوميين من شأنه تجريد الوصي على العرش ونوري السعيد من السلاح الذي قد يلجآن اليه؛ وعدم ثقته التاريخية بالبريطانيين.

بدأت خطى التحالف تأخذ مسارها المتسارع، بدءاً من ١٩٤١/٢/٢٨. كتب صلاح الدين الصباغ، في مذكراته، عن هذا التحالف، انه «في اليوم الثامن والعشرين من شهر شباط (فبراير) ١٩٤١، اجتمع السادة مصطفى وعبدالعزيز واحمد ورضوان وفرهود وجاسم وفارس. وهذه أسماء مستعارة لكرام، ليس بوسعي ان أذكر اسماءهم، لأن لهم مكانة سامية بين أرباب القوة الاجرائية والسياسية في العراق وفلسطين وسوريا، ولهم ارتباط وثيق بباقي الوطنيين من أحرار العرب في تلك الاقطار. امّا العمدة وموضع الثقة، فكان مصطفى، وقد ارتبط الجيش به منذ بضع سنوات، وهو الذي كفل عبدالعزيز وربط به الجيش. وكان قَسَم عظيم تلاه كل واحد من المجتمعين جهراً، يعاهد الله على ان يجعل من مضمون القَسَم نبراساً يسير على هديه في كل تصرّفاته، وان يعمل بكل ما أوتي من قوة لانقاذ البلاد العربية؛ وان ينبذ الخلافات الناشئة عن الانانية والحزازات الشخصية؛ وان يكون (مصطفى) ناظماً ورئيساً مطاعاً»[٣٥].

كان «مصطفى» هو الاسم المستعار للمفتي، و«عبدالعزيز» لرشيد عالي الكيلاني، و«احمد» لناجي شوكت، و«فرهود» ليونس السبعاوي، و«رضوان» لصلاح الدين الصباغ، و«نجم» لفهمي سعيد، و«فارس» لمحمود سلمان. وتمخّض عن اجتماعهم تشكيل لجنة، عُرفت باسم «اللجنة العربية»، واعتبر الحاج أمين المرجع الاعلى لجميع الاحزاب العربية، «وأصبحت توجيهاته الى اعضاء اللجنة بمثابة أوامر؛ وكان القادة يعتبرونه رئيساً لهم بالفعل»[٣٦].

راعت اللجنة العربية في عملها الاسس التالية:

- الحفاظ على الوضع القائم، وعدم التعرّض الى المعاهدة العراقية ـ البريطانية، حتى ينجلي الموقف السياسي الدولي.
- اعطاء مجلس النواب العراقي كامل الصلاحية والحرية في اقرار صيغ التحالفات الدولية.
- السعي الى ابعاد الساسة المهادنين للسياسة البريطانية، وفي المقدّم منهم نوري السعيد وجميل المدفعي وعلي جودت، الى خارج العراق، بتعيينهم سفراء في لندن وواشنطن والقاهرة.
- العمل على تحديد صلاحيات الوصي على العرش، عبدالاله، ومحاولة تعديل الدستور بشكل يضمن احلال «مجلس وصاية» بدلاً من الوصي[٣٧].

أثار عمل اللجنة، ونشاطها، حفيظة الحكومة البريطانية ومؤيدي سياستها من العراقيين والعرب، فشهدت الشهور الاولى من سنة ١٩٤١ توتّراً سياسياً لم يشهد العراق مثيلاً له من قبل. ومع

نهاية آذار (مارس) ١٩٤١، أصبح الموقف في غاية الدقة والخطورة، بسبب عجز وزارة الهاشمي عن تشتيت الضباط الاربعة بنقلهم الى مواقع في خارج العاصمة، من جهة، واستجابة الضباط، بدورهم، لنصائح المفتي بانخراطهم في تنظيم سياسي وضع نصب عينيه كل الاحتمالات، بما فيها الاصطدام مع الوصي، عبدالاله.

وفي ليلة الاول من نيسان (ابريل) ١٩٤١، اجتمع، في معسكر الرشيد، العقداء صلاح الدين الصباغ (قائد الفرقة الثالثة) وفهمي سعيد (آمر القوة الآلية) ومحمود سلمان (قائد القوة الجوية) والفريق أمين زكي (وكيل رئيس اركان الجيش) ورشيد عالي الكيلاني، وقرّروا الشروع في تنفيذ ما اتفقوا عليه في البيان التأسيسي للجنة العربية واجبار الهاشمي على الاستقالة، بسبب شروعه في تنفيذ مخططات الوصي على العرش، الرامية الى تشتيت شمل القادة العسكريين. ولتنفيذ هذا القرار، سارع العسكريون باصدار أوامرهم بوضع القوات العسكرية الموجودة في معسكري «الوشاش» و«الرشيد» في حالة انذار، تحسّباً لأي طارىء.

حاول الهاشمي، في تلك الليلة (١/٤/١٩٤١)، اقناع الضباط بالتخلّي عمّا اعتزموا القيام به، وحذّرهم من مغبّة عواقب فعلتهم؛ لكن العقيد فهمي سعيد أصرّ على ان الجيش لن يطمئن حتى يتسلّم الكيلاني رئاسة الحكومة. وعندما وصلت جهود الهاشمي الى طريق مسدود، كتب استقالته وسلّمها الى وكيل رئيس أركان الجيش، ومن ثمّ اتصل بقصر الرحاب وأخبر الامير عبدالاله بما حدث.

بعد ان سمع عبدالاله بأن الجيش وضع في حالة الانذار، وان بعض الوحدات احتل بعض المرافق الحسّاسة في العاصمة، «ترك قصره واتجه الى دار عمّته، ثمّ غيّر ملابسه بملابس نسائية، وتسلّل منها الى دار السفارة الاميركية، التي هيّأت له سيارة دبلوماسية، قادها احد الخدم الذي هرّبه الى القاعدة البريطانية في الحبّانية؛ ومن الحبانية وضع الانكليز عبدالاله في طائرة حربية نقلته الى البصرة»[٣٨]. وبفرار الوصي على العرش وتخلّيه عن مهامه، اضافة الى استقالة رئيس الحكومة، أصبح ثمّة فراغ دستوري، سرعان ما قام الضباط بملئه، بتشكيلهم حكومة «الدفاع الوطني»، برئاسة الكيلاني، بتاريخ الثالث من نيسان (ابريل) ١٩٤١. وبالطبع، لم تعترف الحكومة البريطانية بهذه الحكومة، الامر الذي كان من شأنه الاسراع في تفجير الازمة.

حاولت حكومة الدفاع الوطني اضفاء صفة الشرعية على وجودها، من خلال ايجاد بديل من الوصي على العرش عبدالاله ، عبر اقتراح وضعه الكيلاني. ففي العاشر من نيسان (ابريل) ١٩٤١، نجحت الحكومة الجديدة في عقد جلسة خاصة لمجلس الأمّة، حضرها أربعة وتسعون عيناً ونائباً وتخلّف عدد قليل فقط عن الحضور. في الجلسة، طرح رئيسها للتداول اقتراح الكيلاني الذي دعا الى عزل عبدالاله وتعيين الشريف شرف وصياً على العرش، فقبل الاقتراح باجماع الحاضرين[٣٩].

الحرب العراقية ـ البريطانية

اثر تلك التطوّرات، بدأت بريطانيا تفكّر، جدياً، بالتدخل والقضاء على حكومة الدفاع الوطني، واعادة «الوصي...»، وفرض السياسة التي تناسبها. وكان الدافع الى هذا التفكير عوامل عدة، ابرزها: ان عودة الكيلاني، عنوة، الى السلطة، بانقلاب عسكري، اعتبرته الحكومة البريطانية تحدّياً لها؛ ثمّ اعتبار الانقلاب عملاً منسّقاً مع الحملة الألمانية على اليونان، هدفه احراج وتهديد المصالح البريطانية الحيوية في المنطقة العربية؛ اضافة الى «الغزل» الذي أبداه الكيلاني تجاه قوى المحور ورفضه

قطع العلاقات مع ايطاليا، وكذلك رفضه انزال قوات بريطانية في البصرة ما لم يتمّ الاستجابة لشروطه القاضية بمرور تلك القوات عبر الاراضي العراقية دون تمركزها. وكان من مؤشرات هذا التفكير ان السفير البريطاني أخذ يماطل بموعد تقديم أوراق اعتماده سفيراً لدى العراق، بغرض كسب الوقت الى حين وصول القوات البريطانية الى البصرة[٤٠]، الامر الذي أثار حفيظة العقداء الاربعة، ودعاهم الى التفكير جدياً، بمواجهة عسكرية مع القوات البريطانية.

أمّا المفتي، فكان يرى ضرورة تجنّب تلك المواجهة، لأن الجيش العراقي، من وجهة نظره، لم يكن أكمل، بعد، الاستعدادات التي تؤهّله للاشتباك مع القوات البريطانية. واستطاع التأثير في القادة العسكريين لضبط النفس، آملاً في كسب مزيد من الوقت حتى وصول مساعدات المانية، ورد ذكرها في رسالة كان سكرتير المفتي، عثمان حدّاد، بعث بها الى الكيلاني من برلين، في شباط (فبراير) ١٩٤١، مؤدّاها: «ان المانيا ستقوم بامداد العراق، عند وقوع الحرب، بكل ما تريده من قاذفات القنابل، التي يمكنها قطع المسافات البعيدة؛ كما وان المانيا ترى ضرورة احتلال الجيش العراقي لقاعدة الحبانية الجوية، اتقاء لما سيحدث». وفي ١٩٤١/٤/٣٠، أرسلت وزارة الخارجية الالمانية كتاباً الى الكيلاني والمفتي، ورد فيه: «ان ألمانيا، التي لم تحتل قط أرضاً عربية، ولا تستهدف ان تستولي على أي جزء من البلاد العربية، وهي ترى ان الشعب العربي هو شعب ذو ثقافة قديمة، وقد برهن عن لياقته الادارية، وفضائله العسكرية وجدير بأن يحكم بلاده بنفسه. ولهذا، فان ألمانيا تعترف باستقلال البلاد العربية، استقلالاً تامّاً، ويحق للبلاد العربية، التي لم تستقل حتى الآن، ان تنال استقلالها التام»[٤١].

وكان من شأن هذه المستجدات زيادة وساوس ونستون تشرتشل، وتخوّفه من ضياع العراق وسقوطه في قبضة قوى المحور، الامر الذي حال، بدوره، دون اتباعه لسياسة متوازنة من شأنها التوصل الى التسوية اللازمة لانهاء التوتر بين طرفي الصراع في العراق. وعليه، أصرّ على حسم الامور عسكرياً، لاقتناعه بأن القوة، وحدها، هي الوسيلة «الصالحة» لمعالجة الموقف السياسي، قبل ان تزحف القوات الالمانية باتجاه منطقة الشرق الاوسط[٤٢].

كان الجيش، آنذاك، يعمل بكل الوسائل ليحمل الحكومة على تحقيق أمله في التصادم مع القوات البريطانية. حتى ان القادة طلبوا، ذات مرة، ان يجتمع «مجلس الدفاع الاعلى»، المؤلف من الوزراء والقادة العسكريين، برئاسة رئيس الوزراء، بهدف اتخاذ قرار يبرّر التصادم باسم «الدفاع عن النفس»[٤٣]. ولتعميق التوجّه نحو الصدام، قررت وزارة الدفاع تشكيل قوة عسكرية، بقيادة فوزي القاوقجي، وجهّزتها بالمعدّات والذخائر، للقيام بعرقلة تقدّم القوات البريطانية القادمة من فلسطين وشرق الاردن[٤٤]. اضافة الى ذلك، تمّ تشكيل مجموعة ثانية من المقاتلين، بقيادة عبدالقادر الحسيني، تمركزت في «ابو غريب»، وكانت مهمتها مناوشة القوات البريطانية، أو تأخير تقدّمها[٤٥].

ولم يطل الامر، اذ سرعان ما وصلت الامور الى نقطة الحسم العسكري. ففي فجر اليوم الثاني من أيّار (مايو) ١٩٤١، اقلعت الطائرات البريطانية من قاعدة الحبانية، وأغارت على القوات العراقية المحيطة بسن الذبّان؛ وبهذه العملية الهجومية، اندلعت الحرب العراقية ـ البريطانية. وخلال ذلك، وعلى نحو منسّق، قامت وحدة من الجيش البريطاني في فلسطين، قوامها فصيل مشاة وبطارية مدفعية، مدعومة بمساندة من «الجيش العربي»، بحملة عبر الصحراء، واحتلت مطار الحبّانية[٤٦].

وعلى اثر وصول أنباء الصدام الى بغداد، اجتمع مجلس الوزراء في دار وزير المالية، في

الساعة الثامنة والنصف صباحاً، وقرّر ارسال مذكّرة من وزارة الخارجية الى السفارة البريطانية، تحتج فيها على اعتداء القوة الجوية البريطانية في الحبانية على القوات العراقية؛ وحمّلت الحكومة العراقية بريطانيا مسؤولية ما يحدث من نتائج. اضافة الى ذلك، اتخذت الحكومة العراقية قرارين بارزين: الاول، الطلب من المانيا اقامة «تمثيل سياسي» لها في بغداد بأسرع ما يمكن؛ والثاني، اقامة علاقات دبلوماسية مع الاتحاد السوفياتي[٤٧]. أمّا الحاج امين الحسيني، فقد سارع الى اصدار بيان، في ١٩٤١/٥/٨، دعا فيه المسلمين الى «الجهاد في سبيل الله، والدفاع عن الاسلام، ودياره، وطلب من المسلمين كافة الانتصار للعراق في جهاده هذا، والعمل معه بكل وسيلة على مناوأة العدو»[٤٨].

ولتنفيذ القرار الاول، قامت الحكومة العراقية بالاتصال بألمانيا، عبر قيام الوزير العراقي المفوّض كامل الكيلاني بالاتصال بالقائم بالاعمال الالماني في انقره، كرول، ونقل اليه رغبة العراق في اعادة العلاقات مع المانيا، وطلب اليه ارسال «ممثل ألماني» الى بغداد، ومدّ يد العون الى العراق. لكن المسؤول الالماني أوضح للوزير المفوّض الكيلاني، ان الانقلاب في العراق سابق لأوانه في فكر القيادة الالمانية، التي تجتاح قواتها جزيرة كريت[٤٩]. من جهة أخرى، قوبلت اخبار المعارك العراقية ـ البريطانية بتأييد واسع داخل العراق، وفي الوطن العربي. وأدرك العراقيون انه من شأن هذه الحرب وضع المواطن العربي في موقف حاسم. فإمّا ان يكون مع الوطن، وامّا ان يكون مع البريطانيين. ولهذا وقفت غالبية الشعب العراقي ضد الوجود البريطاني. فقد أصدر رجال الدين فتاوى تدعو الى مقاومة القوات البريطانية ومساندة الجيش العراقي. وأعلنت الاحزاب والمنظمات القومية العربية مساندتها ايضاً، فهرع المتطوّعون لمؤازرة العراقيين من فلسطين وسوريا، ومن غيرهما من الدول العربية، وتمّ توزيعهم على الجبهات العسكرية[٥٠].

الّا ان هؤلاء المتطوّعين، كانوا، في معظمهم، غير نظاميين، ويعوزهم التدريب والتسليح الملائمان. يضاف الى ذلك، ان القيادة العسكرية العراقية، نفسها، لم تكن على قدر من الانسجام الذي يسمح لها بالتخطيط الدقيق. ولعلّ أبرز الامثلة على ذلك هو الفشل في السيطرة الكاملة على قاعدة الحبّانية، التي كانت الخطة العراقية تقتضي ذلك اولاً، لتسهيل عملية انزال عسكري المانية وقطع الطريق على القوات البرية البريطانية. وبسبب الفشل كان قرار العقيد صلاح الدين الصباغ بمهاجمة القاعدة دون ان يحظى قراره هذا بموافقة رئاسة أركان الجيش وبسبب تردّد رئيس الوزراء، في بادىء الامر، في تأييد الخطة، الامر الذي أتاح للقوات البريطانية الاستفادة من عامل الوقت[٥١]. وبالاخفاق في السيطرة الكاملة على الحبّانية، دخلت الخطة العسكرية العراقية في مأزق حقيقي، وبدأت خيارات القادة تتضاءل رويداً رويداً.

في هذه الاجواء، اجتمع مجلس الوزراء العراقي، واتخذ قراراً بقبول الوساطة التركية لانهاء الخلاف العراقي ـ البريطاني. وعليه، تمّ ايفاد ناجي شوكت الى انقره، للتباحث في شروط هذه الوساطة، بحكم صداقته مع الرئيس التركي، عصمت اينونو، ومع وزير الخارجية، شكري سراج أوغلو، ومع مسؤولين عديدين وثّق علاقته بهم في اثناء تمثيله لبلاده في تركيا لأكثر من خمس سنوات. كذلك، تمّ ايفاد وزير المالية، ناجي السويدي، الى الرياض للاجتماع الى الملك عبدالعزيز آل سعود، لكنه عاد خائباً، لأن الملك عبدالعزيز رفض تقديم أي شكل من أشكال المساعدة[٥٢]. أمّا شوكت، فقد أرسل الى حكومته، من انقره، بموجز شروط الوساطة التركية، على النحو التالي:

١ ـ تعاد القوات العراقية المحتشدة بأطراف الحبانية الى مواقعها الاولى.

٢ ـ عند قبول الوساطة من الطرفين، يجب عليهما وضع حدّ للمخاصمات فيما بينهما فوراً.

٣ ـ يقدّم سفير بريطانيا أوراق اعتماده الى حكومة الكيلاني.

٤ ـ تباشر القطعات البريطانية التي أُخرجت الى البصرة توجهها الى أماكنها المقصودة بلا امهال.

٥ ـ بما ان المعاهدة المعقودة بين بريطانيا والعراق، التي سيتمّ بموجبها تأمين تشكيل الامور الحقوقية بين الطرفين، قد ثبّتت حق مرور القطعات البريطانية على الاراضي العراقية، فمن المفهوم ان يكون كل تجمّع لتلك القوات مؤقتاً.

٦ ـ تقبل الحكومة العراقية تزويد القوات البريطانية، أو القواعد، المنوّه عنها في المعاهدة العراقية ـ البريطانية.

٧ ـ يقوم الطرفان باعلام حكومة الجمهورية التركية بقبولهما بهذه النقاط بصورة رسمية[٥٣].

وفي ١٢/٥/١٩٤١، بعث شوكت برسالة الى رئيس حكومته، ذكر له فيها انه، في لقاء جمعه مع القائم بأعمال السفارة الالمانية في انقره، أخبره القائم بالاعمال بأن الطائرات الالمانية ستقصف القواعد البريطانية في العراق خلال أيام قلائل، وانه اذا تمكّن الجيش العراقي من المقاومة لمدة اسبوعين، فان اسلحة ستصل الى الحكومة العراقية، دون ان يوضح مقدارها، ونوعها، وطرائق ايصالها. وأضاف شوكت الى هذه المعلومات وجهة نظره التي عبّر فيها عن ضرورة تسريع البتّ في أمر الوساطة، ذلك «ان مصلحة العراق تقتضي قبول الاقتراح [التركي]». ومكث شوكت في انقره ينتظر جواب الحكومة. وخلال وقت قصير، جاءه الردّ مقتضباً، ولكن مفاجئاً: «لتعلُّق الموضوع بالجيش، فهو تحت الدرس في وزارة الدفاع»[٥٤].

في ١٥/٥/١٩٤١، وصلت طلائع المساعدات العسكرية الالمانية، حيث أغارت ٢٣ طائرة المانية من طراز ME-110 وعدد من الطائرات القنّاصة من طراز HE-111 على الحبانية والمناطق المحيطة بها؛ لكن هذه الاغارات، بسبب محدوديتها والتأخّر في شنّها، لم تستطع تعزيز قدرة القوات العراقية على الصمود في وجه القوات البريطانية[٥٥]. وازاء هذا الوضع، شعر القادة العسكريون العراقيون بعدم جدوى الاستمرار في المقاومة، «فاتفقوا على التخلّي عن مراكزهم، ومغادرة العراق مساء يوم الخميس ٢٩/٥/١٩٤١. وعندما علم الكيلاني بحركتهم، قرّر التوجّه الى خانقين بصحبة الشريف شرف والمفتي [الحاج أمين الحسيني]. وعند وصولهم الى الحدود الايرانية، قرّرت طهران قبولهم جميعاً لاجئين سياسيين»[٥٦]. وبهذا سقطت حكومة الكيلاني وغادر الحاج امين الاراضي العراقية، فخلت الساحة لمؤيدي السياسة البريطانية الذين عملوا، بأوامر بريطانية، على تقليص دور العراق السياسي، والعسكري، في المشرق العربي.

حادثة «الفرهود»

في الوقت الذي عمّت مشاعر القلق والغضب الاوساط الشعبية العراقية، نتيجة فشل الحركة التحررية التي قادتها حكومة الكيلاني القومية، وما رافق ذلك من هياج، واضطراب، واشاعة أنباء مفادها ان القوات البريطانية ستدخل بغداد، أصدرت لجنة الامن الداخلي، في ١/٦/١٩٤١، بياناً طمأنت فيه الشعب بعودة الهدوء والاستقرار. وفي اثناء تدفّق الناس الى الشوارع، خرج عدد كبير من اليهود لاستقبال الامير عبدالاله، وهم «في حالة شديدة من الفرح والانشراح... الامر الذي

أغـاظ الجنـود، وكذلك المتظاهرين المناوئين للوصي. فانهالوا على اليهود ضرباً»(٥٧). وتوسّعت دائرة الاشتباكات حتى عمّت الاحياء اليهودية في بغداد، ووقع اطلاق نار واحداث سلب ونهب استمرت طوال اليوم واليوم التالي. وحسب مصادر يهودية، فقد أدّت الاشتباكات الى مقتل حوالى ١٢٠ يهودياً واصابة سبعين آخرين. امّا المصادر العراقية، فقد قدّرت عدد القتلى اليهود بـ ١١٠ والجرحى بـ ٢٤٠(٥٨).

وفي تقويمهم لهذه الحادثة، التي سمّيت بـ «الفرهود»، اعتبر المحلّلون انها غير منفصلة عمّا سبقها من احداث وتطوّرات. فمنذ أواخر العشرينات، أخذت العلاقات فيما بين اليهود ومحيطهم في العراق، تتدهور، بسبب تنبّه الشعب العراقي المبكر الى مخاطر الحركة الصهيونية الرامية الى اقتطاع فلسطين، واقامة الكيان الصهيوني فيها. وقد لعبت الصحافة العراقية، بما نشرته من مقالات عديدة عن تغلغل الحركة الصهيونية بين أوساط الطائفة اليهودية في العراق، دوراً كبيراً في تنمية الشعور بالكراهية نحو اليهود. وعبّر الشعب العراقي عن هذا الشعور تعبيراً عملياً، لأول مرة، في التظاهرات التي نُظّمت بتاريخ ١٩٢٨/٢/٨، عند زيارة الزعيم الصهيوني الفرد موند لبغداد. لذلك، لقد ارتبطت حركة العداء لليهود بموقف اليهود من فلسطين، ونمت بنموّ مسألة «الوطن القومي اليهودي». ولعلّ هذا هو السبب الذي دفع بعض الساسة العراقيين المؤيدين لبريطانيا الى مفاتحة المراجع البريطانية العليا غير مرّة بمخاطر الهجمة الصهيونية على فلسطين وضرورة ايجاد حل للمسألة الفلسطينية قبل ا ن يتعاظم الشعور القومي، فيشمل العراق، ويصبح ـ حسب قول نوري السعيد ـ «خطراً وبيلاً يهدّد السلم السائد في المملكة»(٥٩).

والواقـع، لقد برهنت ثورة أيار (مايو) ١٩٤١، في العراق، على مصداقية هذا الشعور، وعلى ارتباط القضايا التحررية العربية بعضها ببعض. ولم يكن صدفة ان يلعب الحاج أمين ذلك الدور البارز والحاسم في ثورة العراق. فباعتراف مؤيديه ومعارضيه، على السواء، من الساسة العراقيين، كان هو «المحور الذي دارت حوله الاحداث منذ وصوله الى العراق... حتى مغادرته اياه»(٦٠).

وروى السويدي، في مذكراته، انه «مهما كانت الاسباب والمؤثرات التي جعلت مفتي فلسطين يلعب دوراً نشيطاً بارزاً في مقدرات العراق سنة ١٩٤٠/١٩٤١، فمن الانصاف ان نقول ان أمين الحسيني كان رجلاً كثير الخبرة طويل البال، قد أعدّ نفسه لمعالجة قضايا العرب الهامّة، معالجة تؤمن لهم النجاح والعز، وهو لم يفتر في أي وقت عن ان يبث حبه واخلاصه للوطن العربي، على اختلاف اقاليمه. فلم يكن من السهل عليه، اذاً، ان يورّط جزءاً منه في التهلكة؛ ولكن اعتقاده بنجاح الالمان على كل حال وانفراط عقد الحلفاء نتيجة حرب ١٩٣٩ ـ ١٩٤٥ هو الذي أدّى الى ان يتّبع سياسة تعرّضت، في أكثر الاحيان، للنقد باعتبارها سياسة قصيرة المدى تحمّل هو وزرها أكثر من سواه»(٦١).

وكتب مؤرخـون آخـرون ان احـداً لا يستطيع ان يتّهم المفتي في التدخل في شؤون العراق الداخلية، ذلك ان ساسة البلد أنفسهم هم الذين لجأوا اليه، وطلبوا مشورته ومساعدته. وقد حاز المفتي، خلال فترة قصيرة، على ثقة رشيد عالي الكيلاني واحترام القادة العسكريين، «ثم تحوّل هذا الاحترام الى تبعية». وأكد المؤرخون العراقيون انه من الممكن القول: «لولا المفتي لما تعاون ضباط الجيش مع الكيلاني، الذي كان متردّداً في قبول الرئاسة، خوفاً من قادة الجيش، خصوصاً بعد ان فقد صديقه رئيس أركان الجيش الذي كان من الممكن ان يعتمد عليه في الحصول على ولاء القوات المسلّحة»(٦٢).

الّا ان ما أخـذه بعض المـؤرخـين على المفتي «هـو انه ساهم في خوض معركة غير متكافئة.

فالعالم، كله، كان منهمكاً في حرب عالمية؛ ومن يبغي تحقيق أهدافه لا سبيل أمامه سوى القتال، حتى لو كان على شكل عدوان. وهذا ما فعلته بريطانيا ضد العراق.

«لقد كان بيّناً ان المعركة غير متكافئة، وان المؤامرة على العراق وفلسطين أكبر من ان يتصدّى لها شعب أعزل وأمّة ممزّقة»(٦٣).

وعلى الرغم ممّا آلت اليه الامور بعد فشل الثورة، فان المفتي رأى فيها «درساً كبيراً، وتجربة أعطت الدليل العملي على تعافي هذه الأمّة، وسهولة توحيدها. وفشلها [الثورة] يعود الى أسباب، منها ان أكثر الاعمال كانت مرتجلة، فلم تسمح الخلافات الداخلية، خلال سنين عديدة، لزعماء العراق باعداد الثورة قبل الحرب؛ فالحماس كان سمّتهم والواقعية عندهم كانت قليلة»(٦٤).

وخلاصة القول، لقد شكّلت حركة الكيلاني مفصلاً سياسياً هامّاً في الحياة السياسية العراقية، خاصة، وفي التشكيل القومي العربي، عامّة. وكانت، بحق، ثمرة الآراء والافكار القومية العربية الناشئة، منذ تحرر الاقطار العربية من ربقة الاستعمار التركي، من جهة، ومحاولة البناء القومي، من جهة أخرى. وكان من شأنها التدليل على ان القضايا القومية واحدة، وان القضية الفلسطينية تشكّل الحجر الاساس فيها. ومن هنا جاء التحالف الوثيق فيما بين حركة الكيلاني والمفتي الحسيني ورجالات الحركة الوطنية الفلسطينية. الّا ان الآمال القومية العريضة، التي رفعتها الثورة، اصطدمت بوقائع دولية، ومحلية، مختلفة، لم تكن في حسبان قادة تلك الحركة، وخاصة العسكريين منهم؛ اذ انهم بالغوا في القوة الذاتية العراقية، من جهة، وراهنوا، بالمقابل، على تحالف الحكومة مع المانيا، في وقت لم تكن قوة الجيش قادرة، عدداً وعدّة، على الصمود في وجه القوات البريطانية. يضاف الى ذلك ضعف التدخّل الالماني، الامر الذي كان من شأنه سقوط الحركة، بعدما تمكّنت من رسم خط قومي عميق في السياسة العراقية، حتى انه بالامكان القول ان اهتمام العراق بالقضايا العربية في الاربعينات والخمسينات كان امتداداً طبيعياً لاهتمامه بتلك القضايا في فترة الثلاثينات، وبخاصة ما بين ١٩٣٦ و١٩٤١، حيث شكّلت ثورة الكيلاني تتويجاً للاتجاه القومي العربي عامّة.

---

(١) جعفر عباس حميدي، **التطوّرات السياسية في العراق**، الموصل: جامعة الموصل، ١٩٧٦، ص ١١.

(٢) البلاط الملكي، **تقرير خاص عن الحوادث التي وقعت خلال شهري نيسان (ابريل) وايار (مايو) ١٩٤١، والاضطرابات التي وقعت يومي ١ و٢ حزيران (يونيو) ١٩٤١**، الرقم ش. خ. ٢٢٨٧، بتاريخ ١٩٤١/٦/٢٣.

(٣) سامي عبدالحافظ القيسي، **ياسين الهاشمي ودوره في السياسة العراقية ما بين العامين ١٩٢٢ و١٩٣٩**، بغداد: جامعة بغداد، ١٩٧٥، ص ٢٧١.

(٤) **المصدر نفسه**، ص ٢٧٢.

(٥) ناجي شوكت، **سيرة وذكريات ثمانين عاماً**، ١٨٩٤ ـ ١٩٧٤، بيروت: دار الكتب، ١٩٧٥، ص ٣٤٠.

(٦) عباس عطية جبّار، **العراق والقضية الفلسطينية، ١٩٣٢ ـ ١٩٤١**، بغداد: جامعة بغداد، ١٩٨٣، ص ٤٥٦.

(٧) نبيل خالد آغا، **الشهيد الحي عبدالقادر الحسيني**، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨٠، ص ٢٧.

(٨) **المصدر نفسه**، ص ٢٨.

(٩) صلاح الدين الصباغ، **فرسان العروبة في العراق**، دمشق: بلا ناشر، ١٩٥٦، ص ١١٩.

(١٠) **مذكرات العقيد الركن صلاح الدين الصباغ**، بغداد: دار الحرية للطباعة، الطبعة الثانية،

١٩٨٣، ص ١٣٥.

(١١) جبّار، **مصدر سبق ذكره**، ص ٣١٣.

(١٢) عبدالرزاق الحسني، **الاسرار الخفية في حركة السنة ١٩٤١ التحررية**، صيدا: مطبعة العرفان، الطبعة الثالثة، ١٩٧١، ص ٤٨.

(١٣) جبّار، **مصدر سبق ذكره**، ص ٣١٥.

(١٤) «مذكرات الحاج امين الحسيني»، **فلسطين** (بيروت)، العدد ٨٧٠، آب (اغسطس) ١٩٦٨.

(١٥) صباح علي غالب، **محمد أمين الحسيني ودوره في احداث مايس ١٩٤١ في العراق**، بغداد: منشورات الاتحاد، ١٩٩٠، ص ٦٨.

(١٦) الصباغ، **مصدر سبق ذكره**، ص ١٣٩.

(١٧) جبّار، **مصدر سبق ذكره**، ص ٣١٥.

(١٨) غالب، **مصدر سبق ذكره**، ص ٧٠.

(١٩) جبّار، **مصدر سبق ذكره**، ص ٣٢٦.

(٢٠) رجا حسين الخطاب، **الجيش العراقي وتطوّر دوره السياسي، ١٩٢١ ـ ١٩٤١**، بغداد: جامعة بغداد، ١٩٧٩، ص ١٦٥.

(٢١) «مذكرات العقيد الركن صلاح الدين الصباغ»، **مصدر سبق ذكره**، ص ١٣٦.

(٢٢) **المصدر نفسه**، ص ٧٨.

(٢٣) جبّار، **مصدر سبق ذكره**، ص ٣٢١.

(٢٤) غالب، **مصدر سبق ذكره**، ص ٧٤.

(٢٥) **المصدر نفسه**، ص ٨٣.

(٢٦) الحسني، **مصدر سبق ذكره**، ص ٦٦.

(٢٧) نجم الدين السهروردي، **التاريخ لم يبدا غداً: حقائق وأسرار عن ثورتي رشيد عالي الكيلاني ١٩٤١ و١٩٥٨ في العراق**، بغداد: شركة المعرفة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، ١٩٨٩، ص ٨٢.

(٢٨) الصباغ، **مصدر سبق ذكره**، ص ١٤٢.

(٢٩) غالب، **مصدر سبق ذكره**، ص ٧٩.

(٣٠) اسماعيل ياغي، **حركة رشيد عالي الكيلاني**، بيروت: دار الطليعة، ١٩٧٤، ص ٦٠.

(٣١) غالب، **مصدر سبق ذكره**، ص ٦٦.

(٣٢) **المصدر نفسه**، ص ٨٨.

(٣٣) الصباغ، **مصدر سبق ذكره**، ص ١٣٧.

(٣٤) وليد محمد سعيد الاعظمي، **انتفاضة رشيد عالي الكيلاني والحرب العراقية ـ البريطانية، ١٩٤١**، بغداد: الدار العربية، ١٩٨٧، ص ٤٤.

(٣٥) الصباغ، **مصدر سبق ذكره**، ص ٢١٨.

(٣٦) غالب، **مصدر سبق ذكره**، ص ١٠٣.

(٣٧) شوكت، **مصدر سبق ذكره**، ص ٤٣٤.

(٣٨) **المصدر نفسه**، ص ٤٣٧.

(٣٩) **المصدر نفسه**، ص ٤٤١.

(٤٠) الاعظمي، **مصدر سبق ذكره**، ص ٥٩.

(٤١) عثمان حدّاد، **حركة رشيد عالي الكيلاني سنة ١٩٤١**، صيدا: المكتبة العصرية، بلا تاريخ نشر، ص ٩١.

(٤٢) الاعظمي، **مصدر سبق ذكره**، ص ٥٧.

(٤٣) السويدي، **مصدر سبق ذكره**، ص ٣٥٨.

(٤٤) يونس بحري، **أسرار مايس ١٩٤١**، بغداد: دار البيان، ١٩٦٨، ص ١٢٥.

(٤٥) اميل الغوري، **المؤامرة الكبرى**، القاهرة: دار النيل للطباعة، ١٩٥٥، ص ١١٠.

(٤٦) غلوب باشا، **جندي مع العرب**، بغداد: دار الناشرين الجامعيين، ١٩٦٣، ص ١٩.

(٤٧) **كتاب مجلس الوزراء الموجّه الى وزارة الخارجية**، سري للغاية، الرقم ١٨٣٣، ٢ ايار (مايو) ١٩٤١، ملف ج/٢/٥.

(٤٨) جبّار، **مصدر سبق ذكره**، ص ٣٤٣.

(٤٩) جعفر، **مصدر سبق ذكره**، ص ٥٥.

(٥٠) **جريدة الاستقلال** (بغداد)، العدد ٤٣٣، ١٩٤١/٥/١٦.

(٥١) شوكت، **مصدر سبق ذكره**، ص ٥٧.

(٥٢) **المصدر نفسه**، ص ٤٦٣.

(٥٣) **المصدر نفسه**، ص ٤٦٩.

(٥٤) **المصدر نفسه**، ص ٤٧١.

(٥٥) **المصدر نفسه**، ص ٤٥٥.

(٥٦) الحسيني، **مصدر سبق ذكره**، ص ٣١٢.

(٥٧) جبّار، **مصدر سبق ذكره**، ص ٣٥١.

(٥٨) الاعظمي، **مصدر سبق ذكره**، ص ١٨٧.

(٥٩) جبّار، **مصدر سبق ذكره**، ص ٣٥٧.

(٦٠) شوكت، **مصدر سبق ذكره**، ص ٣٨١.

(٦١) السويدي، **مصدر سبق ذكره**، ص ٣٨٠.

(٦٢) غالب، **مصدر سبق ذكره**، ص ٧٤.

(٦٣) **المصدر نفسه**، ص ٣٧٨.

(٦٤) عوني العبيدي، **صفحات من حياة الحاج امين الحسيني**، عمّان: مكتبة المنار، ١٩٨٥، ص ١٢٧.

فلسطين في ثقافة وتاريخ البحرين

بدر عبد الملك

لقد أتاح لقاء الحج الموسمي في مكّة فرصاً للتدارس الديني والتبادل التجاري بين الشعوب الاسلامية والعربية. وكذلك حقّقت مثيلتها في رحلة الذهاب والاياب، صيفاً وشتاء، من الشام الى ربوع اليمن، مروراً بمكّة والمدينة. مثل هذا اللقاء، وهذا التقاطع الجغرافي الموقعي في حيويته لمكّة وغيرها من المدن الواقعة على طريق القوافل، حقّق فرصة الاحتكاك والتفاعل مع جنسيات وثقافات اثنية مختلفة ومتباينة، كان لها تأثيرها الواضح في التاريخ العربي القديم، والمعاصر. لذلك، كثيراً ما زارت، أو عرّجت على، جزيرة البحرين شخصيات معروفة، بسبب تواجدها في مكّة لاداء فريضة الحج، على الرغم من ان الوصول الى جزيرة البحرين، يومذاك، احتاج الى ارادة خاصة، والى أسباب ودوافع عميقة لاقناع اصحابها بالعروج عليها، او نتيجة اقتناعهم الذاتي بزيارة منطقة تقع في الجزء الاقصى من الشرق، وبعيداً من الاراضي المقدّسة، خلافاً لأهالي العراق وايران والجزيرة العربية، الذين كانت تربطهم بالجزيرة علاقات تاريخية، طويلة الأمد وذات طابع عائلي، وقبلي، ومذهبي. لذا، لم تعرف الجزيرة حركة هجرة لجنسيات عربية اخرى حتى العقد الاول من القرن العشرين، وخصوصاً من الفلسطينيين العرب، موضوع دراستنا. وكان لهذه العملية اسبابها التاريخية، والموضوعية أيضاً. فالى جانب ان منطقة الخليج كانت معزولة، ومغلقة، لعامل التخلّف والسيطرة الاستعمارية، كذلك لم تتوفّر فيها مقوّمات اقتصادية محدّدة تجتذب الآخرين الى الهجرة اليها، وبالذات وجود فرص العمل؛ ومن الجانب الآخر، كانت الظروف الداخلية لهذه البلدان مستقرة نوعاً ما، ولم تتدهور الى مستوى «المأساة» الّا في أواخر الاربعينات، حين أخذ يتنامى الصدام المباشر فيما بين العرب واليهود، وتبرز الى الوجود، تدريجياً، ظاهرة «اللاجئين الفلسطينيين». وخلال فترة الحربين العالميتين، الاولى (١٩١٤ ـ ١٩١٨) والثانية (١٩٣٩ ـ ١٩٤٥)، حدثت متغيّرات عديدة في منطقة الخليج، والمنطقة العربية عموماً. وقد أشبعت تلك المتغيّرات بالدراسات والتشخيصات، وهذا خارج نطاق موضوعنا، فيما عدا ظاهرة نمو الشعور القومي وزيادة تفاعل الحركة القومية المناهضة للاقطاع والاستعمار في الوطن العربي. وسيكون تركيزنا على علاقة البحرين بالانسان الفلسطيني، موضوع البحث، وعلاقة التحوّلات والتأثيرات المتبادلة فيما بين طرفي المعادلة، وقد تركّزت أهمها في ثلاثة محاور أساسية: أولاً، جوانب تأثير الانسان الفلسطيني، سياسياً وفكرياً وثقافياً في المجتمع البحراني؛ ثانياً، ردود فعل الحركة الشعبية البحرانية، وتيّاراتها، وثقافتها، وتفاعلها، مع القضية الفلسطينية؛ ثالثاً، لجم وكبح السلطات في البحرين التفاعل الفلسطيني ـ البحراني، وتحجيمه على النطاق الاعلامي، والجماهيري. هذه المحاور تتشابك وتتداخل احياناً في جوانب عديدة، كعلاقات سببية، بحيث من الصعب ترتيبها على أساس هيكليات شكلية متعارف عليها بحثياً.

البدايات الاولى في الجزيرة

لقد شهدت حركة المدّ الثقافي في البحرين، على الدوام، انتعاشاً، بفعل حيوية النشاط الاقتصادي الذي كان يشكّل حجر الزاوية الاساس في قوة الدفع هذه، وكذلك المناخ السياسي العام. وكان طبيعياً، مع نهاية الحرب العالمية الأولى ومع رخاء الموارد من مغاصات اللؤلؤ وتجارتها، ان تولد فكرة التعليم الاهلي على أيدي هؤلاء التجار، الذين أخذت بدايات التأثير القومي، والاسلامي، من الاقطار العربية والهند تؤثر في توجّهاتهم التنويرية، ممّا انعكس على نمط اختيارهم وعلاقاتهم للنهج الثقافي، والتعليمي؛ وما زيارة نماذج مفكرة، من نوعية أمين الريحاني والثعالبي والرشيد، الّا تعبيراً عن هذه الاستجابة الناهضة، اضافة الى شخصيات أخرى عديدة يذكرها، ويعرفها، التاريخ البحراني الحديث. واستجابة للتحوّل الى فكرة التعليم الاهلي، تمّ استجلاب مجموعة عربية، من أقطار مختلفة، خلال العامين ١٩١٩ و١٩٢٠، شكّلت الرعيل الاول من هيئة التدريس، وكان بينهم «المدرّس الفلسطيني» الذي واصل رحلة التعليم الطويلة في هذه الجزيرة، وكان احدى الدعامات الاساسية في النهضة التعليمية، مع شقيقه المصري والسوري وغيرهما من العرب، الذين أرسوا حجر البناء الاول للتعليم، ولأجيال عديدة حتى يومنا هذا.

فهل انحصرت وظيفة المدرّس الفلسطيني، أو غيره، داخل الفصول في تعليم أبناء البحرين مجموعة من حروف الهجاء وأرقام الحساب؟ أم قام بدور المحرّض السياسي تاريخياً، كمعبّىء وتربوي، من وراء الكواليس، لطلبة المدارس، مقدّماً خبرته الذاتية التي اكتسبها في منطقته الوافد منها، والتي كانت أكثر تطوّراً وتقدّماً في حركة مناهضة الاستعمار، وكذلك في تفاعلها مع الافكار الجديدة في العلم والمعرفة والسياسة والعلوم الانسانية. الواقع، لم ينحصر دور الفلسطيني في المجتمع البحراني بمهنة التدريس، أو الركون الى أروقة المدارس فقط، بل تعدّاها الى أكثر من ذلك، متميّزاً بخصائص نوعية في طبيعة خدماته الوظيفية، على الرغم من قلّة العدد آنذاك في الجالية الفلسطينية.

المعلّم الأول

من الصعب اعطاء رقم محدّد واحصائي عن اعداد الفلسطينيين في ثلاثينات واربعينات هذا القرن في البحرين، خصوصاً وان أول احصاء رسمي في الجزيرة أُجري في العام ١٩٤١، ولم يُشر فيه الى الجنسيات العربية. امّا الاحصاء الثاني، والذي تمّ اجراؤه في سنة ١٩٥٠، فقد حدّد عدد الفلسطينيين بثمانية وعشرين شخصاً[١]. وبالاعتماد على فرضيات منطقية، فان عدد الفلسطينيين، قبل ذلك التاريخ، كان أقلّ بكثير، وفي أفضل تقدير لم يتجاوز الرقم الموجود لاحقاً في فترة الاحصاء في بداية الخمسينات؛ اذ قبل ذلك التاريخ، كانت المنطقة تعاني من صعوبة المواصلات، بسبب ظروف الحرب، اضافة الى انه لم يتمّ اكتشاف النفط في البحرين الّا في العام ١٩٣٢. وهذا، بحدّ ذاته، يتطلّب فترة معيّنة لاستقطاب وجذب الأيدي العاملة الماهرة في مناحي النشاطات المختلفة. كما كانت الحياة في البحرين تخطو، لتوّها، الى أمام، وبايقاع بطيء، في ارساء البنى التحتية الجديدة المرتبطة بعلاقات رأسمالية، وتحديث دعامات بنية المجتمع. لذلك، تعرّف المجتمع اولاً على الفلسطيني كمعلّم مدرسة، وتلاها مباشرة في مهنة الطباعة كأول شخص له الفضل في تدشين الآلة الحديثة التي جلبت من بغداد. فصاحب «أول صحيفة بحرانية (١٩٣٥)... لم يبدأ عمله في مطبعته الحديثة من فراغ». فقد تعاقد، قبل وصول المطبعة، مع احد الخبراء الفلسطينيين، «الذي مكث يُدرِّب في البحرين زهاء ستة

أشهر؛ غادرها، حيث استشهد [بعد ذلك] في العمل الفدائي». ولكنه قبل مغادرته البحرين، «أرسل زميلاً ممّن عملوا معه... الى بغداد للتدرّب لمدة سبعة شهور؛ بعدها بدأت المطبعة عملها، من ثمّ بدأ صدور الجريدة»[٣]. وقد ترك ذلك الفلسطيني[٣]، عامل الطباعة الفني «خبير ذلك الوقت»، انطباعاً ايجابياً لدى الجيل الشاب من عمّال الطباعة البحرانيين، في فترة الاربعينات وما بعدها؛ وكان لحديثه الدائم بينهم ذكرى حارة، ما زالت عالقة في مخيلة اصدقاء الامس.

دور الفلسطيني في مجال الخدمات الاجتماعية

لقد عرف عن الفلسطينيين في الجزيرة، من خلال سلك التدريس مرفقهم المألوف منذ البدايات الاولى للتعليم في البحرين وحتى يومنا هذا، انهم يشكّلون الفئة الثانية، من حيث العدد، بعد الجالية المصرية في هذا المجال. وكان لهم دور متميّز، وبارز، في تنشيط، وخلق، البرامج والنشاطات الثقافية والرياضية. ولم يكتفوا بذلك؛ بل مارسوا نوعاً من التأثير السياسي في وعي الطلبة وتوجّهاتهم واهتماماتهم. كذلك نشط أبناء معلّمي الجالية الفلسطينية في شتّى النشاطات، بما فيها الحلقات الطلابية القومية، حيث واصلوا طريقهم الكفاحي، بعد التخرّج من الثانويات، في ميادين الجامعة، بينما ظلّت العائلات مقيمة في البحرين الى وقت متأخر. وقد كان لطرد يوسف الحموري، المجاهد الفلسطيني ابّان عهد الانتداب، مغزى ودلالة ملموسان على هذا النوع من التأثير، حينما «ابعدته السلطات الاستعمارية عن البحرين، بسبب آرائه الوطنية، وهو الذي أشار على طلابه، بمدرسة الهدايا الخليفية، بتكوين ناد لهم؛ وقد استطاعوا ذلك بعد سنوات»[٤]، وهو النادي المعروف، الآن، بـ «نادي الاصلاح»، الذي زاول نشاطه في العام ١٩٤١، مبتدئاً كناد طلابي تحت اسم «نادي الطلبة الخليفي»، واستبدل بـ «نادي الاصلاح الخليفي» في العام ١٩٤٧، حيث زاول نشاطات ثقافية ذات طابع اسلامي، كان الحمّوري نقلها من تجربة التجمّعات الشبابية، الاسلامية والوطنية، في الاندية في فلسطين، على غرار «نادي الشبيبة الاسلامية» في يافا، «الذي اصبح ملتقى الشباب الوطني من طلبة ومثقفين»[٥].

كذلك ساهمت المرأة الفلسطينية بقسط متواضع، منذ بداية الخمسينات، في مجال الخدمات الاجتماعية، وخصوصاً في حقل التمريض والتعليم؛ اذ عرفت «مدرسة الزهراء»، في العام الدراسي ١٩٥١/١٩٥٢، حضور «أول ممرضة فلسطينية»[٦]. وفي العام الذي تلاه (١٩٥٢/١٩٥٣)، انضمّ الى المدرسة فلسطينيتان في التمريض وثلاثة فلسطينيات في هيئة التدريس. كما شغل الفلسطينيون، في أواخر الخمسينات، مهناً في مجال القضاء، وأجهزة الشرطة، وخصوصاً جورج بطرس البابا المشهور باسم «بوب».

المسرح في البحرين وعلاقته بالقضية الفلسطينية

لم تنحصر حركة التعاطف والتفاعل مع القضية الفلسطينية بالمقالة السياسية في الصحافة، او بالتظاهرات والخطابات في المناسبات والتحشدات الجماهيرية، او في صحف الحائط في الاندية منذ باكورة عهدها، وانما تجاوزت ذلك الى الثقافة وفنونها وآدابها المختلفة، التي كان لها دور بارز في المساهمة في تعبئة الناس بشعور الاخوّة والواجب. فقد نمت روح الاحتجاج والوعي القومي بالقضية، فكانت القصيدة والقصة والمسرح أوعية لهذا الوعي، على الرغم من اختلاف التزامن والتأثير. فقد كان للقصيدة حضور أبكر في تناولها للمسألة الفلسطينية بالقياس الى القصة؛ كذلك كان للمسرح المدرسي دور ريادي، تلاه المسرح في الاندية. وقد كان للمعلّمين الفلسطينيين، مع أشقائهم العرب، فضل

في غرس البذور الاولى لنشأة المسرح المحلي. وحسب ما أورد الناقد المسرحي والباحث د. ابراهيم غلوم، فان «المسرح كان يبدأ مستنبتاً، يفد من الخارج. ويتمثّل لنا ذلك الاستنبات، بالنسبة للبحرين والخليج العربي، في ان الاعمال المسرحية الاولى كانت تقام بجهد اعضاء البعثات التعليمية من المدرّسين العرب، ومعظمهم كان من مصر، أو سوريا، أو فلسطين»(٧).

فاذا ما عرفنا ان المسرح بدأ مع النصوص والموضوعات التاريخية، والاسلامية، كأي مسرح عربي، ثمّ انتقل، تدريجياً، الى الموضوعات السياسية والاجتماعية، تصبح «ظاهرة التجربة المسرحية ذات امتداد تاريخي وجغرافي»، ومرهونة بحجم، وسرعة، التفاعل العربي آنذاك، وحتى اليوم. بهذا المنظور، وبمبدأ التطوّر في سياقه العام، ندرك تماماً لماذا قدّم «النادي الاهلي»، في العام ١٩٤٨، مسرحية بعنوان «نخب العدو»؟ ولماذا قدّمت الفرقة التمثيلية المتنقّلة، التي تأسست سنة ١٩٥٥، على مسرح «نادي العروبة» ثلاث تمثيليات قصيرة، هي «الانسانية المشردة» و«الضمير» و«صرخة لاجيء»، معبّرة، جميعها، عن مأساة القضية الفلسطينية ببعدها العاطفي والاخلاقي؟ وتكرّرت، طوال تلك الفترة التاريخية، الموضوعات الفلسطينية على مسارح الاندية، أو المدارس، أو في اخراجات الاسكتشات الاذاعية، نتيجة سخونة الاحداث ومضاعفاتها في الشارع العربي. ثمّ حدث تراجع ملموس، وطمس كلّي لهذا الموضوع منذ أواخر الستينات حتى الثمانينات. ثمّ عادت، مجدّداً، ولكن اغلبها كان في اطار مسرحيات الاطفال التربوية، بنبرتها المزدوجة، التعليمية البائسة والمحرّضة والموقظة للمشاعر النائمة والمنسية. هذه الصورة المسرحية لاطفال الخليج حملت في طيّاتها الجوانب العاطفية والمؤلمة عن حياة الفلسطينيين وأطفالهم، الباعثين في تراجيدية الحياة على حالة الرثاء والعطف، مع ضوء خافت بعيد في الافق، جديد بالامل والثورة. ومع الانتكاس الثقافي في المسرح حول القضية المركزية، كنّا نبصر، بأعيننا، في تلك المرحلة، بقاء الواجهة الفلسطينية كحالة هامشية، في الظل والخلف، تذكّرنا بالمأساة مثلما نجدها في مسرحية الكاتب البحراني احمد جمعة «ابو نواس يرقص الديسكو»، حين وضع على الجدران، في خلفية خشبة المسرح ذات الابعاد الثلاثة، «صور فوتوغرافية كبيرة ملوّنة: مارلين مونرو، [و] ام فلسطينية أمام الخيام، [و] لوحة ملوّنة لأطفال، [و] جون ترافولتا، [و] لوحة لأمرأة عارية، [و] اعلان سجاير، [و] سيارات اميركية، بالاضافة الى عبارات بالانكليزية»(٨). وبهذا نرى القضية مهملة بين ركام الاشياء، ونمط الحياة الجديدة يكاد يبتلع ذاكرتنا ومواقفنا التائهة. وكان لهذا التراجع السياسي، على الصعيد الثقافي، أسباب موضوعية وذاتية، يتبوأ مكان الصدارة فيها قمع السلطة ومحاصرتها للنصوص المسرحية والثقافية. امّا العنصر الآخر، فانه بسبب التحوّلات العميقة التي حدثت في العقدين الاخيرين للمجتمع، والذي اثّر في نمط الحياة وسلوكيتها، وفي واقع الافراد والتجمّعات الثقافية. الّا ان روح الانتفاضة الفلسطينية المتفجّرة حرّكت الماء الراكد، واستنهضت المشاعر. فقد نفخت الانتفاضة من روحها في ذلك الرماد الذي يغطي قبور الموتى، حتى وجدنا ان الدم العربي المتجمّد في عشرات الناس، يتحرّك تارة بانفعال شديد، وطوراً بخجل متوار، لايقاظ الذاكرة «وتبكيت الضمير» والتأنيب الذاتي الى حدّ الفاجعة، فاهتزت ضمائرنا المعذبة وارادتنا المستلبة.

الصحافة البحرانية والقضية الفلسطينية

منذ فترة «النادي الادبي» الاولى (١٩١٣ ـ ١٩١٩)، ظلّت الحركة الثقافية في البحرين، ومن خلال الصحف العربية، تتواصل مع القضايا القومية، والاسلامية، في الوطن العربي. وكان ذلك مبعث قلق للسلطات البريطانية، التي كانت تشاهد، من قرب، ازدياد الوعي والسخط الاجتماعي على ما

يدور خارج البحرين، وداخلها، خصوصاً عندما تكشفت مؤامرة اتفاقية سايكس ـ بيكو و«وعد بلفور». وكانت بداية الجرح الفلسطيني في الضمير القومي العربي، حيث التآمر الدولي مع عدد من الحكام العرب، وهم يبدأون رحلتهم الاولى معاً، وكذلك يبدأ عند الجماهير العربية شعور جديد بهوية المأساة القومية والتمزّق العربي، وكأن قدر العرب، في التاريخ المعاصر، مرتبط، جزئياً، بالجرح الفلسطيني العميق، الكامن في مؤامرة الاغتصاب والاستيطان، الفريد في نوعه في التاريخ الانساني الحديث. وعلى الرغم من البعد الجغرافي، يومذاك، ما بين البحرين وفلسطين وصعوبة المواصلات والاتصالات، فان ذلك لم يعن «انفصام الروابط القومية بين البحرين وبقية شقيقاتها، قبل بزوغ نجم الصحافة؛ اذ كانت تعيش قضاياها الوطنية وصراعاتها الحزبية من متابعة صحفها الوافدة. على ان أهمّ قضية قومية واجهتها الصحافة، في بداية عهدها، [هي] قضية فلسطين، التي هزّت كيان الوطن العربي، وأيقظته من غفوته، بعد تنفيذ المؤامرة باعلان وعد بلفور [في] العام ١٩١٧»[٩]. كما تخطّت «جريدة البحرين الحصار المضروب حولها من قبل الرقابة البريطانية وتصادمها مع ارادة الحلفاء ودعائية الحرب؛ اذ لم يمنع صاحبها من التعبير عن أماني المنطقة في الاتحاد؛ كما لم يمنعه من الخوض في موضوعات الوحدة العربية والمشكلة الفلسطينية»[١٠]. ثمّ كتب احد الوطنيين مقالة ساخنة انتقادية في «جريدة البحرين»، في عددها الرقم ١٢، من أيار (مايو) ١٩٣٩، تحت عنوان «حول مشروع فلسطين الجديد»، جاء فيها: «أُذيع الكتاب الابيض بعد التسويف، وبعد ان ظلّ يترجّح بين التحوير والتحريف، فاذا به يطابق المأثور من السياسة البريطانية. أرادت [بريطانيا] ان ترضي العرب وترضي الصهيونيين، فأغاظت العرب وأغضبت، يا للهول، الصهيونيين»[١١].

لقد واصلت الصحافة المحلية مسيرتها الكتابية، دفاعاً عن القضية الفلسطينية، في فترات الصحافة المتقطعة، التي تزامنت معها. وكان الضمير الصحفي والواجب القومي محرّكين، دائماً، لهذه القضية، الى ان تمّت مصادرة الصحافة العلنية لأكثر من عقد، وعودتها في العام ١٩٦٦. ونتيجة هذا الانقطاع، فقدت القضية الفلسطينية، في البحرين، سلاحاً تحريضياً هامّاً، كان بامكانه ان يساهم في المعارك السياسية على صعيد انماء الوعي القومي والوطني. وظلّت الكتابة في نطاق الصحافة السرية محدودة الانتشار، على الرغم من مواصلة دفاعها عن الشعب والقضية الفلسطينية. فكان المنشور والكتابة على الجدران عملاً اعلامياً وسياسياً بسيطاً، ساهمت في ترسيخه الحركة الوطنية البحرانية في ازقّة البلاد، ومدنها، وقراها، واحيائها.

الأعمال التطوعية في سبيل الدعم والمساندة

عندما اندلعت الانتفاضة الفلسطينية، وهشّمت السائد في عالم الركود، فرضت على الانظمة العربية، قبل جماهيرها، القبول بالامر الواقع، والتعامل مع هذه الحقيقة، حتى وانْ كانت على حذر، بهدف احتواء تأثير الانتفاضة العكسي على رجل الشارع العادي الذي قد يحدث الانقلاب غير المحمود. فحين شعرت السلطات في البحرين بازدياد وتائر المطالبة بدعم الانتفاضة الفلسطينية، سارعت الى تشكيل «اللجنة الاهلية لدعم الانتفاضة في الاراضي المحتلة»، محاولة ترأس قمّة الهرم الاجتماعي لأية مبادرة شعبية اجتماعية تطوّعية تأتي من رغبة الناس، وخصوصاً عندما تكون ذات صبغة سياسية، ولها مضاعفات جماهيرية وتعبوية. فالتاريخ السياسي للبحرين داخل الحركة الوطنية والاجتماعية، منذ البداية، كان يعطي أهمية استثنائية للقضية الفلسطينية، بابتكار الوسائل الفعّالة والمتواضعة والعملية لدعم أية قضية حياتية، سواء أكانت سياسية أو اجتماعية. ففي

الاربعينـات، قام نادي البحـرين بالاستفـادة من «عضوية الشاعرين عبدالرحمن المعاودة وقاسم الشيراوي في اقامة الامسيات الشعرية المتنوّعة في الكثير من المناسبات». كما طبع النادي قصائدهما وباعها للجمهور، ثمّ ارسل «الدراهم المتحصّلة من ريع قصيدتي المعاودة والشيراوي المخصّصة الى اللاجئين العرب في فلسطين، وذلك الى فخامة شكري القوتلي رئيس الجمهورية السورية»(١٢). وعلى الرغم من تواضع المبالغ، وشحّتها في ذلك الوقت، الاّ انها كانت تحمل دلالات معنوية ورمزية عالية، مبـرزة المـوقف التضـامني مع الشعب الفلسـطيني في اثنـاء محنته وويلاته. امّا مثقفو «الحلقة البحرانية»، التي أُسّست في العام ١٩٤٦، فقد ترعرعوا في أحضان الجامعة الاميركية، في بيروت، التي كانت تضج، وتعجّ، بمختلف التيارات السياسية، «وكان الطلبة العرب يفدون من فلسطين والاردن والعراق والخليج، وحتى من مصر»(١٣). هذا المناخ الطلابي الحماسي، الذي تزامن مع عام النكبة والتقسيم، خلق أجواء من التوتّر والانفعال والانبعاث القومي بكل اتجاهاته، وصعّد النهوض المعادي للاستعمار، فساهم أعضاء الحلقة في جمع التبرّعات الخاصة بالقضية الفلسطينية، والعمل بكافة الاشكال الداعمة لها في البحرين، وضمن أنشطة الطلبة العرب في الجامعة الاميركية»(١٤).

هذا التـراث الوطني والتعـاطف الوجـداني واصل نهجه الجيل اللاحق من المثقفين والطلاب والنساء والشبيبة، في جميع المؤسسات والهيئات، بأساليب ووسائل مختلفة، في سبيل دعم الانتفاضة الفلسطينية في الاراضي المحتلة. على ان السلطات البحرانية حاولت محاصرة التحرّكات قدر الامكان، ومنع التجمّعات العامة بموجب قانون الطوارىء، وتحريم كل أنواع المهرجانات الخطابية. بل وصل الامر الى منع كل أشكال قابلة لأن تثير الرأي العام وحماسه، حتى وانْ كان ذلك حفلة غنائية. وكان موقف السلطات الرافض لحضـور مارسيـل خليفـة الى البحرين، واحياء أمسية غنائية على شرف الانتفاضة، مؤشراً اعتيادياً الى السلوك السياسي التحفّظي في البحرين؛ ولا يمكن ادراج تلك التبريرات المستظلة تحت يافطة المحاذير المبالغ فيها الاّ في اطار العقلية الأمنية والاعلام المحافظ.

العقلية الاستعمارية وسياسة التوظيف

لا شك في ان السياسة البريطانية تميّزت، في البحرين وفي منطقة الخليج، خلال عقود من الزمن، بسياسة التمييز العرقي والتسلّط، محاولة استخدام اسلوب «فرّق تسد» عبر وسائل مختلفة، حتى وانْ كانت أساليب اثنية، على الرغم من ادعاء البريطانيين بأنهم يحترمون حقوق الانسان. فقد قيّدت السلطات البـريـطانية، على الدوام، الهجرة العربية الى البحرين، وخصوصاً من فلسطين والعراق وسـوريا وغيرها؛ وتحاشت المؤسسات الاستعمارية، في حينها، الاعتماد، في التوظيف، على العنصر العـربي. ولولا الاحتياجات الضرورية، في مجالات معيّنة، كالتعليم، لمنع البريطانيون دخول العرب بشكل تامّ، تحاشياً ودرءاً للتأثيرات السياسية على أهالي البحرين. ومع كل أشكال التضييق والمطاردة والرصد، لم تستطع السلطات، في احيان كثيرة، تحقيق مآربها، مع تأكيد نجاحها في المجالات الاخرى، وبالذات في شركة النفط، كأهم مؤسسة قابلة للتفاعل السياسي. فالكادر الوظيفي لشركة النفط شُغِّل من العنصر الهندي والباكستاني، الذي تركّز في قطاع الخدمات والمهن الحكومية المختلفة.

لقـد كان معروفاً عن المستشار البريطاني، تشارلز بلغريف، كراهيته للعرب وخوفه منهم، ومن تأثيرات المناخ الثقافي والسياسي في الطلبة في الجامعة الاميركية في بيروت والجامعات المصرية. وهذه لم تكن ارادته ورغباته وحسب، بل توجّهاً بريطانياً عاماً في المنطقة، كجزء من سياسة بريطانية مرسومة حول «مسـألة التوظيف والهجرة». فقد شهدت منطقة الخليج، حينذاك، تدفّقاً «ونزوحاً فلسطينياً

بعد نكبة [العام] ١٩٤٨، أتاح للكثير من الدول النفطية الاستفادة من الايدي العاملة الفلسطينية، المتعلّمة والمدرّبة، وبالتحديد في الكويت والمملكة العربية السعودية»(١٥).

ولقد فرضت هذه الظروف واقعاً جديداً وظاهرة مستفحلة في حركة الهجرة، عزّز ترسيخها توجّه شيوخ المنطقة، وبالذات شيوخ الكويت وحماسهم، لتعريب التوظيف، وبالذات عندما طغت ظاهرة نمو العمالة الآسيوية، وأصبح وجودها يهدّد الهوية العربية.

وكشفت المراسلات فيما بين مدير شركة النفط («بابكو») والمعتمد البريطاني، في العام ١٩٤٩، عن استعداد الشركة «لتوظيف ما بين ٣٠٠ الى ٥٠٠ من العمّال المهرة الفلسطينيين، بنفس شروط توظيف العمالة الهندية الماهرة»(١٦). ومع لغة العطف على النازحين الفلسطينيين من قبل الساسة البريطانيين، فان المحاذير والمخاوف البريطانية ظلّت قائمة؛ اذ أخذوا يراقبون، عن كثب، ظاهرة الهجرة الشرعية، واللاشرعية، عبر الحدود الجغرافية لبلدان الخليج، بطريقتهم الخاصة وجنباً الى جنب مع السلطات المحلية وأجهزتها الامنية، بحيث يتحكّمون في تمدّدها وتقلّصها حسب احتياجات السوق الى العمالة وقوة العمل، وحسب التوازنات السياسية في التركيبة السكانية. امّا حيال الفلسطينيين والعرب، فانهم لم يخفوا مواقفهم، فكانت واضحة وصريحة؛ اذ وجدوا في هذا النوع من التوظيف خطراً على مصالح بريطانيا، «لأن ازدياد عدد الفلسطينيين في (الكويت) سوف يؤلب الرأي العام (الكويتي) ضد السلطات البريطانية؛ وهناك ما يكفي من الفلسطينيين هنا، والذين سيكون تأثيرهم موجّهاً، بشكل مباشر، ضد السلطات البريطانية»(١٧). وفي ضوء هذا النهج، تصرّف البريطانيون في البحرين، في العام ١٩٣٧، بالطريقة والعقلية والمصالح ذاتها مع العراقيين والايرانيين العاملين في شركة «بابكو»، بالتدخّل المباشر والسافر من قبل المقيم السياسي في شؤون التوظيف، كما ذكر الدكتور باقر النجّار، مستنداً الى المراسلات بقوله: «لقد أثار المقيم السياسي، في ٢١ [نيسان] ابريل ١٩٣٧، مسألة احلال الهنود عوضاً عن الايرانيين والعراقيين العاملين في بابكو؛ وهو يعتقد بأن الكثير من الامور ' ستعود الى طبيعتها السابقة ' بمجرّد الانتهاء من اندفاعة المشاريع المؤقتة. لذا يجب الاسراع في توظيف الهنود في أماكن الايرانيين والعراقيين»(١٨). بهذه اللغة الآمرة، والمتضمّنة التعليمات والتوصيات، كانت تُسيّر السياسة البريطانية مسألة العمالة والتوظيف والهجرة والتركيبة الديمغرافية، بكل ابعادها السياسية. لقد كان عدد الفلسطينيين، في العامين ١٩٤٥ و١٩٥٠، في شركة نفط الكويت يتراوح ما بين ٩٣ ـ ٩٨ شخصاً؛ وفي قطر ١٨ شخصاً العام ١٩٤٩، و٥٣ شخصاً لعام ١٩٥١؛ بينما انعدم الوجود الفلسطيني في البحرين والسعودية، في العام ١٩٤٩. وتشير احصاءات حركة التوظيف في شركة نفط البحرين (بابكو)، من سنة ١٩٣٨ لغاية سنة ١٩٦٠، الى غياب أي ذكر للجنسية الفلسطينية. والاغرب من ذلك، ان شركة «بابكو»، حتى بعد الاستقلال، واصلت نهج التضييق وعدم توظيف العرب. فضمن احصاءات العاملين في الشركة للاعوام ١٩٨٢ ـ ١٩٨٦، لا نجد في خانة «عرب آخرون» غير شخص واحد فقط للعام ١٩٨٦، من مجموع العدد الاجمالي البالغ ٣٣٨٤ شخصاً؛ بينما بلغ عدد الهنود ١٨٤ شخصاً، وعدد البريطانيين ٢٥٤ شخصاً، وتمّ اغفال ذكر تحديد الجنسيات العربية تماماً(١٩). هذا التوجّه، المدروس سياسياً، واضح في بطاقات العمل الصادرة لغير البحرانيين حسب المهن الرئيسة لعام ١٩٨٦، «اذ تمّ اصدار ٢٢٢ بطاقة للجنسيات العربية الاربع (اردني، فلسطيني، سوري، لبناني)، بمعدّل ٥٥ بطاقة للجنسية العربية الواحدة، بينما تمّ اصدار ١١٨٢٨ بطاقة للهنود، و٢٤٢١ بطاقة للباكستانيين، و٨٤٢ بطاقة للبريطانيين، و٦٣٧٦ بطاقة لآسيويين آخرين، و١١٣٦ بطاقة للكوريين والتايلنديين»(٢٠). وبامكاننا المقارنة بين

تلك الفروقات الهائلة والتعرّف على سياسة الحجر، والتحجيم للعمالة العربية، التي تعتبر واحدة من المشاكل الرئيسة بين حكومة البحرين ومنظمة العمل العربية، حول سياسة تعريب العمالة. هذا الموروث الاستعماري انفردت به، بشكل واضح وملموس، دولة البحرين، حتى بعد سنوات الاستقلال، خشية من شبح التفاعل العربي وتأثيره في مناخ الحركة السياسية في البلاد. وبهذا حافظت بريطانيا، عبر سياسة التخويف والتضخيم من خطر هذه الهجرة، على انفرادها بأسواق امبراطوريتها القديمة، حيث الاجور العالية والامتيازات الخيالية.

فلسطين في شعر البحرين

دون استثناء، سواء أكان الشعر كلاسيكياً أو حديثاً، والشاعر محافظاً أو محدثاً مفعماً بالحماس والافكار التقدمية، فالكل يلتقي عند مفترق الطرق المؤدي الى القضية الفلسطينية، فينفعل الجميع بها ومعها. ومهما اختلفت طريقة تعبير الشعراء ومواقفهم ورؤاهم، فهم يعانون من واقع المأساة، حيث نلمسها في مضمون اللغة ونبرة الخطاب والانفعال، وفي بنية النص الشعري. وهنا نقتطف بعض النماذج من الشعر البحراني التي تمثّل هذا الاتجاه، لنبرز، على سبيل المثال لا الحصر، درجة انفعال الانسان عبر الشعر في قضية مصيرية، كان لها أعمق الأثر في نفوس الجميع. فقد كتب الشاعر احمد بن محمد الخليفة، في احدى قصائده من ديوان «الغدران»، قبل هزيمة حزيران (يونيو) بسنوات، منادياً بتحرير فلسطين، بعد ان نفد الصبر واستهجن الانتظار والثرثرة الكلامية، بقوله:

بشّرونا هل ليوم الزحف نيّة ... يا دعاة الحق يا أهل الحميّة
ومتى الميعاد حتى تلتقي ... في فلسطين الجيوش العربية
قد سئمنا الصبر حتى اننا ... لم تعد فينا من الصبر بقيّة
وكرهنا كل قول بعده لم ... تنفذ خطوات عملية

ثمّ تابع منشداً:

يا نداء هزّ أسماع العلى ... وانتشت فيه الصناديد الأبيّة
لفلسطين دمانا في الوغى ... والدما اسمى شعار الوطنية

ولم يتوقف الشاعر عند هذه المناداة والاباء، أو استكفى بقصيدة واحدة، بل عاد، مجدّداً، في ديوان آخر بعنوان «هجير وسراب»، مذكّراً الجميع، ضمن قصيدة طويلة، بأرض الطهر والانبياء، محاولاً استنهاض الغضب والعزيمة حيال المظالم في فلسطين، حين أنشد:

يا فلسطين يا رؤى الانبياء الطهر ... يا مهبط الرضا والمراحم
ما لواديك يعصف البغي فيه ... وتراءت على ثراك المظالم

ومجّد الشاعر علي عبدالله خليفة، في نموذج القصيدة الحديثة، العمل الفدائي الفلسطيني، وأشاد بأمينة دحبور، في عملية زيوريخ، بقوله:

مسافرتان «لزيوريخ» عيناها
مسافرة قضيتها...
لكل مدائن الصبح

لترفع في ضمير العالم المنهار
صوت الرفض والعدل(٢١)

وساهم الشاعر المعروف عبدالرحمن رفيع بقصائده الشعبية الساخرة، بتحوّله، في اتون القضية، الى انسان جاد في قصيدته «من يوميات فدائي»:

غداً سيشيع بين الحي انك في فلسطينا
ويأتي الاهل والجيران منزلنا مهنّينا.

وهو في هذه القصيدة مشى في طريقه الى الفداء، الذي أصبح مفخرة للاهل، وتحوّل الى وسام للتهنئة والاشادة، فواصل وعده ووعيده، في لغة الفدائي، الذي لن يعرف الاستكانة والراحة، ولن يترك العدو يهنأ بها، حين ردّد:

فيا صهيون لا تغفو
فان الليل لن يصفو
فؤادي جمرة حمراء
لا تخبو ولا تصفو
سأجرح ليلك الداجي بنبراتي
وافزع صمتك الساجي بطوفاني

وأعطى الشاعر قاسم حدّاد اهتماماً عميقاً بالقضية الفلسطينية في مجموعة أبيات، متناثرة هنا وهناك في قصائده، سواء التي كتبها في بداياته الشعرية، أو في تطوّره اللاحق. الّا ان جميعها ظلّت تحمل روح الاستشراف بالمستقبل، وغضب التمرّد والاحتجاج، والنزعة الشمولية للمشاكل الكونية. كتب في ديوانه «البشارة»، الذي أُصدر في العام ١٩٧٠، ما يلي:

الحرب في فيتنام
وفي فلسطين فتيل مدفع يركض للسلام
الحرب في روما وافريقيا وباكستان
الحرب في الخليج والسلاح في ايران
تهدم العرش على ساحته وتسحق السلطان

ولكم تغيّرت أوضاع سياسية، واجتماعية، ودولية، منذ زمن كتابة القصيدة حتى يومنا هذا، وظلّت القضية الفلسطينية واحدة من أهمّ القضايا، بانتظار تحقيق نبوءة السلام في المنطقة، بازالة فتيل القتل والابادة والعدوان. فالخليج لم يشهد فترة سلم منذ تدخّل ايران في قمع حرب التحرير في عُمان. وبعد ذلك دخلت المنطقة، من جديد، في الحرب العراقية ـ الايرانية. وبعد استراحة سلم قصيرة حدث الغزو العراقي للكويت. وعلى الرغم من انتصار الفيتنام، وسقوط عرش الشاه، وغليان واهتزاز البلدان الاخرى، والفواجع الدامية التي عاشها الخليج، بضفافه وشعوبه، بقيت هذه الاحداث، كلها، طارئة في الحدث والمجرى التاريخي، قياساً بالقضية الفلسطينية. ان مخيلة الشاعر وحلمه بأن يشهد الخليج سلماً دائماً ما زالت حيّة بشرط تهديم الظلم وبناء مجتمعات العدالة. امّا الشاعر الكبير ابراهيم العريض، فقد انفرد بملحمة شعرية من خمسة فصول، حملت اسم «ارض الشهداء»، والمقصود بها أرض فلسطين. وعلى الرغم ممّا تتمتّع به الابيات الشعرية من بلاغة لغوية،

وجمال، وسلاسة، وبساطة، ووضوح، فان الاجمل والاكثر اثارة لنا ذلك الاهداء الجميل الذي قدّمه الشاعر، بروحه المشبعة بالتفاؤل، لأكثر من عقدين، حين كتب «الى الذين سيغسلون، بدمائهم، عار الابد ولعنة الاجيال؛ الى محرّري فلسطين في المستقبل»؛ وكأن الشاعر يهدي هذه المقدّمة الى اطفال الانتفاضة بدون موعد محدّد مع الزمن، بقدر ما هو ايمان تلقائي بالحتمية.

للأغنية البحرانية مداراتها

ما زالت ذاكرتنا طريّة، نحن الجيل الذي رافق، منذ طفولته، الاغنيات التي خلقت مع نكبة فلسطين، والتي، بين الفينة والفينة، وبالذات في فترة ازدهار الناصرية، كنّا نسمعها في الاعراس والمناسبات، خصوصاً من الفرق الشعبية المحرّقية التي كانت تهزج احياناً بعبارة «الله ينصر فلسطين»، كجزء من مقاطع أغنية طويلة، أو لازمة من لوازمها الفنية؛ مثلما ظلت المخيّلة، لأكثر من عقود، في منطقة الحورة، تتذكر أغنية شعبية مقاطعها تقول:

خربوا في البحرين يوم الربوع ربشه على خزاين «بني» وسبايبك يا فلسطين[٢٢]

وهذا المطلع جزء من أغنية وطنية تشيد بالعرب، وبأمجادهم. وقد تفجّرت هذه الاغنية نتيجة تقسيم فلسطين واقامة الكيان الاسرائيلي في العام ١٩٤٨، ممّا أثار غضب أهالي البحرين حيال اليهود المقيمين فيها، فأحرق البحرانيون بيوتهم، ونهبوها، ممّا دفع جزءاً منهم الى الهرب من البحرين (هناك آراء مفادها ان هذه الحرائق تمّت بدوافع مدروسة من اجل دفع اليهود الى الهجرة الى فلسطين؛ وهناك اصابع عديدة متّهمة في هذه العملية). وهي الفترة عينها التي شهدت البلاد خلالها التظاهرات التي رفع فيها علم فلسطين وانفجار الاحتجاجات، والاضطرابات العمّالية، والتحرّكات الشعبية ضد الوجود الاستعماري، ودوره المساند لقرارات التقسيم والاستيطان الصهيوني. فقد «تفجّرت المشاعر الوطنية لدى الشعب البحراني، وخرج بتظاهرات عارمة، مستنكراً قرارات التقسيم، ومحتجاً على عجز الحكام العرب عن حماية الارض المقدسة»[٢٣].

وها هي الاغنية الحديثة تواصل مسيرتها الغنائية للقضية الفلسطينية، بقوالب وصيغ فنية جديدة، محاولة التأثير الروحي والعاطفي والسياسي الواسع في مستمعي الاغنية، بهدف نقل الذاكرة العربية الى حساسية وشعور نغمي مختلف لم تعتاده، وتشنيف اذن المستمع على نمط غنائي يتجاوز لغة التطريب والغوص والتأمل والانفعال الداخلي. فقد انتهجت فرقة «اجراس» البحرانية اسلوباً غنائياً فنياً متميّزاً، اعتمد، في غالبيته، على الشعر الفلسطيني والكلمة الجادّة، في أكثر من ثلاثة أشرطة، وبتوظيف قصائد لشعراء معروفين، أمثال محمود درويش وسميح القاسم وتوفيق زياد وراشد حسين وسهام عيطور شاهين وغيرهم. وعلى الرغم من حداثة عمر الفرقة، الّا انها رسّخت جذورها محلياً وخليجياً، وتتعزّز مكانتها تدريجياً في الوسط العربي، مؤكدة ان رسالة الاغنية هدف انساني وثقافي وجمالي نبيل، ولن يتمّ تحقيقه وسط الاسفاف الثقافي، الّا بالصبر والمثابرة، بحثاً عن النوعي، واعتماداً على المعرفة والعلم والذوق والحسّ السليم.

القضية الفلسطينية في القصّة

احتلت قضايا مصيرية للانسان والمجتمع مكانة خاصة في القصص البحرانية، وكان من ضمنها القضية المصيرية العربية الكبرى ـ القضية الفلسطينية، التي تباينت في حيّزها، من حيث السياق القصصي وابداعه النثري بين قاص وآخر، حسب تجربته الذاتية وتفاعله مع القضايا القومية.

فاذا اكتفى البعض بالاشـارية، كجزء من الاسقاط اللاشعوري في تداعيات الشخصية، أو ذاكرة المؤلف، أو ضمن اطارات الوصف المشهدي، أو عبر الحوارات المقتضبة، فان القضية الفلسطينية، لدى البعض الآخر من كتّاب القصة البحرانية، هي أكثر من جرح وهمّ عربي غائر في الضمير. لقد برزت القضية الفلسطينية في خلق وبناء الشخصيات، هاجساً، وحالة، وموقفاً نقدياً للموقف العربي العام، بسبب الاحباط والشعور بالتراجع، جرّاء الهزيمة تلو الهزيمة.

لقد حاول بعض الكتاب ان يسجّلوا ادانتهم لذواتهم اولاً، وللذات العربية المستكفية بمراقبة هذه القضية باستكانة وسلبية، ثانياً. فالقاص امين صالح، رسم لنا، في روايته «اغنية أ. ص. الاولى»، مشهد المقهى، وهو المكان المفضّل لديه، لبناء نسيج حواري، ووصفي، فكتب: «ثمّة مقاعد شاغرة تتراهن في حلبة الشطرنج، وصبي المقهى يرهن ما ادّخره في سنواته العشرين، ولكن لا احد يربح؛ اذ سرعان ما يتشاجر اللاعبان وتنقلب المقاعد؛ صبي المقهى يفرش الاباريق والاكواب ويعيد المقاعد الى مكانها؛ رجل وحده، لاصقاً وجهه بالحائط لساعات طويلة؛ مجموعة من الطلبة الجامعيين يناقشون، بعصبيـة وانفعـال، لمدة خمس دقـائق، الثـورة الجنسية، انحسار نشاط التوباماروس، الاوضاع الاقتصادية في الهند، جولات فالدهايم السياحية، اسعار تذاكر السفر المرتفعة، واقع القضية والثورة الفلسطينية»[٢٤]. الامر الهام، هنا، هو الشريحة الاجتماعية، وطبيعتها في التعاطي مع القضية؛ فكأننا نستمع الى نشرة أخبار صباحية سريعة الايجاز وموحية بما فيه الكفاية للايغال في ما وراء النص. فأمـين صالح لا يقوم بتحليل شخصياته ولا أفكارهم، وانما يكثّف لنا الحالة والمناخ العام، موحياً وخالقاً الانفعال والحركة والتأمّل للقارىء، لمعايشة المقهى من داخله. وفي الصفحة ٦٥ من الرواية ذاتها حدّثنا أ.ص. بالرموز الاشارية التي نستدل عليها كدلالات مرتبطة بمفاهيم عامة تمّ التعارف عليها، بل وأصبحت، أحياناً، مفردات خاصة للدلالة على حياة الفلسطيني والثورة. كتب: «عروقي نافرة اقحمها في الملاجىء والمخابىء، في الاحياء والمخيمات، شاهراً أوردتي المضخّمة بالحلم بايقاعات الثورة». كذلك، كشف صالح، بلغته السريالية والشاعرية، عن عالم مؤلم، نستشفّ من مفاتيحه انه عالم فلسـطيني اعتدنا على ادراك جوهر مفرداته اللغوية. ففي نصّه «الخسوف»، الوارد في كتاب «نـدماء المرفأ ندماء الريح»، كتب: «قرأنا كتاب الاحتلال وأيام المجاعة والجواسيس. قالوا: كفى، وبكوا. ساروا جماعات في رواق الغبار حتى طمرهم الماء» (ص ٢٢). امّا في «مرضعات المأساة»، فقد ابتدع صالح نصّاً بلغة شعرية، أشبه بوثيقة ادانة منها كنص قصصي. فهو نحى منحى كتابة مشاعره وانفعالاته ازاء الوضع العربي المحزن، الذي يحاصر «المأساة»: «من لنا في هذا العراء الابكم غير طعم بكائكم يا رضّع المنافي. بين أسناننا الشائخة، نحن اللائي نطلق النشيد بعد النشيد، نحترف الانتظار والغياب من حافة الكهف؛ الكهف الأبعد غوراً والاكثر ظلمة؛ رمينا باقات المأساة من ارخبيل الافواه، أفواهنا الملأى غباراً، سكبنا حكايات الانين عن النزوح المقدّس لحشود يضيء دربها الليل؛ عن المدّ البازغ من حلمة صبية تسوق الحجارة جنوباً؛ عن المعارك النبيلة ودناءة الولاة؛ عن مقبض اللهب، فحولة اللغة، صولجان التعب» (ص ٤٩).

ومع هذه اللغة ذات المخيلة اليقظة، والاسترسال المطرد، بين حبكة جاءت عفوية وأخرى مفتعلة مصنوعة بحرفية قاموسية أكثر منها انفعالاً وتدفّقاً تلقائياً وداخلياً، يرمي هذا النص بظلاله المترامية على جغرافية المقاتل اللبناني والفلسطيني في الجنوب أو في مناطق شتات المأساة، فيعود أمين صالح يحفرها في ارادة الطبيعة القاسية التي تميّزت بعشق خاص: «حتى شجرة الزيتون التي كنت تسندين ظهـرك اليهـا، اثنـاء ساعـات انتظارك، يئست ونكست اصابعها جزعاً» (ص ٦٥). هذا الانتظار

ليس اعتيادياً للنزهة مع رجل قادم من مكاتب معطّرة، وانما انتظار رجل محارب، له ملامح وخصائص انسانية يأتي في الفصول الاربعة.

القاص عبدالقادر عقيل تناول، في ثلاثة قصص قصيرة من مجموعته الاولى «استغاثات في العالم الوحشي»، القضية الفلسطينية بمعالجات مختلفة، تهكمية ولاذعة ونقدية، مستلهماً التراث عبر شخصية صلاح الدين التاريخية، وعصرنة الحكاية، وبعثها من رفات الموت، واستنطاقها، وكأننا نوقظ ذاكرتنا وفعلها التاريخي الناتج عن عجز الواقع، بقوله: «صلاح الدين احد الذين لم يطيقوا صبراً، حين سمعوا أنباء حزينة عن اغتصاب اراض عربية، فقام من رقاده الطويل نافضاً عنه غبار السنوات الماضية، وتقلّد سيفه البتار، وصرخ صرخة اهتزت لها أضرحة الموتى: ' خذلتكم كثرتكم ايها الجبناء' »[٣٥]. وفي حوار مقتضب ما بين صلاح الدين والضابط، من طريق استخدام اسلوب الاسقاط التاريخي والآني في تمثّل الضابط كرمز لقمع بعض الانظمة العربية، صرخ صلاح الدين:

« ـ لن يسقط السيف من يدي حتى تتحرر الارض.

« ـ أرض من؟

« ـ اراضينا المغتصبة.

«ابتسم الضابط في سخرية، بينما اقترب منه شرطي، قائلاً:

« ـ سيدي، هل نطلق عليه النار؟

« ـ قلت لا. ثمّ عاود كلامه مع صلاح الدين:

« ـ هل تقصد فلسطين؟

« ـ نعم...

« ـ حتماً أنت غير راض بهذا الوضع؟

« ـ أبداً...

« ـ اذن سنجمع لك بعض الصحفيين لتصدر بياناً تستنكر فيه العدوان.

« ـ وفلسطين؟

« ـ الامم المتحدة كفيلة بحل مشكلتها.

« ـ أنا اقول ان سيفي هو حلّال المشاكل.

«قال الضابط باستهزاء وازدراء: وماذا نفعل لو استرجعنا فلسطين؟

«بصق صلاح الدين في وجهه قائلاً: جبناء».

ان مرارة صلاح الدين (الرمز) المقاتل لرؤيته الناس تضحك منه قبل أي شيء آخر هو الفاجعة، وكأن القضية تحوّلت الى اضحوكة، أو مهزلة تاريخية، مثلما أخذ سلطان يضحك من زميله سعد في قصة «الضحك»، وهو الذي كان يتألم من حياته السلبية، ويعاني من فراغه الروحي، حين قال لصديقه: «أفكّر جدياً بأن أعمل شيئاً نافعاً يذكرني الناس به»[٣٦]؛ فيقرّر، فعلاً، ان يسافر الى فلسطين. ويتعجّب وازدراء من جانب سلطان، الذي أخذ يضحك الى درجة دمعت عيناه وهو يشير

اليه مستهجناً: «انت تحرّر فلسطين؟!» وكاد سعد يقتله من شدة الغيظ والغضب. امّا في قصة «الوجه الآخر» من المجموعة ذاتها، التي صيغت على شكل مجموعة لوحات فنية متناثرة، فقد رسم فيها القاص، بالكلمات، تداعيات مختلفة كجزء من ذكرياته الشخصية. وكعادته، اهتمّ عقيل برصد الظواهر الاجتماعية والسياسية، والتقط منها الجوانب المبكية والمضحكة، فسخر منها بالفكاهة، عندما قال المدير: «لن تستلموا شهاداتكم قبل ان تدفعوا للمجهود الحربي... ستدفعون ما لم نسترجع فلسطين» (ص ٦٨). امّا هذه الصورة التراجيدية للصخب الاعلامي حول المجهود الحربي، والذي استنزف ميزانية الطلاب واستنزف فيه شعور الفرد القومي، وتمّ تزييفه الى درجة ارتد عكسياً الى موقف مضاد وارتيابي على مدار سنوات طويلة حتى فقد مصداقيته، لأن الفرد العربي واصل الدفع للقضية بدون ان يسأل، وقد ظلت مصادر التمويل مجهولة احياناً بسبب طبيعة العلاقة ما بين الجماهير والانظمة القائمة على القرارات الفوقية والتعسّفية وانتشار ظاهرة السرقة والفساد والرشوة. وما دائرة العلاقة بين المدير والطلاب الاّ غلافاً تمويهياً لوجود دائرة أوسع في المجتمع، تمارس ذات الفعل ونفس السلوك وترتدي ذات الملابس وتنطق بلسان وألفاظ مماثلة.

وفي «ثلاث أغنيات على فم التاريخ»، للقاص محمد الماجد، نلمس بكائية وجودية، ويائسة، تفيض فيها آلامة ولغته الرومانسية المشحونة بالتصدّع والحسرة على ماضي المجد العربي، وضياع الارض، وتدنيس الشرف والكرامة، في قوله: «وأخيراً أخذتني جيوش الطغاة أسيراً، وراحت تجرح وجهي بحوافر خيولها. وحين ضاع فردوسي الذي اقتطعته من قلب التاريخ، وحين رأيت مدائني رماداً تذروها الرياح، وأطفالي كتلاً من اللحم مهروسة على الرماح، ونسائي عاريات في أحضان الطغاة، بكيت، واحترق قلبي من البكاء»[٢٧]. هذا هو الخيار الصادق مع النفس، الانهزامي بدون ادعاء البطولة المزيّفة. انه بكاء على واقع الاغتصاب والاحتلال.

وتتكرّر مأساة المثقف العربي عند الماجد بعد هزيمة حزيران، ممّا دفع البطل الى التواري خلف الهزيمة، كسيراً ومحطماً ومنغمساً في الادمان الكحولي، كنموذج للشخصية السلبية، بدلاً من مواجهة حقيقة الهزيمة، والخروج من مأزقها، فنسمع «بطل محمد الماجد» صوتاً واتجاهاً يتردّد في فضاء الواقع العربي بقوله: «لم يبق أمامنا سوى الصمت والموت البطيء» في حوارية الادانة والتشاؤم:

« ـ انكم تحاولون خلع اعينكم، لكي لا تمزّقكم رؤية الحقيقة.

« ـ أي حقيقة؟

« ـ سيحدّثكم عن ٥ حزيران والانسان العربي الجديد.

« ـ كفى، انتم تعرفونها.

« ـ نحن نعرفها، وانت تعرفها، حتى الكلاب تعرفها، ولكن من الذي يقولها؟ هذا هو السؤال. من الذي يقولها؟ انغرزت في الصمت مسحوقاً بخيبة مرة. انني مثل الجميع، لي ضلع في الجريمة» (ص ٨٥). فالماجد لا يبرر لنفسه، كما يفعل الآخرون، بقدر اعترافه وتعرية النفس من الداخل، كواحد من مئات المثقفين الذين وقفوا خلف «منصّة المشاهدة» يراقبون صور القتل والذبح والهزيمة دون ان يحرّكوا ساكناً؛ هذا اذا لم نقل انهم، كأشخاص وكشريحة اجتماعية، شركاء في جريمة الصمت والتبرير.

وعند القاصّة فوزية رشيد، نتعرّف على المناخ المشابه في أوصافه لمناخات وظلال خلف احمد خلف وأمين صالح، حتى وانْ لم نجد اشارة مباشرة واضحة ذات بعد دلالي لحياة الجنوب اللبناني او

المقـاتـل الفلسطيني هناك. وانْ تشابهت الظروف والملامح، فان البعد الزمني في الذكرى يتجاوز، احياناً، في النص، الزمن القريب، وكأن الاشجار ورمز الجد ضاربة في جذور التاريخ، نشعر بها في انفتاحات ذاكرة النص، بقولها، على لسان الراوية في قصة «كيف صار الاخضر حجراً»: «أذكر ذاك الضيـاء المنبعث من نافذة بيتنا، مطلاً على روابي خضراء وسهول فسيحة كامتداد السماء. امّي تشذّب لحاء الشجرة الكبيرة، وتقول ان جدّنا الاكبر حرث الارض الصغيرة تلك ونثر فيها البذور حتى ترعـرعت وأصبحت شجـرة تين ضخمـة، ثمّ نمـا الزيتون والبرتقال وتشرّبت التربة بنكهة الشوك والصبّار. يومها كنت صغيراً، وكنت ألهو واقتطع الثمار قبل نضجها، فما كان من أمي الّا ان وبختني بعنف»(٢٨).

وواصلت القاصة، على لسان الأم، وصيّتها العظيمة كترميز دلالي واضح للقضية: «كن محبّاً لأرضك ولكل الاشجار». لغة آمرة ومستبدة وقاسية من اجل التشبّث. هنا التضاريس ليست خليجية، وهي بسيطة للغاية في استبطان الحقيقة المصوّرة كقصة رجل من المقاومة يسقط في يد الاعداء بعد استشهـاد مجمـوعة من رفاق الدرب وهو يستدعي ذكرياته في الزنزانة بين حالة الحلم والغيبوبة. اختتمت فوزية رشيد القصة بنبرة انفعالية وخطابية مركّبة باقتحام البناء الفني تعسّفاً، بقولها: «لم يبق بعد الآن غير الحجر والكراهية لأولئك السفلة تملأ عروقي حتى النهاية» (ص ٤٠).

وعند خلف احمد خلف تأخذ القضية بعداً أعمق وتأثّراً شخصياً. فقد عاشها الكاتب، وتفاعل معها وجدانياً، من خلال قراءته الأولى للقصص الفلسطينية، أو عبر الانتماء القومي الذي رافقه في الصحو والحلم، فكتب قصة قصيرة بعنوان «وجهان وفأر مذعور»(٢٩) وظّف فيها تقنية الرمز، من خلال انشـطار الشخصية الى وجهين في ثنائية متناقضة، صراعية، تعتمد على حافز الاثارة. وحول هذه القصة، أشار الناقد د. ابراهيم غلوم الى أهمية «ادراك قيمة مثل هذه العلاقة في ترسيخ النماذج بين الواقع والرمز، أولاً، وفي أبعاد المقاربة المباشرة عن المضمون القومي، ثانياً»(٣٠).

وبعد انقطاع عقد كامل ما بين مجموعته الاولى، أطلّ علينا خلف بقصة «خوارج الزمن الآتي» في مجموعته الثانية «فيزنار»، جسّد فيها، من خلال دلالية الرموز في الاسماء والاضاءات، جبروت القضيـة واستمرارها بتكثيف لغوي، وبنفس أكثر تفاؤلاً، وبوضوح رؤيا ونسيج سهل التوغّل فيه وادراك كنهه. فهناك الخيمة والأب «ماضي» والابن «مقبل» اشارة الى استمرارية الزمن والقضية، من الماضي الى المستقبل، والظروف القاهرة التي ولد فيها الابن واغتصاب الارض. شخصية الأم ذلك الترميز الدائم للاخصاب والعطاء والقوة والارض، والتي حاول الاعداء حقنها لتصبح عاقراً، «لواد النسبة المئوية»، الالغام المحاطة من «الجوانب الثلاثة»، بحيث يبقى الخيار الاخير والأوحد الاكثر خطورة في الواقع العربي. واستخدم خلف الامتداد البصري / المجال للايحاء بالمكان والمدى بعبارة «هناك عبر كثبان الرمل كنّا نعيش»، وعبارة «كانت لنا بيوت، لا أدري ان كنت تعرف معنى البيت. لم يكن خيمة. اغتصبوا أقدس عواصمنا. تسألني ان بقي ثمّة احد منا في المدن المسبية» (اشارة لسقوط بيروت). وما بين لعنة وحسرة الأب وتشرده في الصحراء وقبوله بالخطأ في الرحيل والهجرة، ينتزع «مقبل الابن فتيل التمرّد ويحوّله الى حالة فعل أكثر ثورية ومنهجية في معرفة طريقة الجديد. يلتقي بحامد الفلسطيني [بطل ' ما تبقى لكم ' ، لغسان كنفاني] في خروجه الثاني. يتصافحان ويتعاهدان، يبدآن سوياً من الآن. لن يكون لواحد منهما خيمة الصحراء، وللآخر نعيم السراب. من الآن يبدآن، سوياً، مع الفجر الآتي، في اقتحام ممالك الطوائف وشيوخ القبائل، قبل قلاع الاعداء»(٣١).

هنـا نلمس، بوضـوح، تأثيرات قصص غسـان كنفـاني، مثل رواية «ما تبقّى لكم» و«أرض

البرتقال الحزين» و«رجال تحت الشمس». فهي البدايات الاولى التي تفتقت فيها تجربة الكاتب على رؤية الواقع الحقيقي لحياة الفلسطينيين، وأثّرت في جيل الروّاد للقصة الواقعية القصيرة في البحرين في فترة الستينات، حيث اعتبرت كتب كنفاني القصصية، في تلك المرحلة، جزءاً من التثقيف الادبي للفكر القومي، وتعرّف عليها الادباء الشباب يومذاك، مثلما كان الشيوعيون يبدأون بقصص جورج حنا ومكسيم غوركي، كقصص ثورية تلهب حماس الشبيبة، وتعيد صياغة فكرهم، عبر منظور الادب.

أمّا في قصة «منصور» للقاص محمد عبدالملك، فقد جعلنا نتألّم مع هذه الشخصية ونحبها في الوقت ذاته. فهي توقظ فينا جرحاً دفيناً. انها نموذج لمئات الشخصيات العربية الشعبية لفترة الاربعينات والخمسينات، التي حملت، بشعورها وضميرها القومي، ذكريات عزيزة في مقارعة الاستعمار. هذه الشخصية تعيش بداخلها صور مأساوية. فعلى الرغم من التصوير الخارجي للقاص، الذي كان مركّزاً على مظاهر الاضحاك والكاريكاتيرية، فالناس لا تعرف دخيلة منصور وماضيه الوطني. فقد أصبح حكاية منسيّة وتحوّل الى شيخ عجوز «يعمل فرّاشاً في الوزارة، يحمل الورق بين المكاتب»، ولكنه مسكون بماضيه وضميره الحي المتوقّد؛ لذا «جاء الى الوزارة في ٦ [حزيران] يونيو وهو يرتدي قبعة عسكرية وقدماه حافيتان، فأثار عواصف من الضحك والسخرية»(٣٢). وقد استلهم عبدالملك قصته من ذلك اليوم الذي «أعلنت فيه ساعة توقّف عن العمل تضامناً مع فلسطين»، فنرى عبر تلك الشخصية كيف يقف الراوية / المؤلف موجّهاً نقده الى الموقف العربي العام من القضية، مستخدماً «حكمة وجنون» منصور، الذي فقد الوظيفة، بسبب الاصرار على موقفه الشجاع والصدامي مع مدير الوزارة. وقد اختار الكاتب نبرة السخرية في رصد الظاهرة وسرده للاحداث. فبمجرد ما نتمعّن قليلاً في نسيج القصة وحواراتها نرثي لحالنا بدلاً من الضحك على منصور. «كنّا قبل سنوات نضحك من منصور؛ ثمّ علّمنا ان نفكر، فصرنا نضحك ونفكر؛ ثمّ علّمنا ان نحزن، فجمعنا ثلاثة أشياء في حياتنا؛ ثمّ أضاف، ذات يوم، كلمته الشهيرة: 'الحركة بركة'» (ص ٩٥). وبهذا يؤكد الكاتب ان قوة الكوميديا تنبثق «من الاختيار التهكّمي للكلمات؛ من عرض سخافة الانسان في دناءته وازاء الصعوبات التي يواجهها»(٣٣).

وقد شاطر القاص عبدالقادر عقيل زميله محمد عبدالملك هذا النمط في المزج بين اللغة ونبرتها والشكل الدلالي للمحتوى بين «القسوة والفكاهة». كذلك نجدها في القصص آنفة الذكر، أو في غيرها من النتاجات القصصية الاخرى التي وردت في المجموعات الصادرة، سابقاً أو لاحقاً.

استنتاجات

في ما اقتطفنا من نصوص للكتاب البحرانيين، نجد ان القضية الفلسطينية احتلّت حيّزاً متفاوتاً في ذاكرة ووعي الكاتب. وقد تتّسع، أو تضيق، دائرة الاهتمام والطرح بين كاتب وآخر، الّا انها تظل، لدى الجميع، مسألة جوهرية تعذّب ضمائرهم وتهزّ كياناتهم بين فترة وأخرى، حسب مجريات الاحداث التي تحرّكها من القاع الى السطح الحياتي الواقعي، بعد ان تمكث كامنة في اللاشعور، تبحث عن ينبوع الانفجار والمولد الموضوعي والخارجي للحظة الابداع. وهذا، في الواقع، يحتاج الى ما يتجاوز الوعاء القصصي الى الوعاء الروائي. بهذا الحجم يكون قالبها ومحورها بطل قومي من النموذج المرغوب في الادب البحراني.

نخلص الى القول ان هناك تفاعلاً تاريخياً عميقاً بين الحركة الشعبية وثقافتها وفنونها وآدابها وتياراتها الدينية والقومية والوطنية في البحرين وبين القضية الفلسطينية والفلسطينيين قبل

اقـامـة اسرائيـل بعقـود. وقد ازداد هذا التفاعل بعد ذلك، خصوصاً بعد ظاهرة «هجرة اللاجئين الفلسطينيين» بكثافة الى منطقة الخليج، وبشكل محدود ومقنّن ومحاصر في جزيرة البحرين. وقد تأثّر الفلسـطينيـون، سلباً وايجاباً، بواقع الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية في تلك المنطقة. وامتهنوا وظائف مختلفة ومتباينة، الى جانب دورهم الحضاري والمؤثر والبنّاء فيها، من خلال تواجدهم الطويل، ومشاركتهم في المرافق المختلفة. وارتبطت ظاهرة الهجرة سياسياً بشكل طردي، من حيث كثافة اعداد المهاجرين بسبب تردّي الاوضاع في مصادر ومنشأ المشكلة، من جهة، ومع حالة اكتشاف النفط وتوفّر فرص العمل اقتصادياً في منطقة الخليج والجزيرة العربية، واحتياجات سوق العمل للكادر الفنّي والمهني المؤهل، من جهة أخرى. كما حاولت السلطات البريطانية، والمحلية، التحكّم والسيطرة على ظاهرة الهجرة، وعلى تدفّق المهاجرين العرب عموماً، والفلسطينيين خصوصاً، بقدر الامكان، خوفاً من التأثير السياسي والفكري في سكان المنطقة. وعلى الرغم من وجود الانسان الفلسطيني في مهن عديدة، الاّ انـه تميّز، في البحرين خصوصاً، والخليج عموماً، بتواجده في سلك التعليم، واسهامه في تطوير الثقافة والتعليم، ثمّ توسّع، في مراحل لاحقة مع الطفرات النفطية، الى مجالات التجارة والخدمات الحكومية والخاصة.

---

(١) د. باقـر النجـار، «سيـاسـة التـوظيف في الشركـات النفـطيـة بدول الخليج العربي»، **دراسات الخليـج والجـزيـرة العـربيـة** (الكويت)، العدد ٤٨، ١٩٨٦، ص ١٣١.

(٢) جليـل منصور العريض، **صحافة البحرين: دراسـات في ادب البحـرين**، القـاهرة: معهد البحوث والدراسات العربية، ١٩٧٩، ص ٥٠.

(٣) كان اسمه ابراهيم افندي نوح. للمزيد عنه، انـظر مبارك الخاطر، **نابغة البحرين عبدالله الزايد: حيـاتـه وأعمـاله، ١٨٩٤ ـ ١٩٤٥**، المنـامـة: وزارة الاعلام، الطبعة الثانية، ١٩٨٨، ص ٦٥ و٩٠.

(٤) العريض، **مصدر سبق ذكره**، ص ١٢١.

(٥) شفيق الحـوت، **عشرون عاماً في م.ت.ف.** بيروت: دار الاستقلال للدراسات والنشر، ١٩٨٦، ص ٣٠.

(٦) د. علي ابا حسين، «صفحات من تاريخ تعليم المـرأة في البحـرين» **الوثيقـة** (المنـامة)، العدد ١٤، ١٩٨٩، ص ٢٣.

(٧) د. ابراهيم غلوم، **ظواهر التجربة المسرحية في البحرين**، الكويت: الربيعان للنشر والتوزيع، ١٩٨٢، ص ١٨.

(٨) احمـد جمعة، **ابو نواس يرقص الديسكو**، بيروت: دار الفارابي، ١٩٨٢، ص ٦.

(٩) العريض، **مصدر سبق ذكره**، ص ٨٨.

(١٠) **المصدر نفسه**، ص ٢٥.

(١١) **المصدر نفسه**، ص ٨٩.

(١٢) خالد البسّام، **تلك الايام**، المنامة: مطبوعات بانوراما الخليج، ١٩٨٦، ص ٢٣.

(١٣) الحوت، **مصدر سبق ذكره**، ص ٤٥.

(١٤) البسّام، **مصدر سبق ذكره**، ص ٤٩.

(١٥) النجار، **مصدر سبق ذكره**، ص ٩٧.

(١٦) **المصدر نفسه**.

(١٧) **المصدر نفسه**.

(١٨) **المصدر نفسه**، ص ١٠٨.

(١٩) **المجمـوعـة الاحصـائيـة**، دولة البحرين ـ الجهاز المركزي للاحصاء، كانون الاول (ديسمبر) ١٩٨٧، ص ١٨٨.

(٢٠) **المصدر نفسه**، ص ١٥٨.

(٢١) علي عبـدالله خليفـة، **انـين الصـواري**، المنامة: دار الغد، ١٩٧٤، ص ٢١.

(٢٢) «الربوع»: يوم الاربعاء (من الاحتمالات

ان الاغنية مصدرها يماني بسبب نبرة الالفاظ).
«ربشة»: ارتباك واضطراب. «خزاين»: جمع خزانة (مفادها حين هاجم الاهالي بيوت اليهود وأحرقوها).
«بني»: اشارة الى بني صهيون، او بني اسرائيل.
«سبابيك»: بأسبابك.

(٢٣) لمزيد من التفاصيل، انظر احمد عبيدلي، «جوانب من تاريخ القضية الفلسطينية في البحرين، ١٩٣٦ ـ ١٩٥٦»، **شؤون فلسطينية**، العدد ١٢٠، تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٨١.

(٢٤) أمين صالح، **اغنية أ. ص. الاولى**، بيروت: دار الفارابي، ١٩٨٢، ص ٣.

(٢٥) عبدالقادر عقيل، **استغاثات في العالم الوحشي**، المنامة: دار الغد للنشر والتوزيع، ١٩٧٩، ص ٢٦.

(٢٦) **المصدر نفسه**، ص ٣٤.

(٢٧) محمد الماجد، **مقاطع من سيمفونية حزينة** الكويت: مطبعة حكومة الكويت، ١٩٧٠، ص ٥٥.

(٢٨) فوزية رشيد، **كيف صار الاخضر حجراً**، دمشق: اتحاد الكتاب العرب، ١٩٨٨، ص ٣١ ـ ٣٢.

(٢٩) احمد محمد عطية، **كلمات من جزر اللؤلؤ: دراسة في ادب البحرين الحديث**، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٨، ص ٥٦.

(٣٠) د. ابراهيم غلوم، **القصة القصيرة في دول مجلس التعاون وقضايا بلورة الهوية القومية**، الكويت: الملتقى الادبي للقصة القصيرة في دول مجلس التعاون، ١٩٨٩، ص ٤١.

(٣١) خلف احمد خلف، **فيزنار**، بيروت: دار الفارابي، بيروت، ١٩٨٨، ص ١٠.

(٣٢) محمد عبدالملك، قصة «منصور» في مجموعة **النهر يجري**، المنامة: المطبعة الشرقية، ١٩٨٤، ص ٨٩.

(٣٣) جورج ونخ، **ديكنز**، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨٠، ص ١٢٨.

اسرائيل وأطماعها المائية في المنطقة العربية

د. جمال مظلوم

تطلّعت الصهيونية، منذ بداية التفكير في اقامة اسرائيل، في نهاية القرن الماضي، الى المياه العربية. بل ان تخطيط حدود الدولة، منذ البداية، شمل منابع أنهار عربية عدّة في المنطقة. وظلّت اسرائيل، عاماً بعد عام، تخطّط لأعمالها العدوانية، من أجل الحصول على مزيد من المياه العربية، كان آخرها الغزو الاسرائيلي لجنوب لبنان في العام ١٩٨٢. واستمرت محاولاتها لتحويل مياه أنهار الجنوب، منذ هذا التاريخ، وكان آخر ما تردّد، على هذا الصعيد، رصد قيام خبراء اسرائيليين، في نيسان (ابريل) ١٩٩٠، بتركيب مضخّات ضخمة على مجرى نهر الليطاني، شمال جسر الخردلي، ومدّ انبوبين، احدهما كان يضخّ النفط الخام الى مصفاة الزهراني مروراً بمرتفعات الجولان السورية المحتلة، والثاني كان موجوداً منذ ٤٠ عاماً، لضخّ مياه الليطاني الى مستعمرة المطلة، القريبة من الحدود الجنوبية اللبنانية. كما ان اسرائيل أقامت عدداً من الخزّانات الضخمة على مرتفعات جبلية، احدها قريب من فاصل الشريط الحدودي، مهمّته تجميع المياه المتدفّقة من النهر، ثمّ توزيعها، في أنابيب، على مزارع وأحواض، بعضها لتربية الاسماك، وبعضها الآخر لتوليد الطاقة الكهربائية. وفي أيار (مايو) ١٩٩٠، شوهد ضباط وخبراء اسرائيليون يتفقدون نهر الحاصباني، أيضاً، في جنوب لبنان[1].

وفي الخامس عشر من تموز (يوليو) ١٩٩٠، أُذيع ان اسرائيل اقتطعت جزءاً من الاراضي اللبنانية على محور الغجر ـ الوزاني، وغيّرت معالم الارض في محيط مجرى منبع الوزاني؛ كما طالبت الحكومة اللبنانية الامم المتحدة بالتحقيق في المعلومات التي ذكرت ان اسرائيل تعمل على سرقة المياه اللبنانية، وهي تطمع بوضع يدها على نهري الليطاني والحاصباني، لزيادة مردودها من المياه، بسبب الشحّ الذي واجهته في صيف العام ١٩٩٠، خصوصاً مع وصول دفعات كبيرة من المهاجرين اليهود السوفيات، وعدم القدرة على استيعابهم دون الحصول على اراضٍ جديدة، ومصادر مياه اضافية.

وفي تصريح لوزير المياه والريّ الاردني، قال الوزير ان اجمالي كمّيات المياه التي تسرقها اسرائيل سنوياً من مصادر المياه العربية يصل الى حوالى ١٣٠٠ مليون متر مكعب. ان اعتداءات اسرائيل على المياه العربية قائمة منذ بداية الخمسينات، مشيراً الى استغلال اسرائيل لمياه نهر العوجا، الذي يصل تدفّقه الى ٢٣٠ مليون متر مكعب من المياه سنوياً، اضافة الى الآبار الجوفية في قطاع غزة، التي يستخرج منها نحو ٢٠٠ مليون متر مكعب سنوياً. اضافة الى ذلك، تغتصب اسرائيل ما مجموعه ٦٦٠ مليون متر مكعب سنوياً من أعالي نهر الاردن، وتقوم بتخزينها في بحيرة طبريا، حيث لا يصل الى المملكة الاردنية سوى كمّيات قليلة من المياه عالية الملوحة، وفق ما أكد المسؤول الاردني. ومضى الوزير يقول ان اسرائيل بدأت، خلال السنة الماضية، بسحب مياه نهر الليطاني في جنوب لبنان، حيث من المتوقع ان تصل كمّيات المياه التي ستضخّها من هذا النهر الى ٤٠٠ مليون متر مكعب سنوياً،

لاستخدامها في صحراء النقب[٢].

أزمة مياه

وتواجه اسرائيل، في الوقت الحاضر، أزمة مياه صعبة. ففي العامين الماضيين كان هناك عجز في المياه يتراوح ما بين ١,٥ ـ ٢ مليار متر مكعب. والعجز المستمر لا يقل عن ٤٠٠ مليون متر مكعب من المياه في الخزّانات السطحية والخزّانات الجوفية. وعلى الرغم من النقص في مخزون المياه ووصول معدّلاته الى «الخطوط الحمر»، الّا ان ضغط المياه ما زال مستمراً، الامر الذي أدّى الى تخفيضات كبيرة في مخصّصات القطاع الزراعي، وعمّا قريب سوف تجرى تخفيضات في مخصّصات المساكن والمصانع، وذلك لانخفاض منسوب المياه في بحيرة طبريا الى مستوى لم يسبق له مثيل. فاسرائيل تستهلك حوالى ملياري متر مكعب من المياه في السنة، منها ٥٥٠ مليون متر مكعب للبيوت والصناعة، وحوالى ١,٤ مليار متر مكعب للقطاع الزراعي. وقال خبراء المياه ان سياسة رئيس هيئة المياه تسبّب ضرراً لا يمكن معالجته بشأن المحافظة على المياه الجوفية.

وممّا يزيد في تعقيد المشكلة في اسرائيل، السعي الحثيث الى تهجير حوالى مليون الى مليون ونصف يهودي من الاتحاد السوفياتي ومن دول أخرى حتى العام ٢٠٠٠[٣].

والحروب التي خاضتها اسرائيل مع العرب هي، في جوهرها، حروب المياه. ففي سنة ١٩٦٧، وصلت اسرائيل الى منابع نهر الاردن، وأوقفت العمل العربي لتحويل روافده والافادة من مائه. وفي العام ١٩٨٢، نشرت قواتها على نهر الليطاني، الذي قامت بدرس موارده المائية، درساً مستفيضاً. واللافت للنظر ان الحركة الصهيونية، منذ وقت طويل، تهتم بدرس مصادر المياه في فلسطين. وعلى هذا الصعيد، لا ننسى مشروع روتنبرغ، اليهودي الروسي، لتوليد الكهرباء، في العام ١٩٢٠، ومشروع تجفيف اراضي الحولة في العام ١٩٣٤، ومشروع لودرميلك في العام ١٩٣٨، الذي ألّف كتاباً عن «فلسطين ارض الميعاد»، وكان من أهدافه توفير الاحتياجات المائية لأربعة ملايين مهاجر يهودي، ومشروع هينرو سافاج سنة ١٩٤٦. وبعد اقامة اسرائيل، أُقيم عدد من المشروعات، مثل مشروع مين، سنة ١٩٥٢، ومشروع كوتون، ومشروع جونستون بعد ذلك. وهكذا نجد ان الحركة الصهيونية دائبة العمل على حصر، وتنمية، موارد المياه بكل وسيلة.

وبديهي ان الماء يلعب الدور الاساس في التوسّع الاقتصادي، والعمراني. وقد ارتفعت معدّلات استهلاك الماء في اسرائيل من ٤٢٦ مليون متر مكعب سنة ١٩٤٩، الى ١٧٠٦ ملايين متر مكعب سنة ١٩٨٠. ويعني الرقم الاخير ان هناك عجزاً مائياً يقدّر بحوالى ٨٥ مليون متر مكعب سنوياً؛ وسيتزايد هذا العجز ليصل الى ما يقرب من ٤٠٠ مليون متر مكعب، قابلة للزيادة في منتصف التسعينات. هذا مع افتراض عدم زيادة الاستهلاك الزراعي، وهو افتراض غير عملي. وتفاقم أزمة المياه وزيادة العجز المائي وتعرّض بعض المناطق للجفاف يتطلّب استغلال مصادر مائية جديدة[٤]. وحسب خبراء اسرائيليين، فانه لا حل لأزمة المياه الّا باستغلال موارد جديدة، وطرد عرب آخرين، توفيراً للمياه. ولايجاد موارد جديدة، تضع اسرائيل عينها على مصادر المياه في البلدان المحيطة بها، الاردن وسوريا ولبنان ومصر، إمّا بالاستيلاء عليها، وإمّا باقامة مشروعات مشتركة مع هذه البلدان.

مياه الاردن

تبلغ مساحة المملكة الاردنية حوالى ٩٢٠٠٠ كيلومتر مربع، وتتكوّن مصادر المياه فيها من[٥]:

١ ـ المياه السطحية: وهي تتوزّع على مناطق المملكة بنسب متباينة، وتمّ تقسيمها الى ١٣ حوضاً، على النحو المبيّن في الجدول الرقم ١، الذي يوضح توزّع كميات المياه السطحية.

الجدول الرقم ١

نسب كميّات المياه السطحية

(الارقام بملايين الامتار المكعبة، سنوياً)

الحوض	الجريان الدائم	الفيضان	المجموع
اليرموك	١٦٧	١٣٣	٣٠٠
الاودية الجانبية لنهر الاردن	٦٦	١٥	٨٠
الزرقاء	٤٦	٤٦	٩٢
البحر الميت	٤٤	٤	٤٨
الموجب	٣٥	٣٢	٦٥
الحسا	٣٢	٤	٣٦
وادي عربة	٢٨	٦	٣٤
اليتم	-	١	١
الصحراء الجنوبية	-	-	-
الجفر	٤	١٠	١٤
السرحان	-	١٠	١٠
الازرق	١٢	١٥	٢٧
الحمّاد	-	١٣	١٣
المجموع	٤٣٤	٢٨٩	٧٢٠

٢ ـ المياه الجوفية: ويمكن تقسيمها الى قسمين، هما: (أ) المياه الجوفية المتجدّدة، وهي المياه التي تصل الى الطبقات المائية من مياه الامطار التي تتسرّب اليها عبر الشقوق والمسامات المتواجدة فيها، وهي مياه ذات معدّل سنوي يعتمد على كمية الامطار التي تسقط في مناطق تغذية تلك الطبقات المائية؛ (ب) المياه الجوفية المخزونة، وهي المياه التي تراكمت في الطبقات المائية عبر فترات من الزمن تحت منسوب المياه الجوفية المتجدّدة، ولكل طبقة كمية من المياه المخزونة تعتمد على سمكها ومعامل تخزينها، ويمكن القول ان نسبة المياه الجوفية المخزونة في الطبقات المائية تزيد على ٩٣ بالمئة من مجموع المياه الجوفية.

وتتوزّع المياه الجوفية، في المملكة، على ١١ حوضاً مائياً، اعتماداً على خطوط التقسيم المائية ومناطق التغذية والتراكيب الجيولوجية؛ كما ان الاحواض الرئيسة تقسم الى مناطق مائية فرعية. ويلاحظ، ان بعض هذه الاحواض يمتد الى داخل الاراضي السورية، كما هو الحال في حوض اليرموك، وحوض عمّان ـ الزرقاء، وحوض الازرق، التي تزوّد بها مناطق الشمال ووسط المملكة، وخاصة مياه الشرب. أمّا الاحواض التي تتوزّع عليها المياه الجوفية، فهي حوض نهر اليرموك وحوض صدح نهر الاردن وحوض نهر الاردن وحوض عمّان ـ الزرقاء وحوض البحر الميت وحوض وادي عربة وحوض البحر الاحمر وحوض الجفر وحوض الازرق وحوض السرحان وحوض الحمّاد.

ولقد خضعت المياه الجوفية، بشقّيها المتجدّد والمخزون، للعديد من التقديرات التي اعتمدت أسساً عديدة. وقد تراوحت هذه التقديرات ما بين ٢٢٠٣ مليون متر مكعب (الخطة القومية للمياه) و٤٠٠ مليون متر مكعب سنوياً (دراسات مختلفة ونتائج دراسات أخرى متفرّقة، من بينها تقارير ودراسات سلطة المياه). ويوضح الجدول الرقم ٢ استهلاكات المياه لمختلف الاغراض الحالية، والمتوقّعة، حتى العام ٢٠٠٥.

الجدول الرقم ٢
(بملايين الامتار المكعبة، سنوياً)

القطاع الفرعي	كمية الاستهلاك المتوقّع			
	١٩٨٨	١٩٩٥	٢٠٠٠	٢٠٠٥
الشرب والصناعات الصغيرة	١٦٤	٢٤٠	٣٦٠	٣٩٠
الري في وادي الاردن اعتماداً على المياه السطحية	٣٠٥	٥٠٠	٥٢٠	٥٢٠
الري في الاراضي المرتفعة اعتماداً على المياه الجوفية	١٨٥	٢٠٠	٢٠٠	٢٢٥
الصناعات الكبرى	٣٤	٤٥	٦٠	٨٥
المجموع الكلّي	٦٨٨	٩٨٥	١١٤٠	١٢٢٠

أمّا مصادر المياه المثبّتة، أو المتاحة، فيبلغ مجموعها ١٠٨٧ مليون متر مكعب سنوياً، منها ٣٥٧ مليون متر مكعب مياه جوفية، و٧٣٠ مليون متر مكعب مياه سطحية.

نخلص من هذا باستنتاج ان الاردن، بتعداد سكانه، الذي قدر بحوالى أربعة ملايين نسمة في العام ١٩٩٠، سيعاني من عجز مائي في العام ٢٠٠٥، يقدر بحوالى ١٤٣ مليون متر مكعب، مع افتراض عدم تزايد السكان الحالي، ممّا يوضح لنا مخاطر تزايد الهجرة من الاراضي العربية المحتلة الى الضفة الشرقية لنهر الاردن، أو أي مشروعات تسوية مستقبلية، وما يتردّد عن «الوطن البديل»، ممّا يتّضح منه مخاطر الاطماع التوسّعية الاسرائيلية، بالنسبة الى الاردن، أو أي مساس بالمصادر الطبيعية الحالية.

مياه سوريا

تبلغ مساحة سوريا ١٨٥١٨٠ كيلومتراً مربعاً، وعدد سكانها، حتى حزيران (يونيو) ١٩٨٨، بلغ ١١٣٣٨٠٠٠ نسمة.

في سوريا أربعة مصادر أساسية للمياه، هي الانهار والوديان الموسمية والينابيع والمياه الجوفية؛ وكل يساهم، مساهمة فعّالة، حسب دوره، في اقامة المشاريع التنموية في البلاد(٦).

١ ـ الانهار: تقسم موارد المياه من الانهار الى جزأين رئيسين: الاول، هو الانهار المشتركة (تنبع من خارج القطر)؛ والثاني، الانهار الداخلية. وبالمقارنة بين المصادر المائية للجزأين، يتبيّن لنا ان وارد الجزء الاول يبلغ ٣٢٧٦ مليون متر مكعب، عدا وارد نهري دجلة والفرات؛ أمّا وارد الجزء الثاني، فهو ٢٨٦٠ مليون متر مكعب (انظر الجدول الرقم ٣).

٢ ـ الوديان الموسمية: وهي تعكس الظروف البيئية الجافّة وشبه الجافّة السائدة في معظم المناطق السورية، وآثارها في تحديد أماكن التصريف الطبيعي، وكمياتها، لا سيما مجاري الوديان الموسمية التي ترتبط الجريانات الطبيعية فيها بالهطولات المطرية، ارتباطاً وثيقاً؛ ويبلغ متوسط الجريان السنوي حوالى ٩٢٥ مليون متر مكب. ويستفاد من هذه الوديان كوارد يبلغ حوالى ٥٦٥ مليون متر مكعب.

٣ ـ الينابيع: وهي تعتبر أهمّ مصادر المياه في سوريا لاستخدامات الشرب، لاسيما وان

الجدول الرقم ٣
وارد الانهار في سوريا، سنوياً

الجزء	النهر	طوله / كلم		مساحة الحوض الصباب / كلم٢		متوسط الوارد المائي
		اجمالي	داخل القطر	اجمالي داخل القطر		(مليون متر مكعب)
الأول	الفرات	٢٧٩٥	٥٩٥	٤٤٤٠٠٠	٧٢٠٠٠	٢٨٠٠٠
	دجلة	١٧١٨	٤٤	٢٥٨٠٠٠	١٠٢٠٠	١٨٣٠٠/٤٨٧٠٠
	العاصي	٥٧١	٣٢٥	٢٣٠٩٠	١٦٢٠٠	٢٠٠٠
	عفرين	١٤٩	٨٥	٢٦٨٠	-	٢٨٠
	اليرموك	١٣٠	٤٧	٩٣٠٠	٥٧٠٠	٤٠٠
	البليخ	٢٠٢	١٣٥	١٤٤٠٠	٦٦٠٦	١٥٠
	جغجغ	-	١٠٠	-	-	١٢٦
	الكبير الجنوبي	-	٥٠	-	٩٨٠	٣٢٠
الثاني	الخابور	-	٤٠٥	-	٣٦٩٠٠	١٥١٥
	بردى	-	٧١	-	١٤٥٠	٣٥٠
	الاعوج	-	٩١	-	١٢١٠	١٠٠
	الكبير الشمالي	-	٨٠	-	١٠٦٠	٣٢٥
	السن	-	٦	-	-	٣٥٠
	الساجور	١٠٨	٤٨	-	٢٣٥٠	١٢٥
	قويق	١٢٦	١١٠	-	٤٢١٠	٩٥

بعضها يعتبر من أعذب وأنقى الينابيع في العالم،كينابيع عين الفيجه وبُقّين ودريكيش. ويبلغ متوسط الجريان السنوي في سوريا حوالى ٢٨٥٠ مليون متر مكعب، منها مليار متر مكعب ينابيع مستقلة عن مجال الانهار الرئيسة.

٤ ـ المياه الجوفية: ويبلغ متوسط الوارد السنوي من المجموعات الاربع حوالى ١٩٠٣ ملايين متر مكعب.

وكخلاصة، نجد ان الموارد المائية في سوريا موزّعة على الشكل التالي (ما عدا نهري الفرات ودجلة): يبلغ متوسط الوارد المائي السنوي للانهار والوديان حوالى ٦٧٠٠ مليون متر مكعب؛ ومتوسط الوارد للينابيع مليار متر مكعب؛ ومتوسط الوارد الجوفي ١٩٠٣ ملايين متر مكعب (المجموع ٩٦٠٣ ملايين متر مكعب، سنوياً).

وبصفة عامة، ان متطلّبات المرحلة الحالية في سوريا تدعو الى تطبيق سياسة مائية مناسبة

على الصعيد القومي، لا سيما مياه الشرب؛ هذا مع ملاحظة المشكلة الجديدة التي تواجه سوريا حالياً، وهي عملية تطوير منطقة جنوب شرق الاناضول في تركيا، واحتمالات تقليص حصة سوريا من مياه دجلة والفرات.

مياه لبنان[٧]

يعتبر لبنان من البلدان التي تشكّل فيها مصادر المياه احدى الدعائم الاساسية للاقتصاد الوطني. وقبل عرض الموقف المائي في لبنان، يلزم ايضاح عدد من النقاط الهامّة:

الجدول الرقم ٤
التدفّق السنوي للانهار اللبنانية
(بملايين الامتار المكعبة، سنوياً)

النهر	التدفّق	النهر	التدفّق
الكبير	١٩٠,٠١	الدامور	٢٥٦,٥٠
اسطوان	٦٥,١١	الاولي	٢٨٤,٣٥
عرقه	٦٤,٩٦	سينيق	١١,٣١
البارد	٢٨٧,٩٧	الزهراني	٣٨,٥٩
ابو علي	٢٦٢,٤٠	الليطاني الاسفل	١٢٩,٨٣
الجوز	٧٥,٦٧	رأس العين	٢٨,٠٦
ابراهيم	٥٠٧,٩٠	الليطاني الاعلى	٦٤١,٣٠
الكلب	٢٥٢,٥٦	الحاصباني	١٥١,٣٩
انطلياس	١٧,٧٧	العاصي	٥١٢,٤٦
بيروت	١٠١,٣٦		
المجموع	٣,٨٨ مليارات متر مكعب		

- عند أخذ الصعوبات المادية والتقنية في لبنان بعين الاعتبار، فان مجموع كميات المياه المتوفّرة لا تكفي حاجة البلاد من المياه للزراعة والصناعة والاستهلاك المنزلي.
- تهطل الامطار في كل عام خلال مدة قصيرة لا تتجاوز الثمانين يوماً. يضاف الى ذلك، ان هذا الهطول يكون، بشكل عام، عاصفاً وكثيفاً، مسبّباً جرفاً سطحياً على المنحدرات، وتفسّخات في بطون الصخور الكلسية.
- يتميّز توزيع المياه عبر المشاريع القائمة بسوء تنظيمه وكفاءته المنخفضة.
- ما زال بعض المناطق اللبنانية لا يحصل على مياه الشرب بواسطة شبكات توزيع، ولا يملك اجهزة لتكرير المياه.

وتجمع التقديرات على ان مجموع الحجم السنوي للمياه الساقطة على الاراضي اللبنانية يصل الى ٩,٢ مليارات متر مكعب، منها ٤٧ بالمئة يتبخّر مباشرة، والباقي (حوالى ٤,٩ مليارات متر مكعب) يتوزّع على الثمانية عشر نهراً، وروافدها، وعلى المياه الجوفية.

١ ـ المياه السطحية: يبلغ الفائض السطحي المتوسط من الهطول المطري والثلجي أكثر من أربعة مليارات متر مكعب في السنة، تحملها انهار عدة، ينبع معظمها من غرب لبنان، ما عدا العاصي والليطاني والحاصباني. ويعطي الجدول الرقم ٤ متوسط التصرّفات السنوية لهذه الانهار.

٢ ـ الموارد الجوفية: تقدّر التغذية السنوية للخزّانات الجوفية من الفائض السطحي بنحو ٦٠٠ مليون متر مكعب. ويمكن القول، عموماً، ان نوعية المياه الجوفية في لبنان جيدة؛ وهي عذبة

الجدول الرقم ٥

توزيع الاحتياجات المائية
(بملايين الامتار المكعبة)

السنة	الاغراض			
	منزلية	صناعية	ريّ	مجموع
١٩٨٥	١٣٥	٥٤	٦٧٠	٨٥٩
٢٠٠٠	٣٩٠	١٥٦	٩٠٢	١٤٤٨
٢٠١٥	٦٧٠	٣١٠	١٢٤٠	٢٢٢٠
٢٠٣٠	٩٨١	٤٩١	١٦٣٤	٣١٠٦

عند سفوح الجبال، منها المتاخمة للساحل أو الاراضي المرتفعة في الشرق.

تنمية الموارد المائية

من زيادة عدد السكان واتساع المدن اللبنانية تزداد الحاجة الى مياه الشرب، والصناعة، ممّا يؤدي الى المزيد من التنافس مع القطاع الزراعي على مصادر المياه. وبما ان المياه محدودة الكمّية، فان البحث العلمي يجب توجيهه نحو تحسين تخطيط، وادارة، مصادر المياه، وتحسين كفاءة استعمال المياه وحماية البيئة. وعلى الرغم من غياب البيانات الواضحة عن استهلاك المياه للاغراض المنزلية في لبنان، فانه يوجد تقدير لكمّية المياه المستخدمة للاغراض المنزلية والصناعية معاً، لسنة ١٩٨٥، وللمياه المتوقع استخدامها في سنة ٢٠٠٠. ومن هذا التقدير، أمكن حساب توزيع الاحتياجات المائية، على الشكل المبيّن في الجدول الرقم ٥. ويتضح من هذا الجدول ان لبنان يمكنه مواجهة حاجاته من المياه في المستقبل القريب، خصوصاً اذا ما باشر، جدياً، بتنفيذ المشاريع المقترحة. وهنا يجب التنويه الى ان هناك سدّاً كبيراً واحداً فقط في لبنان، هو سدّ القرعون، الذي يستطيع خزن ٢٠٠ مليون متر مكعب، ويساهم في مواجهة العجز الطارىء خلال سنوات الجفاف، اضافة الى الازدياد الحاصل في ضخّ المياه من الخزانات الجوفية.

ومن هذا العرض نجد ان لبنان، بعدد سكانه الذي قدّر بحوالى ٢,٧ مليون نسمة في العام ١٩٨٧، يتوفّر له حوالى ٤,٥ مليارات متر مكعب سنوياً. أي انه من البلدان العربية الفريدة التي تتميّز بالوفرة المائية، ممّا يجعله محط اطماع اسرائيل، خاصة اطماعها بنهر الليطاني، الذي تخطط للحصول على ما لا يقل عن ٤٠٠ ـ ٥٠٠ مليون متر مكعب سنوياً منه. وقد تردّد ان اسرائيل تقوم بسرقة هذه الكمية، أو جزء منها، حالياً.

المياه في فلسطين المحتلة[٨]

تبلغ مساحة فلسطين المحتلة العام ١٩٤٨ (التي أُقيمت عليها اسرائيل) أكثر من ٢٠ ألف كيلومتر مربع بقليل؛ وهي لا تعتبر من المناطق الغنية بالمياه. فعلى الرغم من ان المعدّل السنوي لهطول المياه يصل، في شمالها (الجليل)، الى ما يقرب من ألف ملم، فانه يهبط، في أقصى جنوبها (ايلات)، الى حوالى ٥٠ ملم. لذلك، فان أكثر من ٨٥ بالمئة من مصادر المياه يقع في نصفها الاعلى (شمال يافا)، و١٥ بالمئة في نصفها الجنوبي. كما ان لكثافة الثلوج التي تهطل على جبل الشيخ الاثر البارز في هذا التوزّع.

وأهمّ الانهار هو نهر الاردن، نهر العوجا (اليركون) وينابيعه والبالغ تصريفه ٢٣٠ مليون متر مكعب. كما تشكّل المياه الجوفية احد أهمّ مصادر المياه. ويأتي القسم الاكبر من مصادر المياه

في فلسطين المحتلة من السفوح الغربية لهضبة الجولان، حيث تسقط كميات كبيرة من الامطار والثلوج يتجاوز معدّلها الألف وخمسمئة مليمتر، ويتسرّب معظمها الى ما تحت الطبقات السطحية؛ وتلتقي، فيما بعد، مكوّنة روافد نهر الاردن الثلاثة، وهي:

بانياس: وينبع من تحت كهف كلسي قديم بالقرب من قرية بانياس السورية وعلى ارتفاع ٩١٤ متراً فوق سطح البحر عند قاعدة الجبل، وعلى مسافة ١٩ كلم من بحيرة الحولة (التي جُففت). يقارب طوله تسعة كيلومترات؛ ويزوّد بانياس نهر الاردن بحوالى ١٥٧ مليون متر مكعب من المياه، سنوياً.

تل القاضي (دان): اقصر ينابيع نهر الاردن، لكنه أغزرها انتاجاً؛ اذ تبلغ كمية المياه التي تتدفّق من هذا الرافد الى نهر الاردن نحو ٢٥٨ مليون متر مكعب، سنوياً.

الحاصباني: ينبع من الاراضي اللبنانية، من بركة قليلة الانخفاض، تقع على الجانب الغربي لجبل الشيخ؛ ويعتبر أطول روافد نهر الاردن؛ اذ يبلغ طوله ٣٨ كلم، يجري منه نحو ١٤ كلم في لبنان، ممّا دعا بعض الباحثين الى اعتباره بداية نهر الاردن ذاته؛ وتبلغ كمية المياه التي يغذّي بها نهر الاردن نحو ١٥٧ مليون متر مكعب، سنوياً.

وترفد نهر الاردن، بعد خروجه من بحيرة طبريا وقبل مصبّه في البحر الميت، مياه نهر اليرموك، وجداول وينابيع من الضفتين، الشرقية والغربية. ويعتبر نهر اليرموك أكبر روافد نهر الاردن؛ وهو ينبع من محافظة حوران في سوريا، ويلتقي مع نهر الاردن بالقرب من جسر المجامع، على بعد عشرة كيلومترات جنوب بحيرة طبريا. وتقدر المياه التي تتدفّق من نهر اليرموك الى نهر الاردن بحوالى ٤٠٠ مليون متر مكعب، سنوياً. ويرفد نهر الاردن، من الجهة الشرقية، وادي الزرقاء، وطاقته حوالى ٩٣ مليون متر مكعب، ومجموعة الاودية الاخرى، وهي وادي العرب ووادي حرم ووادي اليابس ووادي كفرنجا. أمّا الجانب الغربي لنهر الاردن، فترفده وديان فيحاس والبيره وجالود المالح والفارعة والعوجا وغيرها. وهناك بعض الانهار القصيرة والغزيرة الجريان في الشتاء، مثل نهر النعامين، الذي يبلغ طوله ثمانية كيلومترات، وغزارته ٢٠٢ مليون متر مكعب في السنة؛ ونهر المقطع، وطوله ١٣ كيلومتراً، وطاقته ١٨ مليون متر مكعب؛ ونهر خضيرة؛ ونهر اسكندرونة؛ ونهر العوجا، الذي يبلغ طوله ٢٥ كيلومتراً، وغزارته ٢٣٠ مليون متر مكعب في السنة؛ ونهر روبين. ويمتاز شمال فلسطين بكثرة الينابيع السطحية.

بحيرة طبريا: تأتي بحيرة طبريا في المرتبة الثانية بعد البحر الميت؛ وتلعب دور الخزّان الرئيس للمياه في فلسطين. تقع بحيرة طبريا على بُعد ٤٣ كيلومتراً من البحر الابيض المتوسط. شكلها كمثري؛ وأقصى طول لها هو ٢١ كيلومتراً؛ وأوسع عرض لها هو ١٢ كيلومتراً؛ وأعمق نقطة فيها ـ القسم الشمالي من البحيرة ـ تبلغ حوالى ٤٥ متراً. مساحة البحيرة نحو ١٦٥ كيلومتراً مربعاً، وتنخفض عن سطح البحر ٢١٢ متراً وسطياً. وسعة البحيرة من المياه تقارب الاربعة مليارات متر مكعب. ويتأثّر مستوى ارتفاع المياه فيها بكميات الامطار السنوية، وبارتفاع درجات الحرارة.

وخلال جريان نهر الاردن في سهل الحولة وحتى مصبّه في بحيرة طبريا، يصل الى هذه البحيرة حوالى ٣٠٠ مليون متر مكعب من المياه، يضاف اليها ٥٠٠ مليون متر مكعب هي مقدار ما يحمله نهر الاردن من المياه الى البحيرة. وبذلك يصل معدّل استقبال هذه البحيرة السنوي من المياه الى ٨٠٠ مليون متر مكعب، يضيع منها، سنوياً، حوالى ٢٧٠ مليون متر مكعب، نتيجة التبخّر المباشر من سطح البحيرة (ذكرت مصادر أخرى ان مقدار ما يحمله نهر الاردن الى بحيرة طبريا هو ٦٤٠ مليون

متر مكعب من المياه، وبذلك يصبح ما تستقبله البحيرة ٩٤٠ مليون متر مكعب).

حوض نهر الاردن: يبدأ تشكّل نهر الاردن، في أقصى شمال فلسطين، من التقاء ثلاثة أنهار دائمة الجريان، كما ذكرنا، وهي بانياس وتل القاضي والحاصباني. ويجري حتى مصبّه في البحر الميت من الشمال الى الجنوب وسط انهدام جيولوجي عميق، حيث تلتقي روافد عديدة دائمة، أو موسمية. وتبلغ مساحة الحوض المغذّي لنهر الاردن، أي حوض نهر الاردن المائي، ١٨١٤٠ كيلومتراً مربعاً، منها ٦٤٤٥ كيلومتراً مربعاً في سوريا، و٧١٢ كيلومتراً مربعاً في لبنان، و٧٢١٦ كيلومتراً مربعاً في الاردن، و٣٧٦٧ كيلومتراً مربعاً في فلسطين كاملة، منها ١٩٢٥ كيلومتراً مربعاً في الجزء المحتل العام ١٩٤٨، و١٨٤٢ كيلومتراً مربعاً في الضفة.

يقسم حوض نهر الاردن المائي الى قسمين؛ أكبرهما حوض نهر الاردن الاعلى، وهو الأهمّ من حيث الطاقة المائية، وينتهي عند مصبّ نهر اليرموك في نهر الاردن جنوب بحيرة طبريا. وفي مطلع الخمسينات، ومع بدء عصر التنمية المائية المشاطئة لحوض نهر الاردن (سوريا والاردن وفلسطين ولبنان) كان المعدّل الوسطي للموازنة المائية للحوض، عند مصبّه في البحر الميت، بحدود ١٢٥٠ مليون متر مكعب (وهي صافي ١٨٨٠ مليون متر مكعب مجموع المياه المتدفّقة من روافد نهر الاردن من منبعه وحتى مصبّه، بسبب الكمّية المفقودة بالتبخّر والصرف في منخفض نهر الاردن).

أمّا تصريف نهر اليرموك، حالياً، فيقدّر بحوالى ٤٠٠ مليون متر مكعب سنوياً، تصبّ في نهر الاردن، وتتوزّع حالياً كالآتي: مئة مليون متر مكعب سنوياً لسوريا، و١٢٠ ـ ١٤٠ مليون متر مكعب سنوياً للاردن، ومئة مليون متر مكعب سنوياً لاسرائيل.

وتبلغ كمّية المياه من أودية الضفة الفلسطينية الى البحر الميت حوالى ٥٠ مليون متر مكعب سنوياً. أمّا الضفة الشرقية، وباستثناء نهر اليرموك، وبعد اقامة السدود المختلفة، فتساهم بحوالى ٦٠ مليون متر مكعب سنوياً.

وبصفة عامة، يقدّر مجموع المصادر العذبة المتجدّدة في اسرائيل، وبعد تطوير جميع المصادر المائية المتاحة، بحوالى ١٦١٠ ـ ١٦٥٠ مليون متر مكعب من الماء كل عام. أمّا مجموع ما تسميه الكتابات، أو الادبيات، الاسرائيلية بـ «أرض ـ اسرائيل» (فلسطين المحتلة بكاملها)، فيقدّر بـ ٢٣١٠ ملايين متر مكعب كل عام، موزّعة كالآتي: ٥٨٠ مليون متر مكعب حوض بحيرة طبريا، و١٣٧٠ مليون متر مكعب مياه جوفية، و١٧٠ مليون متر مكعب مياه سطحية، و١٩٠ مليون متر مكعب مياه محصّلة من مياه التنقية.

وللوقوف على حقيقة المشكلة المائية التي تعاني منها اسرائيل حالياً، نعود الى ما نشرته صحيفة «جيروزاليم بوست» الاسرائيلية في عددها الصادر في ١٩٩٠/٥/٢٥، حيث ذكرت ان ١٦ عالماً اسرائيلياً اجتمعوا برئيس الوزراء اسحق شامير، وحذّروه من ان اسرائيل ستواجه كارثة خلال خمس سنوات اذا استمرت في استهلاك المياه المتاحة لها بالمعدّل الحالي، الذي يزيد بـ ١٥ بالمئة على الممكن احتماله؛ وحذّروه، أيضاً، بأن معدّل الاستهلاك الحالي يقلّل، بصورة خطرة، كمية وجود المياه العذبة المتاحة لاسرائيل، حيث يقدّر العجز المائي الحالي بحوالى ٣٥٠ ـ ٤٠٠ مليون متر مكعب من المياه سنوياً[٩]، وهو ما يتّضح لنا من الجدول الرقم ٦.

الاراضي المحتلة العام ١٩٦٧

مع وقوع الضفة الفلسطينية وقطاع غزة والجولان تحت الاحتلال الاسرائيلي، في العام

الجدول الرقم ٦
استهلاك المياه بالمقارنة مع الامكانات المائية(١٠)
(بملايين الامتار المكعبة، سنوياً)

السنة	٧٧ـ١٩٧٨	١٩٨٥		١٩٩٥	
الاستهلاك المقدّر	الاستهلاك الحالي	أدنى التقديرات	أعلى التقديرات	أدنى التقديرات	أعلى التقديرات
الاستهلاك لمناطق					
المدن والصناعة	٤١١	٤٤٥	٥٠٥	٥٠٠	٥٨٠
الزراعة	١١٢٧	١١٣٠	١١٣٠	١١٣٠	١١٣٠
المياه المهدورة	٤٥	٥٠	٦٠	٥٥	٦٥
الاستهلاك الاضافي	٣٥	٨٥	١٠٥	٨٥	١٠٥
مجموع الاستهلاك	١٦١٨	١٧١٠	١٨٠٠	١٧٧٠	١٨٨٠
الامكانات المائية	١٦٢١	١٦٣٠	١٦٣٠	١٥٤٠	١٥٤٠
العجز المائي		٨٠ـ	١٧٠ـ	٢٣٠ـ	٣٤٠ـ

١٩٦٧، كان موضوع المياه احدى أهمّ القضايا التي انصرفت الجهود الاسرائيلية الى التعامل معها، سواء بسرقة المياه العربية، أو باتباع أساليب القهر الاقتصادي وتضييق الخناق على المزارعين العرب، أو بمنع العرب من ممارسة السيادة على مواردهم الطبيعية، وفي مقدّمها المياه، متحدية قرارات الامم المتحدة في هذا الشأن، والتي نصّت على حق الشعب العربي الفلسطيني في السيادة على موارده الطبيعية، وفي مقدّمها المياه.

كان المواطنون العرب في الضفة الفلسطينية، قبل احتلال اسرائيل لها في العام ١٩٦٧، يستفيدون من ثلاثة مصادر مائية: الاول، هو نهر الاردن؛ والثاني، هو الينابيع؛ والثالث، هو الآبار. وتعتبر مياه الامطار المصدر الرئيس في الضفة الفلسطينية. وعليها تعتمد الزراعة البعلية في مساحات شاسعة تبلغ زهاء ٩٦ بالمئة من مجموع الاراضي الزراعية فيها. وفي أوساط الستينات، وتحديداً في العامين ١٩٦٤ و١٩٦٥، كانت كمية الامطار التي هطلت على الضفة ٢٨٠٠ مليون متر مكعب، بيانها، حسب المسالك التي سارت وفقها، كالآتي: ٢٨٠٠ مليون متر مكعب معدّل كمية الامطار الساقطة، منها ١٩٠٠ مليون متر مكعب مياه متبخّرة، فيبقى ٩٠٠ مليون متر مكعب تتوزّع على المياه الجوفية (٧٢٥ مليون متر مكعب) والانهار والجداول (١١٥ مليون متر مكعب) والانسياب السطحي (٦٠ مليون متر مكعب).

ومن أصل الـ ٩٠٠ مليون متر مكعب ـ وهي مجموع واردات الضفة الفلسطينية من المياه ـ تبلغ الكمية القابلة للاستغلال، في ظروف مثالية، نحو ٨٠٠ مليون متر مكعب. وتتضح الاهمية الاستراتيجية لهذا المعطى، اذا علمنا بأن حجم الاستهلاك الحالي المتاح للعرب في الضفة لا يتجاوز ١٣٠ ـ ١٥٠ مليون متر مكعب، والباقي تتطلع السلطات الاسرائيلية، وتعمل، لسرقته بشكل مقرون بمسعى محموم لخفض رقم الاستهلاك العربي.

وبشكل وسطي، يؤخذ من أرقام مختلف الاعوام ان صافي المياه المتاحة يبلغ نحو ٧٠٠

مليون متر مكعب، يذهب منها الى مجمّعات المياه الجوفية حوالى ٥٠٠ مليون متر مكعب؛ امّا الـ ٢٠٠ مليـون متـر مكعب البـاقية، فيستغل جزء منها في الريّ، والقسم الآخر يجري عبر الوديان نحو المنحدرات الغربية والشرقية. ويمكن اجمال الواردات وتوزيعها على النحو التالي: حوالى مئة مليون متر مكعب تستخرج من المياه الجوفية، و٧٠ ـ ٨٥ مليون متر مكعب تتدفّق من الينابيع، و٣٠ ـ ٤٠ مليون متر مكعب تتدفّق من الآبار. وهذه الكميات تشكّل ٣٠ بالمئة من مجموع المياه المستهلكة.

وفي مقـابـل القيـود التي فرضتهـا سلطات الاحتـلال الاسرائيليـة على استخـدام المزارعين الفلسـطينيـين لموارد الميـاه العـربيـة، سمحت للمستوطنات اليهودية، التي كانت تقام في الضفة بالعشرات، بحفر ١٧ بئراً. ومع ان هذا العدد لا يشكّل أكثر من خمسة بالمئة من عدد الآبار العربية، الّا انها تجرّ ١٧ مليون متر مكعب من المياه، أي حوالى ٤٠ بالمئة من كمّية المياه التي يسمح للآبار العربية بجرّها؛ وارتفعت كمية المياه المتدفّقة من تلك الآبار لتصبح ٤٢ مليون متر مكعب في العام ١٩٨٥، أي تزيد على ما تجرّه جميع الآبار العربية. وستستمر تلك الآبار في جرّ المزيد من المياه العربية لاغراض المستوطنات اليهودية.

وعمدت سلطات الاحتلال الى أساليب تعسّفية لسرقة المزيد من المياه العربية لمستوطناتها، على حساب حقوق المواطنين العرب ومشاريعهم الزراعية. فهي تحفر الآبار العميقة بالقرب من الينابيع والآبار العربية، فتجف هذه الينابيع والآبار وتيبس المزروعات والاشجار، كما حدث في نبع العوجا، وكارثة وادي الفصايل، وفي منطقة بردلة ـ عين البيضا، وفي أماكن أخرى عديدة. وتسيطر اسرائيل، حاليـاً، على ٨٠ بالمئة من مصادر المياه الجوفية في الضفة الفلسطينية، وتترك ٢٠ بالمئة منها فقط للسكان الفلسطينيين، اصحاب البلاد الشرعيين.

ويشكّـل ما ينهبـه الاسرائيليـون من ميـاه الضفـة الفلسـطينيـة نحو ثلث كمية المياه التي يستهلكونها؛ ويعادل هذا الثلث حوالى ٨٠ بالمئة من احتياطي الضفة الفلسطينية من المياه، أي حوالى ٥٠٠ مليون متر مكعب. وقبل العام ١٩٦٧، كانت اسرائيل تنهب أكثر من ٦٠ بالمئة من مياه الضفة، حيث كانت تستثمر المياه الجوفية في المنطقتين، الغربية والشمالية، من الضفة داخل حدود فلسطين المحتلة العام ١٩٤٨.

مصادر المياه في قطاع غزة

يشكّل قطاع غزة الجزء الجنوبي الغربي من الساحل الفلسطيني، بطول ٤٥ كيلومتراً وعرض لا يتجاوز ثمانية كيلومترات. وتعتبر المياه الجوفية المصدر الرئيس للمياه في القطاع. امّا أمطار القطاع، فهي شحيحة. وقد ذكر جوزيف فايتس، في دراسة اعدّها عن قطاع غزة، ان مخزون المياه الجوفية في القطاع يقدّر بحوالى ٨٠ مليون متر مكعب، سنوياً.

ونظراً الى ازدياد عدد المستوطنات التي أقامتها اسرائيل في قطاع غزة، والضخ الجائر، واستنزاف الميـاه الجـوفيـة، فقد ازدادت ملوحة المياه، وأخذت تتسرّب مياه البحر لتحل محل المياه الجوفية المستنزفة. وحدث اختلال في التوازن بين الماء العذب والمالح، واصبح حوالى ٥٠ بالمئة من آبار قطاع غزة غير صالحة للري، نظراً الى احتواء مياهها على نسبة عالية من الملوحة، التي تتراوح بين ٢٥٠٠ و٣٠٠٠ جزء من المليون.

ان تدهـور نوعيـة المياه أدّى الى تدهور الاحوال الزراعية في قطاع غزة، والى تراجع كبير في

انتاج الحمضيات التي تعتبر المصدر الرئيس للدخل في تلك المنطقة ومن أهمّ دعائم الصمود.

وعلى الرغم من أن قطاع غزة يعاني من مشكلة مياه حادّة، الّا ان السلطات الاسرائيلية عمدت الى استغلال المياه السطحية المحدّدة هناك لأغراض الاستيطان في القطاع، غير آبهة بالاضرار الفادحة التي يلحقها هذا الاستغلال باقتصاد القطاع. وقد قامت شركة «ميكوروت» الاسرائيلية بتنفيذ مشروعين لترشيح المياه وتجميعها، لاستخدامها في المستوطنات.

ولقد كان من نتائج السياسة المائية والاقتصادية التخريبية، التي تنتهجها سلطات الاحتلال في القطاع، ان نقص اسهام الزراعة في الناتج القومي الاجمالي، وازدادت معدّلات الهجرة الى خارج القطاع وعدد العاطلين عن العمل.

الاطماع الاسرائيلية في المياه العربية

يمكن ملاحظة ان اسرائيل تعاني من مشكلتين في قطاع المياه[11] هما: انخفاض كمية المياه، واستمرار تدهور نوعيتها.

وكما استعرضنا آنفاً، فان مصادر المياه الطبيعية في اسرائيل تتكوّن من مجموعتين: الاولى تمثّل ثلث المياه المستخدمة في اسرائيل، وهي مياه على سطح الارض وتتجمّع في بحيرات وخزّانات؛ والثانية (الثلثان الآخران) هي مياه جوفية تتركز في خزّانات طبيعية تحت الارض ويتمّ ضخّها بواسطة الآبار. كما ينقسم استهلاك المياه في اسرائيل الى ثلاثة أنواع، هي الاستهلاك المنزلي (٢٠ بالمئة) والاستهلاك الزراعي (٧٥ بالمئة) والاستهلاك الصناعي (خمسة بالمئة). ويستلزم الاستهلاك المنزلي المخصّص للشرب نوعية مياه مرتفعة الجودة؛ امّا الاستهلاك الزراعي، فيمكن ان يتمّ بواسطة مياه ذات نوعية متوسطة ومنخفضة، في حين تستهلك الصناعة نوعين من المياه، بعضه ذو نوعية عالية (للعمليات الصناعية) والبعض الآخر ذو نوعية منخفضة (للتبريد).

الجدول الرقم ٧
ميزان المياه القطري للعام ١٩٨٤/١٩٨٥
(بملايين الامتار المكعبة، سنوياً)

حوض بحيرة طبريا	٦١٠
مياه السهول	٩٠
مياه المجاري المنقّاة	٦٠
خزّان مياه جوفية / الساحل	٤٥٥
خزّان مياه جوفية / الجبل	٧٤٠
خزان مياه جوفية / الخليل والكرمل والنقب	١٩٠٠
المجموع	٣٨٥٥

ونتيجة للاستنزاف الشديد للمياه في اسرائيل، وازدياد النقص في المياه من سنة الى أخرى، فقد قدّر العجز المائي الحالي في اسرائيل بحوالى ١٥٠٠ ـ ٢٠٠٠ مليون متر مكعب، أي ان هذه الكمية تقدّر باستهلاك اسرائيل لمدة سنة. وهذا النقص يظهر في المخزون الجوفي الساحلي، حيث ينخفض منسوب المياه في أماكن معيّنة فيصل الى ٢٠ متراً تحت سطح مياه البحر؛ وان استمرار استغلال المياه من المياه الجوفية بالمستوى الحالي ذاته سيزيد في العجز. وهذا من شأنه زيادة ملوحة هذه المياه، علاوة على زيادة الاستهلاك المتوقّع الذي يرجع الى زيادة الاستهلاك المنزلي بسبب ارتفاع مستوى المعيشة، وزيادة الكثافة السكانية، ومزيد من الهجرة، وزيادة الاستهلاك المنزلي بالنسبة الى المواطنين العرب الموجودين في الاراضي المحتلة.

الجدول الرقم ٨
استهلاك المياه
(بملايين الامتار المكعبة، سنوياً)

الزراعة	١٤٥٠
الاستخدام المنزلي	٤٢٥
الاستخدام الصناعي	١٠٥
استهلاك «يهودا والسامرة»	١٦٥
المجموع	٢١٤٥

وقد أُجريت محاولات لاستغلال الغيوم من طريق المطر الاصطناعي، الّا ان هذا لم يسبب زيادة في كمية المياه المتوفّرة. كذلك أُجريت محاولات لتحلية مياه البحر، الّا انها لم تكن اقتصادية، خاصة في الظروف التي تمرّ اسرائيل بها حالياً. والحلول المطروحة أمام الحكومة الاسرائيلية، هي[١٢]: تخفيض الاستهلاك، وهذا حلّ مستبعد؛ واستغلال مياه أخرى لم يتمّ استغلالها.

ومن الحلول المقترحة هي زيادة وتيرة استغلال وتنقية مياه المجاري. غير ان هذا الحل يظل جزئياً، علاوة على ان ذلك يسبب انخفاضاً في نوعية المياه. وان التأمل في عمليات التلوّث التي تحدث، حالياً، في المياه الجوفية، في السهل الساحلي، يلقي الضوء على جوهر مثل هذا الحل. وبدون الخوض بالتفصيل في الحلول الاسرائيلية المطروحة، الّا ان النتائج الملاحظة هي: زيادة تركيز النترات، وزيادة نسبة الاملاح بسبب تسرّب مياه البحر للخزان الجوفي، والاضرار الناتجة عن ري الزراعة بمياه المجاري، ومصادر تلوّث أخرى ناتجة عن استخدام الاسمدة والمبيدات الحشرية التي تتسرّب في المناطق الزراعية.

غنائم الحرب الاسرائيلية

في البداية، ينبغي الاعتراف بأن تجاوز العقبات الاقتصادية أمام أية تسوية سلمية شاملة لا يقل صعوبة عن تجاوز العقبات السياسية. ويأتي البعد الاقتصادي هذا من ان الاراضي التي احتلتها اسرائيل في العام ١٩٦٧، هي ذات فائدة اقتصادية كبرى لها، بحيث ان التخلّي عن الضفة الفلسطينية أو قطاع غزة أو القدس الشرقية يعني «التضحية» بغنائم الحرب؛ اذ ان هذه المناطق المحتلة تدرّ على اسرائيل مليار دولار سنوياً، اضافة الى ان السيطرة على مرتفعات الجولان والضفة الفلسطينية تضمن لاسرائيل الاستيلاء على مياه اردنية تعادل حوالى ثلث مجموع مواردها المائية. وستضطر اسرائيل الى دفع ما يقارب المليارى دولار سنوياً، اذا ارادت تعويض هذه المياه. وهكذا، فان ثمن السلام، بالنسبة الى اسرائيل، يعني التنازل عن دخل سنوي من غنائم الحرب يتراوح ما بين ٢ ـ ٣ مليارات دولار سنوياً. ولمّا كانت أية خطة مقبولة للسلام تشمل انسحاب اسرائيل من على الاراضي العربية المحتلة في العام ١٩٦٧، فان السلام يعني، تلقائياً، التنازل عن المكاسب الاقتصادية والمائية التي نتجت عن الغزوات الاسرائيلية.

وليست العقبات الاقتصادية أمام السلام حقيقية جداً وحسب، بل ان هناك حوافز أخرى واضحة لمزيد من التوسّع الاقليمي الاسرائيلي. فقد استخدمت اسرائيل الآن، بصورة كاملة، آخر كتلة مائية استولت عليها في الستينات. واحدث أهداف اسرائيل، الآن، هو نهر الليطاني، الذي أبدت اسرائيل اهتماماً متزايداً به في السنوات الاخيرة، لأن العجز المقبل للمياه لديها أصبح وشيك الوقوع.

الاطماع الاسرائيلية بالمياه اللبنانية

والليطاني هدف مغرٍ جداً لاسرائيل، حيث ترجع الاطماع فيه الى المخططين الصهيونيين القدامى لـ «أرض اسرائيل الكبرى». فالليطاني يوفّر مياهاً أكثر بكثير من منابع الاردن التي استولت اسرائيل عليها في العام ١٩٦٤/١٩٦٥. وبالمقارنة مع الخمسمئة مليون متر مكعب التي تمّ تحويلها من

حوض نهر الاردن آنذاك، فان بامكان الليطاني ان يوفّر أقل من ٥٠٠ مليون متر مكعب، أو زيادة محتملة في استهلاك اسرائيل للمياه.

وثمّة مؤشرات واعتقاد بأن اسرائيل حفرت نفقاً بين مجرى الليطاني قرب قلعة الشقيف، حيث يرتفع منسوب النهر الى ٢٣٩ متراً، وبين نقطة منخفضة في أعلى اصبع الجليل داخل اسرائيل في منطقة وادي البراغيت (المطلة)، حيث يصل الارتفاع عن سطح البحر نحو ٢٠٠ متر. ويفيد بعض التقارير بأن اسرائيل تسحب، حالياً، حوالى ٢٠٠ مليون متر مكعب من مياه الليطاني.

نهر الوزّاني: وتسيطر عليه اسرائيل سيطرة تامّة. وأكدت المصادر كافة ان اسرائيل تستغل تصريفه البالغ حوالى ٦٥ مليون متر مكعب سنوياً، استغلالاً كاملاً.

نهر الحاصباني: تبلغ طاقته حوالى ٧٠ مليون متر مكعب سنوياً. وحسب المصادر ذاتها، فان اسرائيل تقوم، حالياً، باستغلال مياهه.

الاطماع الاسرائيلية بمياه اليرموك

تمثّل مياه اليرموك طريق الخلاص الوحيد بالنسبة الى الاردن، لأنها تعطيه امكانية مضاعفة مساحة أراضيه الزراعية من ٢٣ الف هكتار الى ٥٠ الف هكتار. ويتمثّل الاستغلال الاردني للنهر في اقامة «سدّ الوحدة» الموضوعة خطته منذ العام ١٩٥٣، الذي تبلغ طاقته التخزينية ٢٢٠ مليون متر مكعب في السنة، في بلدة المقارن الواقعة عند الحدود السورية على بعد ١٤٠ كيلومتراً شمال عمّان، وعلى بعد عشرة كيلومترات الى الشرق من الحدود الفلسطينية. هذا وتعترض اسرائيل على اقامة السدّ، لأنه يحدّ من تدفّق المياه الى نهر الاردن. وقد أدّى ذلك الاعتراض الى رفض البنك الدولي تمويل اقامة السدّ، الّا بعد اتفاق دوله الثلاث، المستفيدة من النهر، وهي سوريا والاردن واسرائيل. ويقوم اعتراض اسرائيل على الادعاء بأن هذ السدّ سيضر بمياه بحيرة طبريا الذي وصل مستواها الى أدنى مستوى للمياه، وهو ٢١١,٣٤ متراً تحت سطح البحر(١٣).

مشروع قناة البحرين

على الرغم من ان فكرة اقامة القناة قد بدأت في العام ١٩٨١، الّا ان التفكير الجدّي في اقامتها قد توقف لعدة اعتبارات سياسية، خاصة وان اسرائيل كانت تفضّل مرور القناة عبر قطاع غزة المحتل، علاوة على التكلفة العالية للتنفيذ، لا سيما ان اسرائيل مرّت بأزمة اقتصادية حادّة خلال تلك الفترة. الّا ان كافة وسائل الاعلان قد أبرزت، مرّات عدّة، نوايا اسرائيل ازاء تنفيذ اقامة القناة في التسعينات. وترجع الفائدة الاقتصادية الاساسية للمشروع الى الاستفادة من فرق منسوب ارتفاع المياه للبحر المتوسط عن البحر الميت، والبالغ حوالى ٤٠٠ متر، لتوليد حوالى ٥٧٠ ميغاوات من الكهرباء لاسرائيل، علاوة على استخدام المياه لتبريد المفاعلات النووية المقترح اقامتها في النقب.

اطماع اسرائيل بمياه النيل

ترجع اطماع الصهيونية بمياه نهر النيل الى العام ١٩٠٣. وبعد اقامة اسرائيل بدأت المطالبة بحصة تصل الى واحد بالمئة من حصة مصر في مياه نهر النيل. وبعد ان وقّعت اسرائيل «معاهدة السلام» مع مصر، في العام ١٩٧٨، تقدّمت الاولى بمشروعات عدّة على هذا الصعيد، منها امداد غزة بالمياه، نظراً الى حاجة القطاع الشديدة لذلك.

ويعتقد بأن قيام اثيوبيا بتنفيذ ٣٣ مشروعاً مائياً لتوليد الكهرباء والري على نهري النيل

الازرق والسوباط واجزاء من نهر عطبرة، بتمويل من الولايات المتحدة الاميركية، وتخطيط من ايطاليا، ومساعدات في التنفيذ من اسرائيل، علاوة على حاجة اثيوبيا الشديدة للسلاح لمواجهة حركات التحرر في اريتيريا وتيجري، وامداد اسرائيل لها بالسلاح، يعتبر وسيلة ضغط على الحكومة المصرية للموافقة على المطالب الاسرائيلية واشباع اطماعها بمياه نهر النيل، خاصة وان مصر، حالياً، تعاني من أزمة مائية، متوقع استفحالها في القريب العاجل. هذا فضلاً عمّا تردّد عن مساعدة اسرائيل لاثيوبيا في اقامة خزّان على بحيرة تانا على النيل الازرق، لتخزين ٥١ مليار متر مكعب من المياه(١٤).

يضاف الى كل ما تقدّم، ان اسرائيل تضع عينها، أيضاً، على اجزاء أخرى عديدة، منها، ربّما، نهر الاعوج جنوب دمشق، ونهر العاصي؛ بل وامتدت تطلّعاتها الى نهري دجلة والفرات.

السيناريوهات الاسرائيلية لحل مشكلة المياه

يمكننا حصر السيناريوهات الاسرائيلية لمواجهة حل مشكلة المياه في اتجاهين رئيسين، هما: استخدام القوة العسكرية؛ أو ابرام «اتفاقيات سلام» مع الدول العربية.

استخدام القوة العسكرية

يوصي غالبية «الصقور» في اسرائيل باستخدام الحل العسكري للسيطرة على مصادر المياه المطلوبة في الدول العربية، أو استمرار السيطرة على الاراضي العربية المحتلة. ومن هذه التصوّرات:

(أ) استمرار احتلال الضفة الفلسطينية: حيث فيها ٤٠ بالمئة من احتياطي المياه المتاح لاسرائيل في الوقت الحالي. وكانت اسرائيل سمحت للفلسطينيين في الضفة بحفر آبار عميقة فقط منذ بداية احتلالها العام ١٩٦٧، بينما حفرت لمستوطناتها ٤٠ بئراً بصورة جعلتها تستغل ٩٥ بالمئة من مياه الآبار في الاراضي المحتلة.

(ب) طرد أهالي الضفة: وهذا، ومن وجهة نظرهم، سيوفّر لاسرائيل حوالى ١٥٠ مليون متر مكعب أخرى.

(ج) الحصول على مزيد من حصة نهر اليرموك: ويستلزم ذلك امّا القيام بعملية عسكرية لقصف الاستعدادات لانشاء «سدّ الوحدة»، او القيام بعملية عسكرية شاملة ضد الاردن، وربما يدخل ذلك ضمن خطة «الوطن البديل» التي يتبنّاها المتشدّدون في حكومة شامير الحالية، وذلك من خلال عملية هجومية في اتجاه مدينة السلط، والتحرّك شمالاً تجاه نهر اليرموك(١٥).

(د) السيطرة على مياه الليطاني: والاستيلاء عليه بصورة كاملة أمر ممكن، بسبب انتشار المواقع الاسرائيلية الآن في لبنان. وتعني السيطرة الفعّالة على النهر الاستيلاء على كامل النصف الجنوبي لوادي البقاع، وجزء كبير من المنطقة الواقعة جنوب الزهراني.

وتتلخّص الاستراتيجية الاسرائيلية في عنصرين أساسيين، أعلنهما الجنرال موشي دايان قبل زمن طويل، وهما:

اولاً: تفريغ جنوب لبنان من أكبر عدد ممكن من سكانه المؤلفين من المزارعين في الوقت الحاضر، وهو المفهوم القائم على «اراض بدون عرب»، والاساس الذي قامت عليها سياسة «الارض المحروقة» التي اتبعتها اسرائيل خلال سنوات عديدة في الفترة الاخيرة، وأجبرت اعداداً ضخمة من الاهالي على النزوح من جنوب لبنان(١٦).

ثانياً: وجوب احتفاظ اسرائيل بالجزء الجنوبي الشرقي من لبنان، لضمان القيام بعمليات التحويل واسعة النطاق، بعد ان تمّ افراغ المنطقة من سكانها اللبنانيين الى اقصى قدر ممكن. ويتطلب هذا الهدف المائي مزيداً من الاجراءات العسكرية؛ اذ لا بدّ لاسرائيل من التحكّم في منحدرات سلسلة جبال لبنان من الجهتين، من شتورة الى جزّين الى النبطية، والّا فانه باستطاعة ملاحظي المدفعية الفلسطينيين على جبال الشوف توجيه نيران المدفعية الى الوادي لقصف عمليات التحويل. وهذا الهدف ايضاً يتّفق مع توزيع القوات الاسرائيلية والحملة السابقة التي تستهدف التدمير المنظّم للاقتصاد والبنية التحتية المحلية.

ومن وجهة النظر الاسرائيلية، فان البديل للاستيلاء على مزيد من المياه العربية هو انشاء محطات باهظة التكاليف لتحلية مياه البحر، ممّا يجعل قيمة نهر الليطاني، بالنسبة الى اسرائيل، لا تقل عن ملياري دولار كل عام.

المياه في ظل «اتفاقيات سلام»

وعلى الرغم من اتجاه، وتزايد عدد المتشدّدين في الحكومة الاسرائيلية الذين ينظرون الى الامور جميعها من منطلق القوة، الّا ان بعض «المعتدلين» ينظرون الى ان مشكلة المياه في المنطقة يمكن ان تحل من خلال «اتفاقيات سلام» مستقبلية بين اسرائيل والدول العربية. كما تنظر اسرائيل الى تعاون شعوب المنطقة في مجال استخدام المياه، من منطلق التجارب المشابهة في مناطق أخرى من العالم، مثل شراء مياه من الصين بواسطة هونغ كونغ، وشراء مياه من ماليزيا بواسطة سنغافورة، وتقسيم مياه حوض الهندوس بين الهند وباكستان.

هذا وتطرح اسرائيل العديد من المشروعات[١٧] للاستغلال المشترك للموارد المائية المتوفّرة في الدول العربية. فمع مصر، ترى اسرائيل امكانية قيام تعاون ثنائي في استخدام الموارد المصرية من أراضي ومياه في الاراضي المصرية، ثمّ تحويل مياه النيل في اتجاه اسرائيل. ومع الاردن[١٨] تنظر الى تعاون شامل في ادارة الخزّانات المشتركة لدى الجانبين، مثل تخزين مياه اليرموك في بحيرة طبريا، واقامة مشروع مشترك لربط البحر الاحمر بالبحر الميت. ومع لبنان، الى استهلاك كهربائي مشترك لمياه نهر الحاصباني، ونقل المياه من حوض الليطاني واستغلالها لتوليد الكهرباء.

اضافة الى هذا، تعتقد اسرائيل بامكانية استغلال مياه الضفة والقطاع استغلالاً شاملاً، والتعويض عن ذلك بجرّ المياه الى المنطقتين من مصادر خارجية (أي من دول مجاورة). والمقترح على هذا الصعيد، جرّ مياه الانهر اللبنانية ونهر النيل.

---

(١) **الراي العام** (الكويت)، العدد ٩٥٥٣، ١٥/٧/١٩٩٠، ص ٢٣.

(٢) **المصدر نفسه**، العدد ٩٥٥٥، ١٧/٧/١٩٩٠، ص ١٨. وهو ما اعترف به المتحدث باسم شركة المياه الاسرائيلية (ميكوروت)، مردخاي جوفيتش، **الاهرام** (القاهرة)، ٢٣/٧/١٩٩٠، ص ٩.

(٣) اهارون نريئيل، **عسكيم** (ملحق معاريف)، ٢٤/٤/١٩٩٠.

(٤) دراسة عن تهجير اليهود السوفيات وحرب المياه، **الاهرام**، ٩/٤/١٩٩٠، ص ٧.

(٥) دراسة عن مصادر المياه واستعمالاتها في الاردن، **مؤتمر الموارد المائية للدول العربية واهميتها الاستراتيجية**، عمّان: الجامعة الاردنية، الفترة من ٢ ـ ٤/٤/١٩٩٠.

(٦) دراسة عن السياسة المائية في القطر العربي السوري، **المصدر نفسه**.

(٧) دراسة عن مصادر المياه في لبنان، **المصدر نفسه**.

(٨) محمد زهدي النشاشيبي، دراسة عن مصادر المياه في فلسطين وأطماع اسرائيل فيها، **المصدر نفسه**.

(٩) **الاهرام**، ٢٥/٦/١٩٩٠.

(١٠) **الباحث العربي** (لندن)، العدد ٢٢، كانون الثاني (يناير) ـ آذار (مارس) ١٩٩٠، ص ٥٥.

(١١) حاييم جفرتسمان، «دراسة عن قطاع المياه في اسرائيل»، **مداع**، العدد ١، ١٩٩٠.

(١٢) تكلفة تحلية المتر المكعب الواحد من المياه المالحة تصل من ١ ـ ٢,٥ دولار، أي ان توفير ٧٠٠ مليون متر مكعب تصل الى ١,٢ ـ ١,٨ مليار دولار.

(١٣) **القبس** (الكويت)، العدد ١٦٩٤، ١٤/٧/١٩٩٠، ص ٣.

(١٤) **السياسة** (الكويت)، ٢٩/٣/١٩٩٠، ص ٢٠.

(١٥) **المصدر نفسه**، العدد ٧٨٥٩، ١٦/٦/١٩٩٠، ص ١، ٢٨.

(١٦) **الباحث العربي**، العدد ٢٢، كانون الثاني (يناير) ـ آذار (مارس) ١٩٩٠، ص ٦٦.

(١٧) اليشع كالي، **المياه في السلام**، تل ـ أبيب: مكتبة العمّال بالتعاون مع جامعة تل ـ أبيب وصندوق هامير، ١٩٨٩.

(١٨) رؤوفين فدهتسور، «المياه والحلول السلمية»، **هآرتس**، ٢٥/٤/١٩٨٩.

الغموض النووي الاسرائيلي، وأهدافه

د. تيسير الناشف

تتوفّر، الآن، الأدلّة القاطعة على ان اسرائيل تحوز، منذ سنوات، على ترسانة كبيرة، ومتنامية، من الاسلحة النووية[١]. وعلى الرغم من ذلك، اتّبعت الحكومات الاسرائيلية المتعاقبة، منذ فترة زمنية مديدة، سياسة الغموض النووي المحسوبة والمتعمّدة، في ما يتعلّق بطبيعة، وأهداف، برنامجها النووي وبحيازة الاسلحة النووية. ان هذه السياسة مبنيّة على مزيج من العناصر المختلفة، المستترة والصريحة، والمعروفة، كلياً أو جزئياً، والمجهولة، المتعلّقة بموضوع حيازة الاسلحة النووية.

ووفقاً لهذه السياسة، ينفي المسؤولون في الحكومة الاسرائيلية ان تكون اسرائيل تمتلك أسلحة نووية، ولكنهم يعترفون، أيضاً، بأن لديها القدرة على الانتاج السريع للاسلحة النووية، مؤيدين بذلك الشكوك في ان هذه الاسلحة موجودة بالفعل. وبهذه السياسة ترمي اسرائيل الى ابقاء قدرات الاسلحة النووية التي تمتلكها غامضة.

ان البيانات الحكومية الاسرائيلية المتعلّقة بموضوع حيازة الاسلحة النووية تتّسق مع سياسة الغموض هذه، وتنبع منها، وتعزّزها؛ ولذلك، فالبيانات غامضة. وفي اطار سياسة الغموض النووي المتعمّد، تستخدم الحكومة الاسرائيلية، لاخبار العالم بمركزها النووي، النهج غير المباشر، مثل القيام، بصورة رسمية، وغير رسمية، بتسريب معلومات ونشر اشاعات لوسائط الاتصال عن أنشطة اسرائيل النووية. فعلى سبيل المثال، أفادت تقارير بأن موظفاً حكومياً اسرائيلياً شجّع، في سنة ١٩٦٩، نشر مقالة في مجلة «دير شبيغل» الالمانية، ادّعى فيها بأن اسرائيل تقوم بانتاج أسلحة نووية[٢].

وعندما يتولّد الانتباه القوي أكثر ممّا ينبغي، في نظر المسؤولين الاسرائيليين، الى المعلومات والاشاعات عن القدرة النووية الاسرائيلية، يقوم الموظّفون الحكوميون الاسرائيليون بمحاولات لتخفيف اثرها، وذلك بالادلاء ببيانات تنفي صحّة هذه الاشاعات، نفياً غير مؤكد وغير قاطع.

ووفقاً لسياسة الغموض النووي المتعمّد، ما فتىء المسؤولون في الحكومات الاسرائيلية يستعملون، منذ أوائل الستينات، صيغاً قليلة غامضة، مفادها ان لدى اسرائيل خياراً نووياً، وانها «لن تكون البلد الاول الذي يقوم بادخال الاسلحة النووية الى الشرق الاوسط»، كما صرّح رئيس الحكومة الاسرائيلية الاسبق، ليفي اشكول، وغيره[٣]. وان اسرائيل «لم تبدأ، ولن تبدأ، بادخال اسلحة نووية، أو أي نوع من الاسلحة الجديدة، الى الشرق الاوسط، سواء أكانت تقليدية او غير تقليدية». هذه الصيغة التي قدّمها اشكول، في أيار (مايو) ١٩٦٤، كرّرها حرفياً، تقريباً، منذ ذلك الوقت، الكثيرون من الموظّفين الحكوميين الاسرائيليين. ان يغئال الون، احد زعماء الحركة العمّالية، ورئيس الحكومة الاسبق، اسحق رابين، على سبيل المثال، أدليا ببيانات مماثلة[٤].

في سنة ١٩٦٨، الحّ مسؤولون في الحكومة الاميركية على رابين، الذي كان، في ذلك الوقت، سفير اسرائيل لدى الولايات المتحدة الاميركية، ليفسّر ما المعنى الحقيقي لهذه الصيغة الموارِبة. ووفقاً لما ذكره الاختصاصي في شؤون الشرق الاوسط، ويليام كوانت، أجاب رابين بأنها تعني ان اسرائيل «لن تكون أول مَنْ يجرّب الاسلحة النووية في الشرق الاوسط، أو يكشف عن وجودها علانية. انها لم تعن... ان اسرائيل وعدت بألّا تكون أول مَنْ يحوز عليها»(٥). وأدلى المتكلّم باسم الحكومة الاسرائيلية في الكنيست، أيضاً، ببيان واضح، بأنه «لا توجد أسلحة نووية في الشرق الاوسط، وانّ اسرائيل لن تكون، أبداً، أول من يدخلها»(٦).

وفي كانون الاول (ديسمبر) ١٩٧٤، كرّر رئيس الدولة، آنئذٍ، افرايم كتسير، وعداً أُصدر سابقاً، بـ «عدم الادخال الاول»؛ ولكنه أضاف ان اسرائيل «لديها الامكانية» لبناء قنابل نووية، وانه يمكنها ان تفعل ذلك «خلال فترة معقولة من الوقت»(٧).

وفي أيلول (سبتمبر) ١٩٧٥، قال رئيس الوزراء، آنئذٍ، رابين، ان اسرائيل «بلد غير نووي». وكرّر انها «لن تكون أول من يدخل الاسلحة النووية الى المنطقة». ولكن رابين رفض القول ان لا اسلحة نووية لدى اسرائيل؛ ومع ذلك، قال انه، بعد «التسوية الشاملة» للصراع الدائر في الشرق الاوسط، «فاننا سنوقّع على كل اتفاق» يتعلّق بمعاهدة عدم انتشار الاسلحة النووية(٨).

ولم يكتف مسؤولون اسرائيليون بالتصريح بأن «اسرائيل لن تكون أول مَنْ يدخل الاسلحة النووية الى الشرق الاوسط»؛ بل صرّحوا بـ «انها لن تكون، أيضاً، ثاني مَنْ يدخل هذه الاسلحة»(٩). وفي حزيران (يونيو) ١٩٨١، صاغ وزير الدفاع الاسرائيلي الاسبق، موشي دايان، سياسة اسرائيل النووية بالصيغة التالية: «لن نكون أول من يدخل أسلحة نووية الى الشرق الاوسط؛ ولكن نمتلك القدرة على انتاج اسلحة نووية». ومضى دايان محذّراً من انه «اذا رغب العرب في ادخال اسلحة نووية الى الشرق الاوسط، عندئذٍ ينبغي على اسرائيل ألّا تتأخّر أكثر ممّا يجب عن امتلاك اسلحة نووية أيضاً»(١٠).

وفي تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٨٧، قال شمعون بيرس، وكان في ذلك الوقت وزيراً للخارجية، ان اسرائيل ليست سادس دولة حائزة على الاسلحة النووية في العالم. وقد أدلى بيرس بذلك البيان في أعقاب اصدار تقديرات، في ضوء المعلومات التي وفّرها الفنّي الاسرائيلي مردخاي فاعنونو، بأن اسرائيل هي سادس دولة حائزة على الاسلحة النووية(١١).

وليس من السهل معرفة المقصود بالبيانات بأن اسرائيل لن تكون أول من يُدخل أسلحة نووية الى الشرق الاوسط. وفي الحقيقة، يمكن تفسير هذه البيانات تفسيرات مختلفة، بأنها تعني ان اسرائيل لن تكون أول من «تقذف»، أو «تجرب»، أو «تنتج»، وغيرها من المعاني. وفضلاً عن ذلك، يمكن الاقتراب من انتاج قنبلة نووية سراً، ويمكن انتاجها ووضعها في «الطابق الاسفل»، أي عدم ازاحة النقاب عن حقيقة انتاجها، دون ان تعتبر انها «أُدخلت».

ويمكن، أيضاً، تقصير الخيار النووي الى وقت الصفر تقريباً، أي البلوغ بالتطوير النووي الى حدّ لا يُحتاج عنده الّا الى وقت قصير جداً لتحويل الخيار النووي الى الحيازة الفعلية لأسلحة نووية، ويمكن مدّ ذلك الخيار وقتاً طويلاً.

وقد أُدخلت الاسلحة النووية، فعلاً، الى منطقة الشرق الاوسط على متن سفن الاسطول

السادس التابع للولايات المتحدة الاميركية، وعلى متن السفن السوفياتية في البحر الابيض المتوسط. فعلى سبيل المثال، في النصف الاول من كانون الثاني (يناير) ١٩٩١، مرّت سفينة اميركية حاملة لأسلحة نووية في قناة السويس باتجاه البحر الاحمر.

ثمّ ان مصطلح «امتلاك» غامض بالتأكيد في السياق النووي. فاجراء التجربة على جهاز نووي كان، في الماضي، يعتبر متطلباً فنياً لتحقيق حيازة الاسلحة النووية. بيد ان اجراء التجربة لم يعد يعتبر شرطاً ضرورياً للامتلاك الفعلي للاسلحة النووية؛ أي ان مسألة الامتلاك قضية تعريف.

ومن ذلك كله، نخلص الى الاستنتاج بأن صيغة ان اسرائيل لن تكون أول من يدخل الاسلحة النووية الى الشرق الاوسط، وغيرها من الصيغ المماثلة، لا تكشف عن الكثير، ومن أغراضها توليد الغموض والشك في ما يتعلّق بحيازة الاسلحة النووية. لذلك، فهذه الصيغة تندرج في اطار سياسة الغموض النووي المتعمّد.

وعلى الرغم من اتّباع الحكومات الاسرائيلية لسياسة الغموض النووي، فان ذلك لا يعني ان تلك السياسة كانت ناجحة، أي ان طبيعة البرنامج النووي الاسرائيلي كانت غامضة غموضاً تامّاً، أو انها اذا كانت غامضة فانها بقيت كذلك. لعلّ هذه السياسة كانت ناجحة في السنوات الاولى من اتّباعها. فاذا كانت ناجحة، فانّ غموض المركز النووي قلّ بانقضاء السنين، وزادت أهداف البرنامج النووي الاسرائيلي وضوحاً. فالدراسات التي تناولت الانشطة العسكرية النووية الاسرائيلية والمعلومات المتزايدة من مصادر اميركية وأوروبية عن هذه الانشطة وزيادة الوعي العربي، وغير العربي، بحقيقة اقامة اسرائيل لبنية أساسية نووية، وبحقيقة انتاجها للاسلحة النووية، وحيازتها لترسانة متنامية من هذه الاسلحة، قلّلت، بمرور الوقت، غموض المركز النووي الاسرائيلي، الى درجة ان حيازة اسرائيل لهذه الاسلحة أصبحت، منذ وقت، جليّة.

ليس ذلك فحسب، بل ان المسؤولين الاسرائيليين اعترفوا، مؤخراً، بهذه الحيازة، وذلك كما تجلّى في التصريحات التي أصدرت في الشهور الماضية عن الاوساط الحكومية الاسرائيلية. واعتراف هذه الاوساط بهذه الحيازة يعني ان اعتبارات ازاحة النقاب عن حيازة الاسلحة النووية بالنسبة الى هذه الاوساط أقوى من اعتبارات مواصلة اتّباع سياسة الغموض النووي.

والعرض والتحليل الواردان هنا يتعلّقان بالسياق النووي الاسرائيلي قبل صدور هذه التصريحات الحكومية الاسرائيلية، أي يتعلّقان بسياق انتهاج الحكومات الاسرائيلية لسياسة الغموض النووي.

دوافع وأهداف سياسة الغموض النووي

عندما يدلي مسؤولون في الحكومة الاسرائيلية ببيانات الغرض منها ابقاء ترويج الاشاعات والتقارير الغامضة، وغير القاطعة، عن القدرة النووية الاسرائيلية، فان ذلك يعني ان الحكومة الاسرائيلية تعتبر هذه الاشاعات والتقارير خادمة لأهدافها ودوافعها. وأحد هذه الدوافع والاهداف هو تخويف العرب. وكما ذكر آنفاً، فان من شأن الغموض ان يولد الشكّ. ومن شأن غموض المركز النووي ان يولّد الشك في حيازة، أو عدم حيازة، اسرائيل للاسلحة النووية. ومن طريق الشكّ الذي تسعى اسرائيل الى ان يعيش العرب في ظلّه تريد ان تدفعهم الى اليأس من تحقيق أهدافهم القومية، والسياسية، ومن إهمال حقوقهم، والى الاستسلام وقبول شروط «السلام الاسرائيلي» المهينة للعرب، والرافضة لحقوقهم.

بيد ان هذه السياسة، القائمة على غموض المركز النووي، قد تؤدي الى نتيجة عكسية. فهذه السياسة قد لا تؤدي الى اليأس والاستسلام والقبول بشروط الخصم، بل قد تؤدي الى الثقة بتحقيق الاهداف الوطنية والقومية العربية، والى الاصرار على هذا التحقيق، والى رفض الشروط المهينة.

ان الشـك الذي قد تولّده هذه السيـاسـة ليس من شأنـه ان يؤدي، بالضرورة، الى اليأس والاستسلام والخوف والقبول. فردّاً على هذا الشكّ، من المحتمل ان ينشأ لدى الطرف الآخر، الطرف العربي، ذي الدول والاتجاهات والمنظمات والمدارس الفكرية السياسية المختلفة، الميل الى التعامل مع ذلك الشكّ بمنطقه، وان يتجلّى هذا التعامل في القرار العربي المحلي، أو العام، بأن ينهجوا النهج النووي.

ذلك يبيّن انه بدلاً من ان تكون سياسة غموض المركز النووي عامل تخويف للعرب، كما تتوخّاه اسرائيل، قد تصبح عامل تحفيز للعرب على السير على الطريق النووي.

سياسة الغموض والحافز النووي العربي

وثمّة هدف آخر لهذه السياسة وهو تخفيف حافز الدول العربية على حيازة الاسلحة النووية. ان الحافز موجود؛ وقد أوجدته المعرفة اليقينية، تقريباً، بأن اسرائيل تحوز على أسلحة نووية؛ وقد أوجده، أيضـاً، العداء بين العالم العربي واسرائيل والعدوان الاسرائيلي على الشعب الفلسطيني، وشعوب عربية أخرى.

وسيكون ذلك الحافز، أو المحرّك، أكبر، اذا أعلنت اسرائيل عن انها تمتلك أسلحة نووية، واذا عرضتْها متباهية ومتحدّية للاحساس العربي. ويمكن للمرء ان يتوقّع ان يعقب اعلان اسرائيل عن حيازة اسلحة نووية زيادة النشاطات العربية في المجال النووي. وممّا يؤكد وجود هذه العلاقة ما ورد في مقابلة أُجريت مع الرئيس السوري، حافظ الاسد، في كانون الثاني (يناير) ١٩٨٧. في تلك المقابلة، بعد ان اعترف الرئيس السوري بأن مصادر مرتفعة المكانة تؤكد ان لدى اسرائيل القدرة على صناعة قنبلة نووية، قال ان ذلك «يحفزنا، طبعاً، على التفكير بلغة فنيّة في مواجهة هذا التهديد»[١٢].

وممّا له صلة هامّة بهذا الموضوع ما كتبه وليام بوتر: «غالبية عقبات الانتشار [النووي] في الحالة الاسرائيلية تنطبق على الامتلاك المكشوف للاسلحة النووية، وليس على خيار نووي غامض، والرئيسة منها أخطار تحفيز خصوم اقليميين على تطوير قواتهم النووية الخاصة بهم»[١٣].

ورأى البعض ان ثمّة علاقة بين سياسة الغموض النووي التي تتّبعها اسرائيل وهجومها على المفاعل النووي العراقي في العام ١٩٨١. فقد أعرب غاري ميلهولين عن هذا الرأي بأن الحفاظ على الغموض النووي لعلّه كان السبب الحقيقي لهجوم اسرائيل على هذا المفاعل، وفي ان العراق لم يكن يهدّد وضع اسرائيل العسكري كما كان يهدّد قدرة اسرائيل على ان تبقى «غامضة». ورأى ميلهولين ان تحقيق العراق للغموض النووي كان من شأنه ان يتطلّب ان تجرب اسرائيل الاسلحة النووية، من اجل الابقاء على ميزتها في ان تبقى الدولة النووية الوحيدة في الشرق الاوسط[١٤].

الردع بواسطة الشكّ

ومن طريق اتباع سياسة الغموض النووي المحسوب، والمتعمّد، ترمي اسرائيل الى تحقيق ردع للعـرب من خلال زرع الشـك. وتقـوم هذه السيـاسـة على الافتراض ان درجة من الشكّ، في ما

يتعلّق بقوّتها النووية، ستدخل الحذر في نفوس الدول العربية المعادية لها. ونظراً الى التصوُّر لدى بعض العرب لجرأة اسرائيل والتجائها الى المباغتة وميلها الشديد الى التجديد التكنولوجي، يعتقد المسؤولون الاسرائيليون بأن هذه السياسة التي تثير، وتعزّز، القلق عند العرب في مناخ يسود فيه الشكّ، تفيد في تحقيق الردع الاسرائيلي. وممّا يؤكد هذا القصد بيان شمعون بيرس في الكنيست: «أنا أعرف ان هذا الشكّ [من جانب العرب] قوة رادعة. لماذا، اذاً، يجب ان نهدّىء هذه الشكوك؟ لماذا يجب ان ننوّرهم؟»(١٥).

وكما أسلفنا ان امتلاك اسرائيل لترسانة من الاسلحة النووية أصبح من الامور الواقعة المسلّم بها عالمياً تقريباً. ونظراً الى ذلك، فان الغموض الذي يحيط بحجم هذه الترسانة من الاسلحة النووية، ودقّتها، وقدرتها على الصمود والبقاء، وعلى اختراق الاهداف المعادية، يُشيع الحذر في نفوس الدول العربية.

وثمّة دافع آخر لسياسة الغموض النووي، هو ردّ فعل الدولتين العظميين، الولايات المتحدة الاميركية والاتحاد السوفياتي، نظراً الى مصالحهما في الشرق الاوسط. وعند الكلام عن سياسة الغموض النووي الاسرائيلية ليس المقصود ان هاتين الدولتين لا تدريان بطبيعة الانشطة النووية في اسرائيل؛ انهما تعرفان ذلك معرفة كبيرة. ان هاتين الدولتين تفضّلان ان تتّبع اسرائيل سياسة الغموض النووي، وان تواصل اتّباع هذه السياسة؛ اذ ليس من مصلحتهما ان تزيح اسرائيل الستار عن حيازتها للاسلحة النووية، وليس من مصلحتهما ان تكشفا عن هذه الحيازة.

انهما تحتويان موضوع حيازة اسرائيل لهذه الاسلحة وتتستّران على هذه الحيازة؛ ولا تثيران هذا الموضوع الاّ بمقدار ما يتمشّى مع سياستيهما. وتفعل الولايات المتحدة الاميركية والاتحاد السوفياتي ذلك، لأن اعلان اسرائيل عن حيازة الاسلحة النووية من شأنه ان يولّد ضغطاً من جانب الدول العربية على هاتين الدولتين لتقدّما ضمانات نووية لحماية هذه الدول غير الحائزة على الاسلحة النووية، وهي ضمانات قد تكونان غير مستعدتين لتقديمها.

ولعلّ الولايات المتحدة الاميركية تتستّر على حيازة اسرائيل للاسلحة النووية مراعاة لمشاعر الدول العربية الدائرة في فلكها، على الرغم من انها لا تراعي، مراعاة حقيقية، هذه المشاعر التي لا تُترجَم الى سياسة عربية عملية تُحمَل محمل الجدّ وتُولى الاعتبار الجادّ. وتفعل الولايات المتحدة الاميركية ذلك، أيضاً، لأنها تراعي، مراعاة عملية، حقيقية اسرائيل، حليفها وصديقتها، والمتحكّمة في سياستها، والخادمة لمصالحها الاستراتيجية في المنطقة.

سياسة الغموض والفائدة الاقتصادية من اميركا

باتّباع سياسة الغموض النووي المحسوب يرمي راسمو السياسة في اسرائيل الى تحقيق فوائد اقتصادية. ويبدو ان الفوائد الاقتصادية المجنيّة من الابقاء على قدر من الغموض بهذا الصدد تتجاوز في نظر راسمي السياسة الاسرائيليين، الفوائد العسكرية من وضوح المركز النووي. ونظراً الى ان معظم المراقبين يتّفق على ان وجود أسلحة نووية يفترض مسبقاً مستوى معيّناً من الثروة الاقتصادية، فان زعماء اسرائيل يخشون من ان تأكيدهم لحيازتهم للاسلحة النووية من شأنه ان يؤثر سلباً في تلقّيهم للمساعدة الاقتصادية، والعسكرية، من الولايات المتحدة الاميركية(١٦).

ان الجماعات المنتقدة لسياسات وممارسات اسرائيل، السياسية والعسكرية، من شأنها ان

تجـد في اعـلان اسرائيل عن حيازتها للاسلحة النووية حافزاً على ممارسة الضغط على الكونغرس الاميركي ليخفض، أو يوقف، المعونة المالية ـ الاقتصادية التي تقدّم الى اسرائيل، والتي تبلغ بلايين الدولارات سنوياً.

ان اسرائيـل، باتّباع سياسة الغموض النووي المتعمّد، تعزّز، أيضاً، موقفها في المساومة مع واشنـطن، وتقوم بابتزازها وتحقّق النفوذ في الولايات المتحدة الاميركية، ومن الممكن في دول عربية أخـرى. فمن طريق هذه السيـاسـة، تدفـع اسرائيل الولايات المتحدة الاميركية الى تلبية الطلبات الاسرائيلية للاسلحة التقليدية الحديثة والمتطوّرة والمعونات المالية والاقتصادية الضخمة، والى اقامة الروابط الاستراتيجية والتعاون التكنولوجي العسكري والدعم الدبلوماسي. لقد ذكرت اسرائيل، دائماً، ان حالتها الامنية معقّدة؛ وزعمت ان الاخطار العسكرية تتهدّد أمنها، وان سباق التسلّح بالاسلحة التقليدية ليس في صالحها، وان الاسلحة التقليدية لدى العرب تهدّد تفوّقها العسكري. ومن طريق ذكر، واستعمال، هذه الحجج الزائفة والكاذبة في معظمها، حوّلت اسرائيل موضوع الحيازة النووية الى ورقة مساومة ضخمة وصريحة، خلال الاتصالات الاميركية ـ الاسرائيلية بشأن تلبية المطالب الاسرائيلية.

ان الولايات المتحدة الاميركية تلبّي طلبات اسرائيل المفرطة في كثير من الاحيان، وذلك حتى لا تزعم اسرائيل انها تفتقر الى الامن، فتهدد بأنها ستتجة الى حيازة الاسلحة النووية، أو بأنها ستعلن عن حيازة هذه الاسلحة اذا رفضت الولايات المتحدة الاميركية طلباتها[١٧]. فاسرائيل تستعمل حجّة عدم حيازتها للاسلحة النووية لمواصلة الحصول على ما تطلبه من اسلحة وتكنولوجيا ومساعدة مالية واقتصادية ودعم دبلوماسي وتعاون استراتيجي. والولايات المتحدة الاميركية، خوفاً من اعلان اسرائيل عن طبيعة أنشطتها النووية وعن حيازة الاسلحة النووية، تلبّي طلباتها.

ثمّ ان سياسة الغموض الاسرائيلية، في المجال العسكري النووي، تشكّل ورقة ابتزاز اسرائيلية في سيـاق امكـانيـة تغـيّر المـوقف الامـيركي المؤيد لاسرائيل. لقد ذكر عدد من متّخذي القرارات الاسرائيليين ان اسرائيل قادرة على التصرّف بصورة غير مسؤولة وبصورة جنونية مُضرّة بالمصالح الامـيركية في الشرق الاوسط. والاعلان عن تحقيق الخيار النووي، أي الاعلان عن تحويل الخيار النووي الى حيازة فعلية للاسلحة النووية، يمكن ان يُعتبر مظهراً من مظاهر هذا التصرّف المجنون. وبعبارة أخرى، ان الاعلان عن تحقيق الخيار النووي، أي نبذ سياسة الغموض النووي، هو احدى أدوات الابتزاز التي يمكن ان تستعملها اسرائيل، اذا غيّرت الولايات المتحدة الاميركية موقفها الحالي المؤيّد لاسرائيل. ووفقاً لهذا المنطق، فان اسرائيل، بعدم اعلانها عن حيازتها للاسلحة النووية، تشجّع الولايات المتحدة الاميركية على عدم تغيير سياستها اذا أرادت تغييرها، وان الولايات المتحدة الاميركية يتعيّن عليها ان تحسب حسابات كثيرة قبل ان تغيّر سياستها، خشية اعلان اسرائيل عن حيازتها للاسلحة النووية.

ومن شأن اعلان اسرائيل عن حيازة الاسلحة النووية ان يضايق الحكومة الاميركية من ناحية أخرى. ان مساعدة دولة حائزة لأسلحة نووية من شأنها ان تثير اسئلة متعلّقة بالشرعية والاخلاق، ممّا يسهم في توسيع نطاق المناقشة العامّة لهذا الموضوع[١٨]. ولتجنُّب الاسئلة المتعلّقة بالشرعية والاخلاق، ولتفادي اجراء مناقشة عامّة حول هذا الموضوع، تلبّي الولايات المتحدة الاميركية طلبات اسرائيـل، حتى لا تعلن هذه عن حيـازة للاسلحـة النـووية. ومن شأن اجراء مناقشة عامّة حول

هذا الموضوع ان يبيّن حقيقة اسرائيل النووية، وحقيقة العلاقات الاميركية ـ الاسرائيلية في السياق النووي. والولايات المتحدة الاميركية لا تريد اجراء هذه المناقشة، لأنها لا تريد اظهار هذه الحقيقة. ان عدم الرغبة في اجراء هذه المناقشة هو جزء من سياسة التستّر الاميركية على الانشطة النووية الاسرائيلية.

التهديد باستعمال الاسلحة النووية

في الواقع، ان الحالة القائمة بين الولايات المتحدة الاميركية واسرائيل قد تجاوزت مسألة تحقيق الخيار النووي؛ اذ ان التهديد الذي تلمّح اليه اسرائيل لم يعد مجرّد استحداث الاسلحة النووية، فان الكثيرين من الخبراء والمسؤولين في مختلف الحكومات، بمن في ذلك معظم واضعي السياسة الاميركيين، يعترفون، سراً أم علانية، بأنه تمّ تحقيق الخيار النووي. ان ذلك التهديد الاسرائيلي يتجاوز استحداث الاسلحة النووية ويقترب من حافة الاستعمال النووي.

ان امكانية استعمال اسرائيل الفعلي للاسلحة النووية، أو استعمالها لها وقت الازمة ـ ممّا يعني ازاحة النقاب عن حيازتها لها ـ يحمل الولايات المتحدة الاميركية، أيضاً، على ان تلبّي طلبات اسرائيل العسكرية والاقتصادية والتكنولوجية، حتى لا تتذرّع اسرائيل بأنها في حالة عسكرية ضعيفة، ولذلك فانها بحاجة الى استعمال الاسلحة النووية.

وثمّة امثلة على تهديد الحكومة الاسرائيلية باستعمال الاسلحة النووية لتبتزّ أسلحة من الولايات المتحدة الاميركية. وأحد هذه الامثلة هو البيان الذي أدلى به، في كانون الثاني (يناير) ١٩٨٧، عاموس روبين، بعد ان عُيّن مستشاراً اقتصادياً لرئيس الحكومة، اسحق شامير، بوقت قصير. قال روبين ان اسرائيل «اذا تمّ التخلّي عنها، فلن يكون لها خيار سوى اللجوء الى وسائل دفاعية أشد خطراً، تعرّض للخطر نفسها والعالم أجمع». وفسّر روبين الكلام بأنه عنى «بوسائل دفاعية أشد خطراً» الوسائل الدفاعية النووية. واختتم بيانه بقوله، ان ذلك «سبب... آخر للزوم مواصلة الولايات المتحدة الاميركية لتخفيف العبء الذي تحمله اسرائيل في انزال قوات تقليدية ضخمة الى الميدان»[١٩].

وحدثت حالة أخرى لامكانية الابتزاز النووي الاسرائيلي للولايات المتحدة الاميركية خلال حرب تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٧٣. ولهذه الحالة أهميتها للاغراض التحليلية، نظراً الى انها حدثت وسط أزمة الحياة الحقيقية. فوفقاً لقصة نُشرت في مجلة «تايم» الاميركية، في نيسان (ابريل) ١٩٧٦، «فان القنابل [النووية] الثلاث عشرة لاسرائيل... جمعت بعجلة خلال ليلة ٨/٩ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٧٣، ثمّ أُرسلت الى ترسانة في الصحراء»[٢٠]. وكان لتلك الليلة مغزاها، لأن الاسرائيليين كانوا لا يزالون عاجزين عن صدّ زخم الهجوم العربي الذي شُنّ قبل ذلك بيومين. وكان هنري كيسنجر، في ذلك الوقت، في البيت الابيض، بوصفه مستشاراً للامن القومي ووزيراً للخارجية.

وأفادت مقالة نشرت في مجلة «تايم» الاميركية بعد ذلك، بأن الولايات المتحدة الاميركية علمت باعدادات نووية اسرائيلية من طريق بيانات التقطتها طائرة تجسّس من طراز اس آر ـ ٧١. ولكن تلك المقالة لم تذكر متى جرى تلقّي هذه المعلومات. ذكر كيسنجر انه في الساعة ١:٤٥ صباحاً، أيقظه السفير الاسرائيلي سيمحا دينيتس، طالباً اعادة تزويد مستعجلة وعلى نطاق واسع للاسلحة التقليدية. وكتب كسينجر: «ان فكرة... جالت في ذهني، وهي ان الاسرائيليين لعلّهم ارادوا ان يلزمونا

ببرنامج محدّد المواعيد للتوصيل الآن [للاسلحة]»[٢١]. واعترض كيسنجر وذهب الى سرير النوم حتى اتصل دينيتس به، مرة أخرى، بعد ذلك بساعة تقريباً.

وفي اجتماع عُقد في الصباح المبكر لليوم التالي، أقنع دينيتس وملحقه العسكري بتغيير رأي كيسنجر، وذلك وفقاً لرواية كيسنجر. كيف حقّق ذلك؟ حقق ذلك، وفقاً لرواية كيسنجر، من طريق رواية جسامة الخسائر التي تكبّدتها القوات الاسرائيلية في اليومين الاولين من حرب تشرين الاول (اكتوبر). وكتب كيسنجر: «ان ما كان دينيتس يبلّغ به يتطلّب اعادة تقدير جوهري للاستراتيجية. ان دبلوماسيتنا كلّها، وسياستنا في اعادة التزويد، كانتا مكيّفتين للانتصار الاسرائيلي السريع. وجرى الآن تخطّي هذه الافتراضات». ووفقاً لرواية كيسنجر، ففي نهاية ذلك الاجتماع، «طلب دينيتس ان يراني وحدي لمدة خمس دقائق»[٢٢]. ان اصرار دينيتس على مشاهدة كيسنجر وحده، على الرغم من ان الموظفين المساعدين كانوا، فعلاً، على علم كامل بحالة اسرائيل المتردّية، لا بدّ من ان يُوحي بأن دينيتس كانت لديه رسالة ما لتبليغها الى الاميركيين، ولها أهمية أكبر من اهمية الحالة العسكرية التي قدّم عنها، فعلاً، تقريراً الى كيسنجر.

وفي الحقيقة، ان رواية كيسنجر لما أعرب دينيتس عنه تبدو ضعيفة. فقد كتب كيسنجر ان السفير الاسرائيلي انتهز تلك الفرصة ليخبره بأن رئيسة الحكومة غولده مائير تعتقد بأن الحالة تبلغ من الخطورة ما يجعلها حتى تغادر اسرائيل وسط القتال لتأتي لتدافع عن «قضية بلدها». ليس من المقنع القول ان هذه هي الرسالة الوحيدة التي أوصلها السفير الاسرائيلي الى كيسنجر خلال اجتماعهما الذي كان مقصوراً عليهما. ومن المحتمل ان ذلك الاجتماع بينهما كان اللحظة التي أُوصل فيها التهديد الابتزازي الاسرائيلي النووي ايصالاً صريحاً أو، كما يبدو من المرجّح ترجيحاً كبيراً جداً، بالتلميح القوي. ومهما قال دينيتس في تلك اللحظات، فان رسالته حقّقت الاثر المنشود؛ اذ وافق الرئيس ريتشارد نيكسون، في وقت متأخّر من ذلك اليوم نفسه، على اعادة التزويد بالأسلحة[٢٣].

ان اذعان الولايات المتحدة الاميركية للابتزاز النووي الاسرائيلي قد يكون ما أمل الاسرائيليون في تحقيقه، حينما تعاقدوا، أول مرة، مع فرنسا، في العام ١٩٥٧، على المساعدة الكبيرة في اقامة المنشأة النووية في ديمونه ومصنع لانتاج البلوتونيوم. ان فرانسيس بيرين، الذي كان مفوّض فرنسا الكبير للطاقة النووية من سنة ١٩٥١ حتى سنة ١٩٧٠، كان مشاركاً، مشاركة وثيقة، في هذه الخطط المبكرة. قال، في مقابلة اجرتها معه في العام ١٩٨٦ صحيفة «صنداي تايمز» اللندنية: «فكّرنا بأن القنبلة موجّهة ضد الاميركيين. وكان معنى ذلك ان الهدف ليس، اطلاقها، ضد اميركا، ولكن القول: ' اذا لم تريدي ان تساعدينا في حالة حرجة، فسنطالبك بمساعدتنا؛ والّا فاننا سنستعمل قنابلنا النووية ' »[٢٤].

وتتظاهر اسرائيل بأنها لا تحوز أسلحة نووية، حتى تستطيع الولايات المتحدة الاميركية ان تتظاهر بأنها تصدّقها. وذلك لأن الولايات المتحدة الاميركية هدّدت، مراراً وتكراراً، بقطع المعونة المقدّمة الى دول أخرى لا تحوز على الاسلحة النووية ويعرف عنها انها تقوم بمحاولة استحداث أسلحة نووية. ومن الطبيعي ان اسرائيل ليس في وسعها ان تستغني عن المعونة الاميركية، التي تبلغ، حالياً، بلايين الدولارات سنوياً. وللابقاء على حجم هذه المعونة، يجب على اسرائيل ان تتصرّف على نحو يسمح للكونغرس الاميركي بأن يتغاضى عن مشروعها النووي؛ وذلك التصرّف يتمثّل في اتباع سياسة الغموض النووي.

وتتّبع اسرائيل سياسة الغموض النووي لأن الاعلان عن حيازة الاسلحة النووية من شأنه ان يولّد سخطاً لدى محافل دولية مختلفة على اسرائيل، وضغوطاً عليها، لاخضاع أنشطتها ومنشآتها النووية لنظام الضمانات والتفتيش الدولي.

لقد بيّنت اسرائيل، على مدى العقود الاربعة الماضية، استهتارها بالرأي العام العالمي، وبالقانون الدولي، وبالمنظمات الدولية وبقراراتها. ونظراً الى ذلك الاستهتار، يجب عدم ايلاء هذا الدافع ما لا يستحقه من أهمية. فاسرائيل تضع اعتباراتها القائمة على مصالحها، كما تراها، فوق أي اعتبار.

سياسة الغموض وسعي الدول العظمى لمنع اقامة بنية نووية عربية

يسهم غموض مركز اسرائيل النووي في جهود الدول الكبرى الرامية الى منع الدول العربية من اقامة بنية اساسية نووية، أو من تحقيق الخيار النووي. وما فتئت الولايات المتحدة الاميركية وبريطانيا والاتحاد السوفياتي، وغيرها من الدول الغربية، تقوم بنشاطات لمنع اقامة هذه البنية التي يمكن لدول عربية، من طريقها، حيازة خيار نووي؛ ثمّ، اذا قرّرت، تحقيق هذا الخيار، أي تحويل الخيار النووي الى الحيازة الفعلية للاسلحة النووية.

وممّا يتّصل بسياسة الغموض النووي الاسرائيلية موقف الاتحاد السوفياتي من الحيازة الاسرائيلية للاسلحة النووية. فالاتحاد السوفياتي يعرف بأن اسرائيل تحوز على هذه الاسلحة؛ ويتستّر عليها تحسُّباً من ان يطلب اليه بعض الدول العربية ان يمدّه بأسلحة وتكنولوجيا متطوّرة ليس الاتحاد السوفياتي على استعداد لامداده بها، لما من شأنه ان يؤدي الى اضعاف العلاقات بينه وبين تلك الدول. ويستطيع الاتحاد السوفياتي ان يتستّر على حيازة اسرائيل للاسلحة النووية، ما دامت هذه تتّبع سياسة الغموض النووي. هذه الاعتبارات السوفياتية تشكّل حوافز على ان يضع الاتحاد السوفياتي، بهدوء، مسألة التسلّح النووي الاسرائيلي كلها تحت بساط العلاقات الثنائية بين الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة الاميركية(٢٥).

وثمّة دافع آخر على قدر كبير من الاهمية، وهو ان سياسة اسرائيل ذاتها تنحو، في العادة، منحى الغموض والتستّر والتكتّم وعدم الاعلان. فاسرائيل تفضّل تنفيذ سياستها، وتحقيق أهدافها، بهدوء وبدون صخب، اذا أمكنها ذلك. ان الدول تعلم كل النشاطات داخل مرافق اسرائيل النووية؛ وتريد تلك الدول ان تُعفى من الاحراج. قسم من الدول يعلم بهذه النشاطات، ولكنه يتظاهر بأنه لا يعلم. وقسم آخر يغمض عينه، أو عينيه، عمّا يجرى، ويلتفت الى شواغله. ان سياسة الغموض النووي هي ورقة التين التي تستر عدم التفات دول الى حيازة اسرائيل للاسلحة النووية، ولا تريد هذه الدول ان تفقد ورقة التين هذه بأن تعلن اسرائيل عن حيازتها لهذه الاسلحة.

سياسة الغموض وزعزعة الاستقرار الاقليمي

ان سياسة الغموض النووي المتّبعة من جانب اسرائيل حيال حيازة الاسلحة النووية، هي احد العوامل الهامّة المساهمة في زعزعة استقرار الشرق الاوسط. وتهدّد هذه السياسة قضية عدم انتشار الاسلحة النووية في المنطقة. انه لمما يُسهم في درء خطر سباق التسلّح النووي في الشرق الاوسط ان تنبذ اسرائيل، دون لأي، امتلاك الاسلحة النووية، وان تخضع جميع مرافقها النووية للضمانات الدولية، وان تلتزم بانشاء منطقة خالية من الاسلحة النووية، عملاً بالفقرات ٦٠ الى ٦٣ من

الوثيقة الختامية للدورة الاستثنائية العاشرة التي خصّصتها الجمعية العامة للامم المتحدة لنزع السلاح (القرار دورة استثنائية ١٠/٢) وعملاً بأحكام قرارات الجمعية العامة التي اتّخذتها في دوراتها المختلفة، ومن طريق الانضمام الى معاهدة عدم انتشار الاسلحة النووية، أو بالقبول الانفرادي لتلك الضمانات.

لقد ورد في ديباجة معاهدة عدم انتشار الاسلحة النووية، التي اصبحت سارية المفعول في الخامس من آذار (مارس) ١٩٧٠، ان الدول الاطراف في المعاهدة تعتقد بأن زيادة الاسلحة النووية من شأنها ان تزيد في خطر الحرب النووية؛ وان الدول الاطراف في المعاهدة تدعو، وفقاً لقرارات الجمعية العامة للامم المتحدة، الى ابرام اتفاق على منع المزيد من انتشار الاسلحة النووية؛ وتعلن عن نيّتها لأن يُحقَّق، في أسرع وقت ممكن، ايقاف سباق التسلّح النووي، ولأن تتخذ تدابير فعّالة باتجاه نزع السلاح؛ وتعرب عن الرغبة في تخفيف حدّة التوتر الدولي وتعزيز الثقة بين الدول من أجل تسهيل ايقاف صناعة الاسلحة النووية، وتصفية كل المخزونات القائمة منها، وازالة الاسلحة النووية، ووسائل توصيلها من الترسانات الوطنية؛ وتذكّر بأنه ينبغي على الدول، وفقاً لميثاق الامم المتحدة، ان تحجم، في علاقاتها الدولية، عن التهديد بالقوة، أو عن استعمالها ضد السلامة الاقليمية والاستقلال السياسي للدول، أو بأي طريقة أخرى لا تتماشى مع اغراض الامم المتحدة(٢٦).

وورد في الوثيقة الختامية، التي اعتمدتها الجمعية العامة في دورتها الاستثنائية العاشرة المخصّصة لنزع السلاح في حزيران (يونيو) ١٩٨٧، ان من التدابير الهامّة لنزع السلاح انشاء مناطق خالية من الاسلحة النووية؛ وان من شأن انشاء منطقة خالية من الاسلحة النووية في الشرق الاوسط ان يعزّز السلم والامن الدوليين، تعزيزاً كبيراً؛ وانه ريثما يتمّ انشاء هذه المنطقة في الشرق الاوسط، ينبغي على دول المنطقة ان تعلن، رسمياً، عن انها ستمتنع، على أساس التبادل، عن انتاج الاسلحة النووية وأجهزة التفجير النووي، أو الحصول عليها، أو حيازتها على أي نحو آخر؛ وتوافق على وضع جميع انشطتها النووية تحت ضمانات الوكالة الدولية للطاقة الذرية(٢٧).

---

(١) من المصادر التي تتضمّن هذه الادلّة Pry, Peter; *Israel's Nuclear Arsenal* Boulder, Colo.: Westview Press, 1984.
Gaffney, Mark; *Dimona the Third Temple? The Story Behind the Vanunu Revelation*, Brattleboro, VT: Amana Books, 1989.
"Revealed; The Secrets of Israel's Nuclear Arsenal", *Sunday Times*, October 5, 1986.

(٢) Jaishankar, S.; "The Israeli Nuclear Option", *India Quarterly*, Vol. 34, No. 1, January - March 1978, p. 49.

(٣) *SIPRI Yearbook, 1972; World Armament and Disarmament*, Stockholm: International Peace Research Institute, 1972, p. 312; Evron, Yair; "Israel and Nuclear Weapons", in Jae Kyu Park (Ed.), *Nuclear Proliferation in Developing Countries*, Seoul: The Institute for Eastern Studies, 1979, p. 124.

(٤) انظر "Allon; Israel Won't be First to Use Bomb", *Jerusalem Post*, December 26, 1974; Rabin, Y.; Interview with the *American Broadcasting Co.*, April 15, 1975.

(٥) Quandt, William B.; *Decade of Decisions; American Policy toward the Arab-Israeli Conflict, 1967 - 1976*, Berkeley: University of California Press, 1977, p. 67.

(٦) Jabber, F.; *Israel and Nuclear Weapons; Present Option and Future Strategies*, London: Chatto & Windus for the International Institute for Strategic Studies, 1971, Note 4, p. 51.

(٧) Cohen, Victor; "Israel Says It Could Build Nuclear Weapons", *Washington Post*, December 3, 1974.

(٨) "Transcript; Issues and Answers", *ABC News*, September 7, 1975.

(٩) Evron, Y.; "Israel and the Atom; The Uses and Misuses of Ambiguity, 1957 - 1967", *ORBIS*, 17, Winter 1974; Lefever, Ernest W.; *Nuclear Arms in the Third World*, Washington, D.C.: Brookings, 1979, p. 67.

(١٠) "Dayan Says Israelis have the Capacity to Produce A-Bombs", *New York Times*, June 25, 1981, p. 1.

(١١) "Revealed; The Secrets of Israel's Nuclear Arsenal", *Sunday Times*, October 5, 1986.

(١٢) من نصّ المقابلة التي أجرتها القبس (الكويت)، مع الرئيس حافظ الأسد، واذاعتها اذاعة دمشق، في ١٩٨٧/١/٢٤.

(١٣) Potter, William C.; *Nuclear Power and Non-Proliferation*, Cambridge, Mass.: Oelgeschlager, Gunn & Haim, 1982, p. 169.

(١٤) Milhollin, Gary; "Heavy Water Cheaters", *Foreign Policy*, No. 69, Winter 1987 - 1988, p. 116.

(١٥) Shikaki, Khalil; "The Nuclearization Debates; The Cases of Israel and Egypt", *Journal of Palestine Studies*, Vol. 14, No. 4, Summer 1985, p. 82.

(١٦) Potter, **op. cit.**, p. 135

(١٧) Gaffney, Mark; "Prisoners of Fear; A Retraspective Look at the Israel Nuclear Program", *American - Arab Affairs*, No. 22, Fall 1987.

(١٨) Bilski, Andrew; "A Case of Treason", *Maclean's*, September 14, 1987, p. 25.

(١٩) "Israel Needs More U.S. Aid to Spur Economy and Immigration, Economist Says", *Christain Science Monitor*, January 20, 1987, pp. 9, 14.

(٢٠) "How Israel Got the Bomb", *Time*, April 12, 1976, pp. 39 - 40.

(٢١) Kissinger, Henry; *Years of Upheaval*, Boston: Little, Brown, 1982, p. 491.

(٢٢) المصدر نفسه، ص ٤٩٢ ـ ٤٩٣.

(٢٣) المصدر نفسه، ص ٤٩٥؛ وأيضاً Cobban, Helena; "Israel's Nuclear Game; The U.S. Stake", *World Policy Journal*, Vol. V, No. 3, Summer 1988, p. 424

(٢٤) Chomsky, Noam; *The Fateful Triangle; The United States, Israel and the Palestinians*, Boston: South-End Press, 1983, pp. 468 - 69.

(٢٥) Cobban, **op. cit.**, p. 422

(٢٦) United Nations, *Treaty Series*, Vol. 729, Treaty on the Non-Proliferation of Nuclear Weapons, New York, 1974, pp. 169 - 171.

(٢٧) الامم المتحدة، الجمعية العامة، الوثائق الرسمية، الدورة الاستثنائية العاشرة، الملحق الرقم ٤، د إ ـ ٢/١٠، نيويورك، ١٩٧٨، ص ١٠ ـ ١١.

السياسة السوفياتية في الشرق الأوسط

محمد شهير العبسة

تشهد السياسة الخارجية السوفياتية عاصفة من التحوّلات تتخطّى إعادة ترتيب الأولويات إلى احداث تغيير جذري في الاهداف، والوسائل أيضاً. وادارة ميخائيل غورباتشيوف، المنغمسة في معالجة آثار فتح «صندوق» القوميات ومواجهة عواقب التغيّرات الاستراتيجية في اوروبا الشرقية، تمارس دبلوماسية أكثر نشاطاً وأقل مجابهة وذات محتوى عالٍ من البراغماتية. وتتضح هذه البراغماتية في سبل تسوية النزاعات الاقليمية، وتتجلّى في منطقة الشرق الاوسط التي شهدت أربعة عقود، كان التأييد السوفياتي للعرب خلالها يؤخذ كقضية مسلّم بها.

غرض هذه الدراسة تحديد جوانب التغيّر في السياسة السوفياتية المتصلة بالعلاقات مع دول المنطقة، ومفاهيم التسوية، والقضايا المتفرّعة عنها، وصولاً الى التحدّث عن الاهداف التي تتوخّى الدبلوماسية السوفياتية تحقيقها، في ضوء هذه المتغيّرات.

ان تاريخ العلاقات السوفياتية ـ الشرق أوسطية هو تاريخ الخيبة؛ خيبة ناجمة، أحياناً، عن سوء التوقيت، وناجمة، في أحايين أخرى، عن التجريبية التي طبعت وسائل ومحاولات الدخول السوفياتي الى المنطقة. وكثيراً ما أدّى القيام بالمبادرات، أو الامتناع عنها، الى الكوارث ذاتها.

لقد كان التوجّه نحو الشرق الاوسط هو الخيار الثاني لدى لينين، بعد ان فشل خياره الأول، وهو اشعال ثورة تغيير الاوضاع في اوروبا. واستخدم ستالين كل السبل التي تؤدي الى مدّ نفوذه الى هذه المنطقة من العالم: مطالب اقليمية ودعم الاقليات ودعم الاحزاب، وأخيراً دعم اسرائيل. لكن كل هذه السبل أدّت الى طريق مسدود[١].

حفل العام ١٩٥٥ بالعديد من المغريات التي شجّعت الاتحاد السوفياتي على محاولة «خطب ودّ» دول الشرق الاوسط. ففي شباط (فبراير) من ذلك العام، أُعلن عن قيام «حلف بغداد»، ممّا وضع مصر عبدالناصر والسعودية وسوريا في موقع المعارض للحكومة العراقية. وازاء مماطلة الولايات المتحدة الاميركية، لم يجد الرئيس جمال عبدالناصر سبيلاً سوى التوجّه نحو الاتحاد السوفياتي، للحصول على اسلحة يتطلبها تصاعد حدّة المواجهة مع اسرائيل. وهكذا أُعلن، في ٢٧ أيلول (سبتمبر) ١٩٥٥، عن توقيع اتفاقية بين مصر وتشيكوسلوفاكيا[٢].

يمكن اعتبار هذه الصفقة تاريخ الدخول الرسمي للاتحاد السوفياتي الى المنطقة. فاستناداً الى المبدأ الذي أعلنه عبدالناصر: «نحن نشتري سلاحاً وليس أفكاراً»، انضمّت بلدان أخرى الى الركب: سوريا في العام ١٩٥٥، واليمن اعتباراً من سنة ١٩٥٧، والعراق والجزائر وليبيا والسودان والاردن في العقود اللاحقة.

بعد صفقة الاسلحة، استخدم الاتحاد السوفياتي عتلات اضافية لتوسيع نفوذه. فقد أيّدت الحكومة السوفياتية موقف مصر من تأميم قناة السويس. وعند وقوع العدوان الثلاثي على مصر، وجّه الاتحاد السوفياتي انذاره الشهير. ووجدت مصر، ثمّ سوريا، ان فوائد المعونة الاقتصادية السوفياتية تتخطّى مساوئها بكثير. وسعى الاتحاد السوفياتي الى تحسين صورته، وتقريبها من القلوب، عبر زيادة تبادل الخبرات في الميادين الانسانية.

خطت العلاقات العربية ـ السوفياتية نحو الستينات بعد ان تجاوزت انقطاعاً في سنتي ١٩٥٩ و١٩٦٠، سببه الموقف السوفياتي من الوحدة المصرية ـ السورية في العام ١٩٥٨، وتحويل الاهتمام السوفياتي الى العراق في ظل حكم عبدالكريم قاسم، وهو تحوّل كشف عن النفعية والتجريبية في السياسة الخارجية السوفياتية. الّا ان علاقات الاتحاد السوفياتي مع الدول العربية تطوّرت بثبات حتى العام ١٩٦٧، دون ان تتأثّر بسقوط نيكيتا خروتشيوف، في العام ١٩٦٤.

كانت هزيمة حزيران (يونيو) ١٩٦٧ نقطة تحوّل في العلاقات السوفياتية ـ العربية. فالجانب العربي شرع بالتشكيك في نوعية التسليح والتدريب السوفياتي؛ وتحوّل هذا التشكيك الى ما يشبه طقس مارسه العرب في كل الحروب اللاحقة، فيما ركّز الجانب السوفياتي على نقطتين، هما: «يمكن تقديم مساعدة عسكرية، شرط الاشراف على استخدامها؛ وأية مساعدة عسكرية ينبغي ان تنطوي على احتمالات تقدّم البحرية السوفياتية في المنطقة»[٣]. وهذا يمثّل خطوة هامّة على طريق التحوّل في السياسة الخارجية السوفياتية تجاه العالم الثالث، من نسخة سوفياتية من مبدأ «الفيتنمة» الى مبدأ التدخّل المباشر في النزاعات الاقليمية الذي وجد أجلى وأكمل صوره في العقد اللاحق، في افغانستان وكمبوديا وأنغولا. وقد توافق هذا التفكير السوفياتي مع رغبة الرئيس عبدالناصر في تزويد مصر بجيش قادر على مواجهة اسرائيل من موقع مناسب. وهكذا ارتفع عدد الخبراء السوفيات في مصر الى ٢٠ الف خبير.

بعد وفاة الرئيس عبدالناصر، أخذ النفوذ السوفياتي في الشرق الاوسط يتراجع بخطى حثيثة. وعلى خلاف التطوّر البطيء، ولكن المتصاعد، للعلاقات السوفياتية ـ المصرية في الحقبة الناصرية، أصبحت العلاقات السوفياتية مع دول المنطقة تصعد الى الذرى بسرعة بالغة، وبشكل مفاجيء لا تبرّره التطوّرات الاجتماعية في البلد المعني، لتهبط، خلال فترة قصيرة، بالسرعة عينها. حدث ذلك في مصر السادات، عندما طرد الخبراء السوفيات بعد ما يزيد قليلاً على السنة من توقيع معاهدة الصداقة المصرية ـ السوفياتية. وتكرّر الامر في الصومال. ولم تفلح معاهدات الصداقة التي عقدت مع العراق وسوريا في ايصال سفينة العلاقات العربية ـ السوفياتية الى مستقر دائم. وأوشك الاتحاد السوفياتي على التوصّل الى الاكتفاء بما يقدّم اليه من «تعابير الودّ» من الحلفاء العرب، مع الاستعداد لدفع أثمان غالية، سياسياً واقتصادياً، في مقابل ذلك.

خلفية نظرية

في مطلع الثمانينات، غدا واضحاً ان السياسة الخارجية السوفياتية في الشرق الاوسط خصوصاً، والعالم الثالث عموماً، تحوّلت الى «قطاع عام» آخر خاسر يستنزف الموارد السوفياتية، دون ان يكون قادراً على الوقوف على قدميه، ناهيك عن التطوّر. وكان هناك اعتراف عام، في الادبيات النظرية السوفياتية، بأن الآمال القديمة، المتصلة بوجود حلفاء أقوياء ونفوذ دائم، والناتجة عن تعزيز دول أحزاب الطليعة الماركسية لم تتحقق[٤]. وعلى الرغم من ذلك، لم يتقدّم الباحثون السوفيات بأي

بديل من السياسة تجاه العالم الثالث. والاستثناء البارز كان نائب رئيس دائرة العلاقات الدولية في اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفياتي، كارين بروتنتس.

كان بروتنتس، طوال عمله في اللجنة المركزية، متشككاً، على الدوام، في بناء مؤسسات اشتراكية في الاقطار النامية. وفي سلسلة مقالات مكتوبة، في أوائل الثمانينات، حاجج بروتنتس الى جانب تحويل اهتمام الاتحاد السوفياتي الى دول العالم الثالث الهامة جيو ـ سياسياً[٥].

وشارك بروتنتس في أفكاره رئيس دائرة الدعاية في اللجنة المركزية في عهد غورباتشيوف عضو المكتب السياسي اعتباراً من حزيران (يونيو) ١٩٨٧، الكنسدر ياكوفيليف. وفضّل ياكوفيليف العودة الى ما يشبه سياسة خروتشيوف في اقامة صلات قوية مع دول العالم الثالث الهامّة[٦].

والواقع ان هذا الاتجاه الجديد في السياسة الخارجية السوفياتية يمتد حالياً، ليشكّل تياراً يضمّ مجموعة من الاكاديميين السوفيات، وكبار موظفي الخارجية السوفياتية، الذين يسود فيما بينهم الاقتناع بعدم امكانية حل النزاعات عسكرياً، لانتفاء المبرّرات الاخلاقية، والسياسية، ويدعو البعض منهم الى اعادة تقويم السياسة الخارجية، بما فيها مسائل تصدير الأسلحة وايفاد الخبراء والمستشارين العسكريين[٧].

وطبيعي ان أهمّ تعبير عن التغيّر في مفاهيم السياسة الخارجية السوفياتية موجود عند الرئيس السوفياتي غورباتشيوف نفسه. فهو «كثير الاسئلة عن مدى قيمة التدخّل السوفياتي، بدافع عقائدي وأيديولوجي، في بعض دول العالم النامي الفقيرة»[٨].

وجوهر فكر غورباتشيوف لتسوية النزاعات الاقليمية يقوم على التفاوض لايجاد تسوية تحقق توازناً بين مصالح أطراف النزاع والقوى الاقليمية ومصالح القوى الدولية، واستبعاد اللجوء الى الحرب. وفي ما يخص الصراع العربي ـ الاسرائيلي، قال غورباتشيوف: «لا نريد، أبداً، ان ينتقص مسار، وشكل، التسوية وأهداف العملية نفسها من مصالح الولايات المتحدة الاميركية والغرب الطبيعية. نحن لا نسعى الى اخراج الولايات المتحدة الاميركية من الشرق الاوسط»[٩].

وكرّر غورباتشيوف، في مناسبات عديدة، ان للسياسة الداخلية الاولوية لديه على السياسة الخارجية، وانه لتنفيذ برنامجه الطموح للاصلاح الداخلي يحتاج الى السلام وتخفيض التوتّر الدولي[١٠].

أسس السياسة الخارجية في عهد غورباتشيوف

لا تزال أسس السياسة الخارجية السوفياتية الشرق أوسطية على حالها، وانْ أصاب مضامين هذه الاسس بعض التغيير. فالاتحاد السوفياتي لا يزال يعتبر نفسه مرتبطاً بالمنطقة، جغرافياً وتاريخياً وسياسياً، ممّا يملي عليه الاسهام في تسوية الصراعات الناشبة في المنطقة[١١]. وعلى الرغم من تأكيد غورباتشيوف عدم وجود نيّة لدى السوفيات للمساس بمصالح الآخرين من قوى عظمى، واقليمية، الّا انه لا توجد لدى الاتحاد السوفياتي نيّة للتنازل عن مصالح حلفائه، أو عن مصالحه[١٢].

ويتخلّى صراع الشرق الاوسط عن مكانة احد المواقع الامامية للمجابهة مع الامبريالية، متراجعاً الى مرتبة أحد الاخطار التي تهدّد الأمن العالمي، مثله مثل مشاكل التخلّف والمجاعة والبيئة وانتهاكات حقوق الانسان؛ والمهمة الاولى للسياسة السوفياتية في المنطقة هي تخفيف مستوى المجابهة

وحدّة الصراع، واضعاف تأثيرها في المناخ الدولي[١٣]. وتسود في الادبيات السوفياتية، حالياً، الدعوة الى التعاون مع الدول الغربية والولايات المتحدة الاميركية، مع التشديد على الانتماء الى «البيت الاوروبي الواحد». أمّا على صعيد تخفيف مستوى المجابهة في المنطقة، فتجدر الاشارة الى مبادرة غورباتشيوف، في العام ١٩٨٦، الداعية الى عقد مؤتمر أمن شرق أوسطي على غرار مؤتمر الامن الاوروبي.

يلعب العامل الاقتصادي دوراً أكثر أهمية وتوسّعاً من ذي قبل في صياغة السياسة الخارجية السوفياتية. وتتمّ التحرّكات السوفياتية في اتجاهين: الاول، محاولة حماية الاستثمارات السوفياتية الضخمة في المنطقة، من خلال السعي الى تطوير صلات الاتحاد السوفياتي مع مصر والحفاظ على علاقاته الحالية مع سوريا؛ والثاني، السعي الى اقامة علاقات اقتصادية جيدة مع الدول الخليجية في المنطقة.

قضايا التسوية الشرق أوسطية

ظل الاتحاد السوفياتي، طيلة السنوات التي سبقت حرب حزيران (يونيو) ١٩٦٧، يدعو الى «الحل السلمي» لقضايا النزاع بين العرب واسرائيل، من طريق «اجراء المفاوضات بين الاطراف المعنيّة». واعتباراً من سنة ١٩٥٤، وبسبب العلاقات الواعدة مع العرب، لم يستخدم السوفيات تعبير «المفاوضات المباشرة»، وحلّ محلها الحديث عن «رضا الاطراف المعنيّة» عن أية تسوية، على أساس ان هذا التعبير يعبّر، موضوعياً، عن الرغبة السوفياتية في استبعاد التأثير الغربي في أية تسوية محتملة، ويقابل، في الوقت عينه، متطلبات الصداقة مع العرب الرافضين للمفاوضات المباشرة[١٤]. وبعد حرب ١٩٦٧ ومسائل النزاع الجديدة، أُضيفت الى الادبيات السوفياتية عبارة «حق العرب في استخدام مختلف الوسائل لاستعادة الحقوق العربية». وبعد حرب تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٧٣، أصبح المؤتمر الدولي هو الاطار الذي ستجرى فيه المفاوضات، وحفلت البيانات العربية ـ السوفياتية بالدعوة الى استئناف عقد «مؤتمر جنيف» حول الشرق الاوسط، واصرار السوفيات على المشاركة في مراحله كافّة.

ويمكن القول ان البيانات السوفياتية، في النصف الثاني من السبعينات وسنوات الثمانينات، قد خلت من عبارة «حق العرب في استخدام مختلف الوسائل لاستعادة حقوقهم»، وحلّ محلها التشديد على حل الازمة بالوسائل السياسية. وصاحب ذلك انصراف الاتحاد السوفياتي الى تزويد حلفائه في المنطقة بالنظم التسليحية الكافية لتعزيز مواقعهم التفاوضية. لكن الحماس السوفياتي تجاه القضايا العربية، الذي شهدته المنطقة خلال الحقبة الناصرية، لم يتكرر. وظلت السياسة الخارجية السوفياتية، في السنوات التي سبقت مجيء غورباتشيوف، حذرة، وحائرة، ومرتبكة. الحذر أملته سلسلة من الخيبات في العلاقات مع الحلفاء العرب واحساس بميل ميزان القوى لصالح اميركا؛ والحيرة والارتباك ناجمان عن انغماس أصدقاء الاتحاد السوفياتي من العرب (العراق، وسوريا، ومنظمة التحرير الفلسطينية) في صراعات فيما بينهم، حرص خلالها كل منهم على جرّ الاتحاد السوفياتي الى جانبه.

تشتمل أفكار ادارة غورباتشيوف الخاصة بتسوية نزاع الشرق الاوسط على بعض موروثات حقب السياسة السوفياتية السابقة. وقد تمّ تعديل، وأحياناً تطوير، المواقف السوفياتية التقليدية من سبل تسوية النزاع، انسجاماً مع الاستراتيجية السوفياتية الكونية الجديدة، وبدافع ادراك

موازين القوى في المنطقة، وأيضاً بدافع الاستجابة للمواقف السياسية العربية في فترة ما بعد «قمّة عمّان»، في العام ١٩٨٧.

وقد بُني التصوّر الراهن عبر سلسلة من المواقف والتصريحات الصادرة عن عدد من كبار مساعدي غورباتشيوف، والتي تقدّم الفهم الجديد للصراع، ووسائل تسويته، وسبل حل قضايا التسوية الافرادية، مثل اطار المفاوضات والتمثيل الفلسطيني والعلاقات المستقبلية بين أطراف النزاع، من جهة، وبينها وبين الاتحاد السوفياتي، من جهة أخرى. وقد بدء الزعيم السوفياتي، غورباتشيوف، الموجة الجديدة في كتابه الـ «بيروسترويكا»، واختتمها وزير الخارجية بتقديم ما يشبه رؤية متكاملة للحل، في محاضرة ألقاها في اثناء جولته الشرق أوسطية في العام ١٩٨٩. وبين الكتاب والمحاضرة سلسلة من الخطوات كانت الممارسة السوفياتية فيها أقرب الى اطلاق بالونات اختبار، مثل اصدار تصريح عبر أحد موظفي الصف الثاني في الخارجية السوفياتية يخص قضية معيّنة، ومثل اعادة العلاقات مع اسرائيل، أو تزويد الجيوش العربية بالأسلحة؛ ثمّ يتمّ «توضيح»، أو تطوير، هذا التصريح، أو نفيه كلية، حسب ردود الفعل. وفي الحالة الاخيرة تتمّ العودة اليه في وقت لاحق، في أجواء «أهدأ». يلي ذلك تعزيز هذا الموقف على لسان مسؤول أعلى مرتبة.

في آذار (مارس) ١٩٨٦، أطلق غورباتشيوف مبادرته الشرق أوسطية الاولى، عندما طالب بعقد مؤتمر اقليمي لدول البحر الأبيض المتوسط، للبحث في أمن المنطقة. وأشار الى استعداد بلاده لسحب اسطولها من البحر الابيض المتوسط، شريطة قيام الولايات المتحدة الاميركية بخطوة مثيلة. وفي أيلول (سبتمبر) من العام عينه، اقترح غورباتشيوف تشكيل «لجنة تحضيرية» في اطار مجلس الامن الدولي، للقيام بالمهام اللازمة لعقد المؤتمر الدولي للسلام، وطالب بأن تصبح دولة فلسطين العربية جزءاً من الخارطة السياسية للعالم الى جانب اسرائيل.

وبدأت تصريحات المسؤولين في ادارة غورباتشيوف تشير، صراحة، الى رفض استخدام الوسائل العسكرية في تسوية نزاع الشرق الاوسط، «الذي يشكّل عبئاً ثقيلاً على شعوب المنطقة ويعقّد الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية»[١٥]. أمّا الاسلوب المقترح لـ «حل» النزاع، فانه يستند الى العمل المشترك على «تصفية حالات النزاع»، و«ازالة» أسبابها، واستبعاد بعض عناصر النزاعات، والسعي، على الاقل، الى نقلها من «المرحلة الساخنة» الى «مرحلة الكمون»، أي طور السبات وازالة التوتّر[١٦].

وقدّم وزير الخارجية السوفياتية، ادوارد شيفاردنادزه، تصوّراً للوضع في الشرق الاوسط، وسبل تسوية نزاعاته الاقليمية، يتضمّن معادلة سياسية، تستدعي الى الذاكرة معادلة رونالد ريغان «الارض مقابل السلام». وتنصّ المعادلة الى ان «انسحاب قوات طرف من أطراف النزاع يقابله التزامات سياسية تعهّدية تؤمّن مصالحه». واقترح الوزير السوفياتي «حلاً وسطاً تاريخياً» يقوم على تمكين الشعب الفلسطيني من ممارسة حقه في تقرير مصيره، واعادة الاراضي المغتصبة، مقابل ضمان الحق الآمن لدولة اسرائيل ضمن الحدود المعترف بها[١٧]، وليس ضمن حدود ما قبل الخامس من حزيران (يونيو) ١٩٦٧. وهذا التحوّل في الموقف السوفياتي يمثّل ابتعاداً من المطالب العربية واقتراباً من التفسير الغربي لقرار مجلس الأمن الدولي الرقم ٢٤٢.

المؤتمر الدولي

ومن الموروث القديم لا تزال ادارة غورباتشيوف متمسّكة بالدعوة الى عقد المؤتمر الدولي،

باعتباره اطاراً لتسوية الأزمة. الّا ان مفهوم المؤتمر الدولي أصابه، أيضاً، تغيّر كبير، لكنه تدريجي. فالاتحاد السوفياتي، في بداية عهد غورباتشيوف، كان يعتبر المؤتمر الدولي أداة لاعادة السلام في هذا الجزء من العالم، ووسيلة لاقرار ضمانات تكفل أمن الدول العربية ودول المنطقة. ولمشاركة السوفيات، اشترط غورباتشيوف ان لا يتحوّل المؤتمر الدولي الى مظلّة لتغطية الصفقات المنفردة، وان يتمّ توجيهه نحو التسوية الحقيقية في الشرق الاوسط، مع الأخذ بالحسبان مصالح البلدان العربية، ومن ضمنها الفلسطينيون وإسرائيل[١٨]. وفي البيان المشترك السوري ـ السوفياتي، تمّ وضع شروط عقد المؤتمر الدولي بصورة أكثر تحديداً؛ وجاءت هذه الشروط، أو المواصفات، على النحو التالي: اطار لتحقيق السلام العادل؛ ويعقد المؤتمر تحت مظلّة الامم المتحدة؛ ويتضمّن جدول أعمال لتطبيق القرارات الدولية[١٩].

وفيما بعد، أُجري تعميق لبعض هذه الشروط، وتطوير لبعضها الآخر، حيث أُضيف الى التصوّر السوفياتي لآلية عقد المؤتمر الدولي اعطاء دور «لوسطاء، يبدأ الحوار بين الاطراف من خلالهم، وتُجرى المباحثات بمساعدتهم»[٢٠]. وعلى الرغم من ان التصريحات السوفياتية لا تقدّم تصوّراً، أو تحديداً، لهؤلاء «الوسطاء»، الّا انه يمكن الافتراض ان أحدهم سيكون سوفياتياً. وفي هذا الاطار، يمكن ان نفهم تعيين غينادي تراسوف سفيراً متجوّلاً للاتحاد السوفياتي على المنطقة، الذي أشارت اليه مصادر دبلوماسية شرقية[٢١].

واضافة الى ما سبق، يعطي شيفاردنادزه دوراً لمجلس الامن الدولي في وضع توصيات تنظيم المؤتمر، ويقترح تعيين «شخصية ذات سمعة دولية عالية» في منصب مندوب خاص للشرق الاوسط لدى أمين عام الامم المتحدة[٢٢]. ولا ريب في ان دور المبعوث السوفياتي غونار يارنغ ومباحثات الدول الاربع الكبرى كانت ماثلة في ذهن المسؤول السوفياتي لدى اقتراح هذه النقطة.

وحِرْص الاتحاد السوفياتي على اشراك الامم المتحدة واضح في كل التسويات الاقليمية التي حدثت في عهد غورباتشيوف. والدافع الى ذلك تعزيز صورة «عضو المجتمع الدولي»، التي يحرص الزعيم السوفياتي على تقديم بلاده من خلالها. وفي الشرق الاوسط، يضاف الى الدافع السابق سبب آخر، يتمثّل في الرغبة في اشراك المنظمة الدولية التي يتواجد فيها السوفيات أصلاً، ممّا يسمح لهم بتخطّي معارضة الولايات المتحدة الاميركية، اضافة الى موازنة النفوذ الاميركي بنفوذ بعض الدول الاوروبية الاخرى.

التمثيل الفلسطيني في المؤتمر الدولي

منذ صدور البيان المشترك عن زيارة رئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية، ياسر عرفات، الى موسكو، في العام ١٩٧٤، لم تخل البيانات السوفياتية ـ العربية والسوفياتية ـ الفلسطينية من الدعوة الى مشاركة منظمة التحرير الفلسطينية في أعمال المؤتمر الدولي، على قدم المساواة مع جميع الاطراف. ولم يتأثّر الموقف السوفياتي هذا بالفتور الذي أصاب علاقات منظمة التحرير الفلسطينية مع الاتحاد السوفياتي في الفترة التي أعقبت عقد المجلس الوطني الفلسطيني في عمّان.

مع تولّي غورباتشيوف السلطة، بدت السياسة السوفياتية أكثر استعداداً للين تجاه هذه النقطة. وقد أعلن مدير ادارة الشرق الاوسط في الخارجية السوفياتية، فلاديمير بولياكوف، ان موسكو متمسّكة بتمثيل الفلسطينيين في المؤتمر الدولي؛ لكنها لن تعارض هذا التمثيل في اطار وفد عربي

مشترك[٢٣]. وبعد هذا التصريح، كرّر الاتحاد السوفياتي مواقفه السابقة، الداعية الى مشاركة م.ت.ف. في المؤتمر الدولي، باعتبارها الممثل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني، وعلى قدم المساواة مع الاطراف الاخرى[٢٤]. لكن نائب وزير الخارجية السوفياتية عاد، في وقت لاحق، الى القاء بعض «الضباب» حول التمثيل الفلسطيني، عندما أعلن ان أزمة الشرق الاوسط لن تحظى بتسوية عادلة دون ان يُمثَّل الفلسطينيون «بصورة مناسبة»، مشيراً الى ضرورة الأخذ في الاعتبار وجهة نظر منظمة التحرير الفلسطينية، في اثناء حل موضوع التمثيل الفلسطيني[٢٥]. وقد سبق ذلك موقف أكثر ليونة، عندما تحدّث غينادي غيراسيموف عن ان الفلسطينيين يجب ان يتمثّلوا في المؤتمر الدولي بواسطة منظمة التحرير الفلسطينية وعبر «أشخاص تعترف بهم منظمة التحرير الفلسطينية»[٢٦]؛ وهو موقف، وانْ كان يمثّل تراجعاً نسبياً عن مواقف الاتحاد السوفياتي التقليدية، الّا انه تواءم مع توجّه م.ت.ف. في تلك المرحلة نحو تشكيل وفد فلسطيني من شخصيات الداخل، يقوم بالتفاوض نيابة عنها، بما يسمح بتخطّي الاعتراض الاميركي ـ الاسرائيلي على التفاوض مع المنظمة.

وعلى الرغم من استهجان موسكو لاسلوب التفاوض الثنائي، خارج اطار المؤتمر الدولي، باعتباره مدخلاً لـ «الصفقات المنفردة» التي «لا تعطي شيئاً»، والسير على طريقها «غير مثمر»، على حدّ تعبير غورباتشيوف في كتابه، الّا ان الاتحاد السوفياتي أيّد خطة وزير الخارجية الاميركية، جيمس بيكر، ذات النقاط الخمس. واعتبر نائب وزير الخارجية السوفياتية، يولي فورنتسوف، ان الخطة «فكرة حسنة لجمع الفلسطينيين والاسرائيليين حول مائدة واحدة». كما أبدت موسكو استعدادها لاستضافة لقاء بين اسرائيل ومنظمة التحرير الفلسطينية. وأوضح شيفاردنادزه انه تقدّم بهذا الاقتراح الى وزير الخارجية الاسرائيلية، موشي ارنس، لدى اجتماعهما على هامش اجتماعات الجمعية العامة للامم المتحدة[٢٧]. وهنا، أيضاً، يمكن القول ان هذا التراجع في الموقف السوفياتي يرجع، جزئياً على الاقل، الى محاولة الاتفاق مع المواقف العربية المصرية والفلسطينية.

قضية القدس

اقتصرت تعليقات السوفيات، حتى العام ١٩٧٧، على انتقاد اسرائيل لعدم التزامها بقرار الامم المتحدة، العام ١٩٤٧، بتدويل القدس. وقد أشارت مبادرة السلام السوفياتية، في تموز (يوليو) ١٩٨٤، الى ضرورة «اعادة القسم الشرقي من القدس، وجعله جزءاً راسخاً من الدولة الفلسطينية، وضمان حرية المتديّنين في الوصول الى الأماكن المقدسة للديانات الثلاث في القدس كلها»[٢٨].

لم تنل قضية القدس، في عهد غورباتشيوف، اهتماماً مماثلاً لقضايا التسوية الاخرى. وقد انتهزت الخارجية السوفياتية «اعلان الاستقلال» الفلسطيني لتحديد موقفها، حيث أعلن النائب الاول لوزير الخارجية السوفياتية آنذاك، الكسندر بسميرتنيخ، اعتراف الاتحاد السوفياتي بالدولة الفلسطينية؛ ونفى ان يكون اختيار القدس عاصمة للدولة الفلسطينية يشكّل أيّة عقبة أمام التسوية[٢٩]. وأعادت الخارجية السوفياتية تأكيد اعتبار القدس جزءاً من الاراضي المحتلة، عندما ندّدت بسياسة الاستيطان التي تتّبعها اسرائيل في الاراضي المحتلة منذ العام ١٩٦٧[٣٠].

الدولة الفلسطينية وقضايا الحدود

يبدي السوفيات ليونة ملحوظة في موقفهم من مسألة قيام الدولة الفلسطينية، وطبيعة علاقاتها المستقبلية. وتتحدث فكرة الحل التاريخي، التي يتبنّاها الاتحاد السوفياتي في عهد غورباتشيوف،

عن اعتراف اسرائيل بحق تقرير المصير للشعب الفلسطيني بدون ان تقرن ذلك بعبارة «بما في ذلك حقه في اقامة دولته المستقلة». ولم تعد هذه العبارة تظهر الّا لماماً في البيانات السوفياتية، ويكاد اعلانها يقتصر على البيانات والخطب الصادرة عن الاجتماعات العربية ـ السوفياتية.

والتصوّر السوفياتي للدولة الفلسطينية يربط استكمال مقوّماتها الفعلية بتحقيق التسوية الكاملة[٣١]. وقد عبّر السوفيات، خلال زيارة ياسر عرفات لموسكو، في نيسان (ابريل) ١٩٨٨، عن سرورهم باستعداد الزعيم الفلسطيني «للبحث في نزع سلاح الدولة الفلسطينية».

خلاصة القول، ان صورة الدولة الفلسطينية، في التفكير السوفياتي الجديد، هي دولة منزوعة السلاح تعتمد، في أمنها، على ضمانات دولية. ويترك السوفيات مسألة علاقات هذه الدولة مع الاردن مسألة مفتوحة للنقاش بعدم اعلان موقف واضح. وقد غابت الدولة الفلسطينية، تماماً، عن محاضرة شيفاردنادزه الشهيرة، في القاهرة، على الرغم من ان المحاضرة جاءت بعد الاعتراف السوفياتي باعلان قيام الدولة الفلسطينية.

والتطوّر الآخر في المواقف السوفياتية من التسوية أصاب مفهوم قضايا الحدود الدولية لدول المنطقة المرتبطة بمسألة الاراضي العربية التي احتلتها اسرائيل إثر عدوان حزيران (يونيو) ١٩٦٧. فقد تحدث شيفاردنادزه عن ضرورة اعادة الاراضي المغتصبة الى العرب؛ كما انه شدّد على «ضمان الحق في الوجود الآخر لدولة اسرائيل ضمن الحدود المعترف بها»، أي حدود يتفق عليها أطراف النزاع، وليس حدود ما قبل الخامس من حزيران (يونيو) ١٩٦٧. وفي هذا السياق، أكد مستشار الرئيس غورباتشيوف، فلاديمير بولياكوف، اعتراف بلاده بالقرار الرقم ٢٤٢، كقاعدة للتسوية، وهو القرار الذي يتحدث عن الانسحاب الاسرائيلي من على «أراضٍ» عربية محتلة. ونشير، أخيراً، الى ان الخطب والتصريحات التي صدرت في اثناء زيارة الرئيس المصري، حسني مبارك، للاتحاد السوفياتي، في أيار (مايو) ١٩٩٠، خلت من الحديث عن الانسحاب الاسرائيلي من على الاراضي المحتلة في العام ١٩٦٧، وهي العبارة التي كانت ترد في كل البيانات الرسمية العربية ـ السوفياتية المشتركة.

العلاقات السوفياتية مع دول المنطقة

حدّد احد الاكاديميين السوفيات الخيار الذي يتوجّب على السياسة السوفياتية اتّباعه، في العالم الثالث، بقوله: «لا يمكننا، ولا يجوز لنا، ان نتصرف حسب قاعدة المساواة بين الجميع. فمن الافضل لنا توجيه الاهتمام المركز والاساسي نحو بلدان معيّنة: اولاً، نحو البلدان التي تتمتّع باستقرار اجتماعي تقدّمي على طريق التطوّر الاجتماعي؛ ثانياً، نحو البلدان التي تشغل مكان الصدارة في منطقتها ـ البلدان التي تمثّل ' مراكز' استقطاب اقليمي»[٣٢].

ويمكن القول، ان علاقات الاتحاد السوفياتي مع دول منطقة الشرق الاوسط قد اجتازت، في عهد غورباتشيوف، مرحلة اعادة تقويم متأنيّة لم تلعب فيها الايديولوجيا دوراً يذكر، أو أي دور على الاطلاق. وقد توصّل مهندسو السياسة السوفياتية الى استنتاج ان الاستقطاب الحادّ، الذي شهدته المنطقة العربية في أواخر السبعينات، وأيّده الاتحاد السوفياتي علانية بحضوره اجتماعات «جبهة الصمود والتصدّي» بصفة مراقب، لم يسهم في تثبيت أقدام الاتحاد السوفياتي في المنطقة؛ بل، على العكس، ربما أسهم في الاجهاز على امكانية نمو هذا النفوذ؛ اذ أدّت مشاعر الخوف من الانقسام العربي، مقرونة بعوامل أخرى، الى غلق أبواب دول أخرى هامّة في وجه الاتحاد السوفياتي. ومن

ثمّ بدأ الاتحاد السوفياتي ينفتح على الجميع.

ولقد تحقّق للدبلوماسية السوفياتية، في عهد غورباتشيوف، العديد من النجاحات، لعلّ أبرزها اقامة العلاقات الدبلوماسية مع دول خليجية عدّة: مع عُمان في ٢٦ أيلول (سبتمبر) ١٩٨٥، ومع الامارات العربية المتحدة في تشرين الثاني (نوفمبر) من العام عينه. وعلى صعيد آخر، أكد وزير الخارجية السعودية، سعود الفيصل، وجود اتصالات ومشاورات مع الاتحاد السوفياتي[٣٣] اثمرت، بعد الحرب في الخليج، عن اقامة علاقات دبلوماسية كاملة بين الجانبين. واستغل الاتحاد السوفياتي حرب الناقلات، التي نشبت على هامش الحرب العراقية ـ الايرانية، لتطوير علاقاته مع الكويت؛ كما أسهم الانسحاب السوفياتي من افغانستان في حدوث تطوّر ملحوظ في العلاقات الخليجية ـ السوفياتية.

العلاقات السوفياتية ـ المصرية

كانت مصر، وكما بيّنا في مكان آخر، مدخل الاتحاد السوفياتي الى الشرق الاوسط. لكن العلاقات السوفياتية ـ المصرية شهدت تردّياً شديداً في السبعينات. وبعد مصرع الرئيس المصري السابق، أنور السادات، لم تتوفّر الفرصة لتطبيع هذه العلاقات، بسبب أزمة القيادة التي مرّ بها الاتحاد السوفياتي ـ تغيير ثلاثة زعماء خلال ثلاث سنوات ـ على الرغم من ان الرئيس المصري حسني مبارك حمّل السفير صلاح بسيوني رسالة أكد فيها رغبة مصر في تسوية مسائل الديون وتطوير العلاقات المصرية ـ السوفياتية[٣٤].

بعد تولّي الرئيس غورباتشيوف السلطة، نشطت الاتصالات الدبلوماسية بين البلدين؛ وهكذا تمّ الاتفاق، في العام ١٩٨٦، على تسوية ديون مصر العسكرية. وفي العام ١٩٨٧، وافق الاتحاد السوفياتي على اعادة جدولة ديون مصر على مدى خمسة وعشرين عاماً، وبفائدة متدنّية. وتحدثت مصادر دبلوماسية عن عودة مئات من الخبراء العسكريين السوفيات الى مصر للقيام بصيانة المعدّات العسكرية سوفياتية الصنع[٣٥].

وشهدت القاهرة زيارات لعدد من المسؤولين السوفيات. ففي ١٥/١٠/١٩٨٧، وصل نائب وزير الخارجية السوفياتية، يولي فورنتسوف، ضمن جولة شرق أوسطية تستهدف التشاور مع الدول المعنيّة بأزمة الشرق الاوسط[٣٦]. وفي أيار (مايو) ١٩٨٨، نقل رئيس قسم الشرق الاوسط وشمال افريقيا، فلاديمير بولياكوف، نتائج القمة الاميركية ـ السوفياتية الى الرئيس مبارك، الذي أكد وجود تفاهم كامل في ما يتعلّق باستمرار الحوار السياسي بين الاتحاد السوفياتي ومصر في شأن كل القضايا، خصوصاً قضية الشرق الاوسط.

في أواسط أيار (مايو) ١٩٩٠، توجّه الرئيس مبارك الى الاتحاد السوفياتي في زيارة نقلت العلاقات المصرية ـ السوفياتية الى مرحلة أعلى من التطوّر والتنسيق. وأكدت المباحثات، مرة أخرى، اتفاق الجانبين، المصري والسوفياتي، بشأن العديد من جوانب تسوية نزاع الشرق الاوسط. فقد عبّر الجانبان عن تأييدهما للخط الذي تنتهجه منظمة التحرير الفلسطينية، معتبرين ان موقفها من قضية السلام هو «موقف ايجابي بنّاء يحظى بالدعم الدولي ويفتح امكانات ملائمة أمام تقدّم التسوية في الشرق الاوسط». كما أشار مستشار الرئيس المصري للشؤون السياسية، د. أسامة الباز، الى ان الرئيسين، غورباتشيوف ومبارك، أيّدا بدء حوار فلسطيني ـ اسرائيلي[٣٧]. ودعا الاعلان المشترك، الذي أُصدر في ختام المباحثات، الى عقد مؤتمر دولي للسلام في الشرق الاوسط، برعاية الامم

المتحدة، لمناقشة وضع الضفة الفلسطينية وقطاع غزة[٣٨]. ودان البيان توطين اليهود السوفيات في الاراضي المحتلة؛ ووعد شيفاردنادزه بالبحث في قضية هجرة اليهود السوفيات مع واشنطن. ولاحظ بعض المصادر الدبلوماسية ان زيارة الرئيس مبارك أظهرت ان الاتحاد السوفياتي أقرب الى مصر منه الى سوريا، في ما يتعلّق بقضايا أساسية عدّة في الشرق الاوسط، وهو ما يحدث لأول مرة منذ سنوات طويلة[٣٩].

تقف خلف الحرص السوفياتي على تطوير العلاقات مع مصر مجموعة من الدوافع. أول هذه الدوافع المكانة التي تحتلها مصر في افريقيا، بعد ان أوقف الرئيس مبارك محاولات تحويل مصر الى «دركي» افريقيا، التي شغلت حيّزاً بارزاً من اهتمام الرئيس الراحل، السادات، ونجاح مصر في الحفاظ على مكانتها في منظمة دول عدم الانحياز، والثقل الذي اكتسبته لدى الدول الخليجية، بسبب موقفها من الحرب العراقية ـ الايرانية، ونجاحها في استعادة مكانتها العربية بعد «قمّة عمّان»، اضافة الى توسيع هامش الابتعاد من السياسة الاميركية في عهد الرئيس مبارك، واحتضان مصر لمنظمة التحرير الفلسطينية في مرحلة ما بعد بيروت.

وادراكاً منه للدور الذي تلعبه مصر في تسوية الصراع العربي ـ الاسرائيلي، اختار الاتحاد السوفياتي القاهرة مكاناً للقاء بين وزير الخارجية السوفياتية، شيفاردنادزه، ووزير الخارجية الاسرائيلية، موشي ارنس، من جهة، وبين شيفاردنادزه والزعيم الفلسطيني، عرفات، من جهة أخرى. ولم يكن بدون مغزى اختيار القاهرة مكاناً لاعلان التصوّر السوفياتي المتكامل لتسوية نزاع الشرق الاوسط خلال الزيارة ذاتها.

العلاقات السوفياتية ـ الاسرائيلية

لم يدم شهر العسل السوفياتي ـ الاسرائيلي الاول طويلاً. فبعد مسارعة الاتحاد السوفياتي الى الاعتراف بقيام اسرائيل، أخذت العلاقات تشهد فتوراً تدريجياً بلغ حدّ قطع العلاقات التجارية، في اثناء أزمة السويس، ثمّ توجيه الانذار السوفياتي المشهور.

وقابل نمو العلاقات العربية ـ السوفياتية تردٍ في العلاقات مع اسرائيل، فلم يحدث، ولو مرة، ان استُقبل وزير اسرائيلي بصورة رسمية في موسكو، ولم يسمح لأي سفير اسرائيلي بالاجتماع مع رئيس وزراء سوفياتي[٤٠]. ووصل اضطراب العلاقات ذروته عندما أقدم الاتحاد السوفياتي، وباقي الدول الاشتراكية عدا رومانيا، على قطع العلاقات مع اسرائيل، في أعقاب عدوان العام ١٩٦٧.

في السبعينات، تمّ تخفيف القيود على هجرة اليهود السوفيات وتضاءلت النشاطات المعادية للصهيونية، وأُعيد التعليم بالعبرية.

مع وصول غورباتشيوف الى السلطة، بدأت الاصوات تتعالى، في الاتحاد السوفياتي، منتقدة قرار قطع العلاقات مع اسرائيل، باعتباره خطوة متسرّعة، ورد فعل مبالغاً فيه، اتُّخذ بناء على أُسس محض عاطفية[٤١]. وفي واقع الامر، شعر الكرملين بأنه لا بديل من سياسة جديدة في الشرق الاوسط، يرافقها نوع من التحرّك يتيح له ابقاء الاتصال مع كل أطراف النزاع، وتمّ تصوير اعادة العلاقات السوفياتية ـ الاسرائيلية باعتباره أداة اضافية للضغط على اسرائيل.

بدأت الاتصالات السوفياتية ـ الاسرائيلية في العاصمة الفنلندية، هلسنكي، في آب (اغسطس) ١٩٨٦، بين وفد سوفياتي، برئاسة غينزيش بليخن، ووفد اسرائيلي، برئاسة يهودا أهورام. أعقب

ذلك اجتماع في مقر الامم المتحدة بين شيفاردنادزه وشمعون بيرس. ثمّ تواصلت اللقاءات، طوال العام ١٩٨٧، وشملت اجتماعاً بين مدير عام وزارة الخارجية الاسرائيلية، ابراهام تامير، والمندوب السوفياتي في الامم المتحدة؛ واجتماع آخر بين كارين بروتنتس والكسندر زوتوف، من جهة، وبيرس، من جهة أخرى. كما عقد ارنس اجتماعين مع شيفاردنادزه في باريس، في مطلع العام ١٩٨٨، ثمّ في القاهرة في شباط (فبراير) ١٩٨٩. ودارت المحادثات، في هذه اللقاءات، حول المؤتمر الدولي، ودور الاتحاد السوفياتي في التسوية، ومشاركة منظمة التحرير الفلسطينية في المؤتمر الدولي؛ يضاف الى ذلك مناقشة قضية اعادة العلاقات الدبلوماسية بين الجانبين.

وعلى الرغم من اعلان رئيس الوزراء الاسرائيلي، اسحق شامير، عن معارضته المطلقة لأي دور سوفياتي في مفاوضات التسوية، «حتى لو أعادت موسكو علاقاتها الدبلوماسية المقطوعة مع اسرائيل»[٤٢]، فان الخارجية الاسرائيلية أبدت بعض المرونة تجاه المشاركة السوفياتية، حيث اشترط سفير اسرائيل في الولايات المتحدة الاميركية، موشي اراد، لمشاركة الاتحاد السوفياتي في المؤتمر الدولي، اجراء «حوار كامل ومفتوح» بين اسرائيل والاتحاد السوفياتي، «وان يفتح الاتحاد السوفياتي الابواب ويرفع القيود عن هجرة اليهود السوفيات». وكرر المتحدث باسم الخارجية الاسرائيلية الشروط ذاتها في ٢/١٠/١٩٨٧[٤٣].

وفي مقابل الشروط الاسرائيلية على مشاركته في عملية التسوية، وضع الاتحاد السوفياتي شروطاً، من جانبه، لتحسين العلاقات بين الجانبين. فقد أعلن غينادي غيراسيموف ان موسكو «لن تنظر في تحسين علاقاتها مع اسرائيل، الاّ بعد ان توقف الاخيرة عدوانها على العرب»[٤٤]. وأعلن غورباتشيوف صيغة أخرى لاعادة العلاقات، عندما تحدث عن ايجاد «وسيلة» لاستئناف «العلاقات الطبيعية» في اطار الاعداد لعقد المؤتمر الدولي[٤٥]. وكرّر وزير الخارجية، شيفاردنادزه، الربط بين اعادة العلاقات والمؤتمر الدولي في حزيران (يونيو) ١٩٨٨، ثمّ أضاف شروطاً أخرى لاعادة العلاقات، حيث ربط مسألة اعادة العلاقات الدبلوماسية «بالتقدّم على طريق الحل، وموافقة اسرائيل على المؤتمر الدولي، والدخول في حوار مع منظمة التحرير الفلسطينية». ووصف الشروط الثلاثة السابقة بأنها «اجراءات ستمكّن كلا الجانبين من ان يخطوا خطوة أخرى على طريق اعادة العلاقات الدبلوماسية الكاملة»، على ان تشكّل بداية المؤتمر الدولي «بدء العدّ لاستئناف العلاقات»[٤٦].

تبدو المواقف السوفياتية من التسوية قريبة، في العديد من جوانبها، من مواقف حزب «العمل» الاسرائيلي، الذي يتزعّمه بيرس. فقد أيّد الاتحاد السوفياتي «خطة بيكر» التي أيّدها حزب «العمل» بدوره. ورأينا، في مكان آخر، استعداد الاتحاد السوفياتي لابداء بعض «المرونة» بخصوص التمثيل الفلسطيني. وقد خطا السوفيات خطوات عدّة لملاقاة اسرائيل في منتصف الطريق، حيث خفّت لهجة البيانات السوفياتية، وأصبحت تطالب بالاعتراف بالحدود الآمنة والمعترف بها لجميع الاطراف. والخطوة الاهمّ هي فتح أبواب الهجرة اليهودية، وهي أحد الشروط الاسرائيلية لـ «السماح» بمشاركة السوفيات في التسوية، وهي خطوة سبّبت حرجاً لعلاقات الاتحاد السوفياتي مع أصدقائه العرب.

العلاقات السوفياتية ـ الفلسطينية

ورث غورباتشيوف علاقات سوفياتية ـ فلسطينية يسود فيها الفتور وخيبة الامل والشكوك المتبادلة. والعامل الابرز في خلق هذه الشكوك والآمال الخائبة هو الموقف السوفياتي من الغزو الاسرائيلي للاراضي اللبنانية في صيف العام ١٩٨٢. فقد ظهر، بأجلى صوره، وأكثر من أي وقت

مضى، ذلك الموقف السوفياتي ذو الطبيعة المتذبذبة والتكتيكية تجاه منظمة التحرير الفلسطينية. لقد انصبّ اهتمام موسكو على عدم اندلاع مواجهة شاملة غير مرغوب فيها بين سوريا واسرائيل(٤٧).

وأسهم في زيادة الشكوك الفلسطينية موقف المراقبة والتريّث الذي اتخذته موسكو من الانشقاق في صفوف «فتح»، في صيف العام ١٩٨٣، والانشقاق الذي أعقبه في م.ت.ف. وأيضاً من الخلاف بين القيادتين، السورية والفلسطينية. وانعكس موقف التريّث هذا في تغيّب السوفيات عن حضور الدورة السابعة عشرة للمجلس الوطني الفلسطيني، التي عقدت في العاصمة الاردنية عمّان، في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٨٤.

والعامل الثالث في فتور العلاقات السوفياتية ـ الفلسطينية كان اتفاق شباط (فبراير) ١٩٨٥، بين منظمة التحرير الفلسطينية والاردن. ومع ان الحكومة السوفياتية لم تنتقد، في البداية، الاتفاق مباشرة، واكتفت وسائل الاعلام السوفياتية بايراد انتقادات الآخرين له، الّا ان فترة «المجاملة» هذه لم تطل، حيث وجّه نائب رئيس دائرة العلاقات الخارجية، في حينه، كارين بروتنتس، انتقادات الى الاتفاق لأنه «يقلّل دور المنظمة كممثل شرعي ووحيد». وغمز بروتنتس من قناة رئيس منظمة التحرير الفلسطينية، عندما نفى ارسال أيّة رسائل اليه، زاعماً ان الاتحاد السوفياتي «لا يتعامل مع أفراد في المنظمة وانما مع التنظيم السياسي». وشارك أحد أعضاء المكتب السياسي للحزب الشيوعي السوفياتي في توجيه انتقاد الى رئيس م.ت.ف. عرفات أيضاً(٤٨).

في مطلع العام ١٩٨٦، طرأ تحسّن ملحوظ على العلاقات الفلسطينية ـ السوفياتية. فقد تقاربت رؤية القيادة السوفياتية الجديدة لتسوية نزاع الشرق الاوسط مع جهود قيادة منظمة التحرير الفلسطينية السلمية. كما ان اتفاق شباط (فبراير) بين المنظمة والاردن، وهو أحد أسباب الفتور في العلاقات السوفياتية ـ الفلسطينية، أصبح في حكم الملغى، بعد قرار العاهل الاردني ايقاف التنسيق مع منظمة التحرير الفلسطينية في شباط (فبراير) ١٩٨٦. وكان سبق قرار الملك الاردني انهيار الجولات المكوكية بين الاردن واسرائيل، التي قام بها مساعد وزير الخارجية الاميركية، ريتشارد مورفي، الهادفة الى عقد مفاوضات بين وفد اردني ـ فلسطيني مشترك ووفد اسرائيلي. وبعد يومين، فقط، من تجميد اتفاق شباط (فبراير) ١٩٨٥، توجّه الى موسكو خليل الوزير (ابو جهاد) مساعد القائد العام لقوات الثورة الفلسطينية. وفي نيسان (ابريل) ١٩٨٦، التقى عرفات وغورباتشيوف في برلين الشرقية. وبذل السوفيات جهوداً مكثّفة لجَسْر الخلاف بين «فتح» وبعض الفصائل الفلسطينية، وتوّجت هذه الجهود باعادة توحيد المنظمة خلال الدورة الثامنة عشرة للمجلس الوطني الفلسطيني، التي عقدت في الجزائر، العام ١٩٨٧(٤٩). واعتباراً من هذا التاريخ، لم تسجل العلاقات الفلسطينية ـ السوفياتية أي تراجع.

في أواخر العام ١٩٨٧، توجّه رئيس اللجنة التنفيذية لـ م.ت.ف. عرفات، الى موسكو، للمشاركة في احتفالات ذكرى الثورة البولشفية، فعُقد لقاء بين عرفات وغورباتشيوف، أكد الاتحاد السوفياتي في أعقابه، انه سيسعى، باصرار، الى «بلوغ السلم والتسوية العادلة» التي تتجاوب مع «المصالح الشرعية» لجميع الاطراف ذات العلاقة بما فيها الشعب الفلسطيني. وأكد الناطق بلسان الخارجية السوفياتية ان زيارة عرفات تكتسب أهمية خاصة في اطار تنسيق التحرّك السوفياتي مع منظمة التحرير الفلسطينية(٥٠). وقد حرص السوفيات على ابراز وصول العلاقات الى مرحلة تتخطى «تنسيق» المواقف، الى الاسهام في صوغ الخط السياسي الجديد لمنظمة التحرير الفلسطينية. فقد أشار

فلاديمير بولياكوف الى دور بلاده في هذا المجال، بقوله: «نحن نشجّع الفلسطينيين على ان يكون برنامجهم السياسي واقعياً ومرناً. ونحن، من جانبنا، لا نستعمل لغتين؛ فنحن نعترف باسرائيل وبالقرار [الرقم] ٢٤٢ كقاعدة للتسوية»(٥١).

تجلّى تأييد الاتحاد السوفياتي في «هجوم السلام الفلسطيني» خلال اجتماعات المجلس الوطني الفلسطيني في الجزائر، في العام ١٩٨٨، حيث لعب الوسطاء السوفيات دوراً بارزاً في تسهيل قبول المجلس بقرار مجلس الامن الدولي الرقم ٢٤٢، عبر الاتصالات التي أُجريت مع قيادتي الجبهتين، الشعبية والديمقراطية، ممّا حال دون انسحاب هذا التيار من اجتماعات المجلس الوطني(٥٢). والواقع، ان الدعم السوفياتي لمواقف قيادة المنظمة تخطى جهود الحفاظ على وحدة صفوفها الى توفير مظلة حماية سياسية، ودبلوماسية، ومعنوية، تقي المنظمة من هجمات الاطراف العربية، والفلسطينية، المعارضة للخط السياسي الفلسطيني. فقد سارعت موسكو الى الاعتراف باعلان الدولة الفلسطينية. وعبّر النائب الاول لوزير الخارجية السوفياتية، بسميرتنيخ، عن ادراك بلاده ان «تحقيق التسوية الشاملة سيؤدي، كذلك، الى الاستكمال الفعلي لعملية قيام هذه الدولة». وأكد ان موسكو استقبلت، بارتياح، قرارات المجلس الوطني الفلسطيني. وفي العاشر من كانون الثاني (يناير) ١٩٨٩، رفعت موسكو مستوى التمثيل الفلسطيني لديها الى مستوى سفارة(٥٣).

وفي مجال آخر، واصل الاتحاد السوفياتي استخدام نفوذه لتأمين حشد التأييد العربي للتحرك الفلسطيني. فخلال زيارته لدمشق، في أواخر العام ١٩٨٧، أكد يولي كوزنتسوف، ضرورة تنسيق مواقف الدول العربية مع منظمة التحرير الفلسطينية تجاه المؤتمر الدولي(٥٤). وزار وزير الخارجية السوفياتية العراق ضمن جولته الشرق أوسطية، حيث اجتمع مع الرئيس العراقي، صدام حسين، وطالبه بدعم مبادرات منظمة التحرير الفلسطينية الاخيرة.

وتبنّى الاتحاد السوفياتي سياسة تقوم على تحسين العلاقات السورية ـ الفلسطينية، لأن هذه العلاقات تشكّل أحد مفاتيح التسوية الشاملة للوضع في الشرق الاوسط(٥٥). وأيّد الاتحاد السوفياتي فكرة عقد لقاء بين الرئيس السوري، حافظ الاسد، ورئيس اللجنة التنفيذية، عرفات(٥٦). ويكاد هدف تطبيع العلاقات السورية ـ الفلسطينية يشكّل بنداً ثابتاً في جدول أعمال المحادثات التي أجراها المبعوثون السوفيات مع المسؤولين السوريين.

بلغت العلاقات الفلسطينية ـ السوفياتية درجة عالية من التنسيق وصل حدّ تشكيل لجان مشتركة لتنسيق المواقف. وقد اجتازت هذه العلاقات، بنجاح، امتحان هجرة اليهود السوفيات، فلم تلجأ المنظمة الى التنديد بالاجراء السوفياتي بهذا الخصوص علناً، وفي الوقت عينه، بذلت قيادة المنظمة جهوداً مكثّفة، عبر الاتصالات مع موسكو، لتطويق نتائج هذه الهجرة. وتقدّمت، في سبيل ذلك، بالاقتراحات التالية:

- انشاء معسكرات اقامة مؤقتة للمهاجرين اليهود في اوروبا، لأن ذلك سيتيح للمهاجرين حرية الاختيار بين اسرائيل وأي بلد اوروبي آخر.
- الحصول على ضمانات من اسرائيل بعدم توطين اليهود السوفيات في الضفة الفلسطينية وقطاع غزة.
- ممارسة مزيد من الضغط على واشنطن، لحملها على السماح بتوطين أعداد متزايدة

من المهاجرين اليهود في الولايات المتحدة الاميركية[٥٧].

وقد طالب الرئيس عرفات، أيضاً، بالسماح للمهاجرين بالاحتفاظ بجوازات سفرهم السوفياتية، كي يتمكّنوا من العودة الى الاتحاد السوفياتي عند اللزوم.

وأوفدت المنظمة وفداً يضمّ عضوي اللجنة التنفيذية لـ م.ت.ف. محمود عباس وسليمان النجّاب الى موسكو للبحث في مسألة الهجرة، وفي الوقت عينه أشادت بدعوة الاتحاد السوفياتي مجلس الامن الدولي الى عقد جلسة عاجلة لمناقشة الخطط الاسرائيلية الرامية الى توطين اليهود السوفيات في الاراضي المحتلة[٥٨].

العلاقات السوفياتية ـ السورية

برزت سوريا، في السبعينات وأوائل الثمانينات، على انها من أوثق حلفاء الاتحاد السوفياتي في منطقة الشرق الاوسط. وعلى الرغم من ان العلاقات السورية ـ السوفياتية اعتراها الفتور في السبعينات، بسبب الخلاف حول المسائل الاقليمية، مثل التدخّل السوري في لبنان والعلاقات مع الحركة الوطنية اللبنانية ومنظمة التحرير الفلسطينية، الّا ان هذه العلاقات واصلت تطوّرها حتى تُوِّجت، في الثامن من تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٨٠، بتوقيع معاهدة الصداقة السورية ـ السوفياتية.

وشهدت الثمانينات، أيضاً، تعاقب العديد من مراحل الفتور؛ مرة بسبب موقف اللامبالاة الذي اتخذه الاتحاد السوفياتي تجاه الغزو الاسرائيلي للاراضي اللبنانية، ومرة ثانية بسبب الخلاف في المواقف حول الانقسام الذي وقع في صفوف «فتح» في لبنان، ومرة ثالثة بسبب الخلاف، أيضاً، بشأن سبل وأسس توحيد م.ت.ف.

طرأ تحسّن كبير على العلاقات السورية ـ السوفياتية خلال حقبة اندروبوف. فقد عوّض الاتحاد السوفياتي سوريا عن كل ما فقدته في حرب لبنان. وبفضل هذا التعويض، والدعم السياسي السوفياتي، استطاعت سوريا اعادة ترتيب الاوضاع في لبنان لمصلحتها، عبر اسقاط اتفاق ١٧ أيار (مايو) بين حكومة الرئيس اللبناني الاسبق، أمين الجميل، واسرائيل.

في العام ١٩٨٥، زار الرئيس الاسد موسكو، فأجرى محادثات مع الرئيس غورباتشيوف، الذي تولّى السلطة حديثاً، أسفرت عن احياء الآمال في عودة العلاقات السورية ـ السوفياتية الى المستوى الذي بلغته في عهد اندروبوف. الّا ان هذه الآمال سرعان ما خُيِّبت.

في نيسان (ابريل) ١٩٨٧، قام الرئيس الاسد بزيارة الاتحاد السوفياتي للمرة الثانية. وجاءت الزيارة في وقت تنامت المخاوف السورية من الاتصالات الاسرائيلية ـ السوفياتية، وتصريحات بعض المسؤولين السوفيات المنتقدة لقرار قطع العلاقات السوفياتية مع اسرائيل، اضافة الى الخشية السورية التقليدية من أي انفراج اميركي ـ سوفياتي. وقد علّقت الاذاعة السورية على كل هذه الاحداث بالقول: «من غير المقبول ان يُكافأ المعتدي على عدوانه، وان يُمنح الخارج على القانون وسام البراءة، وان تُغسل جرائم المعتدين والمحتلين بصابون الانفراج»[٥٩].

وقد أبرزت هذه الزيارة بعض نقاط الخلاف بين البلدين بشأن الصراع العربي ـ الاسرائيلي والحرب العراقية ـ الايرانية والموقف من منظمة التحرير الفلسطينية. فقد أعلن الرئيس غورباتشيوف التزام الاتحاد السوفياتي بضمان وجود اسرائيل، ومعارضته أي تهديد لهذا الوجود. وعلى الرغم

من ان هذا «الالتزام» ليس جديداً، الاّ انها المرة الاولى التي يعبّر فيها زعيم سوفياتي عن هذا الموقف في حضور رئيس عربي. وفي مأدبة العشاء التي أُقيمت على شرف الرئيس السوري، أكد غورباتشيوف ان غياب العلاقات بين الاتحاد السوفياتي واسرائيل «لا يمكن اعتباره طبيعياً»(٦٠).

وعلى الرغم من اتفاق الطرفين على تأييد السعي الى «تسوية سياسية» في الشرق الاوسط، الاّ ان وسائل اعلام البلدين أبرزت فهماً متبايناً للمؤتمر الدولي. فقد ذكرت صحيفة «تشرين» السورية، ان البلدين اتفقا على ان المؤتمر الدولي يشكّل اطاراً سليماً لتحقيق السلام العادل، والدائم، في المنطقة، شرط ان يُعقد تحت مظلّة الامم المتحدة، ويتضمّن جدول أعمال لتطبيق القرارات الدولية العديدة حول الانسحاب الاسرائيلي من على الاراضي المحتلة، واحقاق حقوق الشعب الفلسطيني(٦١)؛ بينما أشارت وكالة «تاس» السوفياتية الى ان الاتحاد السوفياتي يعتبر المؤتمر الدولي أداة لاعادة السلام في هذا الجزء من العالم، ووسيلة لاقرار ضمانات تكفل أمن الدول العربية ودولة اسرائيل(٦٢). ولكن هذه التباينات لم تمنع الرئيس غورباتشيوف من تقديم تعهّد الى الرئيس الاسد باستمرار الاتحاد السوفياتي في تقديم «كل مساعدة ممكنة» الى سوريا، على الصعيدين، الاقتصادي والعسكري.

وفي السنتين التاليتين، ١٩٨٨ و١٩٨٩، حفلت مسيرة العلاقات السورية ـ السوفياتية بالعديد من المواقف المختلفة. فقد أعلن كارين بروتنتس عن ان الاتحاد السوفياتي أبلغ الى الرئيس السوري «ان تسوية النزاع الشرق أوسطي لن يكون بالقوة العسكرية... وان أي حل يمكن ان يخرج به المؤتمر الدولي يجب ان يستند الى فكرة توازن المصالح بين الحق الفلسطيني في تقرير المصير وحق اسرائيل في الوجود»(٦٣). وفي الوقت عينه، تحدث بعض المصادر الصحافية عن رفض موسكو مدّ سوريا بصواريخ اس.اس. ـ ٢٣ التي يبلغ مداها ٢٠٠ ميل(٦٤)؛ بينما وافق الاتحاد السوفياتي على تزويد سوريا بأحدث مقاتلاته الهجومية من طراز «سوخوي ـ ٢٤»، اضافة الى قيامه بتسليم سوريا الدفعة الثانية من الطائرة «ميغ ـ ٢٩»(٦٥).

ولم تقتصر المساعدة السوفياتية لسوريا على الجانب العسكري، بل تعدّته الى الجانب الاقتصادي، الذي شكّل، في الفترة المعنيّة، أحد الجوانب المثيرة لقلق القيادة السورية، التي دأبت على اتهام العرب بفرض حصار اقتصادي على سوريا. وقد تتالت زيارات الوفود الاقتصادية الى سوريا في أعقاب زيارة الرئيس الاسد لموسكو، وبدأ تنفيذ «برنامج شامل وعام للاقتصاد السوري»(٦٦).

ويمكن تفسير التعارض الظاهري في التعامل السوفياتي مع سوريا برغبة الاتحاد السوفياتي في المحافظة على علاقاته مع طرف اقليمي هامّ، وحماية مصالحه الكبيرة في سوريا، دون ان يربط نفسه بشعارات «التوازن الاستراتيجي» التي تتبنّاها القيادة السورية منذ خروج مصر من الصف العربي. وقد ذكر السفير السوفياتي لدى سوريا، الكسندر زوتوف، ان تسليح سوريا يتمّ على أساس مبدأ «الكفاية الدفاعية المعقولة»(٦٧)، الذي فسّره بأنه «القدرة على انزال خسائر غير مقبولة باسرائيل، في حال شنّ أي هجوم على سوريا».

مجمل القول، ان العلاقات السورية ـ السوفياتية، في السنوات الخمس الاولى من عهد غورباتشيوف، عادت الى الفتور، بسبب التعارض في المواقف حول قضايا رئيسة عدّة؛ ووفّرت زيارة الرئيس الاسد الاخيرة لموسكو، في العام ١٩٩٠، فرصة جديدة لعرض نقاط الالتقاء والاختلاف في المواقف السورية والسوفياتية.

فبالنسبة الى القضية الفلسطينية، يؤيد البلدان حق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره،

ويختلفان بالنسبة الى منظمة التحرير الفلسطينية، حيث تعتقد سوريا بأن النهج السياسي الحالي لمنظمة التحرير الفلسطينية سيقود، «في أفضل الاحوال، الى سلام منفصل فلسطيني ـ اسرائيلي؛ وانه لن يستطيع تأمين الحقوق الوطنية للشعب الفلسطيني». وقد تجلّى الخلاف حول هذه النقطة في خلو البيان الصادر عن المباحثات من أية اشارة الى منظمة التحرير الفلسطينية.

النقطة الخلافية الاخرى هي الحوار الاسرائيلي ـ الفلسطيني. فبينما يعتبر الاتحاد السوفياتي ان الحوار يمهّد للتسوية الشاملة، تعتقد سوريا بأن مثل هذا الحوار يمكن ان يضعف امكانات عقد المؤتمر الدولي(٦٨). وتعترض سوريا على الهجرة اليهودية من الاتحاد السوفياتي. امّا الاتحاد السوفياتي، فانه يعترض، فقط، على توطين المهاجرين في الاراضي العربية المحتلة. وقد تمكّن الرئيس الاسد من الحصول على اعتراف سوفياتي بأن هذه المسألة يجب درسها عملياً في سياق حقوق العرب، وليس فقط في سياق حقوق الانسان عامة. وأكد السفير السوفياتي في سوريا ان الرئيس الاسد طلب، أيضاً، ان «تؤخذ هذه المسألة في الاعتبار خلال القمة الاميركية ـ السوفياتية» في واشنطن(٦٩).

وقد تمكّن الطرفان من التوصّل الى اتفاق ضمني من اجل استمرار المساعدات العسكرية السوفياتية لسوريا. كما وافقت موسكو على تحديث الدفاعات السورية، وأبدت استعدادها لضمان أمن سوريا(٧٠).

العلاقات السوفياتية ـ الاردنية

اتّسمت العلاقات السوفياتية ـ الاردنية، في أوائل الثمانينات، بالحذر المتبادل؛ وهو حذر أملته، في الجانب السوفياني، محاولات الاردن الانخراط في تسوية اميركية ليس فيها دور، على الاطلاق، للاتحاد السوفياتي، وهي التسوية المستندة الى مشروع «الخيار الاردني» الذي يستبعد منظمة التحرير الفلسطينية، ويترك سوريا وحدها الى المراحل الاخيرة من التسوية الشرق أوسطية. وسوريا والمنظمة هما المنفذ الذي يمكّن الاتحاد السوفياتي من لعب دور مباشر في التسوية. امّا الحذر في الجانب الاردني، فنجم عن مزيج من الاعتبارات الايديولوجية والتحالفات العربية والدولية مقرونة بالتوجّس من الدعم السوفياتي لاثنين من منافسي الاردن، كي لا نقول خصومه في تلك المرحلة، المنظمة وسوريا.

وحاول الاتحاد السوفياتي تحسين علاقاته مع الاردن عبر أداته التقليدية في مرحلة ما قبل غورباتشيوف. وهكذا لم تتوفّر فرصة أخفقت فيها الولايات المتحدة الاميركية في الوفاء بتعهداتها للاردن، بسبب اللوبي اليهودي في الكونغرس الاميركي، الاّ وسارع الاتحاد السوفياتي الى عرض المنظومات التسليحية، على الرغم ممّا في ذلك من احراج لموقف حليفه السوري.

وقد وفّر اعلان الملك الاردني، حسين، ايقاف التنسيق مع منظمة التحرير الفلسطينية، في شباط (فبراير) ١٩٨٦، فرصة لتنشيط الاتصالات الفلسطينية ـ السوفياتية، وفرصة، أيضاً، لتجديد الاتصالات مع الاردن، الذي خابت آماله من مواقف الادارة الاميركية. واحتلت عمّان مكانها في جدول زيارات المبعوثين السوفيات.

في شهر تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٨٧، توجّه نائب وزير الخارجية السوفياتية، يولي فورنتسوف، الى لندن، حيث نقل الى العاهل الاردني دعوة لزيارة موسكو. وناقش الطرفان عقد مؤتمر دولي تشارك فيه جميع الاطراف المعنيّة بالنزاع والدول الخمس دائمة العضوية في مجلس

الأمن الدولي. وقد رفض الاردن مقترحات اميركية تدعو الى احلال «اطار غير رسمي» محل المؤتمر الدولي للتسوية. وأكد الملك حسين تمسّكه بمشاركة فعّالة للاعضاء الخمس الدائمين في مجلس الامن الدولي في هذا المؤتمر(٧١).

في كانون الاول (ديسمبر) ١٩٨٧، توجّه الملك حسين الى موسكو، في زيارة رسمية هي الاولى من نوعها منذ عشر سنوات. واعتبر المراقبون ان هذه الزيارة أعطت دفعاً جيداً للعلاقات السوفياتية ـ الاردنية. وأعقب زيارة الملك حسين وصول مدير دائرة الشرق الاوسط في وزارة الخارجية السوفياتية، فلاديمير بولياكوف، في زيارة للاردن، في اطار اتفاق لتعزيز الاتصالات وتبادل وجهات النظر بشأن التطوّرات الاخيرة في المنطقة. وأكد الاردن، على لسان رئيس الوزراء، زيد الرفاعي، تأييده لعقد مؤتمر دولي(٧٢). وفي العام ١٩٨٩، توقّف شيفاردنادزه في عمّان، في اطار جولته الشرق أوسطية.

يستند الاهتمام السوفياتي الراهن بالاردن الى مجموعة من العوامل. أولها الدور الذي لعبه الاردن في تحقيق الوفاق العربي، عبر احتضانه لمؤتمر القمة العربي في سنة ١٩٨٧، وهي القمّة التي أعادت علاقات مصر مع معظم الدول العربية. كما ان الدور الذي لا بدّ للاردن من لعبه في أية تسوية قائمة يشكّل عاملاً آخر. والعامل الثالث يتمثّل في موقع الاردن في السياسات الخليجية، وتحالفه مع العراق، والنجاح الذي حققته الزعامة الاردنية في تحسين علاقاتها مع سوريا أيضاً، وسعيها الى انجاز المصالحة الصعبة بين العراق وسوريا.

العلاقات السوفياتية ـ اللبنانية

شهد النصف الثاني من الثمانينات تضاؤل اهتمام الاتحاد السوفياتي بالمشكلة اللبنانية، الى حدّ يمكن القول ان الاتحاد السوفياتي كان غائباً عن لبنان، على الرغم من الوجود المؤثّر لحليفه سوريا في هذا البلد. واقتصر النشاط السوفياتي على ابقاء خطوط الاتصال مفتوحة مع معظم أطراف النزاع اللبناني، في حين لم تدرج بيروت في جدول زيارات أي مسؤول سوفياتي.

وبعد التدهور الخطر في الاوضاع اللبنانية مع اقتراب نهاية ولاية الرئيس الاسبق، أمين الجميل، عاد الاهتمام السوفياتي، نسبياً، بالمشكلة اللبنانية. وحرص الدبلوماسيون السوفيات على التعامل مع الحكومة العسكرية اللبنانية، برئاسة العماد ميشال عون، ومع حكومة الرئيس سليم الحص في آن. كما أيّدت موسكو الاجراءات الهادفة الى لجم تدهور الاوضاع، وايقاف الاشتباكات بين الفئات اللبنانية المتصارعة. وحاول الاتحاد السوفياتي لعب دور في لبنان عبر التنسيق مع الاطراف الدولية النافذة، مثل الفاتيكان وفرنسا، وهو ما تجلّى في اصدار اعلان سوفياتي ـ فرنسي مشترك، أشار الى تطبيق «اتفاق الطائف»، ودعا الاطراف كافة الى تقديم المساعدة لعملية المصالحة الوطنية، ولتحقيق وحدة واستقلال لبنان. كما شارك الاتحاد السوفياتي في تحرّك الدول الخمس دائمة العضوية في مجلس الامن الدولي، التي أصدرت بياناً دعا اللبنانيين الى توحيد جهودهم، من أجل تنفيذ «اتفاق الطائف»(٧٣).

في ما يخص حل الازمة اللبنانية، تعتبر موسكو ان على اللبنانيين التوصّل الى «تسوية تاريخية»، ومن الضروري، لتحقيق هذه التسوية، التخلّي عن «المطالب التعجيزية»، و«ايجاد حلول متبادلة مقبولة». وأكد المتحدث باسم وزارة الخارجية السوفياتية، غينادي غيراسيموف، أن بنود «اتفاق الطائف»، التي قدّمتها اللجنة العربية الثلاثية الى النواب اللبنانيين، تعرض «العناصر التي لا بدّ منها لحل الازمة [اللبنانية]، على قاعدة توازن مصالح مختلف الاطراف»(٧٤).

واضح، اذاً، ان اهتمام السوفيات بالمشكلة اللبنانية ينطلق من حرصهم على «تبريد» حرارة النزاعات في المنطقة، ومن خشيتهم من ان يشكّل النزاع اللبناني شرارة تشعل حرباً جديدة في المنطقة. أمّا لبنان ذاته، فليس له وجود في الاستراتيجية السوفياتية الجديدة.

أهداف السياسة الخارجية السوفياتية في عهد غورباتشيوف

تسعى السياسة الخارجية السوفياتية في الشرق الاوسط، بعد مرور ست سنين على ولاية غورباتشيوف، الى تحقيق امور عديدة، يرى مهندسو السياسة السوفياتية الحاليين امكانية تحقيقها. ولعلّ هذه السياسة البراغماتية، وبعد زوال بعض المخاوف التقليدية لدى دول المنطقة، قادرة على ايصال العلاقات السوفياتية مع دول الشرق الاوسط الى مستويات قد لا تقارب سنوات الستينات، لكنها تفوقها في التوسّع الجغرافي. والأمور هذه تنطلق من الدور الجديد الذي يمكن ان تحتله منطقة الشرق الاوسط في الاستراتيجية السوفياتية، وهي:

اولاً: تحقيق التقارب بين الدول العربية: يعتبر الاتحاد السوفياتي الانقسام الراهن في الصفوف العربية عقبة على طريق عقد المؤتمر الدولي، لأنه يضعف الموقف التفاوضي للعرب، ويوفّر الفرصة لانجاز سلسلة من التسويات المنفردة، دلّت تجربة الاتحاد السوفياتي الماضية على انه لن يكون له دور فيها.

ولتحقيق هذ الهدف، ساهم الوسطاء السوفيات في الجهود العربية المبذولة لتطبيع العلاقات العراقية ـ السورية، وقام الاتحاد السوفياتي بدور رئيس في ترتيب اللقاء بين الرئيسين، العراقي والسوري[٧٥]. وتحث الاوساط السوفياتية على تنسيق المواقف العربية من المؤتمر الدولي، وناقش وزير الخارجية السوفياتية، شيفاردنادزه، مع المسؤولين المصريين فكرة اجراء محادثات بين دول المواجهة العربية[٧٦]. وفي السبيل ايّاه، رحّبت الاوساط السوفياتية بـ «قمّة الانتفاضة»، التي عقدت في الجزائر، وما تحقق فيها من تعزيز لوحدة الصفوف الفلسطينية، والعربية. ووصفت وكالة «نوفوستي» السوفياتية هذه القمة بأنها «حدث يبعث على البهجة»[٧٧].

ثانياً: حماية المصالح السوفياتية في المنطقة: بيّنا في مكان آخر من هذه الدراسة، ان السوفيات كثّفوا استثماراتهم في المنطقة حتى بلغت قيمة القروض التي قدّمها الاتحاد السوفياتي الى دول المنطقة قرابة ٣٤ مليار دولار[٧٨]. وطبيعي ان السوفيات يحرصون على حماية هذه الاستثمارات؛ كما انهم يرغبون في الحفاظ على النفوذ الحضاري ـ الايديولوجي الناجم عنها.

ثالثاً: انتزاع الاعتراف بالدور الدولي للاتحاد السوفياتي: ظل اخراج السوفيات من منطقة الشرق الاوسط هدفاً دائماً للسياسة الاميركية، منذ صفقة الاسلحة المصرية ـ التشيكية، في العام ١٩٥٥. وقد أُنجز هذا الهدف في السبعينات، بشكل جزئي، بطرد الخبراء السوفيات من مصر. ويسعى الاتحاد السوفياتي الى جعل اشتراكه في التسوية، التي سترسم مستقبل المنطقة، أمراً ضرورياً. ويتمّ تحقيق ذلك من خلال التحرّك في ثلاثة مسارات.

- توثيق الصلات مع كل الاطراف والدول الهامّة في المنطقة.
- تقديم المبادرات التي تلبّي المطالب المتعارضة لأطراف الصراع، ممّا يمكّن الاتحاد السوفياتي من لعب دور وسيط مقبول من الجميع.

○ التنسيق مع دول اوروبا الغربية، التي تطمح، بدورها، الى لعب دور في التسوية الشرق أوسطية، على الرغم من المعارضة الاميركية.

رابعاً: اقامة علاقات اقتصادية مع دول المنطقة الثرية: تمكّن الاتحاد السوفياتي من اختراق الحواجز الاميركية وتطوير علاقاته السياسية مع عدد من الدول الخليجية، وهو يطمح الى تحقيق نجاح مماثل في الجانب الاقتصادي. ومع ان السوق الخليجية تشكّل اغراء لكل الدول المنتجة للاسلحة، لا سيّما بعد الحرب في الخليج، فان الاتحاد السوفياتي لا يرغب في الاكتفاء بالحصول على عوائد تصدير السلاح، بل يسعى الى اجتذاب الاموال الخليجية الى الاستثمار في الاتحاد السوفياتي(٧٩).

خامساً: فرض الاستقرار والهدوء في الشرق الاوسط: لم تعد الخشية السوفياتية من تطوّرات أوضاع الشرق الاوسط ناجمة عن تخوّف من استكمال تطويق الوطن السوفياتي بدول وأحلاف معادية؛ فقد حل مكانها القلق المتزايد من تعاظم نفوذ التيارات الدينية المتطرفة، التي تجد تربة خصبة لنموها في اضطراب أوضاع بلدان الشرق الاوسط، سياسياً واقتصادياً، الامر الذي أصبح يشكّل تهديداً للجمهوريات السوفياتية الاسلامية(٨٠).

لقد بُذرت بذور السياسة الجديدة في الشرق الاوسط. امّا القدرة على جني الثمار، فترتبط بقدرة غورباتشيوف على ترتيب أوضاع الامبراطورية المتداعية، قومياً واقتصادياً؛ كما ترتبط، وهذا هو الأهمّ، بقدرة غورباتشيوف على البقاء في سدّة الحكم.

---

(١) هيلين كارير دانكوس، **السياسة السوفياتية في الشرق الاوسط، ١٩٥٥ ـ ١٩٧٥** (ترجمة عبدالله اسكندر)، بيروت: دار الكلمة، ١٩٨١، ص ٩.

(٢) **المصدر نفسه**، ص ١٧ و٢٧.

(٣) **المصدر نفسه**، ص ١٢٨.

(٤) Fukuyama, Francis; "Patterns of Soviet Third World Policy", *Problems of Communism*, No. 5, September / October 1987, p. 2.

(٥) **المصدر نفسه**.

(٦) **المصدر نفسه**.

(٧) انظر «ملامح التفكير الجديد في سياسة الاتحاد السوفياتي تجاه العالم الثالث» (ترجمة واعداد جابر ابي جابر)، **الطريق** (بيروت)، السنة ٤٨، العدد ٣، حزيران (يونيو) ١٩٨٩. والمقالة المذكورة مترجمة عن ندوة أُدرجت في مجلة **الحياة الدولية** (موسكو)، العدد ١١، ١٩٨٨. وقد شارك في الندوة عدد من كبار مسؤولي الخارجية السوفياتية، وعدد من «العلماء» في الفكر السياسي. الكلام مأخوذ من مداخلة ف. كريمنيوك، ص ٨٨.

(٨) حسن العلكيم، «السياسة السوفياتية تجاه الخليج في عهد غورباتشيوف»، **المستقبل العربي** (بيروت)، السنة ١٢، العدد ١٢٥، تموز (يوليو) ١٩٨٩، ص ١٢٧؛ نقلاً عن Francis, T. Miko; *Soviet Foreign Policy under Gorbachev*, report No. 87-39 F., Congressional Service, the Library of Congress, January 21, 1987, p. 6.

(٩) ميخائيل غورباتشيوف، **البيروسترويكا والتفكير الجديد لأجل بلادنا وللعالم بأسره** (ترجمة زياد الملّا)، دمشق: دار الشيخ، ١٩٨٨، ص ٢٠٠.

(١٠) Fukuyama, op. cit., p. 1

(١١) انظر تصريح المتحدث بلسان الخارجية السوفياتية لوكالة «تاس» السوفياتية في **السفير** (بيروت)، ١٨/٢/١٩٨٨.

(١٢) العلكيم، **مصدر سبق ذكره**، ص ١٢٧.

(١٣) انظر مداخلة فلاديمير بولياكوف في «ملامح التفكير الجديد ...»، **مصدر سبق ذكره**، ص ٨٩.

(١٤) اسامة الغزالي حرب، «السياسة السوفياتية وتسوية الصراع العربي ـ الاسرائيلي»، **شؤون عربية** (تونس)، العدد ٣٣ ـ ٣٤، تشرين الثاني (نوفمبر) ـ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٨٣، ص ٢٩٩.

(١٥) انظر، على سبيل المثال، تصريح كارين بروتنتس في **القبس** (الكويت)، ١٩٨٨/٦/٤؛ و **النهار** (بيروت)، ١٩٨٨/٦/٩؛ والمحاضرة التي القاها وزير الخارجية السوفياتية، ادوارد شيفاردنادزه، في القاهرة.

(١٦) انظر مداخلة تساغولوف في «ملامح التفكير الجديد ...»، **مصدر سبق ذكره**، ص ٨٣.

(١٧) **اليوم السابع** (باريس)، العدد ٢٥٣، السنة الخامسة، ١٣ آذار (مارس) ١٩٨٩، ص ١١ ـ ١٣.

(١٨) غورباتشيوف، **مصدر سبق ذكره**، ص ٢٠٢.

(١٩) **تشرين** (دمشق)، ١٩٨٧/٤/١٢.

(٢٠) انظر محاضرة شيفاردنادزه، **مصدر سبق ذكره**.

(٢١) **السفير**، ١٩٨٩/٤/١٢.

(٢٢) محاضرة شيفاردنادزه، **مصدر سبق ذكره** .

(٢٣) **السفير**، ١٩٨٧/٥/٢٣.

(٢٤) انظر تصريح الناطق بلسان الخارجية السوفياتية، في **النهار**، ١٩٨٨/١١/٧.

(٢٥) **القبس**، ١٩٨٧/١١/١١.

(٢٦) **النهار**، ١٩٨٧/١٠/٢.

(٢٧) **السفير**، ١٩٨٩/٩/٣٠.

(٢٨) **نوفوستي** (دمشق)، ١٩٨٤/٧/٣٠.

(٢٩) **القبس**، ١٩٨٨/١١/١٩.

(٣٠) **السفير**، ١٩٩٠/٥/١٩.

(٣١) **القبس**، ١٩٨٨/١١/١٩.

(٣٢) انظر مداخلة ك. تساغولوف في «ملامح التفكير الجديد ...»، **مصدر سبق ذكره**، ص ٨٣.

(٣٣) حول العلاقات السوفياتية ـ الخليجية، انظر العلكيم، **مصدر سبق ذكره**.

(٣٤) سعدالدين ابراهيم، «العلاقات السوفياتية ـ المصرية في انتظار اللقاء بين مبارك وغورباتشيوف»، **القبس**، ١٩٨٨/١/١٩.

(٣٥) **القبس**، ١٩٨٨/٢/١٩.

(٣٦) **النهار**، ١٩٨٧/١٠/١٦.

(٣٧) **السفير**، ١٩٩٠/٥/١٧.

(٣٨) **النهار**، ١٩٩٠/٥/١٦.

(٣٩) عبدالكريم ابو النصر، «مبارك اتفق مع غورباتشيوف على قضايا رفضها الاسد»، **القبس**، ١٩٩٠/٥/١٧.

(٤٠) **القبس**، ١٩٨٩/٣/٦؛ نقلاً عن **دير شبيغل**، بدون ذكر تاريخ النشر.

(٤١) انظر تصريح اوليغ بريسبيكي، عميد كلية الدبلوماسية في وزارة الخارجية السوفياتية، في **السفير**، ١٩٨٩/١١/٢٩.

(٤٢) **السفير**، ١٩٨٧/٢/٢١.

(٤٣) حول تصريح أراد، انظر **السفير**، ١٩٨٧/٩/١٧؛ وتصريح المتحدث باسم الخارجية الاسرائيلية، في **المصدر نفسه**، ١٩٨٧/١٠/٣.

(٤٤) **النهار**، ١٩٨٧/٢/٢١.

(٤٥) **السفير**، ١٩٨٨/٣/٣١.

(٤٦) محاضرة شيفاردنادزه، **مصدر سبق ذكره**.

(٤٧) د. نبيل حيدري، «منظمة التحرير الفلسطينية في السياسة السوفياتية»، **شؤون فلسطينية** ، العدد ١٧٨، كانون الثاني (يناير) ١٩٨٨، ص ٢٤.

(٤٨) تفصيل هذه النقطة في **المصدر نفسه**، ص ٢٦ ـ ٢٧.

(٤٩) حول هذه الجهود السوفياتية، انظر **التقرير الاستراتيجي العربي لعام ١٩٨٦**، القاهرة: مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية ـ «الاهرام»، ١٩٨٧، ص ٣٠٤ ـ ٣١٠.

(٥٠) **النهار**، ١٩٨٧/١١/٧.

(٥١) **البيان** (دبي)، ١٩٨٨/١٠/١٤؛ نقلاً عن **لوكوتيديان دو باري**، بدون ذكر تاريخ النشر.

(٥٢) سركيس نعّوم، «تيارات ومجلس وطني وسوفيات»، **النهار**، ١٩٨٨/١١/٢٥.

(٥٣) **الرأي** (عمّان)، ١٩٩٠/١/١١.

(٥٤) **المصدر نفسه**، ١٩٨٧/١٠/١٩.

(٥٥) **السفير**، ١٩٨٩/٣/٣٠.

(٥٦) **القبس**، ١٩٨٨/٥/٢٨.

(٥٧) **السفير**، ١٩٩٠/٢/١.

(٥٨) **القبس**، ١٩٩٠/٢/١٧.

(٥٩) **النهار**، ١٩٨٧/٤/٢؛ نقلاً عن **الاذاعة السورية**، ١٩٨٧/٤/١.

(٦٠) Fukuyama, **op. cit.**, p. 8

(٦١) **تشرين**، ١٩٨٧/٤/٢٢.

(٦٢) **البرافدا**، ١٩٨٧/٤/٢٣.

(٦٣) **النهار**، ١٩٨٨/٦/٩.

(٦٤) **البيان**، ١٩٨٨/٧/٤.

(٦٥) **النهار**، ١٩٨٨/٨/٣٠.

(٦٦) **المصدر نفسه**، ١٩٨٨/١٠/١٤.

(٦٧) ذكر السفير السوفياتي لدى سوريا، الكسندر زوتوف، هذا الشعار في تصريحات نسبتها اليه الصحافة الغربية. انظر:
International Herald Tribune, 21/11/1989; *Financial Times*, 22/11/1989.

ثمّ عقد زوتوف مؤتمراً صحافياً، في دمشق، خصّصه لنفي هذه التصريحات، واتهم الصحافيين الغربيين «بالبحث عن التناقضات». لكن الامر الجدير بالملاحظة هو انه أعاد تأكيد وجوب «حل النزاعات الاقليمية بالطرق السلمية»، وان لسوريا الحق في تنمية «قدراتها الدفاعية»، لمواجهة التهديدات الاسرائيلية. انظر **البعث** (دمشق)، ١٩٨٩/١١/٢٣.

(٦٨) **القبس**، ١٩٩٠/٥/١٧.

(٦٩) **السفير**، ١٩٩٠/٥/٣.

(٧٠) انظر تصريحات سفير الاتحاد السوفياتي في سوريا، الكسندر زوتوف، في **السفير**، ١٩٩٠/٥/٣.

(٧١) **الرأي**، ١٩٨٧/١٠/٣١.

(٧٢) **السفير**، ١٩٨٨/٢/١٨.

(٧٣) **النهار**، ١٩٨٩/١١/٢.

(٧٤) **السفير**، ١٩٨٩/١٠/٢١.

(٧٥) **البيان**، ١٩٨٧/٥/٢٢؛ نقلاً عن **الاوبزرفر**، بدون ذكر تاريخ النشر.

(٧٦) **النهار**، ١٩٨٩/٣/٢.

(٧٧) **القبس**، ١٩٨٨/٦/٨.

(٧٨) تقرير منشور في **القبس**، ١٩٩٠/٦/١٢.

(٧٩) انظر تصريح السفير السوفياتي في دولة الامارات العربية المتحدة، في **القبس**، ١٩٨٩/١١/٤.

(٨٠) عبّر عن أفكار مماثلة ميخائيل غورڤسي، وهو محلّل سياسي سوفياتي، في **دير شبيغل**. انظر ترجمة لآراء غورڤسي في **القبس**، ١٩٨٩/٣/٦.

لماذا وقعت حرب الخليج؟

بيار سالينجر واريك لوران، حرب الخليج: الملف السرّي (مترجم الى العربية)، باريس: أوليفيه أوربان، توزيع دار آزال للتوزيع والنشر، بيروت، شباط (فبراير) ١٩٩١، ٢٧٣ صفحة.

يتوزّع كتاب «حرب الخليج: الملف السرّي» لمؤلفيه بيار سالينجر وأريك لوران على ثمانية فصول، هي: المعطيات الاولى؛ الدور الغربي؛ التردّد والحيرة؛ غلاسبي تستمع؛ الغزو؛ الصدمة؛ وراء الكواليس؛ تجييش الحلفاء؛ اضافة الى خاتمة وملحق وثائقي يضمّ وثيقتين: الاولى، رسالة مدير الأمن الوطني الكويتي الى وزير داخلية الكويت حول تنظيم التعاون بين ادارة الأمن الكويتية ووكالة الاستخبارات الاميركية؛ والثانية، لائحة بالشركات الغربية التي ساهمت في تسليح العراق خلال عقد الثمانينات حتى عشية أزمة الخليج. وقد أُصدر الكتاب بالفرنسية، وتُرجم الى العربية؛ والترجمة هي النسخة التي اعتمدناها في عرض مادة الكتاب.

ومن عناوين فصول الكتاب، وطريقة العرض للمعلومات التي يحتويها، يتّخذ هذا الجهد شكل تحقيق صحافي، على الرغم من اعتماده على الوثائق التي لا يورد الكاتبان كيفية الحصول عليها ولا على مصادرها، حيث ترتسم أمام القارىء علامات استفهام كثيرة حول تلك «الحرب الملتبسة» التي وقعت في منطقة الخليج. وتقتصر مادة الكتاب على الفترة الممتدة بين مقدّمات الأزمة حتى عشية بدء الحرب تقريباً، وتحديداً تاريخ اتخاذ قرار مجلس الأمن الدولي الرقم ٦٧٨ الذي يخوّل استخدام القوة ضد العراق، اذا لم ينسحب من الكويت.

ففي مدخل الكتاب، حول مقدّمات غزو العراق للكويت، أو ما سمّاه الكاتبان «المعطيات الأولى»، رأيا ان نهاية الحرب العراقية ـ الايرانية هي بداية أزمة الخليج، وردّا ذلك الى الوضع الاقتصادي للعراق في نهاية الحرب: «وضعت الحرب الايرانية ـ العراقية أوزارها في الثامن من آب [اغسطس] العام ١٩٨٨، دون ان يكون بامكان احد التنبؤ بأن هذا التاريخ سوف يشكّل، أيضاً، بداية لأزمة الخليج... ففي بداية الحرب، كان العراق يملك ٣٠ ملياراً احتياطياً من الدولارات. ولم تكد سنوات الحرب الثماني تمضي، حتى تجاوزت ديون العراق مئة مليار دولار. ولهذا السبب، لم يترك [الرئيس] صدام حسين مناسبة واحدة الّا واغتنمها، ليقوم بابلاغ جميع الزائرين الأجانب الذين كان يستقبلهم... انه لعب دور 'الدرع العراقي للأخوة العرب في مواجهة الخطر الفارسي'، وانه يتوقّع من 'الأثرياء بينهم، وعلى الأخص المملكة العربية السعودية والامارات العربية المتحدة والكويت، العون والمساعدة في تسديد كامل ديوننا'» (ص ٧ ـ ٨). وأفاد الكاتبان بأن العواصم الغربية الرئيسة تداولت «تقريراً سرياً حول الوضع الاقتصادي العراقي، قام بانجازه احد رجال المال النافذين في الشرق الاوسط... ويلقي التقرير، أيضاً، الأضواء على ظاهرة مثيرة للدهشة: [في] العام ١٩٨٩، كان العراق المستفيد الأول من مساعدات 'برنامج القروض الميسّرة الاميركية' الذي ينشط لبيع المنتجات الزراعية الاميركية في الخارج. امّا الفقرة الاخيرة من التقرير، فهي الأكثر أهمية، لأنها تتوقّع مآل الأمور بوضوح يثير الاعجاب: 'ان صدام حسين يعرف دقائق وضعه النقدي؛ فما هي الخيارات المطروحة أمام العراق وأمامه؟ انها خيارات محدودة. والكويت موجود دائماً على [بعد] كيلومترات قليلة من تجمّعات جيشه المتعطّل عند شط العرب. ان العراق بحاجة الى منفذ على مياه الخليج المفتوحة'» (ص ١٦ ـ ١٧). ورأى الكاتبان ان أوضاع دول المنطقة تسمح لبعضها البعض بتجاوز الحدود المرسومة فيما بينها، أو بالغاء تلك الحدود؛ فـ «في هذه المنطقة من العالم، حيث الحدود بين الدول

غير واضحة المعالم، كان الكيان العراقي، بدوره، كياناً مصطنعاً على غرار الكويت، قد تمّ تأسيسه بفضل اتفاقات سايكس ـ بيكو التي وزّعت ما تبقّى من جثة الامبراطورية العثمانية على فرنسا وبريطانيا؛ وهكذا تشكّل العراق من ثلاث مناطق تركية قديمة، هي بغداد [و] الموصل والبصرة. وتعبّر الفكرة التالية أفضل تعبير عن هذا الواقع: ' العراق حصيلة نوبة جنون أصابت [ونستون] تشرشل، الذي أراد الجمع بين حقلين للنفط، لا يوجد بينهما أي قاسم مشترك: كركوك والموصل. ولهذا السبب، تمّ جمع ثلاثة من الشعوب، التي لا يجمعها جامع: الأكراد، السنّة، الشيعة ' » (ص ٢٤). وعلى ذلك، قال الكاتبان، ان الرئيس صدام حسين، بعد ان أرسل قواته الى الكويت، «كان يستمع الى التقارير المقدّمة اليه، والى الأخبار الواردة من الجبهة، دون ان يحاول اخفاء سروره. فالبلد الذي احتله للتوّ هو خزنة مال حقيقية؛ وهو، بحسب رأيه، جزء لا يتجزأ من العراق؛ ولم يكن صدام حسين يشك للحظة في انه، بمحاولته تصحيح خطأ القوى الاستعمارية، كان يتحدّى سائر العالم» (ص ١٠٨ ـ ١٠٩).

الثالوث الذي تشكّله الفقرة السابقة، والذي يمكن ترجمته بـ «الوضع الاقتصادي للعراق بعد الحرب الايرانية ـ العراقية؛ والتطلّعات التاريخية للعراق على الصعيد العربي؛ والدور الذي يطمح العراق الى لعبه في المنطقة، وعلى صعيد العالم»؛ هذا الثالوث يشكّل محاور التحقيق الذي عرضه الكاتبان، حيث يجد القارىء نفسه، باستمرار، تجاه سؤال: هل كان ممكناً تجنّب الحرب في منطقة الخليج؟ فلو استجابت حكومة الكويت الى مطالب العراق، أما كان ممكناً تحاشي تلك الحرب؟ قال الكاتبان: «لا يمكن تصوّر بلدين، هما على طرفي نقيض، كالعراق والكويت. ففي العراق تتركّز السلطات في شخص حاكم مطلق التصرّف يعيش... أحلام السلطة والقوة. وفي مواجهة العراق، البلد المتقشّف، الذي يعد ١٨ مليوناً من البشر... تتربّع امارة الكويت على الثروة والوفرة، حيث يتقاسم ما يوازي الألف من أفراد أسرة آل الصباح الحاكمة المناصب المختلفة، اضافة الى السلطة والأرباح، وكأنهم أعضاء مجلس الادارة في أي شركة من الشركات المزدهرة... ان وفرة المال تؤدي، في الغالب، الى الادّعاء وفقدان البصيرة؛ ولأنهم لم يُحسنوا تجنّب الوقوع في أسر هاتين النتيجتين السلبيتين، مهّد حكّام الكويت الطريق أمام مأساة لم يعوا، بالتأكيد، مؤشراتها الأولية، فأصبحت معالمها واضحة، وغدت جاهزة لنقل المآسي والحروب الى المنطقة» (ص ٨ ـ ٩). ففي ١٨ تموز (يوليو) ١٩٩٠، تحرّكت دبابات عراقية الى الحدود الكويتية، وعقد مجلس الوزراء الكويتي اجتماعاً طارئاً للبحث في الأمر، وكان أمير الكويت التقى رئيس وزرائه قبل ذلك الاجتماع، وخلصا الى نتيجة مفادها، كما ذكر الكاتبان، ان «التحرّك العراقي عملية عسكرية ضيّقة سوف تقتصر على المنطقة الحدودية المتنازع عليها، ولم يخطر ببالهما ان الكويت بكامله هو الهدف» (ص ٦٠). وكان الرئيس صدام حسين أعلن، في ١٧ تموز (يوليو)، في ذكرى استيلاء حزب البعث على السلطة في العراق، انه «بفضل أسلحتنا الجديدة، لن يستطيع الامبرياليون، بعد الآن، خوض معركة عسكرية معنا؛ وبديل ذلك انهم يخوضون حرب استنزاف اقتصادي بمساعدة بعض عملاء الامبريالية من حكّام الخليج. ان سياسة تخفيض أسعار النفط التي يطبّقونها هي الخنجر المسموم في ظهر العراق... اذا لم تنفع الكلمات في حمايتنا، فلن يكون أمامنا سوى العمل على اعادة الامور الى نصابها واستعادة حقوقنا» (ص ٥٩). وفي ٢٨ تموز (يوليو)، حاول العراق تجنّب اللجوء الى القوة. ففي ذلك التاريخ التقى الرئيس صدام حسين الرئيس الفلسطيني، ياسر عرفات، وطلب اليه الذهاب الى الكويت، والابلاغ الى أميرها «انه اذا دفع عشرة مليارات دولار أُطالب بها، لأنه استثمر حقل الرميلة النفطي على الحدود، سوف اجمّد حركة العراق العسكرية، وأقلّل من تواجدها» (ص ٨٥). لكن الكويتيين لم يصغوا لتحذيرات الرئيس عرفات. حتى «لقاء جدة»، الذي عُقد في ٣١/٧/١٩٩٠ بين وفدين، كويتي وعراقي، لم ينفع في تحاشي ما وقع؛ بل شكّل هذا اللقاء، حسبما ذكر الكاتبان، «لحظة ارتباك مأساوية، نتج عنها حرب لم يحسن أحد تجنّبها، أو لم يبذل الجهد الكافي لذلك» (ص ٩٣). وكان الرئيس صدام حسين قال لنظيره المصري، حسني مبارك، الذي زار بغداد في ٢٤/٧/١٩٩٠: «لن أستخدم القوة العسكرية ما دامت المفاوضات بين الكويت والعراق قائمة. وأنا، يا أخ مبارك، أرجو عدم الكشف عن ذلك للكويتيين، لئلا يزدادوا غطرسة وادّعاء» (ص ٦٤). بعد هذا اللقاء، «انتقل مبارك على الفور الى الكويت وأبلغ الامير بتفاصيل ما قاله صدام؛ ولكنه اختار من التفاصيل ما يرغب بنقله. لقد أبلغه، على سبيل المثال: ' سمعت من صدام حسين شخصياً انه لن

يدفع بجيشه، ولن يهاجم الكويت' ، في حين نسي، أو تناسى، ان يبلغه ما تبقّى من الحديث، أي ' ما دامت المفاوضات بين العراق والكويت جارية' . كذلك نقل مبارك الرسالة المنقوصة نفسها الى واشنطن» (ص ٦٤ ـ ٦٥). فحتى بعد سيطرة القوات العراقية على الكويت، كان العراق مستعداً للانسحاب منها، كما أورد الكاتبان. ففي لقاء الملك الاردني حسين مع الرئيس العراقي صدام حسين، في ٤/٨/١٩٩٠، سأل الملك الاردني: «هل ستترك الكويت؟ ـ نعم، اذا حُلّت الخلافات بيني وبين الامارة» (ص ١٣٥). وذكر الكاتبان: «لقد اكدت لنا شخصيات عراقية، رفيعة المستوى، ان الرئيس العراقي، خلال محادثاته مع الملك حسين، قبل الذهاب الى جدّة في ٤ آب [اغسطس]، وقبل التفاوض مع الملك فهد، وقد أبلغ [الى] الملك الاردني قبوله الانسحاب من الكويت، اذا أثمرت المفاوضات» (ص ١٤١). وكان الملك حسين طرح فكرة عقد قمّة مصغّرة في جدّة للبحث في القضايا المختلف عليها بين العراق والكويت وايجاد حلول لها توفّر الشروط لانسحاب القوات العراقية من الكويت.

هل كان ما حدث في منطقة الخليج فخّاً اميركياً؟ وهل تلقّى الرئيس العراقي ضوءاً أخضر من الولايات المتحدة الاميركية لاحتلال الكويت؟ تشي المقاطع التي اقتبسها الكاتبان بالأمرين معاً. كتبا: «لقد اتخذت التقارير الموضوعة من قبل الادارة الاميركية، والمتعلّقة بالزعيم العراقي، عدة اتجاهات، وتركّزت حول ثلاثة محاور رئيسة: قدرته وإرادته في ان يصبح زعيم العالم العربي دون منازع؛ رغبته الشديدة في التماهي بجمال عبدالناصر وانبهاره بالهالة التي أحاطت بزعيم مصر السابق؛ تقاربه مع الغرب. وهذه النقطة الاخيرة كانت، برأي [جون] كيلي مساعد وزير الخارجية الاميركية لشؤون الشرق الاوسط وخبراء الادارة الاميركية، هي الحاسمة والأكثر أهمية... [فـ] العراق الذي خرج من المعركة لم يكن، في تاريخه الحديث، أكثر قرباً من الغرب. فاقتصاده أصبح مرتبطاً بالبلدان الاوروبية أكثر من ارتباطه بالاتحاد السوفياتي... وقد أدّت مختلف هذه الوقائع بالاميركيين الى اعتبار العراق عامل استقرار وقوة في المنطقة والى المراهنة عليه» (ص ١٠). وحين استقبل الرئيس صدام حسين مساعد وزير الخارجية الاميركية، كيلي، في ١٢/٢/١٩٩٠، وكانت تلك هي المقابلة الاولى مع أحد الرسميين الاميركيين منذ زمن بعيد، بادر كيلي الى القول: «أنتم قوّة اعتدال في المنطقة، وتتمنّى الولايات المتحدة [الاميركية] اقامة أوثق العلاقات مع العراق» (ص ١١). ورأى الكاتبان ان أقوال كيلي هذه كانت «الرسالة الاولى، بين سلسلة طويلة من الرسائل المبهمة والمتناقضة، والتي سوف تكون نتائجها شديدة الوطأة والتأثير» (ص ١١). وذكر الكاتبان ان شخصية اوروبية زارت واشنطن، في شهر حزيران (يونيو) ١٩٩٠، وقدّمت التقويم التالي للحالة العراقية: «لا أحد يعتبر هذه الدولة مصدراً للخطر والتهديد؛ فالكل ينظر اليها على انها سوق هامّ للمنتجات الاميركية، وأحد البلدان القلائل، حيث ما زالت التكنولوجيا الاميركية تتمتّع [فيها] بقدرة تنافسية تصل الى حدّ التفوّق على التكنولوجيا اليابانية» (ص ٥٣)، وذلك على الرغم من ان صدّام حسين كان ألقى خطاباً في قواته، في ٢/٤/١٩٩٠، وردت فيه جمل «أصابت العالم بالذهول»، حيث قال: «بعون الله، اذا حاولت اسرائيل أي شيء ضد العراق، سوف نعمل على جعل النار تلتهم نصفها... أمّا الذين يهدّدوننا بالقنبلة النووية، فسوف نقضي عليهم بواسطة السلاح الكيميائي» (ص ٣٥). وأضاف الكاتبان، ان الرئيس صدام حسين «لم يتلقّ... أي تحذير رسمي أميركي؛ [بل] على العكس من ذلك تماماً، لقد تلقّى عدداً من مبادرات التشجيع التي ساهمت في جعل الموقف الاميركي أكثر غموضاً وتشويشاً» (ص ٣٨). وأوردا، على سبيل المثال، ما دار في لقاء الرئيس صدام حسين مع وفد من أعضاء مجلس الشيوخ الاميركي، برئاسة زعيم الأقلية الجمهورية السيناتور روبرت دول، في ١٢/٤/١٩٩٠، في بغداد. قال دول، كما نقل الكاتبان: « ' ان تصريحاتكم الاخيرة التي تهدّد باستخدام السلاح الكيميائي ضد اسرائيل أحدثت صدمة قوية في العالم أجمع؛ ومن الأجدى، بالنسبة اليكم وللسلام في الشرق الاوسط، ان تتراجعوا عن برامج ومشاريع شديدة الخطورة، وعن تصريحات ومواقف مشبعة بالاستفزاز' ... ردّ صدام: ' أنا اعتقد بوجود حملة واسعة ومنسّقة ضدّنا بواسطة الولايات المتحدة الاميركية' ؛ أجاب دول على الفور: ' على جميع الأحوال، ليس جورج بوش مصدر هذه الحملة. لقد قال لنا البارحة انه لا يؤيدها' ... وختم دول حديثه بقوله: ' صرّح لي الرئيس بوش، منذ ١٢ ساعة فقط، بأنه يبحث عن أفضل العلاقات معكم، وان حكومته تفتّش عن أمتن الروابط مع العراق؛ وأستطيع التأكيد ان الرئيس بوش سوف يعارض فرض

العقوبات، ولو تطلّب الأمر استخدام الفيتو في مواجهة قرارات كهذه، الاّ اذا حدث استفزاز معيّن» (ص ٣٩ ـ ٤٠). وذكر الكاتبان ان السيناتور دول حين عاد الى واشنطن، نقل كلاماً الى بوش وصف فيه صدام حسين «بنموذج القائد الذي تستطيع الولايات المتحدة [الاميركية] التأثير عليه وتوجيهه اذا أرادت ذلك» (ص ٤١). وحين طُرحت في الكونغرس مسألة فرض عقوبات اقتصادية على العراق، ردّاً على تهديده اسرائيل، قال مساعد وزير الخارجية الاميركية، كيلي، الى لجنة الشؤون الخارجية التابعة للكونغرس: «ما تزال الادارة الاميركية ترفض العقوبات، لأنها تؤذي المصدّرين الاميركيين وتزيد العجز التجاري؛ ولا أرى كيف يمكن لاجراءات كهذه ان تسمح بتهدئة العراق» (ص ٤٢). وخلص الكاتبان الى نتيجة مفادها ان «العمى وفقدان البصيرة يطبعان نظرة واشنطن الى صدام حسين، على انه شخصية ضيّقة الأفق ومحدودة... ولم تكن توجد شخصية واحدة في واشنطن تفهم بأن ضيق الأفق هذا هو مصدر الخطر، لأن صدام يجهل القواعد الدولية وحدودها، ويمكن ان يطبّق، على الصعيد العالمي، الاسلوب نفسه الذي يحكم بواسطته العراق» (ص ٤٣ ـ ٤٤).

بالمقابل، هل كان الرئيس صدّام يبحث عن الصراع مع واشنطن؟ أم كان راغباً في صداقتها؟ لقد استعرض الكاتبان فقرات مطوّلة من لقاءات صدام حسين مع مسؤولين اميركيين. ومن أهمّ تلك اللقاءات لقاؤه مع سفيرة الولايات المتحدة الاميركية لدى العراق، ابريل غلاسبي. قال صدّام لغلاسبي: «لقد قرأت تصريحات أميركية عديدة عن أصدقاء اميركا في المنطقة. من حق الجميع ان يختاروا اصدقاءهم، ولا اعتراض لدينا على ذلك. ولكنكم تعرفون جيداً انكم لستم الذين حميتم هؤلاء الاصدقاء خلال الحرب مع ايران» (ص ٦٩). وتابع صدّام: «أهكذا يُكافأ العراق لأنه ساهم في استقرار المنطقة وقام بحمايتها من مدّ لا مثيل له؟ ثمّ ماذا يعني أيضاً القول: 'سوف يحمي الاميركيون أصدقاءهم؟' انه، في الحقيقة، يعني موقفاً عدائياً تجاه العراق؛ وهو الذي شجّع الكويت والامارات العربية على تجاهل حقوقنا، بالاضافة الى المناورات والتصريحات التي تردّدونها» (ص ٧٠). وأضاف: «نحن نفهم مصلحة الولايات المتحدة [الاميركية] في الحفاظ على تدفّق النفط... ان الولايات المتحدة [الاميركية] ترغب في امدادات نفطية متواصلة. ولهذه الرغبة تبريرات نأخذها بعين الاعتبار. ولكن عليها الاّ تستخدم في سبيل ذلك طرقاً وأساليب تقوم هي نفسها بادانتها في مناطق أخرى من العالم... اذا لجأتم الى الضغوط، فسوف نردّ بضغوط مماثلة... نحن لا نضع الولايات المتحدة الاميركية، أيضاً، في خانة الأعداء. نحن نضعها في الموقع الذي نريده لأصدقائنا؛ ونبذل الجهد كي نكون في عداد أصدقائها؛ ولكن تصريحاتكم المتكررة تظهر، جليّاً، ان أميركا هي التي لا تريد صداقتنا. حسناً، للاميركيين حرية اختيار الاصدقاء... نحن لا نطلب منكم حل مشاكلنا. لقد قلت ان المشاكل العربية تُحل بين العرب؛ والمطلوب منكم عدم تشجيع أحد على فعل يتعارض مع مكانته... نحن نريد الصداقة؛ ولكننا لا نجري وراءها» (ص ٧٠ ـ ٧٣). ردّت السفيرة غلاسبي على الرئيس العراقي بالقول: «عندي تعليمات شخصية من الرئيس بضرورة التفتيش عن أفضل العلاقات مع العراق... ولا أقول فقط ان الرئيس بوش يرغب في أفضل العلاقات وأوسعها مع العراق، وانما يريد مساهمتكم، أيضاً، في ازدهار الشرق الاوسط وسلامه. ان الرئيس بوش رجل ذكي، ولن يذهب الى حدّ اعلان الحرب الاقتصادية على العراق» (ص ٧٧). ورأى الكاتبان في كلام غلاسبي ضوءاً أخضر للعراق كي ينفّذ تهديداته ضد الكويت. فاجتماعه مع غلاسبي حدث في ١٩٩٠/٧/٢٥، والأزمة مع الكويت في ذروتها وعشية دخول القوات العراقية اليها.

ولم تتبدّل لغة الخطاب السياسي العراقي مع المسؤولين الاميركيين حتى بعد سيطرة القوات العراقية على الكويت. فحين اجتمع الرئيس صدام حسين مع القائم بالأعمال الاميركي في بغداد، جوزف ولسون، قال صدام: «لماذا تريدون ان تكونوا أعداء لنا؟ لقد ارتكبتم ما يكفي من أخطاء باضعاف حلفائكم في المنطقة الذين فقدوا أي اعتبار بنظر شعوبهم؟ ومن وجهة نظرنا، سيمكنكم ان تدافعوا أكثر عن مصالحكم في هذه المنطقة من العالم، في حال اعتمادكم على نظام ذي نزعة وطنية وواقعية منه [في اعتمادكم] على السعوديين» (ص ١٧٥). فهل كان الرئيس صدام حسين يبحث عن دور الوكيل في منطقة الخليج لدى الادارة الاميركية؟ أم انه كان يبحث عن دور يتناسب وقدرات بلده؟ لقد استعرض الكاتبان فقرات من كلمة صدام حسين في قمّة مجلس التعاون العربي التي عُقدت في عمّان، في ١٩٩٠/٢/٢٣. قال صدام: «ان البلد الذي سوف يمارس نفوذاً حاسماً على الخليج

وبترولـه سوف يعمل أيضاً على تأمين تفوّقه كقوة عظمى لعدم وجود قوة أخرى تنافسه. وهذا يؤكد انه في حال عدم تنبّـه شعوب الخليج والعالم العربي، سوف تتمّ ممارسة الحكم على هذه المنطقة حسب مشيئة الولايات المتحدة الاميركية. وعلى سبيل المثال، سوف يتمّ تحديد سعر البترول بشكل يؤمن المصالح الاميركية الخاصة ويتجـاهـل مصـالح الآخـرين». وسأل صدام: «أليست واشنطن هي نفسها التي تؤمّن الهجرة اليهودية الى اسرائيل؟ أليست هي نفسها التي تُسيِّر سفنها ودورياتها في مياه الخليج، بالرغم من انتهاء الحرب الايرانية ـ العراقية؟» (ص ١٣). ورأى الكاتبان ان «هناك قناعة فرضت نفسها على صدام حسين، وكان لها أبلغ الأثر في المستقبل، وقد توصّل اليها بفعل الحوار الذي أجراه مع عدد من المسؤولين من أمثال جون كيلي... وهذه القناعة هي التالية: الادارة الاميركية ضعيفة الارادة، لا تعرف ما تريد، وتميل الى المهادنة وتتجنّب المجابهة» (ص ٤٤)؛ وصدام «بشخصيته الانفعالية والذكية، وبادّعائه وافتخاره وشعور العظمة لديه، أخذ... ينظر الى العراق ويعتبره قلعة حصينة قادرة على تحدّي العالم بأجمعه» (ص ٣١).

هل كان هدف صدام حسين لعب دور في منطقة الخليج فقط، أم انه كان يطمح الى دور على مستوى منطقة الشرق الاوسط؟ ان مبادرته التي طرحها في ١٢/٨/١٩٩٠، والتي تدعو الى حل مشكلات الشرق الاوسط كافّة، تفيد بأن طموحه تجاوز حدود منطقة الخليج. لكن الكاتبين نقلا عن حوار دار بين الرئيس صدام حسين والرئيس ياسر عرفات، في نهاية آب (اغسطس)، قول صدام حسين: «الآن، وقد تفاقمت أزمة الخليج، هل يمكنني ان اختزلها الى المطالبة بجزيرتين وبضع آبار نفط، خاصة بعد ان انسحبت من شط العرب؟ هذا لا يكفي. اذا قلت للشعب العـراقي اني انسحب لأني وجدت حلاً لمشكلة بحجم القضية الفلسطينية، فانه سيتفهّم؛ ولكن اذا اقدمت على الانسحاب فقط من أجل الاحتفاظ بالجزر وآبار النفط، فان الشعب لن يقبل بذلك أبداً، وهذا أفدح من خسارة الحرب. لم أقل، أبداً، اني مستعد للانسحاب، لماذا؟ لأني أعتقد بأن الجنود العراقيين سيفقدون معنوياتهم عندما يشعرون بأني مقتنع بالانسحاب». وأضاف: «اذا تقدّمت بعرض للسلام، عليّ أنا ان اقدّم التنازلات. وامّا اذا جاءت العروض من الآخرين، فحينها أحصل أنا على التنازلات» (ص ٢٣٣).

هل شعـر الرئيس العراقي بأنه تورّط بالدخول الى الكويت؟ وعلى ماذا راهن في حال وقوع الحرب؟ ذكر الكاتبان ان الرئيس صدام حسين تناول، في حديثه مع الرئيس عرفات، موضوع الحرب ضد الولايات المتحدة الاميركية، وقال صدام: «من الواضح انه منذ اللحظة الاولى للهجوم عليّ، سأضرب اسرائيل. فدخول اسرائيل على خط النزاع سيغيّر آراء ومواقف العرب، وسينظر الى هذا الهجوم على العراق بوصفه مؤامرة اميركية ـ صهيونية؛ والعـديد من البلدان، خاصة مصر وسوريا، التي تؤيد حالياً الولايات المتحدة الاميركية ستغيّر موقفها عندما تكتشف ان اسرائيل تشارك بالحرب» (ص ١٩٧).

اميركا، بدورها، هل وضعت نفسها في ورطة، وبالتالي أعدّت للحرب كمخرج لا بدّ منه؟ نقل الكاتبان عن مسؤول اميركي قوله: «ان احتلال الكويت لا يشكّل بحدّ ذاته تهديداً للمصالح الاميركية؛ فالتهديد الحقيقي يكمن في ما سيحصل عليه العراق، الذي يمتلك ٢٠ بالمئة من الموارد النفطية في العالم، من قدرة، حين سيسيطر على منظمة الدول المصدّرة للنفط وعلى الشرق الاوسط، مهدّداً اسرائيل، وساعياً الى الحصول على القنبلة الذرية» (ص ١٦٣)؛ كما ان مسألة التدخّل الاميركي العسكري في منطقة الخليج لم تأت وليدة أزمة العراق ـ الكويت، كما أورد الكاتبان: «فمنذ عشر سنوات، لم يغب التدخّل العسكري في الخليج عن الاحتمالات الواردة في ذهن الادارة الاميركية؛ واثر سقوط شاه ايران، [في] العام ١٩٧٩، انشأ [الرئيس] جيمي كارتر قوة تدخّل سريع لحماية حقول النفط، ووضع خطة سرية يحمل ملفّها الرقم (٩٠ ـ ١٠٠٢). ولكن أمرين لم تأخذهما الخطة في الحسبان: فقدان الكويت واجتياح العراق لها» (ص ١٢٦ ـ ١٢٧). وفي مسار تطوّر تلك الازمة، كان الرئيس الاميركي، بوش، وضع نفسه، حسب الكاتبين، «في موقف يصعب تغييره، كما يصعب التفاوض حوله» (ص ٢٤٥).

أحمد شاهين

تحرّك لتنقية الأجواء

وصلت المساعي الاميركية، بشأن التوصّل الى عقد مؤتمر للسلام في الشرق الاوسط، درجة الجمود، وفقدت تحرّكات وزير الخارجية الاميركية، جيمس بيكر، زخم استمرارها، بسبب الانحياز الاميركي الواضح الى الطروحات الاسرائيلية الخاصة بعقد مؤتمر للسلام. ونتيجة لذلك، نشطت الجهود العربية، مجدّداً، للتوصّل الى الحدّ الأدنى المطلوب عربياً، لمواجهة المستجدات السياسية في مرحلة ما بعد حرب الخليج. وفي اطار هذه الجهود تندرج الزيارة التي قام بها وفد من قيادة م.ت.ف. لدمشق، حيث تباحث مع وزير الخارجية السورية، فاروق الشرع، والتقى الرئيس حافظ الاسد.

السلام الاميركي

انطلاقاً من قرارات المجلس الوطني الفلسطيني التي اتخذت في دورته الاخيرة، وما تضمّنته من مبادرة للسلام، تعاطت م.ت.ف. بايجابية مع المبادرة الاميركية الخاصة بعقد مؤتمر للسلام في الشرق الاوسط. وفي هذا السياق، أكد الرئيس الفلسطيني، ياسر عرفات، في كلمته بمناسبة دخول الانتفاضة شهرها الثاني والاربعين، ان المنظمة أوضحت، خلال الفترة الماضية، «الاستعداد الفلسطيني الصادق للتعاطي مع مساعي احلال السلام العادل في منطقتنا؛ وكان قرارنا بالموافقة على عقد عدّة لقاءات بين الشخصيات الوطنية في الارض المحتلة ووزير الخارجية الاميركية ضمن هذا السياق. وقد أكدت الشخصيات الوطنية، خلال اللقاءات الثلاثة، وبالمذكرات التي قدّمتها، على الموقف الفلسطيني الثابت؛ كل ذلك على أساس الفهم العميق لتطوّرات الامور على أساس موقفنا الحاسم، والحازم، برفضنا، كشعب وأمّة مجاهدة، ان يكون النظام العالمي الجديد، الذي يحاولون فرضه على المنطقة، على حسابنا، وعلى حساب حقوقنا، وبرفضنا سياسة الولايات المتحدة الاميركية، التي تلتقي مع السياسة الاسرائيلية في جوهرها، وفي عدائها، وتجاهلها للقرارات الدولية المتعلّقة بشعبنا وحقوقه، والكيل بمعيارين» (**فلسطين الثورة**، نيقوسيا، ١٩/٥/١٩٩١).

الّا ان هذا التعاطي الايجابي الفلسطيني اصطدم بعقبتين اساسيتين: الاولى، اصرار الولايات المتحدة الاميركية على اغفال دور م.ت.ف. اغفالاً كاملاً، وعدم الاقرار بشرعية تمثيلها للشعب الفلسطيني؛ والثانية، انحياز الولايات المتحدة الاميركية الى الطروحات الاسرائيلية. وعلى هذا الصعيد، أكّد عضو اللجنة التنفيذية رئيس الدائرة السياسية في م.ت.ف. فاروق القدومي (ابو اللطف)، ان الولايات المتحدة الاميركية «تبدو حازمة، ومصمّمة على تحقيق تسوية سياسية في المنطقة. ولكن السؤال الذي يطرح نفسه: هل يمكن لهذه المساعي الاميركية ان لا تكون منحازة الى اسرائيل أو تعمل على ممارسة الضغط على الحكومة الاسرائيلية لكي تتخلّى عن تعنّتها واصرارها على الاحتفاظ بالاراضي الفلسطينية والعربية المحتلة، ورفضها للانسحاب منها، وتنكّرها للحقوق الوطنية الثابتة للشعب الفلسطيني؟ اننا نعتقد بأن الولايات المتحدة الاميركية لن تمارس الضغط على اسرائيل، وقد صرّحت بذلك مراراً، وكأنها تترك الخيار لاسرائيل» (**الحرية**، نيقوسيا، ٢/٦/١٩٩١). ورأت أوساط فلسطينية «ان الادارة الاميركية تتصرّف وكأن مسألة التمثيل الفلسطيني متّفق عليها، وهو ما يعني ان واشنطن قد فهمت مرونة م.ت.ف. بالسماح بتكرار لقاء وزير الخارجية الاميركية، جيمس بيكر، برفود من الداخل على انه تسليم من المنظمة بأن الداخل هو الذي سيمثّل الفلسطينيين، وهذا ما كان يستوجب، وما زال [يستوجب]، اعادة النظر في مثل هذه اللقاءات، اذا ما كان هنالك

مجال للقاءات أخرى طالما يتمّ فهمها على هذا الاساس» (مقابلة مع عبدالله حوراني، **القدس العربي**، لندن، ١٥/٦/١٩٩١).

أمّا بعض الاوساط الاعلامية، فقد رأى «ان الادارة الاميركية تدرك انها قادرة على تقديم ما وعدت به بشأن أزمة الشرق الاوسط ابّان حرب الخليج؛ الاّ انها ليست مستعدة للضغط على اسرائيل؛ لا بل وليس هنالك ما يجبرها على ذلك؛ ولذا، فان أقصى ما يمكن ان تفعله هو ان تؤكد استمرار مسؤوليتها في حماية اسرائيل. فأين هي الجدية الاميركية لاحلال السلام العادل في الشرق الاوسط ؟» (**فلسطين الثورة**، ١٩/٥/١٩٩١)؛ في حين سأل البعض الآخر عن جوهر وجدوى الدور الاميركي، خاصة بعد النشاط الاستيطاني الاسرائيلي في المناطق المحتلة، وازدياد الهجرة اليهودية الى اسرائيل: «اذا كان الاستيطان مسموح به، فماذا يمكن ان ينتظر الفلسطينيون من السياسة الاميركية؟ لا شيء، طبعاً، حتى اشعار آخر. فالسقف، من وجهة نظر واشنطن، هو ' الحكم الذاتي ' ، أو ' الحكومة الذاتية ' أو ' الادارة الذاتية ' ؛ وكلها تعني شيئاً واحداً محدّداً: اسرائيل تحتفظ بالسيطرة على الارض الفلسطينية، ومقدّراتها، والفلسطينيون يتولّون فقط الكناسة والحراسة» (**الحرية**، ١٩/٥/١٩٩١).

وتأسيساً على موقف الانحياز الاميركي للتصوّر الاسرائيلي للسلام، اعتبرت أوساط سياسية فلسطينية ان قضية الاراضي المحتلة، الفلسطينية والسورية واللبنانية، وقضية تسوية المشكلات العديدة النابعة من الاحتلال والسياسة التوسّعية الاسرائيلية هي قضايا مشتركة، ينبغي معالجتها بشكل مشترك وعلى أرضية التنسيق بين الاطراف المعنيّة كافة، وبغض النظر عن خلافاتها السابقة وحساباتها اللاحقة. الأوساط والاطراف المعنيّة هي فلسطين وسوريا ولبنان والاردن ومصر. وعليها تقع المسؤولية الاولى في مواجهة التعنّت الاسرائيلي والتخطيط للتعاطي المشترك في العملية السياسية التي تحاول ان تقودها الولايات المتحدة الاميركية (**المصدر نفسه**، ٢٦/٥/١٩٩١)، على «أرضية تجريد العرب من أي من عناصر القوة، مقابل ضمان أمن اسرائيل وتسهيل تطوّرها التسلّحي، حتى امتلاك رؤوس نووية وكيميائية» (**الهدف**، دمشق، ٩/٦/١٩٩١). ولعلّ أكثر الامثلة وضوحاً، على هذا الصعيد، هو ما قامت به الولايات المتحدة الاميركية، وخلال جولات وزير خارجيتها على المنطقة، من تعزيز للقدرة العسكرية الاسرائيلية بـ ١٥ طائرة ف ـ ١٥ و٦٥٠ مليون دولار اميركي لتطوير نظام الدفاع الاستراتيجي.

العلاقات الفلسطينية ـ السورية

أبرز ما كشفته جولات وزير الخارجية الاميركية، بيكر، على المنطقة، هو حرص واشنطن على تجزئة الحل وتفريغ أطرافه من عناصر القوة، وبالتالي ايصال الاطراف العرب الى درجة القبول بالشروط الاسرائيلية: «فسوريا لها الحق، فقط، بالتحدّث عن الجولان؛ والوفد الفلسطيني ـ الاردني عن الضفة وغزة؛ ومنح اسرائيل والولايات المتحدة [الاميركية] فرصة الاستفراد بكل طرف على حدة، وتعريته تماماً. ولعلّ ادراك الفلسطينيين والسوريين لهذه المساعي هو ما دفع الطرفين الى التقدّم خطوات كل باتجاه الآخر» (**الهدف**، ٢/٦/١٩٩١). وجدير بالذكر، في هذا السياق، ان قيادة منظمة التحرير الفلسطينية حرصت، منذ بدء أزمة الخليج، على تأكيد أهمية وحدة الموقف العربي، وتحسين وتنقية العلاقات العربية. وهذا، ما شكّل، بدوره، محور محادثات الرئيس الفلسطيني، ياسر عرفات، والرئيس الليبي الرئيس الحالي لمجلس اتحاد المغرب العربي، معمّر القذافي، خلال لقائهما في طرابلس الغرب، بتاريخ ٢٨/٥/١٩٩١ (**وفا**، تونس، ٢٨/٥/١٩٩١). فقد تمّ تأكيد أهمية احياء الجبهة الشرقية، بغية خلق التوازن مع العدو الاسرائيلي. «فسوريا هي الحلقة الاساسية في هذه الجبهة؛ فلا زالت أرضها محتلة؛ وهي القوة الوحيدة عسكرياً الباقية للأمّة العربية بعد تدمير القدرات العسكرية والاقتصادية العراقية في حرب الخليج الاخيرة» (**القدس العربي**، ٢٨/٥/١٩٩١).

وضمن هذا الاهتمام، وصل دمشق، مساء ٢٥/٥/١٩٩١، وفد فلسطيني برئاسة عضو اللجنة التنفيذية رئيس الدائرة السياسية لـ م.ت.ف. فاروق القدومي (أبو اللطف)، وأعضاء اللجنة التنفيذية ياسر عبدربه وسليمان النجّاب وأبو

علي مصطفى، فاستقبله وزير الدولة السوري للشؤون الخارجية، ناصر قدّورة. وقد أُجريت جولة المحادثات الاولى مع وزير الخارجية فاروق الشرع، صرّح القدومي، في أعقابها، بأن «سوريا وم.ت.ف. لهما آراء مشتركة في معظم القضايا» (**وفا**، ١٩٩١/٥/٢٦)، في حين ذكر عبدربه «ان الموقفين، السوري والفلسطيني، متقاربان، ويؤكدان على ضرورة الاستناد الى قراري الشرعية الدولية ٢٤٢ و٣٣٨، وان لا سلام في الشرق الاوسط بدون مشاركة سوريا وم.ت.ف. في أي مؤتمر دولي يعقد لهذه الغاية» (**الشرق الاوسط**، لندن، ١٩٩١/٥/٢٦).

وبعد جولتين أخريين من المباحثات مع الشرع، اجتمع الوفد الفلسطيني مع الرئيس حافظ الاسد، في ١٩٩١/٥/٢٨، وتناول الحديث، بين الجانبين، التحرّكات السياسية الهادفة الى ايجاد حل لأزمة الشرق الاوسط، وسبل تطبيع العلاقات الفلسطينية ـ السورية (**التلفزيون السوري**، نشرة الساعة ٣٠و٨ مساء، ١٩٩١/٥/٢٨).

وعقب الاجتماع، أوضح عضو الوفد الفلسطيني، عبدربه، ان «البحث مع الرئيس الأسد كان شاملاً، حيث أكد الوفد الفلسطيني على تطابق المواقف بشأن عدد من المسائل الراهنة، وخاصة في ما يتعلّق بأسس انعقاد مؤتمر السلام وفق قواعد الشرعية الدولية ومشاركة جميع الاطراف». وأضاف، ان السياستين، السورية والفلسطينية، متطابقتان تجاه كل هذه المسائل (**فلسطين الثورة**، ١٩٩١/٦/٢). وحسب بعض المراقبين، فان الطرفين، الفلسطيني والسوري، اتفقا على مواصلة عقد اللقاءات والمشاورات على نحو دائم ومستمر، وعلى صوغ تحرّك مشترك في المجالين، العربي والدولي، يستند الى الأسس السياسية التالية:

○ التمسّك بالشرعية الدولية، وعدم القبول بالحلول الجزئية والمنفردة، والتمسّك بصيغة المؤتمر الدولي بحضور الأطراف كافّة، بما فيها منظمة التحرير الفلسطينية، الممثّل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني، وبوفد مستقل، وبانعقاد دائم له مع دور هامّ لاوروبا، ودور فاعل للأمم المتحدة، الأمر الذي سيمكّن من طرح جميع قرارات الأمم المتحدة المتعلّقة بحقوق الشعب الفلسطيني، وليس فقط القرارين ٢٤٢ و٣٣٨.

○ العمل، سوياً، لتنفيذ «اتفاق الطائف» في لبنان، وتسهيل مهمة الشرعية اللبنانية في بسط سيادتها على كامل التراب اللبناني، وتحشيد أوسع رأي عالمي من اجل تنفيذ القرار الرقم ٤٢٥، الداعي الى انسحاب اسرائيل من جنوب لبنان.

○ ادانة موجات الهجرة الجديدة الى اسرائيل، وما تحمله من مخاطر استيطانية على مستقبل الاراضي المحتلة، وبذل جهود مشتركة لتطبيق القرارات التي تعتبر عملية الاستيطان في الاراضي المحتلة عملاً غير مشروع (**الهدف**، ١٩٩١/٦/٢).

الى ذلك، أكدت مصادر أخرى ان المحادثات الفلسطينية ـ السورية أظهرت درجة تقاطع واسعة بين الطرفين في مجال التعاطي مع طروحات الادارة الاميركية والتعامل مع التعنّت والعدوانية الاسرائيلية المستمرة. «فالأميركيون، على ما يبدو، مستمرون في محاولاتهم لترتيب لقاء بين أطراف الصراع، وانْ كانت الصيغ التي يطرحونها، حتى الآن، للقاء، أو ' مؤتمر السلام' كما يسمّونه، غير مرضية للأطراف العربية، وتحديداً للطرفين، الفلسطيني والسوري» (**الحرية**، ١٩٩١/٦/٢). وأشارت المصادر، الى ان أهمية المباحثات الفلسطينية ـ السورية وما تمخّض عنها من نتائج، تأتي اثر انكشاف الأوهام في ما يتعلّق بالوعود الاميركية. أمّا على صعيد العلاقات الفلسطينية ـ الفلسطينية، فقد أشارت مصادر الوفد الفلسطيني، بأن ما تمّ التباحث حوله مع الجبهة الشعبية ـ القيادة العامة، والرئيس السابق للمجلس الوطني الفلسطيني، لم يكتسب طابعاً رسمياً، وانه لا يزال ضمن دائرة تبادل الآراء.

من جهة أخرى، ذكرت مصادر فلسطينية مطلعة وجود مؤشر الى ضرورة اجراء حوار شامل وتقويم المرحلة الماضية، والعمل على انهاء الخلاف بين «فتح» والمنشقين عنها، وبين الحزب الشيوعي الفلسطيني والحزب الشيوعي الثوري الفلسطيني، وتمثيل جميع الفصائل والشخصيات الوطنية الفلسطينية في لجنة تحضيرية تتولّى تشكيل مجلس وطني فلسطيني جديد، والتمهيد لوصول وفد فلسطيني من «فتح»، يتولّى عملية الحوار مع

القوى الفلسطينية.

وأيّاً تكن النتائج، فان التطوّر الايجابي في العلاقات السورية ـ الفلسطينية من شأنه احداث تغييرات هامّة في مناخ العلاقات الفلسطينية ـ العربية، والعربية ـ العربية، التي لا زالت تشكو من الاضطراب والتشوّش تحت وطأة التداعيات والذيول التي خلّفتها أزمة الخليج (الدستور، لندن، ١٩٩١/٥/٢٩).

ولعلّ أبرز تلك التغيّرات هو ان الوضع الراهن، بمعطياته السياسية، يفسح في المجال لحدوث لقاء أردني ـ سوري ـ فلسطيني ـ لبناني «لتنسيق المواقف، وتوحيد الرؤى والسياسات القادرة على اعطاء وزن أكبر لوجهة النظر العربية ازاء متطلّبات التسوية السلمية العادلة، والشاملة، لأزمة الشرق الاوسط، سيّما وان هناك تطابقاً واسعاً في وجهات النظر العربية، وان هناك قواسم مشتركة كثيرة، ومصالح قومية موحّدة بين كل هؤلاء الأشقاء الذين ترغب اسرائيل في الابقاء عليهم مُشتتي الارادة متفرّقي المواقف، لا يجرون الحوارات بينهم الّا عبر مبعوثي الدول الكبرى الى المنطقة» (المصدر نفسه).

س. ش.

نحو بناء موقف عربي مشترك

هدأت حمّى انفعالات الحرب التي وقعت في منطقة الخليج بين الولايات المتحدة الاميركية وحلفائها، من جهة، والعراق، من جهة أخرى، وبدأت اعادة الحسابات لاستيضاح مدى جدّية المراهنات التي رافقت تلك الحرب حول امكانات توفير الأمن والاستقرار لمنطقة الشرق الاوسط تحت المظلّة الاميركية. وعاد، مع اعادة الحسابات، الحديث عن العمل العربي المشترك والأمن القومي العربي وأهمية حل القضية الفلسطينية، كمدخل للأمن والاستقرار في هذه المنطقة من العالم. فقد قال وزير الدولة المصري للشؤون الخارجية، د. بطرس غالي، ان «هناك تحرّكات واتصالات عربية مستمرة لصيانة العلاقات العربية في المستقبل على أسس سليمة، ربما يسمح لها بتخطّي محنة وآثار حرب الخليج وما خلّفته من انقسام؛ بمعنى اننا نأمل [في] ان تؤدي حرب الخليج الى بنية ذات طبيعة وحدوية مشابهة لتلك التي نشأت في اوروبا في مرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية» (من مقابلة مع د. بطرس غالي، **السفير**، بيروت، ١٩٩١/٦/١، ص ٨). ودعت صحيفة «البعث»، صحيفة الحزب الحاكم في سوريا، الأمّة العربية الى «اجراء مراجعة دقيقة وجادّة لما يُفترض ان تكون عليه الامور مستقبلاً، بخاصة وان الأعداء... يتربّصون بنا جميعاً، مستخدمين وسائل وأساليب جديدة، وهدفهم، بالتأكيد، ليس هذا البلد العربي أو ذاك، وانما الوطن العربي كله... [و] الوقت لم يفت بعد؛ اذ من الممكن لملمة ما يمكن لملمته في هذه الظروف الصعبة التي تمر بها امّة العرب، بخاصة ان بعض الظروف التي تكفل قيام موقف عربي، أو عمل عربي، مشترك قد أصبحت متوفّرة، انْ كان من خلال الجامعة العربية أو من خلال اعلان دمشق الذي يعتبر، بحق، نواة عملية تصلح لأن تؤسّس موقفاً عربياً مشتركاً» (**القدس العربي**، لندن، ١٩٩١/٦/١٧، ص ٣).

كما عاد الحديث عن انعدام أي امكانية للسلام والأمن في منطقة الشرق الاوسط، في غياب توفّر حل للقضية الفلسطينية التي تعتبر المفتاح لانهاء النزاع العربي ـ الاسرائيلي، العامل الرئيس لانعدام مثل هذا الأمن والاستقرار. فقد أكد وزير خارجية مصر، عمرو موسى، في اثناء تحدّثه في اجتماع مشترك للجان البرلمانية للشؤون العربية والخارجية والأمن القومي: «ان السلام والاستقرار لا يمكن ان يعود [الى الشرق الاوسط] دون الاعتراف بالحقوق الوطنية المغتصبة للشعب الفلسطيني». وأوضح، أيضاً، «ان الدبلوماسية المصرية تعمل على تنشيط عملية السلام في الشرق الاوسط، بالتنسيق مع جميع الاطراف العربية، والاقليمية، والدولية، المعنيّة بالأمن والسلام في المنطقة» (**المصدر نفسه**، ١٩٩١/٦/٥، ص ٥). وفي أول حديث صحفي له، بعد توليه منصب وزير الخارجية، قال موسى: «ان القضية الفلسطينية تمر، الآن، بمرحلة حاسمة تسمّى مرحلة الاعداد لعملية السلام التي تعني وضع القضية الفلسطينية على مائدة المفاوضات بمختلف عناصرها التي تشمل حق تقرير المصير للشعب الفلسطيني والحقوق المشروعة الاخرى ومختلف مبادىء قرار مجلس الامن [الدولي الرقم] ٢٤٢ والحقوق المتبادلة والمتوازنة التي يجب ان يتمّ على أساسها التفاوض... [فـ] المرحلة الحالية دقيقة للغاية، وهي مرحلة العمل على اطلاق عملية السلام، بهدف التوصّل الى تسوية سلمية عادلة ودائمة... [ومن الهامّ] وجود الطرف الفلسطيني في مفاوضات السلام التي يجب ان تكون على أساس قراري مجلس الامن [الدولي] ٢٤٢ و٣٣٨» (**الاهرام**، القاهرة، ١٩٩١/٥/٣٠، ص ١).

ركائز لموقف عربي مشترك

«عملية السلام» التي يجرى الحديث والنشاط بشأن خلقها، لا بدّ من تحديد أهدافها وأطرها

والاطراف المشاركة فيها، كي تسير بشكل سويّ؛ امّا التفاوض، فسيجرى، حسب ما هو متعارف عليه، لتأطير تلك الاهداف وتحديد أدوار الأطراف المشاركة لتوفير ديمومة استمرار السلام والاستقرار الذي هو هدف عملية السلام. وباعتبار ان الحديث يجرى عن حالة احتلال تقوم بها اسرائيل لأراضي دولة فلسطين وأراضٍ عربية اخرى، فلا بدّ للعرب، كما قال وزير خارجية مصر، عمرو موسى، «ان يعملوا بكل جدّ لاجبار اسرائيل على الرضوخ للشرعية الدولية والتوجّه الى مؤتمر دولي للسلام، بناء على قرارات الشرعية الدولية» (**الأهرام**، ١٢/٦/١٩٩١، ص ١)، حيث «ان الوقت المتاح قصير، وعلينا ان نبدأ عملية السلام وفقاً لقرارات ومبادىء الامم المتحدة»، والقول أيضاً لموسى (**القدس العربي**، ٦/٦/١٩٩١، ص ١). والأمر عينه كان موضوع مباحثات الزيارة المفاجئة التي قام بها الرئيس السوري، حافظ الاسد، لمصر في ٥/٦/١٩٩١، حيث «اتفق زعيما مصر وسوريا... على ان هناك حاجة ماسّة الى عقد مؤتمر دولي للسلام في الشرق الاوسط» (**المصدر نفسه**). وقد صرّح وزير الخارجية المصرية، عمرو موسى، في ختام تلك المباحثات، بأنها تناولت «أولاً، الموقف بالنسبة لعملية السلام؛ ثانياً، الموقف في المنطقة؛ ثالثاً، دراسة المبادرات الاخيرة في مجال الحدّ من الاسلحة، وعدد آخر من القضايا ذات الاهتمام المشترك» (**الأهرام**، ٦/٦/١٩٩١، ص ١). وبما ان الارض هي موضوع عملية السلام، فان العرب، كما قال الامين العام لجامعة الدول العربية، د. عصمت عبدالمجيد، «لن يتخلّوا عن شبر واحد من الاراضي التي تحتلها اسرائيل في أي تسوية في الشرق الاوسط... [و] ان الجامعة العربية تؤيد جهود السلام الحالية لتحقيق المطالب المشروعة للشعب الفلسطيني، وفي مقدّمها الانسحاب الاسرائيلي» (**الحياة**، لندن، ٢/٦/١٩٩١، ص ٣).

و«عملية السلام» كانت موضوع مباحثات وزير الخارجية الاميركية، جيمس بيكر، خلال جولاته على دول المنطقة، التي أبدت كل منها مواقفها واجتهاداتها تجاه هذه العملية، التي تعدّدت تسمياتها. فقد قال وزير الاعلام السوري، محمد سلمان: «ان أي مؤتمر للسلام في الشرق الاوسط يجب ان تكون له صفة الاستمرارية، وان تضطلع الأمم المتحدة بدور بارز فيه، وهما شرطان ترفضهما اسرائيل... [كما] ان السلام يجب ان يقوم، أيضاً، على أساس قراري الامم المتحدة ٢٤٢ و٣٣٨ وانسحاب اسرائيل من [على] جميع الاراضي المحتلة والاعتراف بحقوق الشعب الفلسطيني... [حيث ان] سوريا لن تقبل عودة مرتفعات الجولان التي احتلتها اسرائيل في حرب العام ١٩٦٧، اذا لم تتمّ استعادة الاراضي العربية الاخرى المحتلة... [فـ] سوريا لن تتفاوض على الجولان بمعزل عن الاراضي العربية المحتلة» (**القدس العربي**، ١٤/٦/١٩٩١، ص ٥). وقد أكد الرئيس المصري، حسني مبارك، «ان الامم المتحدة لا يمكن ان تكون غائبة عن عملية السلام، لأن أي مؤتمر سوف ينعقد على أساس القرارات التي سبق ان أصدرتها حول الصراع العربي ـ الاسرائيلي» (**الأهرام**، ١٣/٦/١٩٩١، ص ١).

وتطرح مسألة مشاركة الامم المتحدة مسألة الاطراف المشاركة وأدوارها. فاسرائيل تصرّ على استبعاد هيئة الامم المتحدة ومنظمة التحرير الفلسطينية؛ كما تطرح امكانية البدء مع أي طرف يبدي استعداده للتفاوض معها دون انتظار موافقة الاطراف الاخرى. وبذلك كانت اسرائيل تشير الى امكانية بدء عملية السلام بالتفاوض مع الاردن. لكن الملك الاردني حسين أعرب، في تصريح له، «عن اعتقاده بأنه لا يمكن تسوية قضية الشرق الاوسط في اطار اردني ـ اسرائيلي أو اردني ـ فلسطيني ـ اسرائيلي فحسب؛ اذ ان هذه القضية اقليمية، ويجب على الكل تحمّل المسؤولية في حلّها» (**المصدر نفسه**، ١٠/٦/١٩٩١، ص ١). وفي حديثه الى صحيفة «لوبوان» الفرنسية، قال الملك حسين «انه يؤيد اجراء اتصالات وجهاً لوجه مع اسرائيل، من اجل ' تأمين السلام للأجيال المقبلة' ... [و] ان المحرّمات يجب ان تختفي، لأنه لا يمكن لنا ان نترك على الهامش بلداً يعيش داخل المحيط العربي... [فـ] الاتصالات وجهاً لوجه يجب ان تسمح لنا جميعاً بتبديد مخاوفنا» (**الأهرام**، ٣/٦/١٩٩١، ص ٦).

وتردّد، خلال جولات بيكر، الحديث عن امكانية البدء بعملية السلام من دون سوريا، وذلك في

اطار تحميلها مسؤولية فشل الجهود الاميركية اذا لم تبدأ تلك العملية. لكن المواقف العربية كانت شبه حاسمة في هذا السياق. فقد قال الرئيس المصري، مبارك: «انني اعتقد بأن سوريا تتحرّك تجاه موقف أكثر مرونة؛ ولكن المرونة مطلوبة، أيضاً، من الجانب الآخر، من السيد شامير، وليست مطلوبة، أيضاً، فقط من الرئيس السوري حافظ الاسد... [فـ] دمشق لها بعض التحفّظات على الموقف الاسرائيلي، وهي تريد ان تضمن ان نوايا السلام سوف تجد مقابلاً عند اسرائيل... [فـ] سوريا مستعدة للسلام، ولكن على أساس عادل؛ اذ انها تخشى ان توافق على هذا وذاك، ثمّ لا يستجيب شامير» (**الاهرام**، ١٣/٦/١٩٩١، ص ١).

وفي حين أُجري الحديث عن امكانية بدء عملية السلام بدون سوريا، تردّدت مسألة عدم اشراك منظمة التحرير الفلسطينية في هذه العملية، التي يجب ان تقتصر، حسب مطالب اسرائيل، على سكان الأراضي المحتلة وبما يلائم اسرائيل. وجاء ردّ الاطراف العربية على ذلك شبه قاطع، حيث قال وزير خارجية مصر، عمرو موسى: «ان تمثيل الفلسطينيين في مؤتمر بشأن الشرق الاوسط أمر يخص منظمة التحرير الفلسطينية» (**القدس العربي**، ٥/٦/١٩٩١، ص ٥).

هذه المسائل التي طرحتها الجهود الاميركية لبدء عملية السلام حرّكت، وان بشكل محدود، نشاطاً دبلوماسياً عربياً، كان عنوانه «تنسيق المواقف العربية»؛ وكان النشاط الأبرز نشاط منظمة التحرير الفلسطينية، التي أوفدت عدداً من مسؤوليها الى القاهرة وعمّان ودمشق. ففي القاهرة، بحث عضو اللجنة التنفيذية لـ م.ت.ف. محمود عباس (أبو مازن) مع مدير مكتب الرئيس المصري للشؤون السياسية، د. أسامة الباز، في عملية السلام في الشرق الاوسط (**النهار**، بيروت، ٨/٦/١٩٩١). وقال سفير فلسطين لدى مصر، سعيد كمال، «انه تمّ... استعراض جهود السلام المبذولة» (**الأهرام**، ٨/٦/١٩٩١). وفي ٢٩/٥/١٩٩١، زار وفد فلسطيني، برئاسة رئيس الدائرة السياسية في م.ت.ف. فاروق القدومي (أبو اللطف)، عمّان، وبحث مع وزير خارجية الاردن، طاهر المصري، في الأمر عينه. وقد قال الوزير المصري: «ان هناك ' أرضية مشتركة بين الاردن ومنظمة التحرير الفلسطينية وسوريا في كثير من المواضيع المتعلّقة بالتسوية السياسية لأزمة الشرق الاوسط' ... [و] ان الأرضية المشتركة ' تستند الى ضرورة تطبيق الشرعية الدولية ومبدأ الارض في مقابل السلام، وفقاً لقرارات مجلس الامن [الدولي] ذات العلاقة' » (**الحياة**، ٣٠/٥/١٩٩١، ص ٣). وعملية تنسيق المواقف العربية أعادت الى الواجهة مسألة اجتماع دول المواجهة العربية، مصر وسوريا والاردن ولبنان وفلسطين، حيث قال رئيس الدائرة السياسية في م.ت.ف. فاروق القدومي، ان «هذا أمر نبحث فيه من اجل تنسيق المواقف العربية» (**المصدر نفسه**، ٢٧/٥/١٩٩١، ص ٧). وقد ذكرت وكالة أنباء الشرق الاوسط المصرية، في ١٦/٦/١٩٩١، «ان لقاءات على أعلى المستويات بين الاطراف العربية المعنيّة بالنزاع العربي - الاسرائيلي قد تتبع مشاورات مكثّفة تجرى بين مصر وأطراف عربية عدّة... [اذ] ان أي موقف عربي مشترك يجب ان يرتكز الى مبادىء عدّة، وفي شكل خاص الى ضرورة الرجوع الى الالتزام الدولي كما هو منصوص في قراري مجلس الامن الدولي ٢٤٢ و٣٣٨؛ والمبدأ الثاني... هو ان للفلسطينيين، وحدهم، حق اختيار ممثليهم الى المفاوضات ومعارضة أي قرار يتّخذ بشأن المشكلة الفلسطينية... [و] المبدأ الثالث هو وقف الاستيطان اليهودي في الاراضي المحتلة وطرد الفلسطينيين من هذه المناطق...» ورأى مصدر مصري «ان اتخاذ موقف عربي مشترك أمر من شأنه ان يخدم مصلحة كل الاطراف العربية، وان يضمن حلاً عادلاً للمشكلة الفلسطينية... [و] الموقف المشترك سيتعلّق بالمبادىء الاساسية للمفاوضات، وسيترك لكل طرف عربي حرية المناورة بالنسبة الى نقاط تعتبر تفصيلية» (**القدس العربي**، ١٧/٦/١٩٩١، ص ١). وتبقى زيارة وفد فلسطيني الى دمشق الأبرز في مجال النشاط الفلسطيني لتنسيق المواقف العربية.

موقف مشترك

في ٢٥/٥/١٩٩١، وصل دمشق وفد فلسطيني برئاسة عضو اللجنة التنفيذية رئيس الدائرة السياسية في منظمة التحرير الفلسطينية، فاروق

القدومي (ابو اللطف)، وعضوية كل من أعضاء اللجنة التنفيذية للمنظمة، ياسر عبدربه وسليمان النجّاب ومصطفى الزبري (أبو علي مصطفى). وفي ١٩٩١/٥/٢٦، اجتمع الوفد الفلسطيني مع وزير خارجية سوريا، فاروق الشرع. وقال مصدر فلسطيني مطلع «ان الجانبين، السوري والفلسطيني، لاحظا [في] اثناء محادثاتهما... ان وجهات النظر 'مشتركة'، وهما يؤيدان عقد مؤتمر سلام باشراف الامم المتحدة ومشاركة أوروبا الى جانب الولايات المتحدة الاميركية والاتحاد السوفياتي على أساس القرارين ٢٤٢ و٣٣٨ الصادرين عن مجلس الامن [الدولي]. وكرّر الجانبان رفضهما 'حلولاً جزئية ومنفصلة'، واعتبرا انه من الضروري التوصّل الى تسوية 'شاملة' في الشرق الاوسط... [و] انهما اتفقا على العمل لـ 'تعزيز التنسيق مع الدول العربية المعنيّة مباشرة بالنزاع، وخاصة الاردن' ... [و] ان 'سوريا تدعم مبدأ مشاركة م.ت.ف. في وفد مستقل، أو من ضمن وفد عربي مشترك'» (**المصدر نفسه**، ١٩٩١/٥/٢٨، ص ١). وصرّح القدومي، بعد لقائه الشرع، بـ «ان الجانبين بدآ 'عهداً جديداً في العلاقات السورية ـ الفلسطينية'». وقال: «لسنا فقط مرتاحين؛ بل ان النتائج المثمرة ستعزّز العلاقات السورية ـ الفلسطينية في شكل ايجابي، وستنعكس على معظم العالم العربي... [و] ان موقفنا من عملية السلام مشترك، ووجهات النظر متفقة» (**الحياة**، ١٩٩١/٥/٢٧). كما التقى الوفد الفلسطيني نائب الرئيس السوري، عبدالحليم خدّام، حيث كانت القضية اللبنانية، مدار البحث. وأنهى الوفد زيارته لدمشق بلقاء مع الرئيس السوري، حافظ الاسد، في ١٩٩١/٥/٢٨، صرّح بعدها الناطق باسم القصر الرئاسي السوري، جبران كورية، «بأن المحادثات دارت حول الأوضاع في المنطقة والصراع العربي ـ الاسرائيلي، والافكار المطروحة لاطلاق عملية سلام قائمة على أساس قرارات الامم المتحدة» (**الحياة**، ١٩٩١/٥/٢٩، ص ٣). كما صرّح رئيس الوفد الفلسطيني بـ «أن لقاءه مع الرئيس الأسد أرسى العلاقات السورية ـ الفلسطينية على أسس واضحة، وراسخة، ومتينة» (**المصدر نفسه**). وقال عضو الوفد الفلسطيني، ياسر عبدربه، ان اللقاء «هو بداية مرحلة جديدة في العلاقات، ويفتح الباب أمام التنسيق في كل المجالات، بما فيها التحرّكات السياسية المتعلّقة بالتحضير لمؤتمر السلام... [خاصة] ان المواقف متطابقة في شأن انعقاد المؤتمر على قاعدة الشرعية الدولية وتحت اشراف الامم المتحدة، على ان يكون دور المؤتمر دوراً مستمراً بمشاركة جميع الاطراف». وأشار عبدربه الى «حرص سوريا على التمثيل الفلسطيني المستقل، من خلال منظمة التحرير الفلسطينية» (**المصدر نفسه**). وقد أعلن وزير الاعلام السوري، محمد سلمان، في مقابلة مع صحيفة «الاتحاد» الصادرة في أبو ظبي، عن «ان سوريا ومنظمة التحرير الفلسطينية اتفقتا، خلال محادثاتهما في دمشق أخيراً، على عدم قبول أية حلول جزئية في الشرق الاوسط». وأوضح: «يمكنني القول ان موقف سوريا والمنظمة كان متطابقاً تجاه مؤتمر السلام وعدم القبول بأية حلول جزئية» (**القدس العربي**، ١٩٩١/٦/٥، ص ١).

وقد أوضح القدومي ان مطلب منظمة التحرير الفلسطينية لم يتغيّر في ما يتعلّق «باقامة دولة فلسطينية مستقلة والانسحاب الاسرائيلي الشامل من [على] الاراضي المحتلة ومدينة القدس وازالة المستوطنات... [فـ] اذا ما توفّرت دلالات من أجل الوصول الى حل عادل للقضية الفلسطينية واقامة الدولة الفلسطينية المستقلة، فان الامور الاخرى كلها تهون... [و] هذه المسائل نوقشت مع الاشقاء في سوريا والاردن». وكان الهدف من محادثات الوفد الفلسطيني في كل من سوريا والاردن هو «ايجاد موقف عربي موحّد حيال ما يجرى في المنطقة، بالنسبة الى التسوية السياسية». وقال القدومي ان سوريا وافقت، أيضاً، على دعوة منظمة التحرير الفلسطينية الى عقد اجتماع مشترك لدول المواجهة العربية بغية تنسيق المواقف ازاء الجهود السلمية» (**الحياة**، ١٩٩١/٥/٣٠، ص ٣). وقالت مصادر قيادية فلسطينية في تونس: «ان الاجتماعات التي تمّت بين وفد اللجنة التنفيذية، برئاسة فاروق القدومي، وكبار المسؤولين السوريين، وفي مقدّمهم الرئيس حافظ الاسد ونائبه السيد عبدالحليم خدام ووزير الخارجية السيد فاروق الشرع، لم تكن لقاءات للحديث العاطفي عن العلاقات بين الشعبين، والمناقشات 'جدية وفي العمق' لتحديد

أرضية تلاقي المصالح بين سوريا ومنظمة التحرير [الفلسطينية] في هذه المرحلة» (**الحياة**، ١٩٩١/٦/٧، ص ٣). ورأت مصادر فلسطينية مطلعة «ان أحد الدوافع للقاء المصالح السوري - الفلسطيني هو استمرار الاحتلال الاسرائيلي لجنوب لبنان». وجواباً على تخوّفات قد يكون أبداها الوفد الفلسطيني في شأن مصير السلاح الفلسطيني في الجنوب، تلقّى تأكيدات بأن دمشق لن تقبل مبدأ مناقشة «جمع السلاح الوطني والسلاح الفلسطيني، طالما ظل التهديد الاسرائيلي في الجنوب مستمراً» (**المصدر نفسه**). ولخّصت تلك المصادر نقاط الاتفاق السوري - الفلسطيني، في مباحثات دمشق، على النحو التالي: «١ - التمسّك بالمؤتمر الدولي اطاراً ملائماً للتسوية في الشرق الاوسط؛ ٢ - مشاركة الامم المتحدة في المؤتمر واجتماعه مرات عدّة، أي عدم الاقتصار على جلسة افتتاحية / شكلية / واعتباره مؤتمراً يتمتّع بصلاحيات؛ ٣ - جدول أعمال مفتوح؛ ٤ - حضور وفد فلسطيني المؤتمر على قدم المساواة مع وفود الاطراف المعنيّة الاخرى، إمّا ضمن وفد عربي مشترك أو في وفد مستقل؛ ٥ - حضور أوروبي كامل في المؤتمر على قدم المساواة مع الاطراف الدولية الاخرى» (**المصدر نفسه**).

وقد قوّمت اللجنة التنفيذية لـ م.ت.ف. نتائج اللقاء السوري - الفلسطيني بشكل ايجابي. ففي ختام اجتماعاتها بتاريخ ٢٩ و٣٠/٥/١٩٩١، أصدرت بياناً، جاء فيه: «تدارست اللجنة التنفيذية... نتائج الاتصالات التي أجرتها وفود فلسطينية عدّة في الفترة الاخيرة بشأن العملية السياسية في المنطقة بعد حرب الخليج... وعبّرت... عن تقديرها للموقف السوري الشقيق مؤكدة على أهمية مواصلة التشاور والتنسيق وتطوير العلاقات لخدمة الاهداف الوطنية والقومية في هذه المرحلة التي يتعرّض فيها الوضع العربي لمخاطر شاملة» (من نص البيان في **فلسطين الثورة**، نيقوسيا، العدد ٨٤٧، ٩/٦/١٩٩١، ص ٨). وفي حديثه الى اذاعة «مونت كارلو»، أشاد الرئيس الفلسطيني، ياسر عرفات، «بنتائج الاتصالات الاخيرة بين منظمة التحرير [الفلسطينية] وسوريا... [التي] كانت أخوية وايجابية تماماً، مثلما كان الحال بيننا وبين اللبنانيين... وفي نفس الوقت كذلك علاقاتنا جيّدة مع اخواننا في مصر، وهناك تنسيق مستمر مع القيادة الاردنية» (**القدس العربي**، ٣/٦/١٩٩١، ص ١).

أ. ش.

تجسير المواقف المتعارضة

أين اصبحت الجهود السلمية للولايات المتحدة الاميركية، بعد ان انتهت مكوكيات وزير خارجيتها، جيمس بيكر، على أطراف أزمة المنطقة؟ هذا هو السؤال الذي شغل، خلال الشهرين الماضيين، غير وسط سياسي، ودبلوماسي، في المنطقة، وخارجها.

في رأي تلك الاوساط السياسية والدبلوماسية، ان وزير الخارجية الاميركية حصل، في مكوكياته الشرق أوسطية، من أطراف أزمة المنطقة على أمور عدّة. اولها، الموافقة على عقد مؤتمر للسلام من دون الاشارة الى «جنسيته»، إنْ جاز التعبير، سواء أكانت اقليمية أم دولية. وثانيها، الموافقة على اشراك اوروبا في مؤتمر السلام، وربما على دورها المحدود فيه. وثالثها، الموافقة على رعاية الولايات المتحدة الاميركية والاتحاد السوفياتي المؤتمر. ورابعها، الموافقة على تمثيل الفلسطينيين بوفد مشترك مع الاردن، وبموافقة من منظمة التحرير الفلسطينية، ولكن من دون اعلان ذلك بصفة رسمية. وخامسها، الموافقة على فكرة المفاوضات المباشرة بين اسرائيل، من جهة، وكل من الدول العربية، من جهة أخرى، وبينها وبين الفلسطينيين (مولي مور، **انترناشونال هيرالد تريبيون**، ١٣/٥/١٩٩١؛ **ونيوزويك**، ٢٧/٥/١٩٩١، ص ١٤ ـ ١٦).

لكن الاوساط ايّاها أشارت الى وجود نقاط اختلاف لا تزال من دون حل، ومن شأنها عرقلة انعقاد المؤتمر، ومنها رفض اسرائيل الحازم لأي دور للامم المتحدة في مؤتمر السلام، ومنها، أيضاً، رفض اسرائيل دوراً لاوروبا في المؤتمر نفسه، ومنها، اخيراً، اصرار اسرائيل على ان يعقد المؤتمر جلسة واحدة، يبدأ، بعدها، التفاوض المباشر بينها وبين الاطراف العربية المعنيّة (مور، **المصدر نفسه**).

أي موقف ستتخذه واشنطن من تل ـ أبيب، اذا ما استمرت الاخيرة في تعنّتها ولم تتجاوب مع مساعي الحل التي يقودها الوزير بيكر؟ هل تكتفي بالحرد منها والتوقّف عن هذه المساعي، كما فعلت من قبل مع كل المبادرات والتحرّكات، أم ان عزم ادارة الرئيس الاميركي، جورج بوش، سيكون أشدّ وأقوى من عزم الادارات الاميركية السابقة، خصوصاً بعد انتصارها في حرب الخليج، وتأكيد حرصها على الوفاء بوعدها للمتحالفين العرب معها في هذه الحرب بتنفيذ قرارات الامم المتحدة المتعلّقة بأزمة الشرق الاوسط؟ وأي موقف سيتخذه الاتحاد السوفياتي نتيجة جولة وزير الخارجية، الكسندر بسميرتنيخ، في المنطقة، اذا ما تبيّن له، بالملموس، ان اسرائيل تقف، بعنادها وتعنّتها، سدّاً عالياً في وجه السلام، وانها تعتمد سياسة التسويف والمماطلة والعرقلة؟ هل يصحّ ان تتراجع الدولتان العظميان المتعاونتان على تحقيق السلام في المنطقة، كما تعاونتا على فرضه حتى بقوة السلاح في منطقة الخليج، أمام اسرائيل، أم تتفقان على فرض الحل عليها؟

جاءت الاجابة، جزئياً، على لسان الرئيس الاميركي، بعدما استمع الى تقرير مفصّل من الوزير بيكر عن نتائج جولته الرابعة؛ اذ أعلن انه لا يزال يعتقد بأن هناك «اسباباً حقيقية للتفاؤل»، وان وزير خارجيته «حقّق، في مهمته الاخيرة، تقدّماً». لكنه امتنع عن الدخول في التفاصيل، معتبراً ان المطلوب هو المضيّ في العمل الدبلوماسي الهادىء، وعدم الكشف عن مواقف الاطراف، التي لا تزال تفرّق بينها هوّة كبيرة، تسعى الدبلوماسية الاميركية، جاهدة، الى تجسيرها (**الحياة**، لندن، ١٧/٥/١٩٩١).

من جهته، أعلن الوزير بيكر عن ان الاطراف متّفقة على السعي الى حل شامل يرتكز على قراري مجلس الامن الدولي ٢٤٢ و٣٣٨، الّا انه اعترف بأن هذه الاطراف مختلفة على تفسير معنى القرارين، خصوصاً القرار الرقم ٢٤٢، وانه لو كان ثمّة اتفاق على التفسير، «لما كانت هناك حاجة

الى مؤتمر سلام، أو الى قيام المفاوضات». غير انه حاول، بصورة متعمّدة، التقليل من هذا الخلاف، وقال: «لا اعتقد باننا وصلنا الى طريق مسدود لا يمكن اختراقه»؛ ولاحظ انه «مع استمرار وجود خلافات في وجهات النظر بين الاطراف، فان نقاط الاتفاق تفوق، بوضوح، نقاط الخلاف» (**النهار**، بيروت، ١٣/٥/١٩٩١).

أكثر من ذلك، حدّد الوزير الاميركي، في شهادة له الى لجنة الاعتمادات التابعة لمجلس النواب الاميركي، النقاط التي تمّ الاتفاق في شأنها بين الاطراف المعنيّة بالنزاع العربي ـ الاسرائيلي، والنقاط التي لا تزال في حاجة الى المزيد من المساعي، وقال ان الاطراف المعنيّة متفقة على: اولاً، هناك اتفاق عام على ان هدف العملية التوصّل الى حل شامل للنزاع العربي ـ الاسرائيلي من خلال المفاوضات، وعلى أساس قراري مجلس الامن الدولي ٢٤٢ و٣٣٨؛ ثانياً، «تفاهم واسع» على ان عملية المفاوضات ستسير على خطين، في آن، وتشمل مفاوضات مباشرة بين اسرائيل والدول العربية، وبين اسرائيل وفلسطينيين من الاراضي المحتلة؛ ثالثاً، الاتفاق على ان المفاوضات بين اسرائيل والفلسطينيين ستتمّ على مراحل، وان تجرى محادثات في شأن حكم ذاتي مؤقت قبل المفاوضات على الوضع النهائي للارض الفلسطينية المحتلة؛ رابعاً، الاتفاق على ان الفلسطينيين سيمثّلون في العملية عبر قيادات من الارض المحتلة التي تقبل بالعملية المرتكزة على الخطين، وبالتوجّه المرحلي للمفاوضات، وتلتزم العيش، بسلام، مع اسرائيل؛ خامساً، قبول عام بأن مؤتمراً ترعاه الولايات المتحدة الاميركية والاتحاد السوفياتي سيكسر عقدة الاتصالات العلنية بين الاطراف، ويكون محطّة انطلاق لمفاوضات مباشرة بين هذه الاطراف (**الحياة**، ٢٣/٥/١٩٩١).

وفي الوقت الذي وصف بيكر اجماع الاطراف المعنيّة على هذه النقاط الخمس بانه يشكّل نقطة ارتكاز لتحقيق التقدّم، فانه أوضح ان المطلوب ترجمة هذا الاتفاق الى نتائج عملية. وقال، ان الهدف، من جولاته المكوكية على المنطقة، كان السعي الى تحقيق ذلك؛ لكنه اعترف باستمرار وجود خلافات في شأن كيفية عمل مؤتمر السلام. وأعلن ان هدف الولايات المتحدة الاميركية العمل من اجل قيام مفاوضات مباشرة، «ونعتقد بأن أفضل وسيلة لتحقيق ذلك، هي من خلال مؤتمر سلام يقود، مباشرة، الى محادثات ثنائية بين اسرائيل وجيرانها العرب والفلسطينيين، والى محادثات متعدّدة، تتعلّق بمسائل الحدّ من التسلّح والامن الاقليمي والبيئة والمياه». وأوضح ان بلاده لا تبحث في مؤتمر سلام تكون لديه الصلاحيات، أو السلطة، لفرض آرائه، «ولا تبحث في أية آلية قد تتدخّل في أي طريقة من المفاوضات... وكما قلنا للاطراف في المنطقة، لن يكون المؤتمر مكاناً للمفاوضات، بل وسيلة لجهودنا لدفع الاطراف الى الجلوس، وجهاً لوجه، لحل خلافاتها» (**المصدر نفسه**).

ماذا عن الاطراف التي ستحضر المؤتمر؟ أجاب بيكر بأن واشنطن وموسكو سترعيانه، وستحضره اسرائيل ومصر وسوريا ولبنان والاردن والفلسطينيون من الارض المحتلة، وسيرسل مجلس التعاون الخليجي أمينه العام، كمراقب. ولاحظ ان في استطاعة المجموعة الاوروبية ان تلعب دوراً بنّاء في دعم العملية؛ كما ان للامم المتحدة دوراً في هذا المجال، «والمطلوب ايجاد صيغة مقبولة من كل الاطراف» بالنسبة الى دور المنظمة الدولية. وذكر ان واشنطن تعتقد بـ «أن على الفلسطينيين اختيار ممثليهم؛ لكن رأينا ورأي الكثير من الاطراف هو ان وفداً اردنياً ـ فلسطينياً قد يكون أداة مفيدة للذهاب الى المؤتمر ولمعالجة عدد من المسائل الاخرى التي قد تظهر خلال المفاوضات» (**المصدر نفسه**).

هل ثمّة اتفاق على العناصر الرئيسة للتوجّه الاميركي هذا؟ أجاب بيكر بأن هناك اتفاقاً أكثر من الاختلاف؛ «ووجدت استعداداً للمضيّ في البحث عن طرق لحل» المشاكل العالقة؛ لكنه اعترف باستمرار وجود الخلافات، خصوصاً بين اسرائيل وسوريا، في شأن طريقة عمل المؤتمر، سواء بالنسبة الى دور الامم المتحدة، او بالنسبة الى المسائل المتعلّقة بعقد المؤتمر: «ولا أريد الادعاء بأن حل هذه المشاكل سيكون سهلاً، أو سيتمّ بسرعة». وكشف، في المقابل، عن انه اقترح على الاطراف المعنيّة في المنطقة اتخاذ خطوات تهدف الى تخفيف حدّة التوتّر، واظهار النيّات الحسنة. وانه اقترح على الدول العربية «تعليق» حال الحرب مع اسرائيل، بينما

المفاوضات مستمرة، في مقابل وقف اسرائيل النشاط الاستيطاني. واقترح، أيضاً، «تعليق» المقاطعة العربية لاسرائيل، في مقابل وقف النشاط الاستيطاني (المصدر نفسه).

الهيكلية أم المضمون؟

هل تستطيع الدبلوماسية الاميركية تذليل نقاط الخلاف بين الاطراف المتنازعة؟ أجابت مصادر اميركية مسؤولة بأن دلالة كلام الرئيس بوش ووزير خارجيته تهدف الى القول، ان جهود الولايات المتحدة الاميركية لاحياء عملية السلام لم تفشل، أو تنهار، وانها ستستمر. وأضافت، ان الادارة الاميركية اعتمدت، في البداية، «الصمت»، وتفادت الكلام الرسمي العلني في شأن الخطوات المقبلة التي ستتخذها، على الرغم من وجود بوادر مرحلة جديدة من التحرّك الدبلوماسي بدأت تبرز، ومن عناصرها، كما قال بوش، متابعة الاتصالات مع الاطراف المعنيّة من واشنطن، سواء من طريق القنوات الدبلوماسية، أم مباشرة من جانبه شخصياً (**انترناشونال هيرالد تربيون**، ١٧/٥/١٩٩١).

في هذا السياق، أعلن الناطق باسم البيت الابيض، مارلن فيتزووتر، ان الرئيس بوش بعث برسائل الى الاطراف المعنيّة بالنزاع العربي - الاسرائيلي، أكد فيها التزامه الشخصي عملية السلام في المنطقة. وقال فيتزووتر، ان الرئيس الاميركي حضّ زعماء المنطقة على استغلال مختلف الفرص التي وفّرتها مهمة وزير خارجيته، بيكر، في جولاته الاربع الاخيرة. وشدّد على ضرورة اغتنام الفرصة، و«عدم تفويتها»، لابقاء عملية السلام حيّة، وبدء محادثات بين اسرائيل وجيرانها العرب. وكرّر، ان تقدّماً حصل في الجهود الرامية الى عقد مؤتمر سلام في الشرق الاوسط، وان أطراف النزاع لا تزال تدرس الافكار المطروحة، و«هناك دلائل على اهتمام وتأييد من جانب كل الدول المعنيّة» حولها، وأكد عزم الادارة الاميركية على المضيّ قدماً في بذل المزيد من الجهود (**الحياة**، ٤/٥/١٩٩١).

على هذا الاساس، استشفّت الاوساط السياسية المتابعة ان الجهود الاميركية دخلت مرحلة ثانية؛ وان الخطوة الاولى، في هذه المرحلة، هي ممارسة الولايات المتحدة الاميركية الضغط «على الاطراف التي تضع، في نظر واشنطن، العقبات» (وليام بفاف، **انترناشونال هيرالد تربيون**، ٢٤/٥/١٩٩١). وتداولت تلك الاوساط الخيارات المتوفّرة للادارة، والتي يمكن ان تعمل على تنفيذ بعضها، ومنها ان يلعب الرئيس بوش دوراً مباشراً وأكثر بروزاً في عملية السلام، بما في ذلك تكثيف اتصالاته الهاتفية ورسائله الى زعماء المنطقة، وان يدعو الاطراف المعنيّة الى حضور «قمّة مؤتمر سلام» في واشنطن، ويحمّل الاطراف التي ترفض المشاركة مسؤولية فشل الجهود (**المصدر نفسه**).

من هنا، أفادت مصادر سياسية مطلعة في العاصمة الاميركية، بأن الرئيس بوش وجّه رسالة الى رئيس الوزراء الاسرائيلي، اسحق شامير، دعاه فيها الى ابداء ليونة في الموقف من النقطتين اللتين تشكّلان عقبة في وجه دعوة الولايات المتحدة الاميركية الى مؤتمر سلام يجمع اسرائيل والاطراف العربية (**الواشنطن بوست**، ٤/٦/١٩٩١). الّا ان اسرائيل اصرّت على رفض اشراك ممثّل عن الامم المتحدة في المؤتمر المقترح، حتى وانْ كان لا يتمتّع سوى بصفة «مراقب صامت»؛ ورفضت، أيضاً، عقد جلسة ثانية للمؤتمر بعد الجلسة الافتتاحية قبل التوصّل الى اتفاقات مع الاطراف العربية المشاركة (**الحياة**، ٨/٦/١٩٩١). وأوضحت مصادر سياسية اسرائيلية ان شامير بعث، في هذا الخصوص، برسالة الى الرئيس الاميركي، عرض فيها «باسهاب» المواضيع التي اتُفق عليها، ولا سيما منها «التنازلات» التي قدّمتها اسرائيل للافساح في المجال لعقد المؤتمر، معتبراً ان «العقبة الرئيسة» التي تعترض طريق هذه الخطوة تكمن في «الموقف الرافض للدول العربية، ولا سيما منها سوريا»، وان تصرّف هذه الدول «يدل على انها تحاول التملّص من الاعتراف بحق اسرائيل في الوجود، ومن التفاوض مباشرة معها». وبعدما شرح شامير «فوائد» المفاوضات المباشرة، أعرب عن تخوّف اسرائيل «من استغلال المؤتمر لفرض تسويات عليها»، ولهذا «ترفض استمرار أعماله، كما ترفض مشاركة الامم المتحدة فيه». وكرّر ان اسرائيل «مستعدة، فقط، لطرح الاتفاقات أمام الامم المتحدة، بعد التوصّل اليها» (جاكسون ديهل، **انترناشونال هيرالد تربيون**، ٧/٦/١٩٩١).

هل تعني حصيلة هذا الكلام رفضاً للمقترحات الاميركية برمّتها؟ المصادر السياسية تكاد تجمع على ان لاسرائيل قدرة على التأثير في المقترحات الاميركية، وتلفت، في الوقت عينه، الى عدم استسهال الحصول على موافقتها. وتبيّن ذلك، عملياً، من خلال ردّ الناطق باسم البيت الابيض على رسالة شامير، التي اعتبرها لا تشكّل ردّاً سلبياً على المقترحات الاميركية، وقال انه جرى «تبادل للافكار»، في الفترة الاخيرة، تتعلّق بالمقترحات، وان بعض الاطراف «قبل بها، وبعض آخر اعترض عليها، والعمل مستمر». ووصف مواقف الاطراف بأنها «مقبولة ومائعة» في آن؛ وقال: «هناك كل يوم أفكار مختلفة، بعضها مشجّع، والآخر غير مشجّع». وأضاف ان بلاده ستمضي في اجراء الاتصالات في شأن عملية السلام، «واحدى المسائل التي تعلّمناها، من خلال التعامل مع عملية السلام في الشرق الاوسط، هي عدم الردّ، يومياً، على التصريحات، واعتبارها الموقف النهائي للاطراف؛ فكل شيء موضع تداول» (**الحياة**، ٨/٦/١٩٩١).

بعض المصادر الدبلوماسية لا يشاطر الناطق باسم البيت الابيض حرصه في النبرة التي استخدمها، والتي غابت، بعض الشيء، عن النبرة التي استخدمها الوزير بيكر نفسه، بعد محادثاته مع المسؤولين الاسرائيليين، حيث حمل على تل ـ أبيب، خصوصاً لتعمّدها بناء مستوطنات كلّما زار المنطقة، وقال: «لا اعتقد بأن هناك عقبة أمام السلام أكبر من المضيّ في بناء المستوطنات» (**المصدر نفسه**، ٢٣/٥/١٩٩١).

وبغية اضفاء صدقية على ما قاله بيكر، أيّد الرئيس بوش تصريحات وزير خارجيته، في هذا الشأن، لكنه، في المقابل، نفى ان تكون ادارته تحاول الضغط على اسرائيل، أو على الاطراف الاخرى في المنطقة، وانها تسعى الى لعب دور «المساعد» لتحقيق السلام هناك، ملاحظاً تبدّلاً في الموقف الاسرائيلي يدفعه الى عدم الشعور بالتشاؤم (**المصدر نفسه**، ٢٤/٥/١٩٩١).

على ان الوزير بيكر بدا وكأنه ملزم بتبديد ما أعلنه في هذا الخصوص، عندما لجأ الى التخفيف من حدّة كلامه، وأوضح انه لم يقل ان سياسة المستوطنات الاسرائيلية هي العقبة الكبرى الوحيدة أمام السلام، بل هي واحدة من العقبات الكبيرة. واستشهد بكلامه، أيضاً، الذي قال فيه انه اقترح على الاسرائيليين والعرب ان يعلّقوا، من الجانب العربي حال الحرب، وان توقف اسرائيل، من جانبها، بناء المستوطنات خلال فترة المفاوضات. وقال انه لم يتلق من الجانبين، الاسرائيلي والعربي، أي ردّ فعل ايجابي. وحدّد العقبات الكبيرة الموجودة بالآتي: بناء المستوطنات، واستمرار حال الحرب، والمقاطعة العربية لاسرائيل. وأعرب عن اعتقاده بضرورة الاستمرار في بذل الجهود، «لأننا نعتقد بأننا بتنا قريبين» من التوصّل الى انجاز «أكثر ممّا يتصوّر كثيرون»؛ وتمنّى ألّا تكون العقبات الباقية حجّة للتخفي وراءها، تفادياً لاحراز التقدّم (**المصدر نفسه**، ٢٤/٥/١٩٩١).

وعلى الرغم من محاولة الابتعاد من الفشل، وتحميله للاطراف المعنيّة، في حال حصوله، فان الادارة الاميركية بدت عازمة على مراجعة الخيارات والافكار الاخرى المتوفّرة لها. في هذا الصدد، أعلن الرئيس بوش، ان الجهود التي تبذلها ادارته لتحقيق السلام في الشرق الاوسط لا يمكنها ان تنجح ما لم تظهر اسرائيل والاطراف العربية «الارادة السياسية» المطلوبة للتوصّل الى الحل (**المصدر نفسه**، ١٨/٦/١٩٩١). وفسّر هذا الكلام بأنه تحذير مبطّن لاسرائيل بأن الادارة الاميركية قد تعمد الى ممارسة الضغط غير المباشر. وتشير المعلومات المتوفرة لدى عدد من المصادر الدبلوماسية ان المعالجة الاميركية لسلبية اسرائيل ترتكز على أمرين: اولهما، انتقادها، رسمياً وعلانية، كما فعل الوزير بيكر، لاستمرارها في تنفيذ خطوات لا توافق الولايات المتحدة الاميركية عليها، وتضرّ بعملية التحضير للسلام؛ وثانيهما، بدء الحديث، في أوساط معيّنة، عن الربط بين المساعدات الاميركية لاسرائيل، ولا سيما المالية منها التي تحتاج اليها لاستيعاب المهاجرين اليهود اليها من الاتحاد السوفياتي وغيره، ومواقفها من التحرّك الذي تتحدّث عنه واشنطن (يوسف بن ـ اهارون، **انترناشونال هيرالد تربيون**، ١٤/٦/١٩٩١).

أكثر من ذلك، كشفت الادارة الاميركية عن تأييدها اضطلاع الامم المتحدة بدور في مؤتمر

السلام، معتبرة انه لن يشكّل أي عقبة، لأن المؤتمر، كما قال مساعد وزير الخارجية لشؤون الشرق الاوسط، جون كيلي، غير قادر «ان يفرض ما يفضله، ولا يمكنه ان يلعب دور محكمة استئناف» (**الحياة**، ١٩/٦/١٩٩١). من جهته، دعا الرئيس الاميركي الحكومة الاسرائيلية الى اعادة النظر، بصورة جدّية، في موقفها من المنظمة الدولية، بعد نجاح الاخيرة في القيام بوظيفتها «في حفظ السلام الدولي» (**نيويورك تايمز**، ٢٠/٦/١٩٩١).

وبالطبع، فان «خيبة أمل» الادارة الاميركية لها ما يبرّرها، خصوصاً في ضوء النتائج التي أسفرت عنها محادثات الوزير بيكر مع نظيره الاسرائيلي، دافيد ليفي، في واشنطن، حيث لم يبرز في تصريحات الاخير ما يشير الى تبدّل في الموقف الاسرائيلي، سواء ازاء مؤتمر السلام، أو ازاء المضيّ في بناء المستوطنات (**انترناشونال هيرالد تريبيون**، ١٤/٦/١٩٩١).

السؤال هو: الى متى تستمر الجهود الاميركية المبذولة في هذا الاتجاه؟ المعلومات المتوفرة عند المصادر الدبلوماسية في العاصمة الاميركية تشير الى احتمال قيام الوزير بيكر بجولة خامسة على الشرق الاوسط لتحقيق مزيد من التقدّم على صعيد ايجاد حل للنزاع العربي ـ الاسرائيلي يسمح، على الاقل، بالتفاهم بين أطراف النزاع على اطار للحل، باعتبار ان الاستمرار في الجهود لتحقيق النجاح صعب، لاضطرار الادارة الاميركية الى الانشغال بالتحضير للانتخابات الرئاسية المقررة في العام ١٩٩٢، ولاعتقادها بضرورة انتظار نتائج الانتخابات الاسرائيلية في العام ١٩٩٣، علّها تحمل جديداً مفيداً. وفي هذا المجال، ترجّح المصادر الدبلوماسية نفسها ألّا يؤثّر انشغال ادارة بوش، كثيراً، بالانتخابات الرئاسية، وان تستمر في التحرّك لحل أزمة الشرق الاوسط، لأنها لن تجد نفسها في حاجة الى استجداء أصوات بعض الفئات المرتبطة باسرائيل، ولأنها وعدت الدول العربية، ابّان أزمة الخليج، بحل أزمة المنطقة، على الرغم من رفضها الربط بين الأزمتين (**المصدر نفسه**، ٥/٦/١٩٩١).

نحو «قصّ الشريط»

في أي حال، ان تعثّر جهود الادارة الاميركية لا يعني تجميد جهودها. فالتحرّك الذي دشّنته جولة وزير الخارجية السوفياتية، الكسندر بسميرتنيخ، على دول المنطقة، هو جزء جوهري منها، أو، على الاقل، عامل مساعد لترويج الافكار التي حملها نظيره الاميركي، ومحاولة لتعبيد الطريق أمامها، وازالة بعض العقبات، وهي ليست سهلة، عربياً واسرائيلياً؛ ولو لو تكن كذلك، لما كانت واشنطن مضطرة الى تبادل رعاية مؤتمر السلام المقترح مع موسكو، فيما كانت ترفض، في السابق، مجرّد التحدّث عن دور سوفياتي في حلّ أزمة المنطقة (**المصدر نفسه**، ١٤/٥/١٩٩١). وفي اعتقاد بعض المصادر الدبلوماسية المطلعة، ان الوزير السوفياتي أدّى دوره بنجاح؛ وهو دور اتفق على رسمه مع نظيره الاميركي. فاذا كانت اسرائيل تحذّر واشنطن من محاولة الضغط عليها، وترفض، بصورة مسبقة، مثل هذه الضغوط؛ واذا كان بعض الاطراف العربية يتردّد في اعطاء واشنطن ما يمكن ان يعتبر «تنازلاً»؛ فلا بأس ان تلوّح موسكو بالضغوط على تل ـ أبيب، وان تأخذ من الجانب العربي، بسهولة، ما لم يستطع الوزير بيكر الحصول عليه (**المصدر نفسه**، ١٠/٥/١٩٩١).

واذا كان بيكر تحاشى الضغط على الحكومة الاسرائيلية في موضوع المستوطنات، فان بسميرتنيخ شدّد على ان ايقاف بناء المستوطنات شرط لعقد مؤتمر السلام. وذهب أبعد في ضغوطه، رافضاً الربط بين اعادة العلاقات الدبلوماسية الكاملة بين موسكو وتل ـ أبيب، والمشاركة السوفياتية في التسوية، ولوّح باستخدام أي شيء لايقاف الاستيطان، بما في ذلك الحدّ من هجرة اليهود السوفيات الى اسرائيل. وقال، في هذا الصدد: «لا يمكنني توقّع، أو تصوّر، أو قبول»، عقد مؤتمر للسلام في الشرق الاوسط «في وقت يستمر بناء المستوطنات. هذه مسألة لا بدّ من حلّها»، قبل بدء المؤتمر (**المصدر نفسه**).

بيد ان عدداً من المراقبين لاحظوا تغيّراً في لهجة الوزير السوفياتي، عندما شدّد، في زيارته لتل ـ أبيب، وهي الأولى لوزير خارجية سوفياتية منذ قيام اسرائيل، على ان الدول والاطراف المعنيّة بعملية السلام اتفقت على ألّا تمارس أي دولة ضغوطاً على دولة أخرى. وأشاروا الى تركيزه على

ان موسكو «تشجّع المفاوضات المباشرة» والجهود «لعقد مؤتمر سلام»، وإلى ان مسألة التمثيل الفلسطيني لم تطرح في اللقاءات بينه وبين المسؤولين الاسرائيليين (المصدر نفسه، ١١ - ١٢/٥/١٩٩١).

وعلى الرغم من ان موسكو مقتنعة بأنه لا يمكن تجاهل دور منظمة التحرير الفلسطينية في اي تسوية، فانها لم تتوان عن تقديم النصائح الى المنظمة بوجوب تليين موقفها، والتريّث، والانتظار. في هذا المضمار، كشف دبلوماسيون في العاصمة السوفياتية عن ان المشاورات الاميركية - السوفياتية، الهادفة الى عقد مؤتمر للسلام، تركّزت على تذليل العقبة الاساسية في طريق بدء المفاوضات، وهي التمثيل الفلسطيني. ولاحظ هؤلاء الدبلوماسيون ان السوفيات شدّدوا للرئيس الفلسطيني، ياسر عرفات، على اهمية دور المنظمة في «مرحلة ما» من عملية السلام، وبعد التوصّل الى ترتيبات نهائية لعقد المؤتمر، حتى يمكن ممارسة الضغط على اسرائيل، للقبول بتنفيذ قرارات الشرعية الدولية. وقال هؤلاء الدبلوماسيون، ان رسالة موسكو نقلت الى الرئيس عرفات في تونس، مع ضمانات لاستمرار تأييد السوفيات للشرعية الدولية، وللحقوق الفلسطينية المشروعة (الحياة، ٨/٥/١٩٩١). ويبدو ان الاتحاد السوفياتي مقتنع بأن الولايات المتحدة الاميركية ستقر، تدريجاً، بحق تقرير المصير للشعب الفلسطيني، كما قال مندوبه الى الامم المتحدة، يولي فورنتسوف، الذي شدّد على مشاركة فلسطينية في مؤتمر السلام، مشيراً الى ان موسكو لا تشاطر بعض الدول العربية موقفها من دور منظمة التحرير الفلسطينية في عملية التسوية (المصدر نفسه، ١٠/٥/١٩٩١). واذا كانت عملية التسوية ستؤدي، في خاتمة المطاف، الى مبادلة الارض بالسلام، واقرار الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني، فان موسكو ترى ان تؤجّل منظمة التحرير الفلسطينية مشاركتها في العملية السياسية الى وقت لاحق، وان تكتفي، في مرحلة اولى، بـ «تكليف» مَنْ ينوب عنها في هذه العملية (انترناشونال هيرالد تربيون، ١٤/٥/١٩٩١).

على ان زيارة وزير الخارجية السوفياتية لاسرائيل ألمحت الى ان موضوع العلاقات الدبلوماسية الكاملة بين البلدين أصبح شكلياً؛ ورأى مراقبون انه بات لا يقتضي سوى استبدال لافتتي قنصليتين (المصدر نفسه). وفي حين اتخذ المسؤولون السوفيات موقفاً حذراً من احتمال اعلان اعادة العلاقات في اثناء زيارة بسميرتنيخ، فان وسائل الاعلام السوفياتية أجمعت، تقريباً، على اعتبار ان سياسة قطع العلاقات طوال ٢٤ عاماً، في محاولة لارغام اسرائيل على الانسحاب من على الاراضي التي احتلتها في عدوان حزيران (يونيو) ١٩٦٧، لم تؤت النتائج المتوخّاة منها. وعلى سبيل المثال، رأى ديمتري بروكوفيف، في مقالة تحليلية في نشرة «ساب» السوفياتية، ان عدم تسوية مسألة العلاقات الدبلوماسية بين الاتحاد السوفياتي واسرائيل «لم يفض، ولن يفضي، الى تسوية النزاع العربي - الاسرائيلي. لكن هذه الخطوة [اعادة العلاقات] قادرة، فعلاً، في ظروف معيّنة، على ان تغدو قسطاً يساهم في احراز تقدّم مسيرة السلام في المنطقة؛ وفي المقام الاول، اذا أعيدت العلاقات في سياق عقد مؤتمر السلام في الشرق الاوسط» (النهار، ٩/٥/١٩٩١).

وبما ان زيارة بسميرتنيخ اعتبرت مجرّد اتصال أولي بين المسؤولين السوفيات والاسرائيليين على أرفع المستويات، فقد ذكر الكسي فاسيليف، معلّق صحيفة «كمسمولسكايا برافدا»، ان دعاة استئناف العلاقات الدبلوماسية، فوراً، في وزارة الخارجية السوفياتية يتعاونون، خصوصاً، مع تكتّل الليكود. وقال ان لهذا التكتل الحاكم في اسرائيل «لوبي» في أعلى المراتب السوفياتية، الرسمية منها والمعارضة. لكن القسم الدولي في اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفياتي ما زال فيه مناوئون لاعادة العلاقات «مجاناً»، خصوصاً ان الكثيرين منهم يشيرون الى ان ذلك قد يكون على حساب العلاقات مع العرب (المصدر نفسه). لكن خبيراً سوفياتياً في شؤون الشرق الاوسط، قال: «ان الجسور مع اسرائيل أصبحت أمراً واقعاً، ولم يبق سوى الاعلان، قريباً، عن 'قص الشريط' إيذاناً بافتتاحها». لكنه رفض ان يحدّد هل يتمّ ذلك في المرحلة القريبة المقبلة، أم لا؟ (المصدر نفسه).

د. نبيل حيدري

عمليات صدامية ونشاط حدودي

اشتدت آثار السياسة القمعية الاسرائيلية في الارض المحتلة خلال الفترة من ١٦/٤/١٩٩١ الى ١٥/٦/١٩٩١، لتجعل الوطن، فعلاً، بمثابة سجن كبير. وقد تلاقى ذلك مع تفاقم عمليات اعدام المشتبه بتعاونهم مع سلطات الاحتلال، ومع بروز بعض الصراعات التنظيمية والاجتماعية. الّا ان حقيقة الأزمة انتجت، أيضاً، مؤشرات أولية ايجابية، من بينها التصدّي الصريح من قبل القيادة الوطنية الموحّدة للانتفاضة لهذه الظاهرة، ومباشرة المناقشة العلنية والنقدية البنّاءة لتقويم أساليب ومسار الحركة الشعبية المتواصلة*. ورافق بدء النقاش استمرار لممارسات التحدّي والتصدي للاحتلال، وتكاثر العمليات الصدامية شبه العسكرية. وفي الوقت عينه، شهدت ساحة جنوب لبنان تنشيطاً ملفتاً للمجابهة مع اسرائيل، التي شنّت سلسلة من الغارات الجوية، وعمليات القصف المدفعي، وتوتّراً بموازاة الاقتراب من موعد انتشار الجيش اللبناني في المنطقة.

السجن الكبير

ان الحقيقة الجديدة التي تشكّلت منذ نهاية حرب الخليج، هي قيام قوات الاحتلال الاسرائيلية بتقطيع أواصر الارض المحتلة، بحيث بات المواطنون ممنوعين من دخول القدس الشرقية، اضافة الى الارض المحتلة العام ١٩٤٨، دون اذن مسبق، وذلك تحت طائلة السجن والغرامات المالية الباهظة. كما تمّ منع الحركة بين الضفة الفلسطينية وقطاع غزة، ممّا أثّر سلباً في حركة التجارة، فيما أُقيمت العوازل حتى بين شمال الضفة وجنوبها (**القدس العربي**، لندن، ١٦/٥/١٩٩١). الى ذلك، أعلنت السلطات العسكرية تقليص عدد الوافدين يومياً عبر نهر الاردن من ٤٠٠٠ الى ٢٢٥٠ (**المصدر نفسه**).

في هذه الاثناء، وفيما تمّ رفع مستوى الضرائب والرسوم والغرامات المفروضة على المواطنين الفلسطينيين، واصلت القوات الاسرائيلية سياسة العقاب، من خلال هدم المزيد من المنازل، بعد اتهام اصحابها، أو ذويهم، بمقاومة الاحتلال. وقد شمل ذلك الاجراء ١٤ منزلاً، عدا غلق واحد، وانذار مالكي أربعة بالهدم، اضافة الى تدمير ١١ منزلاً بحجة عدم الترخيص؛ وكل ذلك خلال الفترة الممتدة بين ١٩ نيسان (ابريل) والتاسع من حزيران (يونيو). وقد شملت تلك العمليات بلدات ومخيّمات رفح وبيت لاهيا وجباليا وغزة وسنجل وطولكرم والسواحرة الشرقية وجنين. وقد اتهم العديد من المعنيين بالعضوية في «فتح»، وآخرون بالانتماء الى الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين أو جهات غير محدّدة. كما تعرّضت قرى لعمليات قلع الاشجار المثمرة، منها دير بلوط (٥٠٠ شجرة) وكفر قدّوم (١٧ شجرة) وحوّاره (٤٠ شجرة)، عدا بلوغ ما صادرته السلطات الاستيطانية من اراض فلسطينية ٦٠ الف دونم خلال أول شهرين منذ مطلع آذار (مارس) ١٩٩١ فحسب (**الحياة**، لندن، ٣٠/٤/١٩٩١).

وكالعادة، تجسّد الحدّ القاطع لسيف القمع الاسرائيلي بعمليات القتل، ومنها عمليات قتل متعمّد كثيرة من قبل الوحدات السرية من الجنود الملثّمين والمتنكّرين بلباس مدني؛ اذ سقط ما مجموعه ٢٦ مواطناً شهداء بين ١٦ نيسان (ابريل) و١٥ حزيران (يونيو)، ممّا رفع المجموع الى ١٠٣١ شهيداً منذ بدء الانتفاضة. ومن بين هؤلاء الشهداء واحد قتله الجنود الاسرائيليون وهو يحاول الهرب من رفع بواسطة قارب، في ١٦ نيسان (ابريل)، وطفل قضى دهساً بعد يومين، وثالث قتله عميل مسلّح في بيت لاهيا، في الثاني من أيار (مايو)، وأصمّ

* انظر تقريراً مفصّلاً حول ذلك في هذا العدد، ص ١٣٩ ـ ١٤٥.

وأبكم استشهد في مخيم طولكرم، في السادس من الشهر عينه. ويضاف الى ما سبق سقوط مواطن شهيداً بعد ان صدمته سيارة جيب عسكرية في خان يونس، في ٢٥ الشهر، وثان قتله عميل في بيت لاهيا في ٣٠ الشهر، وثالث هو بائع متجوّل من الخليل، خطفه وقتله اسرائيليون في الجليل، في السابع من حزيران (يونيو)، وراعٍ قضى برصاص مستوطنين قرب مستوطنة سوسيا (الخليل)، في اليوم التالي، ورابع استشهد في اثناء التحقيق معه، في طولكرم، بعد يوم.

الى ذلك، سقط المزيد من الجرحى يومياً، أغلبهم بالرصاص، فيما نفّذ المستوطنون سلسلة من الاعتداءات، أولها طعن فلسطيني بيد لصوص اسرائيليين في القدس، في ٢٢ نيسان (ابريل). تلا ذلك قيام مستوطنين مسلّحين بضرب ثلاثة رعاة فلسطينيين وباطفاء السجائر في أجسادهم قرب بلدة عقربة، في الخامس من أيار (مايو)، بينما قام آخرون بطعن اثنين من مواطني الارض المحتلة العام ١٩٤٨، في حيفا، ليلة ١٩ الشهر، بعد مشادّة سياسية. كذلك تعرّض حارس فلسطيني مسنّ للطعن بأيدي أربعة اسرائيليين في شمال القدس، في ٢٣ الشهر. وبعد يوم، قام مستوطنون بضرب طفل فلسطيني بعد دهسه بسيارتهم في بروقين؛ واختتموا المسلسل بقتل شاب قرب مستوطنة سوسيا، في الثاني من حزيران (يونيو).

هذا، وألحقت سلطات الاحتلال هذه الهجمات بالمزيد من الاحكام الشديدة ضد الناشطين الفلسطينيين؛ اذ أصدرت المحاكم العسكرية ١٧ حكماً بالسجن المؤبّد (ومن ضمنها أحكام بالمؤبّد بين أربعة وستة مرّات) على شبان متهمين بعضوية «فتح» والجبهة الشعبية وبقتل العملاء، وبزرع العبوات الناسفة. وأعلنت أجهزة الامن الاسرائيلية في ٢٢ نيسان (ابريل) عن اعتقال أربعة من جماعة «الفهود السود» في جنين. وفي ١٢ أيار (مايو)، أعلنت عن اكتشاف خلية تابعة لـ «فتح» في القدس، قامت بسبع عمليات تفجير خلال السنة الفائتة، بتدريب وتمويل من مسؤولين عنها في الاردن (**القدس العربي**، ١٣/٥/١٩٩١).

وحول موضوع الاعتقالات، أكدت المصادر الفلسطينية وجود ١٦ ألف معتقل حالياً لدى العدو، موزّعين على ٢٦ معتقلاً أساسياً وأماكن أخرى (**فلسطين الثورة**، نيقوسيا، ٢٨/٤/١٩٩١)؛ بينما أكد اتحاد الصحافيين العرب في الاراضي المحتلة ان هناك ١٧ ألف معتقل في السجون ومراكز الاعتقال الـ ٣٤، وان ٤٠ ألف مواطن يمرّون بالاعتقال في كل سنة (**الحياة**، ٢٣/٥/١٩٩١).

وقد اعتبر وزير الدفاع الاسرائيلي، موشي ارنس، مجموع هذه التطوّرات والاجراءات بمثابة مؤشر الى نجاح في التغلّب على الانتفاضة، فيما حثّ المتعاونين مع سلطات الاحتلال على مقاومة الهجمات العقابية عليهم، في محاولة مفضوحة لشقّ صفوف المجتمع الفلسطيني (**المصدر نفسه**، ٩/٦/١٩٩١). ولكن يلاحظ، بالمقابل، وجود علامات ارتباك اسرائيلية؛ اذ اضطرت السلطات الى تعيين الجنرال رفائيل فاردي للتحقيق باحداث تعذيب الأسرى الفلسطينيين في المعتقلات، فيما قرّر قائد المنطقة الجنوبية، اللواء ماتان فلنائي، خفض عدد الجنود المتواجدين داخل مدن ومخيمات قطاع غزة وتقليص عدد مواقعهم، تفادياً للصدام، واقراراً بصعوبة السيطرة على الوضع داخلها (**المصدر نفسه**، ١٢/٥/١٩٩١؛ و**القدس العربي**، ١٢/٦/١٩٩١)؛ علماً بأن الجيش واصل حملته ضد أهالي القطاع، حين نفّذ قراره السابق بترحيل أربعة ناشطين تابعين لـ «فتح» من غزة، اذ أبعدهم الى لبنان في ١٨ أيار (مايو)، ممّا رفع المجموع العام للمبعدين الفلسطينيين، منذ بدء الانتفاضة، الى ٦٥ (**الحياة**، ١٩/٥/١٩٩١). وقد أصدر مجلس الامن الدولي، لاحقاً، القرار الرقم ٦٩٤ (غير الملزم) منددّاً بالعملية، ومطالباً اسرائيل باعادة المواطنين الاربعة، والكفّ عن أسلوب الابعاد.

التصعيد العسكري

خلال الفترة قيد المراجعة، برزت حدّة المواجهة مع قوات الاحتلال بزيادة ملحوظة بالهجمات الفردية وشبه العسكرية ضد الاهداف الاسرائيلية، وخاصة تلك المنفّذة بالرصاص. فقد بدأ المسلسل في ٢٢ نيسان (ابريل)، حين هاجم شاب فلسطيني اسرائيلياً وطعنه في القدس. وفي ٢٥ نيسان (ابريل)، وقعت محاولة طعن جندي في رام الله. وفي سوق الخليل، أُصيب جنديان اسرائيليان بانفجار عبوة،

في ٢٦ من الشهر عينه (المصدر نفسه، ٢٦/٤/١٩٩١).

وقد تتابع المسلسل بطعن سائحة فرنسية حتى الموت داخل مطعم في بيت لحم، في ٣٠ نيسان (ابريل)، وهي العملية التي استنكرتها م.ت.ف. رسمياً (فلسطين الثورة، ٥/٥/١٩٩١). كذلك جرح اسرائيلي، طعناً، قرب تل ـ ابيب، في اليوم عينه. وعثر على جثة اسرائيلي آخر كان فلسطينيون خطفوه قرب قلقيلية، في الخامس من أيار (مايو). وفي ١٧ من الشهر عينه، قام فلسطيني بمهاجمة وطعن ثلاثة اسرائيليين في القدس، لكنه وقع في الأسر، ممّا دفع رئيس الوزراء، اسحق شامير، الى التعبير عن أسفه لأن المهاجم قد نجا حيّاً (انترناشونال هيرالد تربيون، ١٧/٥/١٩٩١). وأعلن تنظيم «الجهاد الاسلامي» مسؤوليته عن الحادث في بيان أُصدر في بيروت (الحياة، ١٩/٥/١٩٩١). هذا، وقام مجهولون بقتل صحافي عربي يعمل لدى الاذاعة الاسرائيلية، في اليوم عينه، فيما قتل صاحب بقالة اسرائيلي في بيتح تكفا، في ٢٠ الشهر، بما وصفته الشرطة بأنه حادث ربما يعود الى دوافع سياسية فلسطينية (المصدر نفسه، ٢٢/٥/١٩٩١).

امّا الأمر الملفت، فهو بداية عمليات اطلاق النار على الاهداف الاسرائيلية، مع تعرّض سيارة مستوطنين للرصاص عند مرورهما في الخليل، في ٢٣ أيار (مايو)، دون وقوع اصابات. ثمّ أُطلقت النيران على باص في القدس، في الثاني من حزيران (يونيو)؛ وكذلك، على موقع عسكري قرب بني نعيم (الخليل)، في ١٥ الشهر. وكان شاب فلسطيني طعن ثلاثة عمّال تايلانديين في مزرعة اسرائيلية، في جمزة، (الغور)، في ١٤ منه، بينما هاجمت شابتان فلسطينيتان اسرائيلياً بالسكاكين في القدس، في اليوم التالي (القدس العربي، ١٥ ـ ١٦ و١٧/٦/١٩٩١).

وتواصلت، أيضاً، أعمال المقاومة الشعبية، وأبرزها، الى جانب قذف الحجارة واقامة العوائق وحرق الاطارات، القاء القنابل الحارقة (مولوتوف) على الاهداف الاسرائيلية، وخصوصاً على النقاط والدوريات والسيارات العسكرية والمكاتب الحكومية؛ اذ وقعت هجمات من هذا النوع بمعدّل واحدة في اليوم تقريباً.

وبموازاة الهجوم على الاسرائيليين، تصاعدت أعمال الانتقام من عملاء الاحتلال والمشبوهين بالتعامل معه، لتصل ٢٣ عملية اعدام وست اصابات خلال فترة الشهرين قيد المراجعة، وهو رقم كاد يعادل عدد الشهداء على أيدي الاسرائيليين العسكريين والمدنيين وعملائهم. وتدفع تلك الحقيقة الملفتة الى ملاحظة فلتان عمليات التأديب والاعدام وخروجها على الضوابط التي وضعتها قيادة م.ت.ف. في تونس والقيادة الوطنية الموحّدة في الارض المحتلة. بل ثارت الشكوك المتزايدة حول حقيقة تعامل العديد من الضحايا مع العدو، وعن دوافع قتلهم الفعلية، فيما ثبت اعدام البعض بسبب الجرائم الأخلاقية، لا الأمنية.

غير انه لا بدّ أيضاً من التأكيد على الدور السيىء للعملاء المسلّحين، الذين اغتالوا احد الناشطين في بيت لاهيا، في الثاني من أيار (مايو)، أو الذين قتلوا شاباً وجرحوا ٢٠ من الرجال والنساء والاطفال، حين احتشدت الجماهير لمهاجمة منزل عميل في النصيرات في ٣٠/٥/١٩٩١ (الحياة، ٣١/٥/١٩٩١). غير ان الحادثة الاخيرة أظهرت، أيضاً، رد الفعل السلبي، حين قام الاهالي بحرق بيوت الشعر التي تخصّ عائلة العميل، بطرف المخيم.

الاردن وجنوب لبنان

شهدت الحدود اللبنانية، وكذلك الاردنية، محاولات تسلّل، استمراراً للنمط السائد منذ نهاية حرب الخليج. فقد نجح مواطن اردني في عبور نهر الاردن، عند منطقة مستوطنة نيفيه اور، فقتل اسرائيلياً وجرح ثلاثة حين اطلق النار على جرّار زراعي بقاطرة صباح ١٧ نيسان (ابريل)، وقلت لمدة ثلاث ساعات قبل ان يقتله الجنود الاسرائيليون (انترناشونال هيرالد تربيون، ١٨/٤/١٩٩١). وتبيّن، لاحقاً، انه تسلّل الى الضفة الغربية للنهر قبل يومين من الحادث وانه خاض معركة سابقة أودت بزميل متسلّل آخر له، ممّا دفع قيادة الجيش الاسرائيلي الى اعفاء اربعة ضباط من مسؤولياتهم، عقاباً على بطء تحرّكهم في اثناء العملية (القدس العربي، ١/٥/١٩٩١). كما تبيّن ان المتسلّل ربما انتمى الى «حماس»، وهو عضو في الجيش

الشعبي الاردني (**الحياة**، ١٨/٤/١٩٩١).

ثمّ تكرّرت العمليات الحدودية في ٣٠ أيار (مايو)، حين تسلّل جندي اردني، مسلّح بمدية فحسب، الى منتجع سياحي اسرائيلي، بالغور الشمالي، علماً بأنه قُتل قبل ان يصيب احداً. ولم تمر سوى ساعات قليلة حتى تمّ اكتشاف فدائيين متسللين آخرين داخل ساحة موقع عسكري اسرائيلي في منطقة قريبة، فقتل احدهما، بينما تمكّن الآخر من الافلات تماماً (**القدس العربي**، ٣١/٥/١٩٩١). وانتهى المسلسل على هذه الجبهة بحادث اطلاق نار من قبل مجهول على دورية اسرائيلية عبر النهر، عند منطقة كفر روبين (**المصدر نفسه**، ١٧/٦/١٩٩١).

أمّا على الجبهة اللبنانية، فقد أوقف الجيش اللبناني مجموعة فدائية تابعة للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، مؤلفة من ستة عناصر، وهم يحاولون التسلّل الى «حزام الامن» لتنفيذ عملية. وقد أصدرت محكمة عسكرية لبنانية بحقهم حكماً بالسجن مدة اسبوعين، في ٢٣ أيار (مايو)، بتهمة حيازة غير مشروعة للاسلحة (**الحياة**، ١٩/٤/١٩٩١ و٢٤/٥/١٩٩١). ثمّ اصطدمت مجموعة تابعة لجماعة المنشقّين عن «فتح» بدورية اسرائيلية في تلال كفرشوبا، في ٢١ نيسان، ممّا أدى الى استشهاد اثنين من المجموعة بعد اجتياز السياج الحدودي باتجاه مستوطنة دان (**المصدر نفسه**، ٢٢/٤/١٩٩١). غير ان مجموعة من المقاومة الوطنية نجحت، في الخامس من حزيران (يونيو)، في اعطاب آلية وجرح جندي اسرائيلي حين اصطدمت بلغم عند قرية كفركلا (**القدس العربي**، ٧/٦/١٩٩١).

ردّت اسرائيل على هذه العمليات بسلسلة من الغارات الجوية والضربات المدفعية على المواقع العسكرية والمدنية اللبنانية والفلسطينية، ممّا جاء، ايضاً، ضمن عملية تصعيدية اسرائيلية واضحة، استهدفت المعاهدة السياسية ـ الامنية التي تمّ ابرامها بين سوريا ولبنان في ١٧ أيار (مايو). وكان سبق كل ذلك قيام البحرية الاسرائيلية بحجز باخرة تجارية مبحرة بين صيدا وقبرص، واعتقلت أربعة فلسطينيين من ركابها، في ٢٢ نيسان (ابريل) (**القدس العربي**، ٢٣/٤/١٩٩١؛ **والحياة**، ٢٤/٤/١٩٩١). ثمّ جاءت الضربة المباشرة الاولى بغارة لطائرتين مروحيتين اسرائيليتين يدعمهما زورق من سلاح البحرية، على مخيم الرشيدية، ممّا أوقع ثلاثة جرحى فيه (**المصدر نفسه**، ٣/٥/١٩٩١).

وفي الثالث من حزيران (يونيو)، وقعت غارة نفّذتها طائرتان على مقر الاستخبارات العسكرية التابع لـ «فتح» في منطقة الهمشري شرق صيدا، فأوقعت ثلاثة شهداء و١٣ جريحاً (**المصدر نفسه**، ٤/٦/١٩٩١).

ثمّ حصلت أعنف غارات جوية شهدها لبنان منذ اجتياح العام ١٩٨٢؛ اذ شاركت حوالى ٤٠ طائرة، أطلقت حوالى مئة صاروخ خلال ساعتين، ضد مواقع لـ «فتح» والجبهة الشعبية والجبهة الديمقراطية وجماعة ابو نضال (فتح ـ المجلس الثوري) والتنظيم الشعبي الناصري، في مناطق وادي عبرا والصالحية ووادي شرحبيل ومجدليون وعين المير ونتج عن ذلك مقتل ١٥ شخصاً، منهم ثمانية مقاتلين، وجرح حوالى ٦٠، معظمهم من طلاب المدارس، فيما توقّع الرئيس الفلسطيني، ياسر عرفات، وقوع اجتياح برّي حتى نهر الأولي (**انترناشونال هيرالد تربيون**، ٥/٦/١٩٩١؛ **والحياة**، ٥/٦/١٩٩١؛ **والقدس العربي**، ٥/٦/١٩٩١). وقد تدخّلت واشنطن، رسمياً، بعد يوم ثالث من الغارات التي أوقعت ثلاثة قتلى وتسعة جرحى عند موقع للقيادة العامة بغارة ليلية، لايقاف العمليات؛ فيما أكد المتسّق الاسرائيلي لـ «حزام الامن»، أوري لوبراني، ان لا نيّة لدى اسرائيل لشنّ هجوم بري وان الغارات هي عملية استباقية لمنع تعاظم قوة الفلسطينيين و«حزب الله» (**انترناشونال هيرالد تربيون**، ٦/٦/١٩٩١؛ **والحياة**، ٧/٦/١٩٩١). غير ان المقاتلين الفلسطينيين وُضعوا في حالة التأهّب، واعدّوا المواقع القتالية، تحسّباً للعدوان، فيما اشتعلت الجبهة عند قرية كفر فالوس بين جيش لحد العميل وميليشيا التنظيم الشعبي الناصري، في الثامن من الشهر.

غير ان الاهمية الاضافية لهذه العمليات الحربية كمنت، أيضاً، بازدياد التوتّر داخل مخيمات صيدا وبالتحرّك نحو سحب المقاتلين الفلسطينيين الى داخلها كي ينتشر الجيش اللبناني في

اقليم التفاح وشرق صيدا. وقد خطت المباحثات اللبنانية ـ الفلسطينية خطوة الى أمام في ٢٤ نيسان (ابريل)، حين أبلغ رئيس منظمة العمل الشيوعي اللبناني، محسن ابراهيم، الى الحكومة اللبنانية موافقة م.ت.ف. على سحب قواتها وأسلحتها الثقيلة (**المصدر نفسه**، ٢٥/٤/١٩٩١). وصادف ان وافقت الجبهة الشعبية ـ القيادة العامة، بعد ذلك بأيام، على سحب أسلحتها من جبل لبنان ومنطقة خلدة (قرب بيروت)، واقليم الخروب، ابتداء من ٣٠ الشهر (**المصدر نفسه**، ١/٥/١٩٩١). واستقر الوضع هكذا، على الرغم من وقوع حادث فردي بين الجنود اللبنانيين والمقاتلين الفلسطينيين في جوار صور، في الخامس من أيار (مايو)، واعتقال مقاتلين مسلّحين تابعين للجبهة الديمقراطية في بيروت والجبّة، في الثامن منه، فيما راح قائد «جيش لبنان الجنوبي» العميل، الجنرال انطوان لحد، يحذّر من ان اعادة «حزام الامن» الى سيادة الدولة اللبنانية «قد يحوّله الى منطلق للقيام بأعمال ضد اسرائيل» (**المصدر نفسه**، ٩/٥/١٩٩١).

وقد تحوّل الاهتمام داخل المعقل الفلسطيني حول صيدا، مؤقتاً، الى الاوضاع الداخلية بعد ذلك، اذ اضطرت قوة فلسطينية الى الفصل بين متنازعين من جماعة «التوحيد الاسلامي» خارج الميّة وميّة، في التاسع من أيار (مايو)، وهم اصلاً من طرابلس (**القدس العربي**، ١٠/٥/١٩٩١). والاخطر من ذلك، قيام مجهولين، يرجّح انهم من جماعة ابو نضال، بخطف خمسة من أفراد «فتح»، أقاموا حاجزاً عند مدخل مخيم عين الحلوة، في العاشر من الشهر. ولحق ذلك اطلاق نار على حاجز تابع للمنشقين عن ابو نضال، ممّا أوقع قتيلاً وجريحاً، ومقتل وجرح مقاتلين اثنين من «فتح» عند مدخل المخيم، في ١٣ الشهر، بعد ان وقعت محاولة لاغتيال احد مسؤولي «فتح» العسكريين المحليين (**المصدر نفسه**، ١٤/٥/١٩٩١؛ **والحياة**، ١٤/٥/١٩٩١). واستمر المسلسل في ١٥ منه، بالقاء قنبلة على منزل قائد مليشيا «فتح» في عين الحلوة، فردّ الحارس بالنار، حيث أصاب مدنياً مارّاً (**المصدر نفسه**، ١٦/٥/١٩٩١).

غير ان الهدوء عاد الى المنطقة، فيما التقى رئيس الدائرة السياسية لـ م.ت.ف. فاروق القدومي (ابو اللطف)، وزير الخارجية اللبنانية، فارس بويز، في القاهرة، في ١٦ أيار (مايو)، ليتفقا مبدئياً على تأمين الانسحاب الفلسطيني وانتشار الجيش اللبناني في منطقة صيدا (**القدس العربي**، ١٧/٥/١٩٩١). وتابع القدومي تحرّكه عبر لقاء الرئيس السوري، حافظ الاسد، في ٢٨ الشهر، وأعلنا التفاهم بشأن السلاح الفلسطيني والقوات (**الحياة**، ٢٨/٥/١٩٩١؛ **والقدس العربي**، ١٣/٦/١٩٩١).

د. يزيد صايغ

جولتان أخريان لبيكر

استأنف وزير الخارجية الاميركية، جيمس بيكر، في نيسان (ابريل) وأيار (مايو) الماضيين، جهوده السياسية، لتذليل العقبات التي اعترضت، خلال جولتي محادثاته السابقتين، طريق التوصّل الى اتفاق على عقد المؤتمر، وتركيبته، بغية ايجاد تسوية سياسية للنزاع العربي ـ الاسرائيلي، على قاعدة المقاربة المزدوجة لحل النزاع التي اقترحتها الادارة الاميركية.

وفي هذا السياق، قام الوزير بيكر، في النصف الثاني من نيسان (ابريل) والنصف الاول من أيار (مايو) الماضيين، برحلتين مكوكيتين (الثالثة والرابعة منذ بدء التحرّك السياسي الاميركي) جديدتين الى المنطقة، اضافة الى رحلتيه السابقتين في مطلع آذار (مارس) ومطلع نيسان (ابريل) الماضيين. وأجرى الوزير بيكر، خلال رحلتيه المكوكيتين الجديدتين، ثلاث جولات من المحادثات مع الزعماء الاسرائيليين، دون ان يحرز أي تقدّم ملموس، على صعيد جهوده للتقدّم في عملية التسوية.

عودة بيكر: أجواء وتقديرات

مع ان عودة الوزير بيكر كانت متوقّعة، من حيث المبدأ، الّا ان احداً لم يكن يتصوّر ان تتمّ بعد اسبوع واحد من مغادرته للمنطقة. فسرعة عودته كانت مفاجئة للحكومة الاسرائيلية، حيث لم يكن هناك تنسيق مسبق في هذا الشأن (**يديعوت احرونوت**، ١٦/٤/١٩٩١). وكان مصدر في الخارجية الاميركية أشار الى احتمال عودة بيكر الى المنطقة خلال «الاسبوعين، أو الثلاثة المقبلة». وأضاف هذا المصدر ان الوزير بيكر لا يغمره التفاؤل، في أعقاب جولة محادثاته الثانية مع زعماء المنطقة، «لكنه أبعد من ان يرفع يديه مستسلماً». وقال صحفيون اميركيون، تحدثوا مع بيكر خلال جولته الثانية على دول المنطقة، انه كان خائب الأمل، «لأنهم في الشرق الاوسط يبدون اهتماماً ملحوظاً بالامور والجوانب الشكلية المتعلّقة بالمؤتمر، بدلاً من التركيز على المضامين» (**المصدر نفسه**، ١٤/٤/١٩٩١).

وقالت مصادر سياسية في واشنطن، ان الوزير بيكر عازم على ايصال الرسالة التالية، خلال جولة محادثاته الجديدة، الى دول المنطقة: «ان الادارة الاميركية لن تساند، أو تأخذ قسطاً، في العملية السياسية في الشرق الاوسط، اذا لم تكن مقتنعة بصدق كل الاطراف في المشاركة في عملية حقيقية، تقوم على مبدأ الأخذ والعطاء» (**المصدر نفسه**).

من ناحية أخرى، أكدت تقارير أرسلتها السفارة الاسرائيلية في واشنطن الى صانعي القرار في اسرائيل ان بيكر مصمّم على عدم السماح بكبح الزخم القائم في الاتصالات السياسية التي يجريها مع اسرائيل والدول العربية. فالادارة تعتقد بأنه على الرغم من ان هوّة ما زالت قائمة بين مواقف اسرائيل والدول العربية، بالنسبة الى نقاط عديدة، الّا انه من الممكن ردم تلك الهوّة وعقد المؤتمر الاقليمي في الصيف المقبل (**هآرتس**، ١٥/٤/١٩٩١).

من جانبه، قال رئيس الوزراء الاسرائيلي، اسحق شامير، قبيل مغادرته اسرائيل في طريقه الى لندن: «لا شك في ان كثافة زيارات الوزير بيكر الى المنطقة دليل على ان هناك ما يمكن التحدّث في شأنه». وأضاف شامير: «احياناً يتولّد الانطباع بأن الاميركيين غير راغبين في تلاشي العملية وفقدان الزخم الحاصل» (**المصدر نفسه**).

أمّا في واشنطن، فقالت مصادر سياسية ان بيكر يؤمن بأن هناك فرصة لعقد المؤتمر قبل شهر آب (اغسطس) المقبل. فقد قال مصدر رفيع المستوى، في واشنطن، لمراسل صحيفة «يديعوت احرونوت» الاسرائيلية، ان الرئيس بوش ووزير خارجيته، متفقان، في الرأي، على انه اذا لم يتمّ، الآن، عمل سريع لعقد المؤتمر الاقليمي، فان

الفرصة سوف تضيع (يديعوت احرونوت، ١٦/٤/١٩٩١). من جانبها، قالت الناطقة باسم الخارجية الاميركية، مارغريت تتوايلر: «ان الرئيس [بوش] ووزير الخارجية [بيكر] يعتقدان بأن الاطراف المختلفة، توظف، الآن، عملاً جاداً وفعلياً في الجهود الهادفة الى التقدّم في العملية السياسية؛ ووزير الخارجية يتوجّه الى المنطقة لكي يساهم في تلك الجهود، طالما ان الاعتقاد بما تفعله الاطراف قائم» (المصدر نفسه).

مع ذلك، أعربت أوساط اسرائيلية عن خشيتها من ان يكون الوزير بيكر عازم على ممارسة الضغط على اسرائيل، لكي تتقدّم خطوة أخرى - كما يبدو - في موضوع تشكيل الوفد الفلسطيني. كذلك أعربت مصادر سياسية، في القدس، عن مخاوفها من احتمال ان تنحرف الولايات المتحدة الاميركية عن الاتفاقات التي تمّ التوصل اليها مع اسرائيل، في أعقاب المطالب التي طرحها الرئيسان، المصري والسوري، بالنسبة الى طابع اللقاء الاقليمي، ومسألة التمثيل الفلسطيني أيضاً (المصدر نفسه).

وكان رئيس الوزراء الاسرائيلي، شامير، طالب، في رسالته الجوابية رداً على الرسالة التي تلقاها من الوزير بيكر، بعد عودة الاخير الى واشنطن، الولايات المتحدة الاميركية بالتمسّك بالاتفاقات التي تمّ التوصّل اليها مع اسرائيل خلال محادثات الوزير الاميركي في القدس (المصدر نفسه).

وذكر مصدر دبلوماسي اسرائيلي، في واشنطن، في هذا الشأن، انه حصل على تصديق من الادارة على ان نقاط التفاهم التسع (أعلنها الوزير ليفي في أعقاب جولة المحادثات الثانية مع الوزير بيكر)* تعكس، فعلاً، نقاط التفاهم التي تمّ التوصل اليها في المحادثات مع الوزير بيكر. لكن موظفين في الخارجية الاميركية قالوا ان ما نسب الى الوزير ليفي، بالنسبة الى هذه النقاط، «سطحي وغير دقيق». وأضافت مصادر في الخارجية الاميركية، ان ليس هناك أية فرصة لأن تعرب الادارة عن موافقتها على نقاط على غرار عدم ضمّ ممثلين عن سكان القدس الشرقية الى الوفد الفلسطيني، أو عدم اجراء اتصالات بين منظمة التحرير الفلسطينية والوفد الفلسطيني (هآرتس، ١٧/٤/١٩٩١).

في المقابل، قالت مصادر مطلعة، في واشنطن، انه عمّ هناك احساس بالغضب وخيبة الأمل ممّا ورد في رسالة شامير الجوابية الى الوزير بيكر. وقالت تلك المصادر «ان بيكر يشعر بأن شامير تراجع، الى حدّ ما، عن الاتفاقات التي تمّ التوصل اليها معه في القدس» (يديعوت احرونوت، ١٧/٤/١٩٩١). وعلى الرغم من رفض مصادر في الادارة تأكيد صحة هذه الانباء، توقّعت المصادر المطلعة ايّاها حصول جدل عنيف بين بيكر والقيادة الاسرائيلية، في ما يتعلّق بموضوع الالتزام الاسرائيلي بقراري مجلس الامن الدولي ٢٤٢ و٣٣٨. فالولايات المتحدة الاميركية تدّعي بأنه اتفق على ان تعلن الحكومة الاسرائيلية التزامها بهذين القرارين. ولكن يتّضح ممّا ورد في رسالة شامير الجوابية ان اسرائيل تحفّظت من هذا الالتزام وقيّدته بواسطة اضافة الكلمات «وفقاً لاتفاقيتي كامب ديفيد» (المصدر نفسه).

من ناحية أخرى، توقّع دبلوماسيون اسرائيليون في واشنطن ان يطرح الوزير بيكر، في زيارته المرتقبة الى القدس، افكاراً هدفها ارضاء اسرائيل في موضوعين تتخذ موقفاً متصلّباً ازاءهما؛ الاول، هو موضوع ضمّ ممثلين عن سكان القدس الشرقية الى الوفد الفلسطيني؛ والثاني، مسألة استمرار المؤتمر الاقليمي المقترح. وقال دبلوماسي اسرائيلي كبير، في واشنطن، ان اسرائيل لا تبدي استعداداً للمهادنة في هذين الموضوعين. وأضاف، ان هذه هي المسائل التي «حصل فيها تراجع، أو انجراف» في موقف الادارة الاميركية، كما تجسّد في نقاط التفاهم التي تمّ التوصل اليها في اثناء زيارة بيكر السابقة (هآرتس، ١٧/٤/١٩٩١).

وعلم من تقارير وصلت القدس من واشنطن، ان الوزير بيكر سوف يطلب من كل من رئيس الحكومة الاسرائيلية والوزير ليفي ابداء المزيد من المرونة، في ما يتعلّق بفكرة اللقاء الاقليمي والتمثيل الفلسطيني. وأضافت التقارير ان الوزير بيكر يعتقد بأن التنازلات التي قدّمتها اسرائيل، في هذين الموضوعين، غير كافية حتى الآن، ولا تمكّن من عقد المؤتمر بمشاركة سورية. وازاء ذلك، حذّر

* انظر شؤون فلسطينية، العدد ٢١٧ - ٢١٨، نيسان (ابريل) - أيار (مايو) ١٩٩١، ص ١٤١.

الوزير ليفي، عشية قدوم بيكر الى القدس، من ان اسرائيل سوف تعارض، بشدة، «اسلوب الجرعات» الذي قد يمارسه الاميركيون ضدها من اجل الحصول على تنازلات أخرى (يديعوت احرونوت، ١٧/٤/١٩٩١).

ولخّص مراسل صحيفة «يديعوت احرونوت» في واشنطن، رامي طال، نقاط الخلاف التي لا تزال قائمة بين اسرائيل والولايات المتحدة الاميركية، فحدّدها في موضوعين اثنين: مكانة المؤتمر واستمراره، ومسألة التمثيل الفلسطيني. وقال طال، ان الوزير بيكر سوف يحاول، خلال محادثاته في اسرائيل، التوصّل الى صيغة حل وسط، بالنسبة الى هذين الموضوعين (المصدر نفسه).

وتطرّق طال، بشيء من التفصيل، الى معظم النقاط المتعلّقة بهذين الموضوعين، التي تمّ الاتفاق عليها بشكل أو بآخر، أو ما زالت موضع خلاف، فقال ان اسرائيل، تخلّت، مثلاً، عن معارضتها لعقد المؤتمر في القاهرة؛ كذلك تخلّت اسرائيل عن مطالبتها بأن تكون اتفاقيتا كامب ديفيد أساساً للمباحثات، مع انها أحاطت الاميركيين علماً بأنها، وفي ما يتعلّق بها، تعتبر هاتين الاتفاقيتين اطاراً ملزماً. وتمّ التوصل الى اتفاق ـ بخطوط عامة ـ أيضاً بالنسبة الى مكانة قراري مجلس الامن الدولي ٢٤٢ و٣٣٨. ومن هذه الناحية، اقتربت اسرائيل من موقف الولايات المتحدة الاميركية والعرب، عندما اعترفت بهذين القرارين، كأساس للمفاوضات. مع ذلك، أعلنت اسرائيل ـ والامر مقبول من الاميركيين ـ عن انها لن تتخلّى عن تفسيرها الخاص للقرارين. والمقصود القرار الرقم ٢٤٢، وهل يحتم انسحاب اسرائيل من «كل المناطق» التي احتلت في العام ١٩٦٧ (المصدر نفسه).

في المقابل، تنازل الاميركيون، من جانبهم، عن ذكر صيغة «اراضٍ مقابل السلام». ويبدو ان الاميركيين نجحوا في اقناع العرب (باستثناء سوريا) بالقبول بعدم ذكر هذه الصيغة، «لأنه لا شك في ان الموضوع سوف يطرح خلال المباحثات، وعندها ستؤيد الولايات المتحدة الاميركية وجهة النظر العربية» (المصدر نفسه).

امّا بالنسبة الى موضوع التمثيل الفلسطيني، فأشار المراسل، طال، الى انه اتفق على الامتناع، في هذه المرحلة، عن اجراء انتخابات في المناطق المحتلة، وهناك اتفاق، بشكل او بآخر، على ان يعيّن الوفد الفلسطيني، بناء على اقتراحات من مصر والسعودية وربما الاردن أيضاً. ولكن من غير الواضح، حتى الآن، اذا كان الفلسطينيون سيشاركون في المؤتمر في اطار وفد مستقل، أو كوفد داخل الوفد الاردني، أو كأفراد داخل الوفد الاردني. والتقدير ان هذا الامر لن يشكّل أي عقبة تذكر. كذلك هناك اتفاق بين جميع الاطراف ـ بما في ذلك سوريا ـ بألّا تقوم منظمة التحرير الفلسطينية بأي دور في تعيين الوفد الفلسطيني، ولو بشكل غير رسمي. ومتّفق، أيضاً، على ان يكون جميع الممثلين الفلسطينيين من سكان المناطق المحتلة، أي ألّا يكون بينهم فلسطينيون من الشتات ولا أعضاء محسوبون على منظمة التحرير الفلسطينية في تونس، وألّا يكون أي منهم عضواً معروفاً في أي من مؤسسات المنظمة (المصدر نفسه).

لكن اسرائيل لا تزال تصرّ على مطلبها بأن يعلن كل الممثلين الفلسطينيين بأنهم لا يتلقّون التعليمات من منظمة التحرير الفلسطينية؛ وانه بناء على وجهة نظرهم، فان تمثيلهم للفلسطينيين ليس مصدره المنظمة. امّا العرب ـ وبذلك يؤيدهم الاميركيون على طول الخط ـ فيرفضون هذا المطلب الاسرائيلي. ويقولون ان على اسرائيل ان تكتفي بعدم قول الممثلين الفلسطينيين انهم يستمدون صلاحية وشرعية تمثيلهم من منظمة التحرير الفلسطينية (المصدر نفسه).

وهناك مشكلة أخرى، تتفرع عن موضوع التمثيل الفلسطيني، وتتعلّق بمشاركة ممثل عن سكان القدس الشرقية المحتلة في عداد الوفد الفلسطيني. وقد أعلنت اسرائيل ان هذا الامر، بالنسبة اليها، هو «خط احمر»، وانها لن توافق على أية صيغة من الصيغ التي اقترحت في الماضي، من أجل تمكين مشاركة أحد سكان القدس الشرقية في عداد الوفد الفلسطيني (المصدر نفسه).

واضافة الى كل هذه المواضيع، عاد موضوع الاستيطان، مرة أخرى، الى مركز الصدارة، اثر الاعلان عن اقامة مستوطنة جديدة، اسمها «رفافا»، عشية وصول بيكر الى اسرائيل. ووفقاً لأنباء

وصلت اسرائيل، يتضح ان الوزير بيكر أعرب عن غضبه واستيائه من اقامة المستوطنة المذكورة، واعتبرها عملاً استفزازياً من جانب الوزير شارون (هآرتس، ١٧/٤/١٩٩١). وكان البيت الابيض ندّد، بحزم، باستمرار عمليات الاستيطان الاسرائيلية، محدّداً ان ذلك «لا يساهم في تقدّم عملية السلام، التي نعمل جميعاً من اجلها». وقال بيكر انه عازم على البحث مع الزعماء الاسرائيليين في الموضوع، عندما يبدأ محادثاته معهم. وفي محاولة لتجنّب تصعيد التوتر بين الادارة والحكومة الاسرائيلية، عشية وصول بيكر، امتنع المتحدثون باسم الادارة عن اعتبار اقامة المستوطنات الجديدة جزءاً من السياسة الحالية للحكومة. فالمتحدث باسم البيت الابيض اكتفى بالقول: «ان المستوطنات عقبة على طريق السلام». ومن ناحية أخرى، أبرز المتحدّث اياه دور حركة غوش ايمونيم في اقامة المستوطنة الجديدة (المصدر نفسه، ١٧/٤/١٩٩١). لكن عضو الكنيست حنان بورات، أحد زعماء حركة غوش ايمونيم، أكد، لاحقاً، ان رئيس الحكومة، شامير، صادق على اقامة المستوطنة، وان وزير الدفاع، ارنس، كان يعلم بالامر، ولكن ليس بالموعد (المصدر نفسه، ٢٢/٤/١٩٩١).

من ناحيته، انتقد شامير ما أسماه كثرة التصريحات في موضوع الاستيطان من جانب الوزير شارون. ففي العديد من التصريحات التي أدلى بها بمناسبة ذكرى قيام اسرائيل، أكد شامير «ان احداً من اعضاء الحكومة لا يفكّر بايقاف النشاط الاستيطاني في أي مكان من أرض ـ اسرائيل». ونفى شامير ان يكون هناك خلاف داخل الحكومة حول موضوع الاستيطان: «انني آسف للأقوال الحادة التي صدرت في الايام الاخيرة. لكن الأمر لا يدل على وجود خلافات حول موضوع الاستيطان، لأن هناك خطوطاً أساسية ومبادىء لا تزال الحكومة مخلصة لها» (عل همشمار، ١٩/٤/١٩٩١). وفي مناسبة سابقة، قال شامير ان موضوع الاستيطان لا صلة بينه وبين عملية السلام: «فاذا كان هناك مئة مستوطنة أو مئة وعشرون؛ وإذا كان هناك مئة ألف مستوطن أو مئة وعشرون ألفاً، فهذا لن يغير في الامر شيئاً. فحل النزاع سوف ينجز بعيداً من هذه الوقائع» (يديعوت احرونوت، ١٧/٤/١٩٩١).

محادثات على جولتين

كانت اسرائيل المحطة الاولى لوزير الخارجية الاميركية، بيكر، في سياق عودته الى المنطقة، في رحلة مكوكية ثالثة. ووصل بيكر اسرائيل مساء يوم الخميس (١٨/٤/١٩٩١)، قادماً من اوروبا، حيث اجتمع بوزراء خارجيات «الترويكا» الاوروبية. وكانت مصادر اسرائيلية ذكرت، قبل وصول بيكر الى اسرائيل، ان بيكر من المحتمل ان يعود الى اسرائيل ثانية في نهاية رحلته المكوكية الثالثة، ليجري جولة ثانية من المحادثات، قبل ان يتوجّه الى واشنطن (هآرتس، ١٧/٤/١٩٩١).

وقالت مصادر صحفية، ان جولة المحادثات الاولى بين الوزير بيكر وكل من شامير ووزير خارجيته ليفي، كانت مخيبة للآمال. فالناطقة باسم الخارجية الاميركية، مارغريت تتوايلر، قالت، في أعقاب تلك الجولة، ان الوزير بيكر استعرض، خلال المحادثات، الخلافات في الرأي، القائمة بين المواقف الاسرائيلية والعربية، في عدد من القضايا، واقترح حلولاً لردم الهوّة القائمة بين المواقف. وعلى حدّ قولها، طلب شامير مهلة من اجل فحص، ودرس، الحلول المقترحة، قبل الردّ على تلك الاقتراحات. وأضافت تتوايلر: «هناك عدد من القضايا التي تتطلب ايجاد حلول لها، من اجل التقدّم في العملية السياسية». وفسّر بعض المراسلين والصحفيين أقوال تتوايلر بأنها تعبّر عن خيبة الأمل الاميركية من مضمون جولة المحادثات الاولى (المصدر نفسه، ٢١/٤/١٩٩١).

ونسبت مصادر صحفية أخرى الى جهات في مكتب رئيس الحكومة الاسرائيلية وفي حاشية الوزير بيكر، قولها ان محادثات الوزير بيكر كانت «صعبة»، وان الطرفين «نزعا قفازاتهما». وقالت مصادر رفيعة المستوى، في واشنطن، ان وزير الخارجية الاميركية قال، لدى خروجه من اللقاء مع شامير: «ان رئيس الحكومة يحاول المماطلة في المفاوضات حول المؤتمر الاقليمي، وانه لا يمكن التقدّم في العملية بهذا الشكل». وعلى حدّ قول هذه المصادر، فان الوزير بيكر طالب شامير برد على اقتراحاته خلال ٢٤ ساعة، لكن شامير تهرّب مدعياً: «عليّ ان اعقد جلسة للطاقم السياسي ـ الأمني لهذا الغرض»

(يديعوت احرونوت، ٢١/٤/١٩٩١).

وقال موظّف في حاشية الوزير بيكر، في موجز الى المراسلين في مدينة العقبة التي انتقل اليها الوزير الاميركي بعد انتهاء محادثاته في اسرائيل، ان المحادثات مع الزعماء الاسرائيليين حقّقت «تقدّماً ضئيلاً». وأضاف انه يجدر الافتراض ان الوزير بيكر لن يعود ثانية الى اسرائيل، اذا لم يتلق ردوداً مرضية على الاقتراحات التي طرحها خلال المباحثات (المصدر نفسه).

أمّا الاقتراحات التي طرحها الوزير بيكر، وربط بها عودته ثانية الى اسرائيل، في اطار رحلته الحالية لاستكمال ما بدأه من محادثات، فتتعلق بثلاثة مواضيع أساسية، شكّلت، منذ بداية التحرك الاميركي، محور الخلافات في وجهات النظر، وهي:

○ مشاركة الامم المتحدة والأسرة الاوروبية في المؤتمر الاقليمي: في اسرائيل هناك معارضة قاطعة لاشراك ممثّل عن الامين العام للامم المتحدة في المؤتمر. فالمشاركة تحوّل المؤتمر الى مؤتمر دولي، الأمر الذي يعارضه شامير بشدة.

○ استمرارية المؤتمر: أعربت اسرائيل عن استعدادها للاشتراك في جلسة افتتاحية واحدة للمؤتمر، على ان ترفع جلسات المؤتمر بعد ذلك، وينتقل المشاركون في المؤتمر الى مفاوضات مباشرة وثنائية. وكان الوزير بيكر وافق، عملياً، على الطلب العربي بأن يتحوّل المؤتمر الى اطار لمباحثات بين اسرائيل والدول العربية، حتى بعد الجلسة الافتتاحية.

○ موضوع مشاركة فلسطينيين من القدس الشرقية: قدّمت الولايات المتحدة الاميركية الى اسرائيل قائمة بأسماء شخصيات سوف تشارك في الوفد الفلسطيني الى المؤتمر. وتتضمّن القائمة أسماء مندوبين عن القدس الشرقية. وهذا ما تعارضه اسرائيل بشدة، لأن تلك المشاركة تتناقض مع موقفها الذي يستثني القدس الشرقية من نطاق مناطق الحكم الذاتي، الذي سوف يكون محور المباحثات مع الوفد الفلسطيني، أو الوفد الاردني - الفلسطيني (المصدر نفسه).

وقالت مصادر صحفية اسرائيلية، ان طابع ردود الحكومة الاسرائيلية على اقتراحات بيكر، مجتمعة أو منفردة، قد يؤدي الى وضع حدّ ونهاية للمبادرة الاميركية، وينقل الجهد السياسي الى الحلبة الدولية. وأضافت تلك المصادر، استناداً الى مقرّبين من رئيس الحكومة، انه على الاقل بصدد الرد سلباً على الاقتراحات المتعلّقة بطابع المؤتمر وتركيبته. وعلم، أيضاً، بأن بيكر ضمّن اقتراحاته ما يشبه التهديد بأن تتوقف الولايات المتحدة الاميركية عن معارضتها لتفعيل مجلس الامن الدولي، كما تطالب الأسرة الاوروبية (هآرتس، ٢١/٤/١٩٩١).

لكن الوزير بيكر سرعان ما تراجع عن تهديده بعدم العودة، اذا لم يتلق ردوداً عن اقتراحاته. فوفقاً لمصادر صحفية اسرائيلية، اتصل الوزير بيكر برئيس الحكومة الاسرائيلية، شامير، هاتفياً، لكي يبلغ اليه أمر عودته الى اسرائيل، ولكي يطمئنه، ويؤكد له، ان الولايات المتحدة الاميركية ليست بصدد ممارسة أية ضغوط على الحكومة الاسرائيلية (المصدر نفسه، ٢٢/٤/١٩٩١).

وقالت مصادر صحفية، نقلاً عن أوساط سياسية في واشنطن، ان الوزير بيكر محبط وخائب الأمل من احتمالات نجاحه، وانه كان بحاجة الى «جرعات تشجيعية» من جانب الرئيس بوش، لكي يواصل جهوده في المنطقة، حيث ان الرئيس مصمّم على استنفاد المسار السياسي حتى نهايته (المصدر نفسه، ٢٤/٤/١٩٩١).

واستعداداً لعودة بيكر ثانية، عقدت جلسة في مكتب رئيس الحكومة الاسرائيلية، شارك فيها كل من الوزيرين ليفي وارنس. وذكرت المصادر الصحفية انه لم تتخذ، في تلك الجلسة، أيّة قرارات بالنسبة الى الاسئلة - الاقتراحات التي قدّمها الوزير بيكر في ختام محادثاته مع المسؤولين الاسرائيليين، في جولة المحادثات الاولى. مع ذلك، هناك اتفاق في الرأي بين المسؤولين الثلاثة (شامير وليفي وارنس) على ضرورة اتخاذ موقف متصلّب بالنسبة الى مسألة مشاركة مندوب عن القدس الشرقية في عداد الوفد الفلسطيني (المصدر نفسه).

وكما في جولة محادثاته الاولى، استقبل بيكر، مجدّداً، بالاعلان عن اقامة مستوطنة جديدة باسم «تلمون - ب»، على بعد عشرة كيلومترات الى الشمال الغربي من رام الله. وذكرت المصادر الاسرائيلية

ان السفير الاميركي في اسرائيل قدّم احتجاجاً رسمياً في هذا الشأن الى الخارجية الاسرائيلية. امّا الوزير بيكر، الذي أُحيط علماً بذلك بينما كان لا يزال في سوريا، فقال: «لقد اصبنا بخيبة أمل كبيرة لدى سماعنا بنبأ اقامة مستوطنة جديدة في المناطق [المحتلة]. نحن نعتقد بأن الامر يثبت ان وضع العراقيل على طريق السلام، أسهل بكثير من العمل على التقدّم فيه. واقامة مستوطنة جديدة من المؤكد انها لا تساهم في جهود اولئك المعنيّين بتقدّم عملية السلام» (**المصدر نفسه**، ٢٥/٤/١٩٩١).

وعشية وصول بيكر الى اسرائيل ثانية، تضاربت المعلومات بشأن نتائج محادثاته في الدول العربية التي زارها. فبعض المصادر أكد ان بيكر اخفق في محادثاته، في الدول العربية، في شقّ الطريق واحراز أي تقدّم. وقالت مصادر سياسية في القدس انه اذا لم يحقق بيكر تقدّماً أيضاً في محادثاته مع المسؤولين الاسرائيليين، فمن المحتمل ان يقرّر التخلّي عن جهوده السياسية الحالية، واعادة النظر في الاستراتيجية الاميركية ازاء المسار السياسي (**دافار**، ٢٦/٤/١٩٩١). لكن مصادر مقرّبة من وزير الخارجية الاسرائيلية قالت ان الوزير بيكر قد أكد للوزير ليفي، لدى وصوله ثانية الى اسرائيل، انه عازم «على مواصلة الجهود لبلورة موقف مشترك مع اسرائيل». وانه يعتقد بأن هناك «أساساً للاستمرار في العمل، لدفع عملية السلام الى أمام» (**يديعوت احرونوت**، ٢٦/٤/١٩٩١). وقالت مصادر اميركية، عشية بدء جولة المحادثات الثانية بين الوزير بيكر والمسؤولين الاسرائيليين، ان الوزير بيكر يتوقّع تجاوباً ايجابياً من جانب شامير، في شأن المشاركة في مؤتمر سلام يعقد أكثر من جلسة افتتاحية واحدة. وأضافت هذه المصادر ان الوزير بيكر قد يعود للمرة الرابعة الى المنطقة، للقيام بجولة محادثات جديدة، خلال وقت قصير، أو على أبعد تقدير بعد جولة المحادثات التي سيجريها وزير الخارجية السوفياتية مع زعماء المنطقة (**المصدر نفسه**).

وقالت مصادر سياسية في القدس، ان شامير عازم على انتهاج تكتيك في محادثاته المرتقبة مع الوزير بيكر يقوم على أساس «قذف الكرة الى الملعب العربي». وأضافت هذه المصادر، ان شامير سوف يحاول تركيز المحادثات على نتائج جولة بيكر العربية، تهرّباً من تركيز المحادثات على الاقتراحات التي طلب الوزير بيكر ردّاً اسرائيلياً عليها (**دافار**، ٢٦/٤/١٩٩١).

وعبّر المدير العام لمكتب رئيس الحكومة الاسرائيلية، يوسي بن ـ اهارون، عن الاجواء غير المشجّعة للمحادثات المرتقبة، عندما حاول، في مقابلة مع التلفزة الاسرائيلية، «تخفيف مستوى التوقّعات»، قائلاً: «من يعتقد بأن انطلاقة مثيرة ستحصل، ربما اصيب بالاحباط. فكلّنا نعرف ان النزاع، موضوع البحث، هو نزاع صعب وطويل وعميق، وبضع رحلات مكوكية من عاصمة الى أخرى ليس بامكانها ان تحلّ المشكلة» (**المصدر نفسه**).

وقالت مصادر صحفية ان تمثيل سكان القدس الشرقية في الوفد الفلسطيني، والصلة بين الوفد ومنظمة التحرير الفلسطينية، سوف يبقيان «عقبة كأداء» أمام محاولات التوصل الى تنسيق اسرائيلي ـ اميركي. وقالت هذه المصادر ان هذين الموضوعين قد يكونا سبباً في توتّر الاجواء خلال المحادثات مع بيكر، وبخاصة اذا كان بيكر حقق بعض التقدّم في محادثاته مع القادة العرب (**المصدر نفسه**).

توقّف المحادثات

كما يبدو من التقارير الاسرائيلية عن مجرى المحادثات، بين الوزير بيكر وكل من شامير ووزيري الخارجية والدفاع، فقد اتّسمت تلك المحادثات بالتوتر، وكادت ان تتحوّل الى أزمة حقيقية في العلاقات بين واشنطن وتل ـ أبيب، لولا «العناية الالهية»، على حد تعبير المعلّق الصحفي عكيفا الدار، «التي مكّنت شامير من التهرّب من هذا الملحاح المسمّى جيمس بيكر. وانه لمثير للاهتمام ما كان سيقوله الوزير بيكر للمراسلين، لولا ان النبأ، المتعلّق بوفاة والدته، قطع اللقاء مع شامير وتسبّب في الغاء لقائه مع الوزير ارنس. وماذا كان سيضمّن تقريره المتفائل الذي أرسله الى الرئيس بوش، استناداً الى مظاهر المرونة التي ابداها الوزير ليفي في لقائه مع الوزير الاميركي. فالموقف المتعنّت الذي اتخذه شامير، على امتداد ثلاث ساعات من المداولات حول موضوع واحد، هو استمرارية

المؤتمر، يلقي ظلالاً باهتة جداً على التشخيص شبه المتفائل لاجواء المحادثات، الذي أطلقه الوزير بيكر بعيد انتهاء محادثاته مع الوزير ليفي» (هآرتس، ٢٨/٤/١٩٩١).

وعلى الرغم من ان المحادثات مع شامير لم تستكمل، فالمراقبون الاسرائيليون والاميركيون، على حدّ سواء، اتفقوا، في الرأي، على ان الوزير بيكر لن يسارع الى العودة الى المنطقة، وسوف يدرس بحرص شديد، مع الرئيس بوش، الفرصة المتبقية لعقد المؤتمر الاقليمي؛ وفي المقابل، امكان نقل معالجة النزاع الاسرائيلي ـ العربي الى الحلبة الدولية، أو اللجوء الى ممارسة الضغوط الاميركية (دافار، ٢٨/٤/١٩٩١).

من ناحية أخرى، اعربت مصادر في الليكود عن خشيتها من نشوء أزمة في عملية السلام وشرخ في العلاقات مع الولايات المتحدة الاميركية، وأزمة في العلاقات بين شامير ووزير خارجيته، في ضوء التناقض في المواقف التي اتخذها كل منهما في المحادثات مع الوزير بيكر، وبخاصة اعلان الخارجية الاسرائيلية، في أعقاب محادثات ليفي ـ بيكر، عن «ان اسرائيل ستكون مستعدة لأن تدرس، بايجابية، امكان دعوة المؤتمر الى الانعقاد ثانية بعد الجلسة الافتتاحية، للاطلاع على المستجدات في سير المفاوضات المباشرة بين اسرائيل والدول العربية والفلسطينيين، وانعقاد المؤتمر ثانية مشروط بموافقة اسرائيل المسبقة. وبأي حال من الاحوال، لن يعقد المؤتمر قبل ستة شهور من تاريخ الجلسة الافتتاحية» (هآرتس، ٢٨/٤/١٩٩١).

وفور صدور هذا البيان عن الخارجية الاسرائيلية، سارع مكتب شامير الى اصدار بيان مضاد، جاء فيه ان رئيس الحكومة الاسرائيلية يعارض، بشدة، كل الصيغ المتعلّقة باحتمال عقد المؤتمر الاقليمي مرة أخرى بعد الجلسة الافتتاحية (دافار، ٢٨/٤/١٩٩١).

ووفقاً للتقارير الصحفية الاميركية، فان رفض شامير للموقف المرن الذي أبداه الوزير ليفي، يعني انه لم يعد هناك أي احتمال، أو فرصة، لبدء مفاوضات بين اسرائيل والدول العربية (هآرتس، ٢٨/٤/١٩٩١). وقبل مغادرة الوزير بيكر لاسرائيل، قال ان هناك قضايا لم تردّ اسرائيل عليها بعد. وقالت الناطقة باسم الخارجية الاميركية: «ما زلنا بحاجة الى بعض الردود من حكومة اسرائيل، تتعلّق، بالأساس، بأمور اجرائية قبل ان يصبح بامكاننا التقدّم في العملية السياسية» (المصدر نفسه).

وعلى الرغم من ان العديد من المراقبين، والمراسلين، لا ينكر ان خيبة أمل بيكر كانت كبيرة، الاّ ان بعضهم الآخر توقّع ان يستمر الوزير بيكر في جهوده، وبخاصة ان قطع محادثاته مع شامير بسبب وفاة والدته يشكّل ذريعة مقبولة لمواصلة جهوده من خلال القيام بجولة رابعة من المحادثات (المصدر نفسه).

الجولة الرابعة

خلافاً لتوقّعات بعض المراقبين، فان اخفاق بيكر في جولته الثالثة على دول المنطقة في تقريب وجهات النظر بين العرب واسرائيل، لم يؤد الى ايقاف التحرّك السياسي الاميركي، او الى نقل موضوع النزاع الى الحلبة الدولية، وفقاً لما نسبته وسائط الاعلام الاسرائيلية الى الوزير بيكر من تهديدات بفعل ذلك. فالأزمة التي توقّعها البعض في العلاقات الاسرائيلية ـ الاميركية لم تحصل. والرئيس بوش ووزير خارجيته لم يستسلما. فقد أكد الرئيس بوش، خلال لقاء غير رسمي بزعيم حزب «العمل» الاسرائيلي، شمعون بيرس، انه مصمّم عل ايفاد وزير خارجيته، المرة تلو الأخرى، الى المنطقة، حتى لو لم يحقق بيكر أي نجاح في زيارته الجديدة الى المنطقة (المصدر نفسه، ١٠/٥/١٩٩١). وكانت مصادر صحفية اسرائيلية ذكرت ان الوزير بيكر سيصل اسرائيل بتاريخ ١٤/٥/١٩٩١، في اطار جولة رابعة على دول المنطقة (المصدر نفسه، ٧/٥/١٩٩١).

وقالت مصادر مطلعة، في واشنطن، ان جولة بيكر الرابعة هي بمثابة محاولة أخيرة من جانبه، لتسوية الخلافات المتعلّقة باطار المؤتمر المقترح (المصدر نفسه).

وكما في المرّات السابقة، ففي هذه المرة أيضاً توالت حرب التصريحات بين الجانبين، الاميركي والاسرائيلي، استعداداً للمحادثات بين الطرفين.

ففي كلمة القاها في الاحتفال المركزي بـ «يوم القدس»، قال شامير: «هناك اجماع قومي في موضوع القدس. اننا لن نتخلّى فقط عنها، بل أيضاً لن نتخلّى عن أي جزء من اجزاء ارض ـ اسرائيل؛ ولا وجود لأرض ـ اسرائيل الاّ اذا كانت كاملة، وكلها قدسية» (**يديعوت احرونوت**، ١٣/٥/١٩٩١).

من جهته، قال وزير الدفاع الاسرائيلي، ارنس، في مناسبة أخرى: «اذا كان الحديث يدور عن الضغوط السياسية التي قد نواجهها، فان العامل الذي قد يعزز موقف السياسيين ومديري المفاوضات السياسية أكثر من أي شيء آخر، في هذه الايام، هو الاستيطان الواسع والكبير الذي جلب أكثر من مئة ألف يهودي الى يهودا والسامرة». وأضاف ارنس: «ان وقع ذلك أقوى من أي تنظير، أو ادّعاء سياسي» (**المصدر نفسه**).

في المقابل، قال الوزير بيكر للمراسلين الذين رافقوه من دمشق الى القاهرة، في أعقاب محادثاته مع الرئيس الأسد: «كما يبدو، فقد انتهى كل شيء. فالأسد متصلّب أكثر، واسرائيل لا تقدّم أية مساعدة» (**المصدر نفسه**). وأضاف موظف كبير في حاشية الوزير بيكر، ان سوريا واسرائيل بعيدتان من بعضهما كل البعد، في ما يتعلّق بالجوانب الاجرائية الاساسية للمؤتمر، مثل مشاركة الامم المتحدة واستمرارية المؤتمر (**المصدر نفسه**). ووصفت مصادر اسرائيلية الاجواء عشية بدء المحادثات بين بيكر وشامير، فقالت: «في جوّ من الاحساس بالاخفاق في المحادثات الساعية الى عقد المؤتمر الاقليمي، يجتمع، اليوم، الوزير بيكر الى رئيس الحكومة اسحق شامير ووزير الدفاع موشي ارنس» (**المصدر نفسه**، ١٥/٥/١٩٩١). وقال المعلّق الصحفي، شمعون شيفر، انه «اذا اتضح غداً ان بيكر نجح في ردم الهوّة القائمة بين موقفي شامير والرئيس الاسد، فهذا يعني اننا كنّا شهوداً على احدى أكبر عمليات التضليل في الدبلوماسية الدولية في السنوات الاخيرة؛ وذلك لأن الاجواء التي خلقتها حاشية الوزير بيكر في الساعات الاربع والعشرين الماضية، تتحدث عن طريق مسدود، وعن اخفاق تامّ» (**المصدر نفسه**).

وقالت مصادر اميركية مقرّبة من حاشية بيكر، ان بيكر آت الى اسرائيل يغمره احساس وادراك بأن شامير لا ينوي تليين مواقفه في الموضوعين الرئيسين اللذين يعترضان طريق عقد المؤتمر الاقليمي: مشاركة الامم المتحدة، وتحويل المؤتمر الى مؤتمر متواصل الانعقاد. وأكدت هذه التقديرات مصادر في مكتب شامير، فقالت ان رئيس الحكومة لا ينوي ابداء أية مرونة في هذين الموضوعين، بشكل يمنح بيكر طرف خيط، امتنع الرئيس السوري عن منحه اياه (**المصدر نفسه**).

مع ذلك، قال الرئيس بوش، عشية بدء المحادثات بين بيكر والزعماء الاسرائيليين، انه «ما زال هناك مكان للتفاؤل»، بالنسبة الى العملية السياسية في الشرق الاوسط، وانه ليس محبطاً من نتائج اتصالات الوزير بيكر. ونفى بوش، في ردّه على سؤال، ان يكون الوزير بيكر قد فشل: «لا أقول انه اخفق؛ بل هناك صعود وهبوط في هذا المسار. ودائماً كانت الامور هكذا» (**المصدر نفسه**).

وذكرت مصادر اسرائيلية ان بيكر عقد ثلاث جلسات عمل مع الطاقم الاسرائيلي، برئاسة شامير. وخلافاً للمرات السابقة، لم تكن اللقاءات بين بيكر وكلٍّ من شامير وارنس وليفي على انفراد. وأضافت تلك المصادر، في أعقاب جولة محادثات اليوم الاول، ان هناك امكاناً لمرونة ما في المواقف الاسرائيلية، عند مواصلة المحادثات بين الجانبين في اليوم التالي (**عل همشمار**، ١٦/٥/١٩٩١). لكن مصدراً في مكتب المتحدث باسم رئيس الحكومة قال، في أعقاب المحادثات بين الجانبين: «ان موقف الحكومة الاسرائيلية في المحادثات لم يتغيّر». بينما قال الوزير ليفي: «أنا متفائل. وبالنسبة الى العرب، فعليهم ان يثبتوا اذا كانت رغبتهم في السلام صادقة» (**المصدر نفسه**). وقال المتحدث باسم رئيس الحكومة ان طاقمي عمل من الجانبين، عكفا، حتى ساعة متأخّرة من يوم المحادثات الاول، على تحديد المجالات التي يوجد تفاهم في شأنها، والنقاط التي لا تزال موضع خلاف (**هآرتس**، ١٦/٥/١٩٩١).

وتضاربت التقديرات بالنسبة الى نتائج المحادثات بين الطرفين في اليوم الثاني، وبالنسبة الى اجمال نتائج جولة بيكر الرابعة بشكل عام. «فطاقم الوزراء الاسرائيلي، برئاسة شامير، الذي اجرى اتصالات مع الوزير بيكر على امتداد أربع ساعات متواصلة، أشار الى انه تمّ، في الاتصالات

السياسية، تحقيق تقدّم كبير. في المقابل، قال بعض المراقبين والمعلّقين السياسيين، ان بيكر أخفق في جهوده الهادفة الى ردم الهوّة بين مواقف اسرائيل والمواقف العربية» (**يديعوت احرونوت**، ١٧/٥/١٩٩١). وقال مصدر صحفي اسرائيلي انه علم من أوساط مقرّبة من المحادثات ان الوزير بيكر هدّد، غير مرة، بمغادرة الجلسة، وانه طلب من مضيفيه الاسرائيليين ان يكونوا جادّين أكثر: «اذا كنتم غير معنيين بالمسار، فلتقولوا لي ذلك الآن، لأن لديّ اموراً أكثر أهمية يتوجّب عملها، وأنا على استعداد للذهاب» (**المصدر نفسه**).

من ناحية أخرى، أبرز بعض المصادر موافقة اسرائيل على تسمية المؤتمر «مؤتمر السلام»، وليس «المؤتمر الاقليمي»، وموافقتها، أيضاً، على منح دور للأسرة الاوروبية في المؤتمر، على انه مؤشر الى احراز تقدّم في المحادثات بين بيكر والقيادة الاسرائيلية، على الرغم من ان الخلافات بالنسبة الى موضوع مشاركة الامم المتحدة واستمرارية المؤتمر بقيت على حالها (**هآرتس**، ١٧/٥/١٩٩١). وقال رئيس الحكومة الاسرائيلية انه تمّ، في المحادثات بين الجانبين، التوصّل الى عدد من نقاط التفاهم التي تمكّن من مواصلة العملية السياسية. لكنه رفض الخوض في تفاصيل تلك النقاط (**عل همشمار**، ١٧/٥/١٩٩١).

هاني العبدالله

«عملية سليمان» وأزمة الاستيعاب

خلال يومي الجمعة والسبت، ٢٤ و٢٥/٥/١٩٩١، نفّذ سلاح الجو الاسرائيلي وشركة «العال» للطيران عملية نقل جوية ضخمة تمّ، خلالها، نقل حوالى ١٥٤٠٠ يهودي اثيوبي من العاصمة الاثيوبية، اديس ابابا، الى مطار بن ـ غوريون قرب اللد. وكانت الحكومة الاسرائيلية مهّدت لهذه العملية، التي أُطلق عليها اسم «عملية سليمان»، بسلسلة من الاتصالات المكثّفة مع الرئيس الاثيوبي السابق، منغستو هيلا مريام، وأعوانه، لعبت الادارة الاميركية فيها دوراً حسّاساً وحاسماً، ورافقتها أنباء شبه مؤكدة عن صفقة مالية ـ سياسية مع النظام الاثيوبي المنهار والثوار المتمردين عليه. وتأتي هذه العملية لتعطي زخماً جديداً لجهود تل ـ أبيب في مجال حثّ يهود العالم على الهجرة الى اسرائيل، خاصة وان تدفّق اليهود السوفيات الكثيف بدأ يشهد، مؤخراً، تراجعاً ملحوظاً.

وعلى الرغم من الضجيج الاعلامي الذي تثيره الولايات المتحدة الاميركية بشأن معارضتها سياسة الاستيطان الاسرائيلية، الّا ان دورها الفعّال في «عملية سليمان» يقدّم دليلاً جديداً على مستوى التنسيق الحيوي بين واشنطن وتل ـ أبيب في مختلف المجالات العملية. فالمهاجرون الجدد لا بدّ لهم، في النهاية، من أماكن سكن، سواء أكانت هذه الاماكن ضمن حدود ١٩٤٨، أو ١٩٦٧، أو حتى ١٩٨٢، فالنتيجة دائماً تكثيف الوجود الصهيوني على أرض فلسطين والاراضي العربية المحتلة.

خلفية تاريخية

تعدّدت الروايات بشأن الاصول الاثنية للطائفة اليهودية في الحبشة، التي أطلق المسيحيون عليها اسم «الفلاشا»، أي الغزاة. ويشير التراث المتداول بينهم الى ان الاعداد الاولى منهم وصلت شمال اثيوبيا بعد خراب الهيكل الاول مع الجماعات اليهودية التي لجأت الى مصر بقيادة النبي يرمياه، وأطلق عليهم حينذاك لقب «العبيد». وأوردت رواية أخرى ان يهود اثيوبيا هم سلالة الملك سليمان وبلقيس ملكة سبأ، التي تولّى ابنها منليك عرش الحبشة، وامتزجت في عهده المفردات العبرية مع اللغة الامهرية، وهي لغة سامية قديمة؛ في حين أوردت رواية ثالثة ان يهود اثيوبيا هم احفاد قبيلة «دان» المفقودة. الّا ان الرأي الارجح، حسب اعتقاد الباحث المتخصص في تاريخ الطائفة اليهودية في اثيوبيا، اهرون كوهين، يشير الى الاصول المصرية، من جانبها الجنوبي الغربي، واليمنية التي لجأت الى اثيوبيا خلال السنوات المئة الاولى من التاريخ الميلادي. ويعزّز هذا الرأي القرب الجغرافي بين ميناءي عدن وأسمره، بالاضافة الى التشابه الكبير في الملامح والطبائع والعادات الاجتماعية، والتقاليد، الدينية بين الطائفتين (هآرتس، ٢٦/٥/١٩٩١).

كانت الاتصالات بين يهود اثيوبيا وبقية الطوائف اليهودية في العالم شبه مقطوعة حتى منتصف القرن التاسع عشر تقريباً، عندما وصل القدس، في العام ١٨٥٥، المدعو دانيئيل بن ـ حانينا من مدينة غوندار في شمال اثيوبيا. ويبدو ان هذه الزيارة أثارت اهتمام الطائفة الحريدية (المتزمّتة) من يهود فلسطين، وتخوّفها من تزايد نشاط البعثات التبشيرية المسيحية بين يهود اثيوبيا. وعلى الاثر، بدأ المبعوثون اليهود يصلون الحبشة لاعادة الروابط مع الطائفة اليهودية هناك، وكان أبرزهم الحاخام كوك. وعندما تولّى الامبراطور السابق هيلاسيلاسي عرش اثيوبيا، في العام ١٩٣٠ ـ وهو الملقّب «أسد يهودا» ـ ازدهرت أحوال الطائفة اليهودية، وازداد عدد المدارس الدينية بين صفوفها، وتعزّزت روابطها مع الييشوف اليهودي في فلسطين (المصدر نفسه).

بدايات الهجرة الى فلسطين

في أوائل العام ١٩٥٥، وصلت اسرائيل

المجموعة الاولى من المهاجرين من يهود اثيوبيا، وكانت تضمّ ١٢ شاباً، تتراوح أعمارهم ما بين ١١ و١٧ عاماً. وأقامت هذه المجموعة في المركز التربوي الديني «كفار باتيا»، بالقرب من رعنانا، وذلك بهدف اعادة أفرادها، بعد عامين تقريباً، الى اثيوبيا للعمل على تدريب، وتأهيل، ابناء الطائفة اليهودية هناك. وبعد وصول مجموعة ثانية مشابهة في العام ١٩٥٦، توقّف هذا النشاط، فيما تابعت منظمات يهودية عالمية، مثل «النداء اليهودي الموحّد» (الجوينت) العمل في أوساط الطائفة اليهودية الاثيوبية. وكان من أبرز الشخصيات، في هذا المجال، القاضي نورمان بنتويتش، الذي زار اثيوبيا، في بداية العام ١٩٦١، مندوباً لـ «النداء اليهودي الموحّد» والمؤتمر اليهودي العالمي، والتقى هناك بالامبراطور هيلاسيلاسي، وعرض عليه مشاريع عدة لتحسين احوال الطائفة اليهودية في اثيوبيا. وكان بنتويتش لعب دوراً أساسياً في ترسيخ الانتداب البريطاني في فلسطين وخدمة أهداف الييشوف اليهودي وبرنامجه الصهيوني، وذلك بتولّيه مسؤولية الادعاء العام خلال عهد المندوب السامي البريطاني الاول في فلسطين، هربرت صموئيل، وبعده (١٩٢٠ - ١٩٣١). وفي الاربعينات، تقرّب بنتويتش من النظام الحاكم في اثيوبيا، خاصة في اثناء لجوء الامبراطور السابق هيلاسيلاسي الى فلسطين، خلال الحرب العالمية الثانية.

ومع سقوط هيلاسيلاسي عن عرش «أسد يهودا» وتولّي منغستو هيلا مريام السلطة في اديس ابابا، في العام ١٩٧٤، بدأت اسرائيل ترفع الاحتجاجات وصرخات الاستغاثة لانقاذ يهود اثيوبيا من قسوة النظام الماركسي الجديد، واضطهاده لهم. هذا مع العلم ان «يهودية» الطائفة اليهودية في اثيوبيا كانت دائماً موضع شك وانكار في بعض الاحيان، الى ان «اعترف» بهم الحاخام الاكبر الاول في صهيون، عوفاديا يوسف، في العام ١٩٧٣، الامر الذي مهّد الطريق أمامهم للهجرة الى اسرائيل بحسب ما يسمّى «قانون العودة».

ومع تسلّم مناحيم بيغن رئاسة الحكومة الاسرائيلية، في العام ١٩٧٧، كثّفت تل - أبيب ضغوطها على حكومة الرئيس منغستو للسماح بهجرة اليهود من اثيوبيا؛ وعزّزت هذه الضغوط بصفقات من الاسلحة المتنوّعة، كما اعترف بذلك وزير الخارجية، آنذاك، موشي دايان، في شباط (فبراير) ١٩٧٨. ولكن هذه الجهود لم تثمر كثيراً. وعلى اثر تصريح دايان، توقّفت الهجرة تماماً، الامر الذي دفع رئيس الحكومة، بيغن، الى ممارسة اسلوبه المفضل: الدبلوماسية السرية.

وما لبثت هذه الدبلوماسية ان أثمرت، بحيث بلغ عدد اليهود المهاجرين من اثيوبيا الى اسرائيل، خلال الفترة ١٩٨١ الى أيلول (سبتمبر) ١٩٨٤، حوالى سبعة آلاف، كان نصفهم تقريباً دون سن الثامنة عشرة. ومع تردّي الاحوال المعيشية والصحية والامنية، في أواخر العام ١٩٨٤، سارعت الحكومة الاسرائيلية الى المبادرة لتنفيذ «عملية موسى» ضمن أجواء من السرية، والتكتّم الذي ما زال حتى الآن يحيط بالكثير من تفاصيلها. ونجحت هذه العملية، خلال شهور قليلة، في نقل حوالى ٧٥٠٠ مهاجر من اثيوبيا الى اسرائيل، من أصل حوالى عشرة آلاف تجمّعوا في معسكرات خاصة بهم، في جنوب السودان، وقضى الباقون نحبهم نتيجة المرض والجوع والظروف المعيشية القاسية. ولكن «سرية» هذه العملية لم تدم طويلاً، حيث بدأت الصحافة العالمية تتحدث عن صفقة مالية ضخمة بين الحكومة الاسرائيلية والنظام الحاكم في السودان، الامر الذي أدّى الى وقف «عملية موسى»، من جهة، في كانون الثاني (يناير) ١٩٨٥، وتخلّي الرئيس جعفر نميري عن الحكم ولجوئه الى القاهرة، من جهة أخرى.

تباطأت هجرة اليهود من اثيوبيا الى اسرائيل، ولكنها لم تتوقف. واستغل منغستو هيلا مريام ومستشاره كاسا كبادا (الذي يتقن العبرية) حرص تل - أبيب وحاجتها الى جلب المزيد من المهاجرين لكي يبتز السلاح والمعدّات العسكرية التي يحتاجها لدعم نظامه والدفاع عنه في وجه الثوار والمتمردين. وفي النهاية، بلغ عدد المهاجرين اليهود من اثيوبيا، منذ العام ١٩٥٥، وحتى البدء بـ «عملية سليمان»، حوالى ١٧ ألف مهاجر (**دافار وعل همشمار**، ١٩٩١/٥/٢٦).

«عملية سليمان»: التحضير والتنفيذ

بعد شهور عديدة من الاستعدادات

والاتصالات وراء الكواليس، أعطت الحكومة الاسرائيلية، بتاريخ ٢٢/٥/١٩٩١، الضوء الاخضر لتنفيذ «عملية سليمان»، التي استهدفت نقل حوالى ١٥ ألف يهودي من اثيوبيا الى اسرائيل، بواسطة جسر جوي استمر ما يقارب خمساً وثلاثين ساعة متواصلة، يومي الجمعة والسبت، ولم تعترض الحاخامية العليا، خلالها، على انتهاك حرمة السبت. وكان سبق هذا القرار اتصالات حثيثة، سرية، بين المسؤولين الاسرائيليين والنظام الحاكم في اثيوبيا، آنذاك، شاركت فيها، أيضاً، الادارة الاميركية بشكل فعّال وحاسم.

بدأ التحضير الجادّ للعملية مع بداية نيسان (ابريل) الماضي، مع تداعي نظام منغستو هيلا مريام، تحت ضربات المتمردين على حكمه. عندها اتخذت الحكومة الاسرائيلية قراراً مبدئياً بضرورة القيام بعملية واسعة النطاق من أجل انقاذ يهود الحبشة، خوفاً من تعرّضهم لحملات معادية من المتمردين، في حال استيلائهم على الحكم، واختار رئيس الحكومة، اسحق شامير، منسّق الاعمال الاسرائيلية في جنوب لبنان، اودي لوبراني، ليتولّى عملية الاتصال بالنظام الاثيوبي. وجاء قرار شامير هذا على خلفية المعرفة الواسعة التي يتمتّع بها لوبراني في شؤون اثيوبيا، نتيجة عمله سفيراً لاسرائيل في اديس ابابا، وعلاقاته الوثيقة بمساعدي الرئيس منغستو. في هذه الاثناء، وصل مدير عام دائرة الهجرة في الوكالة اليهودية، ارنون منتفار، سراً الى اثيوبيا، لاجراء تدريب عملي لتجميع اليهود في مبنى السفارة الاسرائيلية، تمهيداً لترحيلهم.

وتبيّن من المحاولة التجريبية الاولى ان الامر يحتاج الى حوالى ست ساعات من أجل استدعاء ١٥ ألف يهودي متجمّعين في العاصمة منذ بضعة شهور، هرباً من أماكن اقامتهم الاصلية في اقليم غوندار، في شمال الحبشة. وكانت منظمة «الجوينت» العالمية والوكالة اليهودية تتوليان تأمين معيشتهم في العاصمة الاثيوبية من خلال القنصل الاسرائيلي، ميخا فيلدمان. وحفاظاً على سرية العملية، أبقى مبعوثو الوكالة اليهودية، وجميعهم من المهاجرين القدامى من اثيوبيا ويتحدثون الامهرية بطلاقة، الهدف الحقيقي لاستدعاء اليهود في اديس ابابا خافياً عنهم. الّا ان تل ـ أبيب لم تكن، على ما يبدو، واثقة من فعالية هذه الاجراءات الخاصة، وبالتالي لجأت الى تجنيد الجهود الاميركية.

توجّه رئيس اللجنة التنفيذية في الوكالة اليهودية، سيمحا دينيتس، الى واشنطن، وأجرى محادثات مع مستشار الامن القومي في البيت الابيض، بريانت سكوكروفت. وبنتيجة هذه المحادثات، قرر الرئيس الاميركي، جورج بوش، ارسال عضو الكونغرس السابق، رودي بوشفيتس، الى اثيوبيا، حاملاً رسالة خاصة من بوش الى الرئيس الاثيوبي. الّا ان محاولات بوشفيتس جوبهت بطلبات متشدّدة من جانب حاكم اثيوبيا. فقد طرح الرئيس الاثيوبي، الذي أدرك أهمية الطائفة اليهودية عنده كورقة مساومة، شروطاً عدة لمنح موافقته على السماح لليهود بمغادرة اثيوبيا. وتلخّصت شروطه بطلب مساعدات عسكرية ومالية من الولايات المتحدة الاميركية، الامر الذي أدّى الى توقّف الوساطة الاميركية. الّا ان الرئيس منغستو لم يغلق الباب نهائياً، واستمر في السماح لحوالى ٥٠٠ يهودي شهرياً بمغادرة بلاده، ضمن اطار «جمع شمل» العائلات. في هذه الاثناء أيضاً، التقى المبعوث الاميركي زعماء المتمردين في اثيوبيا، الذين كانت تأمل واشنطن في انتصارهم على النظام القائم، وذلك لضمان موافقتهم على مغادرة اليهود، في حال تولّيهم السلطة.

كان مسرح العمليات الاسرائيلي، في هذا الوقت، يشهد مشاركة فعّالة من الجهاز العسكري ممثلاً برئيس الاركان، ايهود براك، ونائبه امنون شاحاك. وقد أوصت قيادة أركان الجيش الاسرائيلي بعدم تنفيذ العملية الّا بعد الحصول على موافقة السلطات الاثيوبية، مؤكدة استحالة هبوط، واقلاع، عشرات الطائرات بصورة متواصلة من مطار اديس ابابا بدون موافقة السلطات المعنيّة. وخلال هذه المناقشات، التي ادارها رئيس الحكومة بنفسه، طرحت امكانية قيام طائرات «العال» وشركات طيران أجنبية أخرى بتنفيذ العملية، الّا ان الرأي السائد رجّح، في النهاية، تولّي سلاح الطيران، بمشاركة «العال»، مهمة التنفيذ.

مع اقتراب الموعد المقرّر، حرصت اسرائيل على القاء ستار من التعتيم الكامل على استعداداتها النهائية. وتوجّهت نائبة وزير العلوم عضو

الكنيست غيئولا كوهين (هتحياه)، في مطلع أيار (مايو)، بطلب الى رئيس الحكومة لفرض رقابة عسكرية على جميع الانباء المتعلّقة بأوضاع اليهود في اثيوبيا. وذكرت كوهين، التي كانت قامت بزيارة لاثيوبيا قبل بضعة شهور، تبريراً لهذا الطلب، ان التغطية الاعلامية الواسعة لكل ما يتعلّق بيهود اثيوبيا يثير غضب السلطات في اديس ابابا، ويعرقل، بالتالي، المفاوضات الدائرة، بهدف نقل اليهود الى اسرائيل. وأيّد سيمحا دينيتس هذا الطلب أيضاً؛ وبالتالي، شملت الرقابة، التي كانت ملحوظة قبل ذلك أيضاً، جميع الانباء المتعلّقة بعمليات الثوار والمتمردين، اضافة الى انباء المفاوضات الجارية بين اسرائيل واثيوبيا.

في هذه الاثناء، تدهورت الاوضاع السياسية والعسكرية في اثيوبيا مع تقدّم قوات المتمردين باتجاه اديس ابابا، الى حدّ دفع الرئيس منغستو الى مغادرة البلاد والتوجّه الى زيمبابوي، بتاريخ ١٩٩١/٥/٢١، طالباً اللجوء السياسي. وعلى الفور، انتقلت الاستعدادات الاسرائيلية الى حيّز التنفيذ. وشهد مكتب رئيس الحكومة اجتماعات متواصلة حضرها كل من وزير الدفاع، موشي ارنس، وبراك وشاحاك، ووزير الخارجية، دافيد ليفي، ومدير عام الخارجية رؤوفين مرحاف. وشارك في هذه الاجتماعات، أيضاً، وزير البناء والاسكان، اريئيل شارون، بصفته رئيس اللجنة الوزارية لشؤون الاستيعاب، ومسؤولو الوكالة اليهودية الذين عُهد اليهم، اضافة الى متابعة الاهتمام بشؤون اليهود في اثيوبيا، اعداد وتنفيذ الاجراءات اللوجستية اللازمة لتأمين نقل المهاجرين اليهود من مطار بن ـ غوريون الى مراكز الاستيعاب المتعدّدة التي أُقيمت لهم.

وعلى الرغم من اتخاذ الحكومة الاسرائيلية، بتاريخ ١٩٩١/٥/٢٢، قرارها، بالاجماع، بخصوص تنفيذ «عملية سليمان»، الّا ان المفاوضات في اديس ابابا بين اوري لوبراني والسفير الاسرائيلي آشر نعيم، من جهة، والرئيس الفعلي لاثيوبيا تسافيا غابرا كيدان، من جهة أخرى، لم تكن قد توصّلت الى نتيجة حاسمة بعد. ولكن الاتفاق تحقق في اليوم التالي، وأُخطر كل من رئيس الحكومة ووزير الخارجية الاسرائيليين بذلك. وعلى الاثر، قرّر وزير الدفاع ورئيس الاركان ارسال نائب رئيس الاركان الى اديس ابابا لتولّي مسؤولية التنفيذ. وفي تمام الساعة ٤:٤٥ من بعد ظهر الجمعة ١٩٩١/٥/٢٤، هبطت أول طائرة تحمل مهاجرين يهوداً من اثيوبيا في قاعدة عسكرية قرب مطار بن ـ غوريون، وكان في استقبالها كبار المسؤولين الاسرائيليين، وفي مقدّمهم رئيس الحكومة (هآرتس ويديعوت احرونوت، ١٩٩١/٥/٢٦).

صفقة سياسية ـ مالية ـ عسكرية

أثارت الظروف السياسية، والعسكرية، في اثيوبيا، التي رافقت تنفيذ «عملية سليمان» سلسلة من التكهّنات بشأن صفقة متعددة الجانب قد تكون اسرائيل توصّلت اليها مع نظام منغستو المنهار، أو مع المتمردين، من أجل اتمام العملية. وفي مؤتمر صحافي عقدته الحكومة الاسرائيلية يوم السبت، بتاريخ ١٩٩١/٥/٢٥، حضره كبار المسؤولين فيها، تطرّق لوبراني الى أسئلة الصحافيين بهذا الخصوص، وبالتحديد عمّا اذا كانت اسرائيل منحت لجوءاً سياسياً لشخصيات معيّنة من معاوني منغستو، من بينهم كبير مستشاريه كاسا كبادا، فرفض تأكيد هذه المعلومات، أو نفيها، مكتفياً بالقول انه لن يتناول، في حديثه، شخصيات من هذا المستوى ممّن أجرى معهم الاتصالات المكثّفة في اثيوبيا (تبيّن فيما بعد ان كبادا وصل، فعلاً، الى اسرائيل مع «عملية سليمان»، لينتقل بعدها الى الولايات المتحدة الامريكية) (هآرتس، ١٩٩١/٥/٢٩). كما رفض وزير الخارجية الاسرائيلية، دافيد ليفي، التعليق على الانباء التي تناقلتها وسائل الاعلام الاميركية بأن اسرائيل دفعت لحكومة اثيوبيا، التي لم تكن قد سقطت بعد تحت ضربات المتمردين، مبلغ ٣٥ مليون دولار مقابل السماح بمغادرة اليهود. وأوضح لوبراني انه لم تتمّ اية اتصالات مباشرة بين اسرائيل والمتمردين الاثيوبيين، مضيفاً «ان أي اتصال مباشر مع المتمردين كان من شأنه ان يربك اتصالاتنا مع النظام الحالي. الّا ان الولايات المتحدة الاميركية احتفظت بعلاقات مع المتمردين؛ وفي هذا المجال، عملت واشنطن كصلة وصل فعّالة بالنسبة الينا، من أجل معرفة ما يجرى في صفوف تنظيمات الثوّار؟ وماذا يريدون منّا؟ وما هو الدور الذي يمكنهم القيام به من أجلنا؟» أمّا وزير الخارجية، ليفي، فقد

أضاف ان اسرائيل «لن ترتاح، ولن تهدأ، حتى تتمكّن من احضار الاعداد المتبقية من اليهود الاثيوبيين اليها. تلك سيمفونية لم تنته بعد».

من جهته، أوضح رئيس الاركان، الجنرال ايهود براك، انه لم يحصل أي تعاون مع الجيش الاثيوبي. وأضاف: «كان هناك تنسيق ازاء تنفيذ العملية والاجراءات في المطار التي أشرفت عليها ونفّذتها هيئة من الضباط، برئاسة نائب رئيس الاركان اللواء امنون شاحاك. وأكد ان الجنود الاثيوبيين لم يتدخلوا، اطلاقاً، طوال فترة تنفيذ العملية. وقال ان الجيش الاسرائيلي اتخذ الاجراءات اللازمة، لكي لا تتسبب الدول المطلة على البحر الاحمر في تشتيت الطيران الاسرائيلي الكثيف والمتواصل عبر هذا البحر، من الجنوب الى الشمال. والمقصود، هنا، الى جانب اثيوبيا، السودان ومصر واليمن والعربية السعودية والاردن.

بدوره، تحدث وزير الدفاع، موشي ارنس، الذي أكد ان المساعي لاحضار يهود اثيوبيا كانت بدأت في عهد رئيس الوزراء السابق مناحيم بيغن، وان مجموعة من ضباط الجيش الاسرائيلي كانت موجودة في اثيوبيا منذ حوالى شهرين للاشراف على الاستعدادات النهائية.

وتحدث لوبراني عن دوره في هذه العملية، فقال ان شامير طلب منه، في أيلول (سبتمبر) الماضي، تقصّي أسباب توقّف الهجرة من اثيوبيا. وكان الرئيس الاثيوبي منغستو وصل سراً اسرائيل قبل حوالى السنة، طالباً مساعدات عسكرية من شامير لنظام حكمه المهدّد بالسقوط على أيدي الثوار والمتمرّدين. وذكرت المصادر الاسرائيلية ان شامير رفض الموافقة على منحه أية مساعدات عسكرية، عارضاً، في الوقت عينه، تقديم مساعدات اقتصادية، وزراعية. وكرّر الرئيس الاثيوبي المطالب ذاتها لدى لقائه لوبراني سراً في اديس ابابا، وطوال ٢٦ ساعة من اللقاءات الفردية، مع تأكيده، باستمرار، عدم وجود أي ارتباط بين حصوله على هذه المساعدات والسماح ليهود اثيوبيا بالهجرة الى اسرائيل. وازاء اصرار شامير على عدم الاستجابة لطلبات الرئيس منغستو العسكرية، حرصاً منه، على ما يبدو، على المحافظة على خلفية جيّدة للعلاقات مع الثوار مستقبلاً، توقّفت هجرة اليهود تماماً من اثيوبيا الى حين هروب الرئيس منغستو المفاجىء في ٢١/٥/١٩٩١. ومنذ ذلك الحين، بدأ تنفيذ مخططات ترحيل اليهود من اثيوبيا قبل ان يتمكن الثوار من احكام السيطرة تماماً على العاصمة اديس ابابا، وعلى اثيوبيا بكاملها. وفي هذه المرحلة بالذات، كان دور الولايات المتحدة الاميركية حاسماً، حيث انها الدولة العظمى الوحيدة التي كانت قادرة على التحدث مع طرفي الصراع في اثيوبيا (**معاريف**، ٢٦/٥/١٩٩١).

واشنطن ودور «الأخ الأكبر»!

أكدت جميع المصادر في اسرائيل ان مندوبي الادارة الاميركية قاموا بدور أساسي وحاسم في سبيل التوصّل الى اتفاق مع رئيس اثيوبيا «الفعلي»، تسافيا غابرا كيدان، بعد هروب هيلا مريام، وأتت المشاركة الاميركية هذه أساساً من الاهمية الخاصة التي أولاها الرئيس بوش شخصياً لـ «عملية سليمان»، وذلك نتيجة الدور الذي لعبه في العام ١٩٨٤، كنائب للرئيس الاميركي، رونالد ريغان، آنذاك، في انجاح «عملية موسى» التي نقلت حوالى سبعة آلاف يهودي من اثيوبيا الى اسرائيل. وقد أوضحت الادارة الاميركية، عبر ممثليها في اديس ابابا، لكل من رجال النظام الاثيوبي، والمتمردين عليه، ان «مؤتمر لندن»، المعتزم عقده خلال أيام قليلة، قد يصبح لاغياً، ما لم توافق الاطراف المعنيّة على خروج جميع اليهود من اثيوبيا. في هذه الاثناء، أيضاً، كشفت شبكة الاخبار التلفزيونية الاميركية *C.N.N.*، نقلاً عن نائب الناطق بلسان الجيش الاسرائيلي في اديس ابابا، قوله ان اسرائيل اضطرت، في اللحظة الاخيرة، الى دفع مبلغ ٣٥ مليون دولار للنظام الحاكم في اثيوبيا، مقابل الحصول على الموافقة النهائية لاتمام عملية نقل اليهود (**هآرتس**، ٢٦/٥/١٩٩١). وتردّد، لاحقاً، ان اسرائيل حصلت على هذا المبلغ كقرض من الولايات المتحدة الاميركية، وان الوكالة اليهودية ستكون مكلّفة بتجميع هذا المبلغ، الذي أصبح جزء منه متوفّراً من تبرّعات يهود اميركا، في اثناء زيارة سيمحا دينيتس لنيويورك.

وذكرت مصادر دبلوماسية اسرائيلية في واشنطن ان حكومة اثيوبيا لم تتردّد عن السماح

بتنفيذ عملية ترحيل اليهود بعد ان نالت تأكيداً من الادارة الاميركية ان واشنطن ستقدّم مساعدتها من أجل التوصّل الى اتفاق سياسي مع المتمردين، وذلك في «مؤتمر لندن» الذي سيحدّد الاجراءات العملية لانهاء النزاع المسلّح في اثيوبيا. وفي المقابل، طلبت الادارة الاميركية من حكومة اديس ابابا القيام بمبادرات حسن نيّة قبل بدء المفاوضات في لندن، ومن بينها السماح بمغادرة اليهود، والافراج عن عدد من المعتقلين السياسيين. وأوضح مصدر كبير في القدس ان اسرائيل توجّهت الى الرئيس الاميركي بوش، طالبة منه توجيه رسالة شخصية الى حاكم اثيوبيا يؤكد فيها التزام واشنطن بانجاح مفاوضات السلام في لندن. ولدى استجابة بوش للطلب الاسرائيلي، أعلنت اديس ابابا موافقتها على مغادرة اليهود، واستعدادها لتقديم المساعدة لاتمام هذه العملية.

وتأكيداً لهذا الدور الاميركي الحاسم، كانت الادارة الاميركية أول من أعلن، رسمياً، عن «عملية سليمان»، وذلك في بيان رئاسي خارج على المألوف في مثل هذه الحالات. وجاء في البيان: «اننا ندرك ان قرار اثيوبيا السماح بخروج اليهود من البلاد اتُخذ ردّاً على رسالة الرئيس بوش بتاريخ الثاني والعشرين من أيار (مايو)». وجاء في البيان، أيضاً، ان شامير اتصل بالرئيس بوش، قبل يومين، ليشكره على «دور الولايات المتحدة الاميركية في تحرير اليهود». ويبدو ان الرئيس بوش انتهز هذه الفرصة للتحادث مع شامير بشأن عملية السلام في الشرق الاوسط، حسب أقوال الناطق بلسان الرئيس الاميركي. وذكرت الصحف الاميركية ان الرئيس بوش أعرب لشامير عن أمل الادارة الاميركية في عدم استيطان يهود اثيوبيا في المناطق المحتلة. وأكدت ذلك، أيضاً، الناطقة بلسان وزارة الخارجية الاميركية، مارغريت تتوايلر، بقولها: «أعربنا للاسرائيليين، بوضوح، عن ضرورة عدم استيطان يهود اثيوبيا خارج الخط الاخضر».

وأوضح مصدر سياسي كبير في اسرائيل، لعب دوراً في الاتصالات التي دارت بين تل ـ أبيب وواشنطن واديس ابابا، ان موافقة زعماء المتمردين على عدم التعرّض لـ «عملية سليمان» سبقها اعلان من الحكومة الاميركية بأن اسرائيل لم تزوّد نظام هيلا مريام بأية أسلحة، وان الرئيس الاثيوبي السابق اضطر الى الاكتفاء بمساعدة مالية ومدنية (المصدر نفسه).

العملية بالارقام

٣٧ طائرة، بينها واحدة تابعة للطيران الاثيوبي، شاركت في الجسر الجوي الذي نقل الى اسرائيل ١٤٥٠٠ مهاجر في «عملية سليمان». وقامت تلك الطائرات بـ ٤١ رحلة جوية، بدأت في السادسة من صباح الجمعة ١٩٩١/٥/٢٤، وانتهت في حوالى الرابعة والنصف من مساء السبت، ١٩٩١/٥/٢٥. ومنحت السلطات الاثيوبية إذناً خاصاً للمسؤولين الاسرائيليين لنقل اليهود المقيمين بجوار السفارة الاسرائيلية الى مطار اديس ابابا ليلاً، على الرغم من نظام منع التجوّل الذي كان مفروضاً في ذلك الحين. ورافقت سيارات الشرطة الاثيوبية هذه الخطوة لتأمين سلامتهم. وشملت الطائرات المشاركة ١٨ طائرة من نوع هركوليس، وستة طائرات بوينغ ٧٠٧ تابعة لسلاح الجو الاسرائيلي. كما شاركت ثلاث طائرات ضخمة (جمبو)، وأربع طائرات بوينغ ٧٦٧، وخمس طائرات بوينغ ٧٥٧ تابعة لشركة «العال» للطيران، بالاضافة الى طائرة بوينغ ٧٦٧ تابعة لشركة الطيران الاثيوبي.

أمّا تكاليف هذه العملية، فقدّرها مدير عام الوكالة اليهودية، اللواء (احتياط) موشي ناتيف، بما يتراوح بين ١٣٥ و١٥٠ مليون دولار. وشدّد على ان التغطية المالية لهذه العملية يجب ان تأتي من «الشعب، وصناديق النداء الموحّد، وحكومة اسرائيل؛ ولكن، بالاساس، من صناديق النداء الموحّد». وأضاف ناتيف، ان المهاجرين الاثيوبيين سيقيمون في خمسين مركز استيعاب، أقامتها الوكالة اليهودية لهذا الغرض خصّيصى، وان اقامتهم في هذه المراكز لن تتجاوز السنة الواحدة، حتى لا يعتادوا على المساعدات والدعم الحكومي بصورة دائمة.

كذلك أوضح مدير عام «النداء اليهودي الموحّد»، نفتالي لافي، ان يهود الولايات المتحدة الاميركية يتجنّدون لدعم هذه العملية وتأمين الاموال اللازمة لها، كما فعلوا في اثناء هجرة

اليهود السوفيات. وأضاف ان وفداً يمثّل جميع فروع «النداء اليهودي الموحّد»، في الولايات المتحدة الاميركية، وصل اسرائيل لاستقبال المهاجرين الاثيوبيين، ومعرفة احتياجاتهم، وتفقّد اماكن استيعابهم. وسوف يبدأ هذا الوفد، فور عودته الى الولايات المتحدة الاميركية، بحملة تبرّعات مكثّفة لتغطية نفقات «عملية سليمان» (**معاريف**، ٢٦/٥/١٩٩١).

توزّع المهاجرون الاثيوبيون على مراكز الاستيعاب في مختلف انحاء اسرائيل. فكان نصيب منطقة الشمال ٦٢٠٠ مهاجر في مراكز حيفا وكفار هاحورش وطبريا وكريات شمونه وصفد والناصرة العليا وشفي تسيون وعكا ونهاريا وكرميئيل ورأس الناقورة. وتوجّه الى منطقة الجنوب، من عسقلان الى ايلات، ٤٣٠٠ من المهاجرين الاثيوبيين، من بينهم ثلاثة آلاف توزّعوا على النقب. كما توجّه ٨٠٠ الى القدس، وتوزّع الباقون على منطقة الوسط. ويلاحظ التركيز، في توزيع المهاجرين الاثيوبيين، على المناطق ذات الكثافة السكانية العربية، كالجليل والنقب (**المصدر نفسه**).

أزمة الاستيعاب

السرعة الفائقة والاتقان اللذان رافقا تنفيذ «عملية سليمان» كانا موضع تمجيد واطراء من جميع القوى والاحزاب في اسرائيل، اضافة الى الرئيس الاميركي، بوش، الذي وجّه برقية تهنئة الى شامير مع انتهاء هذه العملية. امّا زعيم المعارضة العمّالية، شمعون بيرس، فسجّل على شامير عدم اطلاعه على أي من تفاصيل العملية؛ في حين سارع الوزير بدون حقيبة عضو الكنيست (مولييت) رحبعام زئيفي، الى لفت انظار زملائه الوزراء الى حقيقة ان هذه العملية هي «ترانسفير بصورة ارادية». والمعروف ان زئيفي من أكبر دعاة «ترحيل» الفلسطينيين العرب الى خارج اراضي فلسطين، كحل للنزاع في الشرق الاوسط (**هآرتس**، ٢٧/٥/١٩٩١).

الّا ان مظاهر البهجة والاحتفال بوصول اليهود الاثيوبيين لم تخف، تماماً، المشاكل الهائلة التي ترافق عملية استيعابهم، لجهة الرعاية الصحية، أو تأمين المساكن الملائمة، أو التحقق من «يهوديتهم»، حسب قواعد الشريعة اليهودية، أو التغلّب على الازمات الاجتماعية التي تواجههم، أو استيعابهم في النظام التعليمي، أو ايجاد فرص العمل المناسبة لهم، خاصة وان غالبيتهم تفتقر الى الحدّ الادنى من التعليم، أو التدريب المهني. هذا الى جانب وجود حوالى ألفي يهودي ما زالوا في اثيوبيا، بالاضافة الى ثلاثة آلاف يهودي متنصّر وافقت الحكومة الاسرائيلية على السماح لهم بالهجرة الى اسرائيل. وقد توجّهت بعثة من الوكالة اليهودية الى اديس ابابا للنظر في الوسائل الكفيلة بتأمين وصول هؤلاء، جميعاً، الى اسرائيل (**دافار**، ٩/٦/١٩٩١). ويقدّر مجموع عدد المتنصرّين في اثيوبيا ما بين ثمانية آلاف الى ستين ألف اثيوبي؛ الّا ان الموافقة الاسرائيلية شملت فقط أولئك الذين يوجد لهم أقارب من الدرجة الاولى في اسرائيل.

الّا ان الهمّ الاكبر، بالنسبة الى اسرائيل، هو تأمين الاموال اللازمة لتمويل استيعاب المهاجرين، سواء من اثيوبيا أو من الاتحاد السوفياتي. وكانت حكومة شامير تقدّمت بطلب الى الولايات المتحدة الاميركية لتقديم ضمانات من أجل حصول تل - أبيب على قروض بقيمة عشرة مليارات دولار على مدى خمس سنوات. وجاء الردّ الاميركي على لسان السفير الاسرائيلي في واشنطن، زلمان شوفال، الذي نقله الى القناصل العامّين الاسرائيليين في الولايات المتحدة الاميركية وبحضور وزير الخارجية ليفي، حيث قال ان استمرار سياسة الاستيطان في المناطق المحتلة، من شأنه الاساءة الى احتمالات حصول اسرائيل على ضمانات اميركية للقروض اللازمة لاسكان المهاجرين (**يديعوت احرونوت**، ١٩/٦/١٩٩١).

من جهته، أكد شامير وجود خطر هذا الربط من جانب الولايات المتحدة الاميركية، ما بين منح الضمانات المالية المطلوبة وحصول تقدّم في المسار السياسي، ولكنه لجأ الى إثارة الشعب الاميركي «الذي يأمل في انه لن يوافق على الربط بين هذين الامرين» (**هآرتس**، ٢٠/٦/١٩٩١). وأكد شامير انه «من المنطق، والضرورة الاخلاقية، ان تساعد الولايات المتحدة الاميركية في استيعاب الهجرة التي ساهمت، أصلاً، في انجاحها». وتطرّق شامير، الذي كان يتحدّث الى اللجنة التنفيذية للمنظمة

الصهيونية العالمية، في القدس، بصورة مفاجئة وعلنية للمرة الاولى، الى اليهود المقيمين في سوريا وعددهم حوالى اربعة آلاف شخص، داعياً الادارة الاميركية الى مطالبة سوريا بالسماح لهم بالمغادرة الى اسرائيل، وقال: «من غير الجائز ان تأمل سوريا في ان يرحّب بها العالم المتحضّر، في حين انها تمسك باليهود كالأسرى في السجون» (**المصدر نفسه**).

الّا ان تلميحات شامير هذه لم تكن كافية، على ما يبدو، لتغيير موقف الادارة الاميركية، خاصة عندما اعلنت المانيا أيضاً، على لسان المستشار هيلموت كول، في اثناء زيارته لواشنطن مؤخراً، انها تشترط على اسرائيل ايقاف الاستيطان في المناطق المحتلة، مقابل حصولها على مساعدات مالية بقيمة مليار دولار (**يديعوت احرونوت**، ٢١/٦/١٩٩١). وكانت اسرائيل حصلت على وعد بهذه المساعدة، في اثناء زيارة وزير الخارجية ليفي، لبون، في آذار (مارس) الماضي. واعتبرت واشنطن ان الموقف الالماني هذا يشكّل دعماً لها، لأنه يسحب من اسرائيل فرصة اللجوء الى مصادر تمويل أخرى، بدلاً من المصادر الاميركية.

هذه المصادر البديلة، التي تسعى اسرائيل الى حشد دعمها المالي، تتمثّل في رؤوس الاموال اليهودية الهائلة المنتشرة في مختلف انحاء العالم، وخاصة في الولايات المتحدة الاميركية وكندا واوروبا، خاصة وان صناديق الجباية تؤمن لاسرائيل، حالياً، نحو ١,٣ مليار دولار سنوياً (**هآرتس**، ٢٧/٦/١٩٩١). كما أوضح شامير موقف الحكومة الرسمي من هذه الازمة، في حديثه الى المؤتمر السنوي للصناعيين الاسرائيليين، حيث قال: «لقد حرصت الادارة الاميركية، في السابق، على الفصل ما بين التعاون في المجالات ذات المصلحة المشتركة وبين عدم الاتفاق في مجالات أخرى. لا شك في ان الولايات المتحدة الاميركية، في مجال استيعاب الهجرة كما في المجال الامني، لها مصلحة مشتركة معنا. ثمّة مشاركة عميقة، معنوية واخلاقية وعملية، من جانب الادارة الاميركية والشعب الاميركي، في عملية هجرة يهود الاتحاد السوفياتي واثيوبيا الى اسرائيل. ويحدوني أمل كبير في ان نجد مع الولايات المتحدة الاميركية، سوياً، في مسألة الضمانات المالية أيضاً، الحل المناسب» (**معاريف**، ٢٧/٦/١٩٩١).

وعلى الرغم من ان موعد تقديم طلب الضمانات المالية من جانب اسرائيل هو أيلول (سبتمبر) المقبل، الّا ان الرأي السائد في الاوساط الاميركية، والاسرائيلية، على حدّ سواء، هو ان تل ـ أبيب ستنجح، في النهاية، في الحصول على الضمانات المطلوبة. ولكن السؤال ينحصر فقط في الثمن السياسي الذي قد تضطر الى دفعه. وبالتأكيد، فان حكومة شامير ستلجأ الى مختلف الوسائل لتقليص هذا الثمن ما أمكن. فهل تلوح في الأفق العربي بوادر تشير الى نشاط معاكس؟

مها بسطامي

مصارحة لـ «ضبط» المسار

لم يتوقّف المواطنون، في الضفة الفلسطينية وقطاع غزة طويلاً عند اللقاء الرابع لوزير الخارجية الاميركية، جيمس بيكر، مع عدد من الشخصيات الفلسطينية الذي عُقد في ١٤ أيار (مايو) ١٩٩١. فبعد ثلاث جولات متماثلة من الحوار أُحيطت بقدر من الآمال بايجاد مداخل واقعية لحل سياسي للمسألة الفلسطينية ينهي الاحتلال الاسرائيلي للاراضي العربية، بات واضحاً ان واشنطن ليست على استعداد لممارسة أية ضغوط على اسرائيل، لحملها على تقديم تنازلات من شأنها تحقيق الاهداف المطلوبة، وتأمين حل تقبل به جميع أطراف النزاع في المنطقة. ومنذ غادر بيكر القدس، لم يعد الفلسطينيون يحلمون بتحقيق تقدّم ملموس من خلال جولات مقبلة للوزير الاميركي، أو لمبعوثين أميركيين آخرين، طالما بقيت الادارة الاميركية على موقفها الحالي.

هذه الاستخلاصات سرّعت بانتقال الاهتمام الفلسطيني العام، في الضفة والقطاع، من متابعة تطوّرات المساعي السياسية الى الخوض في تقليب الاوضاع الذاتية على غير مستوى. فارتفعت نبرة الجدل بين اطراف وشخصيات عدّة حول تجربة الانتفاضة، وواقعها، ومستقبلها، ومظاهرها الراهنة. وبعد شهرين من الحوارات الهادئة، التي توسّعت تدريجاً، دخلت شخصيات سياسية، وثقافية، ونقابية، ونسائية، دائرة الحوار المفتوح الذي بدا أشبه بـ «غلاسنوست» فلسطيني، هو الاول من نوعه، حيث رافقه دعوات الى التغيير على المستوى المحلي بما يتناسب والظروف الخاصة في الضفة والقطاع. وقد وفّرت الظروف العامّة على الساحة الوطنية الفلسطينية، بما تتمتّع به من هوامش ديمقراطية، الفرصة لاطلاق وجهات نظر واجتهادات في اطار البحث عن حلول لبعض مشكلات الانتفاضة خصوصاً، والمشكلات السياسية المتعلّقة بالوضع الفلسطيني عموماً.

أُجريت الحوارات على صفحات الصحف الفلسطينية الصادرة في القدس، اضافة الى عدد من الندوات التي خصصت للغرض عينه. وتمّت على الرغم من الرقابة التي فرضتها سلطات الاحتلال الاسرائيلية، حتى ان بعض الصحف قرّر المخاطرة وعدم الرجوع الى الرقيب العسكري الاسرائيلي في نشر المقالات المتعلّقة بالامور الداخلية الفلسطينية، لا سيما التي انتقدت ظواهر في المجتمع الفلسطيني، ممّا بات يشكّل وجهاً، أو ملمحاً من ملامح الانتفاضة راهناً. لكن سلطات الاحتلال لم تتنحّ تماماً، وأكدت انها تخشى ندوات الحوار عندما منعت عقدها وشطب الرقيب العسكري الاسرائيلي من الصحف أخباراً عن عقد ندوات أخرى على مسرح الحكواتي في القدس الشرقية (ربى الحصري، «القدس تفتح باب الحوار لتصحيح مسار الانتفاضة»، **الحياة**، لندن، ١٣/٦/١٩٩١).

في سياق الحوارات هذه، أعطى سيل من التقارير الصحافية الانطباع بأن نشطاء فلسطينيين، على مستوى عال، أخذوا يُجمعون، بعد ٤٢ شهراً على انطلاقة الانتفاضة، على تراجعها وركودها، وثمّة من تحدّث عن سيرها «في اتجاه خاطىء». وقد أخذت عبارات مثل «إعادة تقويم» و«ديمقراطية» و«محرّمات» (طابو) و«تراجع» وغيرها، تتردّد بكثرة، على ألسنة المتحاورين (جون ايمانويل، «الفلسطينيون يعيدون النظر في الانتفاضة»، **جيروزاليم بوست**، ٩/٦/١٩٩١).

انطلقت موجات النقد الأعلى نبرة من بين صفوف مؤيدي «فتح» ممّن قضوا فترات في سجون الاحتلال الاسرائيلي (داود كتّاب، «قلق على الانتفاضة»، **ميدل ايست انترناشونال**، العدد ٤٠٢، ١٤/٤/١٩٩١). وترافقت مع دعوات الى فتح أبواب المؤسسات الوطنية أمام الصحافة الفلسطينية، لا سيما المحلية، لكي «يعلم الفلسطينيون، في الاراضي

المحتلة، الذين يتعاملون مع تلك المؤسسات ما يدور فيها، [مع التأكيد] على ان الخطأ [لا يكمن] في الظواهر السلبية التي نتجت في [خلال مسيرة] الانتفاضة، وانما في غياب الرقابة والمحاسبة» (الحصري، **مصدر سبق ذكره**). وعارض بعض المؤسسات هذا التوجّه، كرابطة الصحافيين الفلسطينيين في القدس التي رفضت ان توجّه اليها انتقادات عبر الصحف الفلسطينية الصادرة في القدس الشرقية بدعوى انها على أبواب انتخابات جديدة لهيئتها الادارية؛ معتبرة ان الصحافة «ليست الميدان الصحيح لتوجيه النقد، وانما [مكانه] اجتماعات الهيئة العامة الخاصة بالرابطة» (**المصدر نفسه**).

من بين أبرز المشكلات التي تناولتها الحوارات الفلسطينية الضعف العام في مواقع م.ت.ف. بعد حرب الخليج، وتدهور الوضع الاقتصادي في المناطق المحتلة؛ وشحّة الموارد المالية، وتدهور المستوى التعليمي؛ واستمرار ظاهرة قتل المتعاونين مع سلطات الاحتلال. وناقش المتحاورون دور الشباب الملثّم الذي عمل على تنقية المجتمع الفلسطيني من الخونة والمتعاونين، ثمّ أصبح سبباً في التذمّر العام، باستمراره في عمليات التصفية، على الرغم من نداءات القيادة الموحّدة (ايمانويل، **مصدر سبق ذكره**). وانتقد محاضرون ومستمعون، أيضاً، ما أسموه «غياب الديمقراطية في المؤسسات الفلسطينية». وزعم بعضهم «ان أحكام سيطرة الفصائل الفلسطينية على الحركة الوطنية وغياب الديمقراطية... أدّى الى ضعف مشاركة [الجماهير] في الانتفاضة» (الحصري، **مصدر سبق ذكره**).

ففي مقالة نشرت في صحيفة «الفجر» المقدسية، كتب عدنان ضميري، الذي تولّى، في فترة سابقة، رئاسة مجلس الطلبة في جامعة بيرزيت، وأُطلق سراحه، مؤخراً، من سجن «كتسعيوت» في النقب، عن الشبيبة الملثّمين، وقتل المتعاونين. وقال ان هذه الظاهرة جعلت الانتفاضة «عبئاً». وهاجم ضميري من اتهمهم «باستجواب الناس في بيوتهم»، زاعماً ان أشخاصاً غير مرغوب فيهم يتلثّمون «لتنفيذ سرقات وجرائم». وتحدث عن استمرار قتل المتعاونين، قائلاً «ان اخطاء وثارات شخصية أصبحت هي القاعدة المتّبعة في هذه العمليات، أكثر ممّا هي الاستثناء» (كتّاب، **مصدر سبق ذكره**). واعتبر ضميري، الذي كتب سلسلة مقالات في الاتجاه عينه انتقد فيها ما أسماه «حديث الليل وصمت النهار» أو تهامس الفلسطينيين فيما بينهم حول ظواهر باتت تهدّد انتفاضتهم، ان الاخطاء والسلبيات «ظاهرة طبيعية»؛ لكنه حذّر من ان «اخفاءها تحت السرير، خوفاً من ان يراها الآخرون، سوف يخلق عفناً». وأوضح: «لسنا في صدد محاكمة الانتفاضة. فهي ليست في قفص الاتهام، واني اعتبر نشر الغسيل الوسخ جزءاً من عملية تنظيفه». وفي حين انتقد البعض المجاهرة في التحدّث عن سلبيات الانتفاضة ومخاطرها بسبب استغلال الاعلام الاسرائيلي، ردّ ضميري بقوله: «لنستغلها نحن، أيضاً، لصالحنا. فحتى إن استُغلت وحُرِّفت، فان الجمهور الفلسطيني قادر على التمييز بين الحملات الدعائية والنقد الذاتي بهدف الاصلاح» (الحصري، **مصدر سبق ذكره**).

لم تقتصر حملة الانتقادات على الأقلام الصحافية. فقد أطلق أساتذة معروفون وشخصيات وطنية ملاحظات عدّة على بعض ما اعتبروه ظواهر سلبية في مسار الانتفاضة. وبدا الجيلان الأكبران من قيادة «فتح» ونشطائها، ممّن هم فوق سنّ الخمسين، مستعدين لاتخاذ خطوات ما بالنسبة الى جيل الانتفاضة، الذي أخذ يتّجه نحو الممارسات السلبية. فمن جانبه، قال المحاضر غسان الخطيب (شيوعي)، ان الفلسطينيين باتوا في منتصف مرحلة تقويم جديّة للانتفاضة. وأشار الى التأثير السلبي للنزاع في الخليج في الوضع الفلسطيني، وتراجع مطالب الفلسطينيين بفعل ذلك التأثير. وسأل عن دوافع استمرار الاضراب التجاري بعد ظهر كل يوم، وعلّق بأن اضراباً كهذا «حوّل الفلسطينيين الى شعب ينام، بأكمله، بعد الظهيرة» (ايمانويل، **مصدر سبق ذكره**).

أمّا رئيس جمعية الدراسات العربية في القدس، فيصل الحسيني، فقد دعا الى «إعادة تقويم الانتفاضة»، مركّزاً على بناء الاقتصاد والعمل على جلب أموال أوروبية لتأمين العمل والوظائف. وكرّر الحسيني نداءات سابقة بالتحذير من «الاخطاء التي تدفعنا في مواجهة ميلشة الانتفاضة» (**المصدر نفسه**).

وحذّرت رئيسة اتحاد لجان المرأة، زهيرة كمال، من «انتفاضة يقودها ملثّمون، كانت، منذ فترة غير بعيدة، [انتفاضة] جماهيرية، واصبحت في حالة تراجع» (**المصدر نفسه**).

وأقرّ المحاضر في جامعة النجاح في نابلس، د. صائب عريقات، بأنه «آن الأوان لأن نستجيب لطلبات الشارع الفلسطيني في محاسبة كل من هو في المؤسسات الوطنية العامة، وكل من يقوم بعمل عام، لا سيما وان الجميع يتّفق على ان المشكلة الاساسية تكمن في غياب الضبط والربط» (الحصري، **مصدر سبق ذكره**).

تجاوز المتحاورون النقد وتشخيص الظواهر الى البحث في الحلول. وكان من بين ما طرح، في هذا المجال، ايجاد حل لظاهرة قتل المتعاونين، أو المشتبه بتعاونهم، مع سلطات الاحتلال، والتي استمرت، حتى اليوم، على الرغم من نداءات القيادة الموحّدة وم.ت.ف. والنداءات التي وجّهها الرئيس الفلسطيني، ياسر عرفات. ودعا بعض المتحاورين الى تحميل كل من يقوم بقتل متعاون مسؤولية شخصية. كما عرض المتحاورون حلاً لظاهرة الملثّمين، التي صارت تبعث الخوف في نفوس كل من يُطرَق بابه في الليل ويغدو مجهول المصير، لا سيما بعد ان عبّر عديد من المواطنين، صراحة، عن ان الخوف الذي يبثّه المجهولون ليلاً يتجاوز بكثير الخوف الذي يبعثه جندي اسرائيلي معلوم، لأن الأخير أتى لاصطحاب شخص ما الى المعتقل. واقترح ان يقوم شبان المخيم، أو القرية، أو المدينة، باماطة اللثام عن وجه كل من يطرق باباً وهو ملثّم ولا يعلن عن نفسه، إذ «يجب ان يكون لكل وطني رائحة وطعم وعنوان»، حسب تعبير أحد المشاركين في ندوة الحكواتي (**المصدر نفسه**).

رقابة وحذر

تابعت الاوساط الاسرائيلية التحاور العلني الفلسطيني بترقّب ومراقبة وحذر. وعلى الرغم من قيام سلطات الاحتلال الاسرائيلية بمنع عقد بعض الندوات، وشطب بعض ما أوردته الصحف الفلسطينية، فان مسؤولين اسرائيليين، وكتّاباً، وصحافيين، تصدّوا لبعض الاتجاهات التي استعجلت الاستخلاص بأن الانتفاضة الفلسطينية توقفت، وان ما يجرى هو احد مظاهر هذا التوقّف. فكتب بعضهم: «من السابق لأوانه، ومن المبالغ فيه الاقرار بأن الانتفاضة انتهت، [فهي]، مثلما نعرفها، لم تشهد تغيّراً على صعيد دوافع الجمهور [الفلسطيني] واستعداده للمشاركة في العنف». فاستجابة الجمهور لنداءات الانتفاضة ما زالت قائمة، على الرغم من انها ليست [استجابة] تامّة» (شموئيل غورن، «ليست نهاية الانتفاضة»، **القدس العربي**، لندن، ١٤/٦/١٩٩١؛ نقلاً عن **يديعوت احرونوت**، ١٣/٦/١٩٩١). واستنتج آخرون «ان الظروف التي أوقدت نار الانتفاضة وحافظت على أوارها ثلاث سنوات ويزيد، ستعود وتندلع من جديد» (أ. شفسايتسر، «اسرائيل نجحت في استنزاف الانتفاضة»، **المصدر نفسه**، ١١/٦/١٩٩١؛ نقلاً عن **هآرتس**، ١٠/٦/١٩٩١). وذهب مصدر صحافي معروف الى اتهام القائلين بانتهاء الانتفاضة بالتسرّع. وقال ان استنتاجهم هذا لا أساس له: «صحيح ان تغييرات طرأت على الانتفاضة... ولكن يخطىء من يظن ان الفلسطينيين يريدون انهاءها». فالفلسطينيون لا يريدون وضع حدّ لانتفاضتهم، بل يسعون الى تغييرها واعطائها زخماً جديداً بالعودة الى منبعها الأصلي، وهو الجماهير، وباعادتها الى النشاط المدني، بدلاً من اعطاء الدور الاساسي للملثّمين والقوات الضاربة (زئيف شيف، «سينفجر الوضع مجدّداً في المناطق، اذا لم تقدّم اسرائيل مبادرة ايجابية»، **المصدر نفسه**، ٢١/٦/١٩٩١؛ نقلاً عن **هآرتس**، ١٩/٦/١٩٩١).

عزت الاوساط الاسرائيلية أزمة الانتفاضة راهناً وموجة الانتقاد المتصاعدة الى أسباب عدة، منها استمرار الضغوط الاقتصادية، وتواصل الاضرابات، وأوامر حظر التجوّل، وتقليص الدعم الخارجي، وفقدان م.ت.ف. بعض مكانتها، لا سيما بعد احداث الخليج (غورن، **مصدر سبق ذكره**). وزعمت ان الفلسطينيين «ارتكبوا خطأ فاحشاً» في خلال حرب الخليج، وان سكان المناطق المحتلة «يشاركون في دفع الثمن، حيث أدّى توقف تدفّق الاموال الى تعميق الأزمة الاقتصادية... وانتاب الناس شعور بأن الفوضى تسيطر على المناطق [المحتلة]، وان القسوة في قتل العملاء تفزع الكثيرين، وان كثيراً من القتلى هم أبرياء»

(شيف، **مصدر سبق ذكره**). واستخلصت الاوساط المعادية من ذلك كله «ان الضغوط الاقتصادية سوف تؤخر عودة الجماهير الى الانتفاضة؛ لكنها من الممكن ان تسرع في عودتها اذا فقدت السلطات [الاسرائيلية] سيطرتها، وحصل تصعيد في الأعمال التخريبية». ودعت الاوساط هذه السلطات الاسرائيلية الى الاسراع في تقديم مبادرة ايجابية على صعيد الحياة اليومية في المناطق المحتلة، وعلى مستوى المشاريع السياسية، «لاضعاف المتطرفين في المعسكر الفلسطيني» (**المصدر نفسه**).

مأساة حزيران (يونيو)

وسط الاشكالات والاجتهادات هذه، تواصل العنف الداخلي الفلسطيني على مستويين: مستوى أول شمل صدامات بين مجموعات سياسية؛ ومستوى ثانٍ على علاقة بظاهرة لصوص مسلّحين وعمليات قتل متزايدة.

في الثاني من حزيران (يونيو) ١٩٩١، جرح عشرات الفلسطينيين عندما فتح مؤيدون لـ «فتح» وآخرون من «حماس» النار على بعضهم البعض، واستخدموا السكاكين والكراسي في معركة دارت في نابلس وامتدت الى ضواحيها، انتهت باتفاق الجانبين المتصارعين على وضع اشكالاتهما جانباً وتركيز الجهود على العمل ضد الاحتلال الاسرائيلي. وقد اتّهم مؤيدو «حماس» الشبيبة في التسبّب في الاشكال بسبب بعض ممارساتهم، فيما اعتقد مواطنون من نابلس بأن بعض الشبيبة هؤلاء «مطلوبون لقوات الامن الاسرائيلية. ولأن الاسرائيليين قاموا بتصفية المطلوبين، مرّات عدة، فقد أخذ الكثيرون يحملون الأسلحة لحماية انفسهم، ممّا جعل الأمر أصعب على المراقبة ومحاسبتهم». واتّهمت أوساط نابلسية الشبيبة، التي باتت في حاجة الى التموين والغذاء والنقود، باستخدام «وسائل غير قويمة» للحصول عليها. أمّا قادة الشبيبة، فقد نفوا التهم هذه، وأكدوا انهم يحصلون من تنظيمهم على مواد تموينية تزيد على الحاجة، وهم يقبلون، ويلتزمون، قواعد تنظيمهم واحكامه (كتّاب، **مصدر سبق ذكره**).

وبعيداً من الاسباب الحقيقية التي وقفت وراء الاشتباكات هذه، فان ما شغل الأوساط السياسية الفلسطينية، في نابلس وبقية المناطق المحتلة، هو مدى التزام الاطراف المعنيّة بما يتمّ التوصل اليه من اتفاقات، خصوصاً وان خلافات لم تزل قائمة بينها. قال مواطن من نابلس: «يعتبر الوضع في نابلس فريداً حقاً، بسبب الفروقات الاجتماعية بين العائلات النابلسية الغنيّة وفقراء المدينة القديمة واللاجئين الذين يعيشون في مخيّمات مجاورة. كما اننا لا نتمتّع، حتى الآن، بقدر من احترام اختلافاتنا السياسية» (**المصدر نفسه**).

اختبار قوى

ضمن احداث المناطق الفلسطينية المحتلة الاخرى، شهدت الخليل أول معركة انتخابية تجرى في الضفة الفلسطينية منذ آخر انتخابات بلدية أجريت في نيسان (ابريل) ١٩٧٦. وهي الأولى التي سمحت بها سلطات الاحتلال الاسرائيلية منذ ذلك الحين؛ كما انها لم تلق معارضة من القيادة الوطنية الموحّدة للانتفاضة.

تنافس على المقاعد الأحد عشر للغرفة التجارية كتلتان، هما الكتلة الاسلامية والكتلة الوطنية التي خاضت الانتخابات تحت اسم «كتلة خليل الرحمن»، إضافة الى ثلاثة مستقلين. وشارك في الانتخابات حوالى ١٥٠٠ تاجر وصناعي، وتمّت تحت اشراف فلسطيني (**القدس العربي**، ١٩٩١/٦/١١). وكان كل مشارك حرّاً في اختيار أحد عشر اسماً من بين المرشّحين الخمسة والعشرين، ممّا أعطى الفرصة للناخبين للتصويت الافرادي، واختيار مرشّحيهم دون الاضطرار الى الالتزام بأي من القائمتين كاملتين (جون ايمانويل، «فوز الاسلاميين في الخليل لا يقدّم ربحاً للاصوليين»، **جيروزاليم بوست**، ١٩٩١/٦/٢٠).

قبل موعد الانتخابات، أُجريت محاولات لتشكيل كتلة واحدة تضمّ الاطراف المتنافسة؛ الّا ان الجهود لم تفلح. وتمّ تشكيل كتلتين «على أساس مهني»، كما أشار مرشّح الرئاسة في الكتلة الاسلامية، هاشم النتشة، الذي نفى ان تكون للانتخابات أبعاد سياسية. وشدّد على ان مهمة الغرفة «مهنية بحتة، لخدمة التجّار وأهل المدينة» (**القدس العربي**، ١٩٩١/٦/١١).

على أبواب الانتخابات ومع اشتداد الحملة

الانتخابية، رفع بعض تلاميذ المدارس قوائم حملت أسماء المرشّحين، ووضعوا ملصقات على الجدران حملت صور المرشحين وتضمّنت اشارات الى برامجهم وسياساتهم في الحقل التجاري (جون ايمانويل، «م.ت.ف. وحماس تختبران قوتهما في انتخابات تجار الخليل»، **جيروزاليم بوست**، ١٩/٦/١٩٩١).

وهذا ما أشار اليه بعض المرشّحين الذين أعلنوا عن رغبتهم في تعزيز التجارة مع السوق الاوروبية المشتركة وبلدان الشرق الأقصى، اعتقاداً بأن «انتخابات حرّة للغرفة التجارية من شأنها ان تزيد في رأسمال السوق الاوروبية بصورة أكبر ممّا حصلت عليه الغرفة التجارية السابقة التي مضى عليها ثلاثون عاماً» (**المصدر نفسه**). ولوحظ ان مرشحي «كتلة خليل الرحمن» هم الاكثر ميلاً الى التبادل التجاري مع الخارج، فيما بدا الاسلاميون «أكثر اهتماماً بالاقتصاد المحلي» (**المصدر نفسه**).

منذ البداية، أثارت عملية التحضير للانتخابات تساؤلات عدّة حول امكانية اجراء انتخابات مماثلة في مدن الضفة الفلسطينية الاخرى، وحتى امكان اجراء انتخابات على مستوى المجالس البلدية. وقد اتفق مرشحا الرئاسة في الكتلة الاسلامية و«خليل الرحمن» على ان الانتخابات هذه «يمكن ان تكون مقدّمة لانتخابات أخرى، وحتى بلدية». وقال جبريل النتشة (وطنيين) ان هذا ممكن، «ما دام هناك اجماع وطني عليها [الانتخابات]، ولا تفرض فرضاً» (**القدس العربي**، ١١/٦/١٩٩١). وفي الاتجاه عينه، تحدث مسؤول في الادارة المدنية، معتبراً ان الانتخابات «ستكون اختباراً، اذا ما نجح سيعمّم على باقي مدن الضفة» (**المصدر نفسه**؛ نقلاً عن **وكالة الصحافة الفرنسية**، بدون ذكر تاريخ البث).

وعلى العكس من ذلك، استبعدت مصادر اسرائيلية ان تؤدي انتخابات الغرفة التجارية في الخليل الى انتخابات بلدية في المدى المباشر، واكتفت بالقول انها سوف تساعد رجال الاعمال الفلسطينيين على رفع مستوى الموارد المالية، خصوصاً في تطوير العلاقة مع عواصم دول السوق الاوروبية المشتركة، «التي يستطيعون التوجّه اليها كمندوبين منتخبين، وليس كرجال أعمال بسيطين» (ايمانويل، «فوز الاسلاميين في الخليل...»، **مصدر سبق ذكره**، ٢٠/٦/١٩٩١). فيما اعتبر فلسطينيون الانتخابات محاولة من جانب سلطات الاحتلال الاسرائيلية لخلق واقع يقود الى التمهيد لاقامة حكومات بلدية، بشكل لا يبدو سياسياً (**المصدر نفسه**).

أسفرت انتخابات غرفة التجارة في الخليل عن فوز ستة مرشّحين للكتلة الاسلامية، وأربعة من مرشّحي «خليل الرحمن»، ومستقل واحد. والفائزون هم: هاشم عبدالنبي النتشة (رئيساً)، حصل على ٨٠٨ أصوات؛ طاهر المحتسب، حصل على ٧٣٧ صوتاً؛ مصطفى شاور، ٦٥١ صوتاً؛ ابراهيم مرقة، ٦٤٨ صوتاً؛ محمد فضل عابدين، ٦٣٨ صوتاً؛ حمدي نيروخ ٦١٦ صوتاً؛ جبريل النتشة ٦٢٤ صوتاً؛ محيي الدين سيد، ٦١٢ صوتاً؛ جمال بهيّة ٥٧٠ صوتاً؛ نظام القواسمي ٥٦٢ صوتاً؛ هارون ابو خلف، ٥٥١ صوتاً. وشارك في الاقتراع ١٤٣١ تاجراً، من أصل ١٥٦٢؛ وتمّت الانتخابات تحت اشراف لجنة، برئاسة القاضي محمد سدر (**القدس العربي**، ٢٠/٦/١٩٩١).

على الرغم من اعرابه عن خيبة أمله، بالنسبة الى النتائج، فقد اعتبر جبريل النتشة، الذي خاض الانتخابات على قائمة «خليل الرحمن»، وحلّ في المرتبة السادسة، ان «العامل العائلي العشائري اثّر في نتائج الانتخابات». وقد أيّده المحرر في صحيفة «الفجر» راضي الجراعي، الذي قال ان الكتلة الاسلامية ضمّت في صفوفها أعضاء وطنيين، لأن العامل العشائري غلب على العامل السياسي؛ وان انتخابات غرفة التجارة، التي اعتبرها الجراعي حرة وديمقراطية، لم تعكس، بالضرورة، ميزان القوى السياسي في الاراضي المحتلة. لكن هاشم النتشة، من الكتلة الاسلامية، والذي حصل على أكثر الاصوات، زعم ان الشارع في مدينة الخليل «شارع اسلامي». وانه لو أُجريت انتخابات بلدية وشارك فيها، فانه، حسب اعتقاده، «سيفوز بالأغلبية، لأن العامل العقائدي سيكون الحكم». ومع ذلك، فقد رأى مراقبون محليون ان النتائج «لم تكن نصراً عظيماً للاصوليين»، ذلك ان عدداً كبيراً من المرشحين لقوا دعماً بسبب شعبيتهم، وليس لأسباب اخرى (ايمانويل، «فوز الاسلاميين في الخليل...»، **مصدر سبق ذكره**، ٢٠/٦/١٩٩١).

على الصعيد ذاته، أُجريت انتخابات في جامعة بيت لحم في الضفة الفلسطينية، لكنها لم تشهد أيّة صراعات، أو منافسة، حقيقية بين مؤيدي م.ت.ف. ومؤيدي وأنصار الحركة الاسلامية والجماعات الاصولية. غير انها كانت امتحاناً لقوة ونفوذ التيارات السياسية داخل الجامعة. فالانتخابات التي أُجريت في ١١ حزيران (يونيو) ١٩٩١، هي الأولى على الصعيد الطلابي منذ الانتفاضة، التي انطلقت في العام ١٩٨٧، وكانت الجامعة أغلقت طيلة الفترة الماضية، باستثناء الفترة من تشرين الاول (اكتوبر) الماضي، حيث أُعيد فتحها دون غيرها من جامعات الضفة وغزة.

خاضت العناصر المؤيدة لـ م.ت.ف. الانتخابات ضد الجماعات الاصولية ضمن قائمة «شهداء الانتفاضة»، للحصول على تسعة مقاعد اتفق على تقاسمها بين الاطراف الوطنية المؤتلفة ضمن القائمة على الوجه التالي: ثلاثة مقاعد للشبيبة (فتح) وثلاثة لقائمة العمّال (جبهة شعبية) ومقعد واحد لقائمة الوحدة (ديمقراطية) وآخر لقائمة الاتحاد (شيوعيين). وقد حصل الشيوعيون على مقعد اضافي بعد انسحاب الاسلاميين.

الاسلاميون أبدوا، من جانبهم، عدم ثقة في لجنة الانتخابات، وقد اعلنوا ذلك قبل انسحابهم. امّا الوطنيون، فقد فسّروا الانسحاب بأنه خوف من جانب الاسلاميين من مواجهة الفشل وعدم الفوز بأي من مقاعد مجلس الطلبة في الجامعة. وقدّر بعضهم ان بامكان الاصوليين، لو خاضوا الانتخابات، الفوز بنسبة عشرة بالمئة من الاصوات في جامعة تبلغ نسبة الطلبة المسيحيين فيها ستين بالمئة (جون ايمانويل، «الاسلاميون ينسحبون من انتخابات جامعة بيت لحم»، **جيروزاليم بوست**، ١٩٩١/٦/١٢).

حزب جديد أم شائعة؟

تردّدت في انحاء الضفة الفلسطينية انباء عن ولادة حزب جديد خارج جسم منظمة التحرير الفلسطينية. وتباينت التقديرات حول ما قيل بشأنه. وأكد أعضاء سابقون في منظمات فلسطينية صحّة وجود الحزب الجديد، وأشاروا الى انه حزب سياسي مستقل. فقبل فترة وجيزة تحدّث المدعو كامل طبنجة (٤٠ عاماً)، من كتانيا القريبة من القدس، الى اذاعة الجيش الاسرائيلي باللغة العبرية عن «حزب الاتحاد الوطني الفلسطيني»، وأكد وجود أعضاء ومؤيدين له. وقال انه ولد «تعبيراً عن خيبة الأمل من أي تقدّم في اتجاه الدولة الفلسطينية من خلال م.ت.ف.». يعتمد الحزب، حسب طبنجة، سياسة استراتيجية تقوم على اتحاد كونفدرالي بين الضفة الفلسطينية وقطاع غزة، من جهة، والاردن، من جهة أخرى (جون ايمانويل، «مؤيدون سابقون لمنظمة التحرير الفلسطينية يشكّلون حزباً جديداً»، **جيروزاليم بوست**، ١٩٩١/٦/٢٤).

مصادر فلسطينية اعتبرت الأمر برّمته، «اكذوبة». وذكرت انه في تاريخ ١٣ حزيران (يونيو) ١٩٩١، كتبت أربع صحف اسرائيلية، تحت عناوين بارزة، عن تشكيل حزب جديد في المناطق المحتلة، أُطلق عليه «حزب الاتحاد الوطني الفلسطيني»؛ وانه أُجري تهليل للحزب. كما أثارت الصحف الاربع ضجّة مفتعلة من حوله؛ وهذا ما أكدته المعلومات المنسجمة التي قدّمتها الصحف الاربع، ممّا يفسّر وجود جهة واحدة معيّنة خلف الاعلان عنه (**الحرية**، نيقوسيا، العدد ٤١٣ ـ ١٤٨٨، ١٩٩١/٦/٢٣، ص ٦). وطبقاً للمصادر الفلسطينية نفسها، فقد اتصل شخص عرّف عن نفسه بأنه «محمد علي عبدالجبار» بالقنصلية الاميركية في القدس، والتقى لدقائق معدودة، بالملحقة السياسية، مارغريت سكوبي، مدعياً بأن في حوزته برنامجاً سياسياً؛ وانه يمثّل مجموعة أشخاص؛ ثمّ غادر مبنى القنصلية، التي قيل انها لا تملك أية معلومات عن هويته؛ كما لم تتلق منه أية وثيقة. وذكرت الصحف الاسرائيلية أن الحزب هذا يعتزم الاندماج، بصورة مستقلة، في المسيرة السلمية التي لا تشارك فيها م.ت.ف. وان مبادئه الاساسية تختلف عن مبادىء المنظمة. فهو يعارض الكفاح المسلّح ويدعو الى حوار مباشر مع اسرائيل. وطلب قادة الحزب من ملك الاردن، حسين، الغاء قرار فك الارتباط القانوني والاداري بين الاردن والمناطق المحتلة. ولفتت الصحف الاسرائيلية الانتباه الى ان رئيس الحزب هو من المحرَّرين من السجون الاسرائيلية في عملية تبادل الأسرى التي أُجريت في العام ١٩٨٥، «للايحاء بأن المعنيّ هو أحد الكوادر الفلسطينية النشطة، وربما كان

ينتمي الى أحد فصائل المقاومة الفلطسينية». الّا ان مصادر أخرى علّقت على الامر، برمّته، بأنه «ليس أكثر من كذبة صحافية، هدفها زرع بذور الخلاف بين الفلسطينيين»؛ وانها «محاولة لتأليب، وخلق، أجواء من التوتّر بين الفلسطينيين، مع الايحاء بامكانية قيام جهة سياسية بديلة من م.ت.ف.» (المصدر نفسه).

من زاوية مغايرة، ولدوافع معاكسة، أبدت أوساط اسرائيلية اهتماماً ملحوظاً بالحزب الجديد. وطالبت قوى اليسار الاسرائيلي بتبنّيه. فقد كتبت ياعيل ديان: «اذا كانت هناك ديمقراطية في الاجهزة السياسية في المناطق [المحتلة]، وان المنظمة [منظمة التحرير الفلسطينية] تريد السلام وتقول الاشياء التي يقولها الحزب الجديد، بما في ذلك الكونفدرالية مع الاردن ووقف الارهاب الداخلي، فانه يتوجّب علينا [الاسرائيليين] تشجيع تلك الظاهرة... فنحن لا نريد قيام قيادة بديلة من القيادة الحالية [لـ م.ت.ف.] وانما [نريد] توسيع القطاع الذي يريد التفاوض على أساس النهج المشترك عينه»، اشارة الى نهج الحزب الجديد (**القدس العربي**، ١٨/٦/١٩٩١؛ نقلاً عن **يديعوت احرونوت**، ١٦/٦/١٩٩١).

ربعي المدهون

الرئيس الفلسطيني ياسر عرفات:
«اللاءات» الاميركية والاسرائيلية سواء

• معظم دول الغرب ما زالت تمارس شبه مقاطعة تجاه منظمة التحرير الفلسطينية، بحجّة انها ساندت العراق في ازمة الخليج. هل من رسالة تحبون توجيهها الى دول اوروبا الغربية والولايات المتحدة ؟

○ هذا ليس صحيحاً. ان اتصالات منظمة التحرير الفلسطينية مستمرة مع جميع الدول الاوروبية؛ ربما ليست بالكثافة السابقة، ولكن مستمرة مع جميع الدول الاوروبية. ومكاتبنا وسفاراتنا وممثلياتنا في هذه الدول تعمل بانتظام. ونحن نعتبر ان اوروبا تلعب دوراً «رئيساً» بالنسبة للسلام في الشرق الاوسط، وان كانت تحاول اسرائيل واميركا الحدّ من هذا الدور.

• ما هو السبيل لاعادة الامور الى مجراها الطبيعي مع الكويت، خاصة «ان للشعب الفلسطيني هناك ايادي بيضاء» في بناء الدولة الحديثة ؟

○ يجب ان يتذكّر الكويتيون ان الفلسطينيين هم الذين بنوا هذه الامارة. جاءوها عندما لم يكن فيها هذه المباني الفخمة، وهذه الحضارة الكبيرة. بنوها بعرقهم. بنوها بتعبهم وشقائهم. ولا يوجد كويتي حتى الآن تخرّج من المدرسة الّا وكانت غالبية اساتذته من الفلسطينيين. والمستشفيات، حتى هذه اللحظة، يديرها الفلسطينيون؛ وكذلك محطّات الكهرباء والمياه. وعندما ترك معظم الكويتيين بلدهم، ظل هؤلاء يديرون هذه المستشفيات وهذه المحطات الكهربائية، ومحطّات المياه، وغيرها [من] مرافق الحياة جميعها. لذلك، أنا أقول للمسؤولين الكويتيين انه لا يجوز ان يستمر هذا العبث بأرواح الفلسطينيين، ويجب وقف الارهاب ضد الفلسطينيين والمحاكم الهزلية. يكفي الفلسطينيين المقابر الجماعية، هم وغيرهم من العرب، على يد الميليشيا الكويتية، والجيش الكويتي، والبوليس الكويتي الذي عاد مع القوات الاميركية بعد خروج العراق. هناك مقابر جماعية. ومعظم هذه المقابر الجماعية فيها ضحايا فلسطينيون. وأخشى ما أخشاه من ردّة فعل الفلسطيني، عندما تعلن أسماء هذه الضحايا، ويعلن عن الجرائم ضد نسائنا وأطفالنا المستمرة حتى هذه اللحظة في الكويت. وعمليات الترحيل الجماعية التي تحضر لها الحكومة الكويتية؛ أنا أرجو ان يعيدوا النظر فيها. ان هذه ليست في مصلحة احد، الّا اذا كان المقصود هو الضغط على الفلسطينيين في الكويت، وغير الكويت، لنخضع للشروط الاميركية في التسوية السياسية، سواء كانت بتغييب قضية القدس، أو بالقبول بالفتات السياسي، أو ما يسمّونه بالحكم الذاتي الفلسطيني.

اذا كان هذا هو المقصود وان ما يجرى للفلسطينيين في الكويت وغير الكويت هو جزء من المخطط الاميركي الذي ينفّذه هؤلاء، فيصبح لكل حادث حديث.

• برايكم، ما هو هدف الحصار المالي المفروض على منظمة التحرير ؟

○ سهلة جداً. يجب ان نتذكّر ان الحصار المالي سبق ازمة الخليج، وبدأ، فعلياً، منذ شهر أيار (مايو) العام الماضي، [اذ] لم يعط أي بلد وأي حكومة من حكومات الخليج فلساً واحداً، لا للانتفاضة، ولا لمنظمة التحرير الفلسطينية.

• يعني قبل بدء ازمة الخليج ؟

○ قبل بدء ازمة الخليج. وهذا الكلام طرح، رسمياً، في مؤتمر القمة العربي الذي انعقد في بغداد، في أيار (مايو) ١٩٩٠.

وأقرّت المساعدات للجميع، ما عدا الانتفاضة، وما عدا الشعب الفلسطيني. أكثر من هذا، كانوا يحرموننا، وفي الكويت بالذات، من ان نجمع التبرّعات، من خلال ضريبة التحرير، من القطاع الخاص، الذي يشكّل ثمانين بالمئة من الفلسطينيين. تصوّري، منذ ١٩٦٥، منذ أيام احمد الشقيري، لا تجمع تبرّعات

من الفلسطينيين في الكويت، الاّ من الموظفين الحكوميين فقط. أمّا القطاع الخاص، وهو يشكّل ثمانين بالمئة من الفلسطينيين، فكنّا ممنوعين، بأمر من السلطات الكويتية، من جمع التبرعات منهم.

أعطيك مثالاً عن الاموال التي راحت على م.ت.ف. من جرّاء ذلك: الفلسطينيون في الكويت (كنّا) نأخذ منهم لمنظمة التحرير سنوياً حوالى ١٥ مليون دولار، وعددهم ٤٣٠٠٠٠. الفلسطينيون الموجودون في الامارات عددهم ٦٥٠٠٠، كنّا نأخذ منهم سنوياً حوالى عشرين مليون دولار أو أكثر. السبب ان هناك [في الامارات] تجمع التبرّعات من كل الفلسطينيين، بينما في الكويت تجمع فقط من موظفي الدولة.

وأريد ان اذكر بتصريح للسفير الاميركي السابق للامم المتحدة فرنون وولترز، الذي قال: «ان هدف الادارة الاميركية هو تجفيف الموارد المالية لمنظمة التحرير الفلسطينية حتى نحاصرها لتخضع لمطالبنا». وكرّر هذا الكلام ريتشارد مورفي، مساعد وزير الخارجية السابق. وهذه سياسة الولايات المتحدة الاميركية. ولذلك اللجنة الاوروبية ـ الاميركية التي اجتمعت في روما، في أواخر العام الماضي، للتعويض عن كل الخاسرين من أزمة الخليج، دفعت تعويضات لجميع الناس، من الفلبين وحتى تركيا ومصر وغيرها، سواء كانت حكومات أو افراداً، الاّ الفلسطينيين لم يعوّض عليهم بفلس واحد، رغم ان خسائر الجالية الفلسطينية في الكويت وصلت نحو ١٢ مليار دولار، وهي تشكّل مدّخراتهم وتعويضاتهم والاشياء الأخرى التي فقدوها [في] اثناء هذه الحرب، من سيارات وممتلكات ومصانع.

● اذن، دول الخليج العربية التي قطعت المساعدات عن المنظمة منذ شهر ايار (مايو) من العام الماضي تنفّذ سياسة اميركية تهدف الى... ؟

○ أنا لا أقول هذا. أنا أقول لك فقط الحقائق؛ وعلى القارىء ان يستنتج.

● برايكم، هل وصلت الجهود الاميركية لعقد مؤتمر سلام الى طريق مسدود ؟

○ على الاقل هكذا تبدو الصورة. فبالرغم من ان الرئيس الاميركي، جورج بوش، بدأ مبادرته بالارض مقابل السلام وتنفيذ [القرارين] ٢٤٢ و٣٣٨ والانسحاب الاسرائيلي والحقوق السياسية المشروعة للشعب الفلسطيني والامن لاسرائيل، اذ به يتراجع في المارتينيك، [في] اثناء اجتماعه مع الرئيس الفرنسي، فرنسوا ميتران، عندما أعلن الرئيس ميتران في المؤتمر الصحافي (دعم) المؤتمر الدولي لحل مشكلة الشرق الاوسط وحق تقرير المصير للشعب الفلسطيني وبحقه في دولة مستقلة ومشاركة منظمة التحرير الفلسطينية، اذ بوش يعلن لاءاته الاربع لهذه التوجّهات الفرنسية، فالتقت اللاءات الاميركية مع اللاءات الاسرائيلية. هي نفس اللاءات. اذن، نحن لسنا أمام مبادرة سلام اميركية، لأن الرئيس بوش تراجع عنها. نحن أمام مشروع اسرائيلي كشفت عنه رسالة الرئيس بوش الى رئيس الوزراء الاسرائيلي، اسحق شامير، والتي أعلنها شامير، والتي أعطاه الحق في معارضة كل شيء، بما فيه معارضة تسمية الفلسطينيين الملحقين بأي وفد عربي. وكذلك الاعتراض على ديمومة المؤتمر، وحقه في الاعتراض على الامم المتحدة، وحقه في كذا. اذن، نحن لسنا أمام مؤتمر سلام اميركي، ولا مبادرة اميركية. نحن أمام مشروع اسرائيلي تحت راية العلم الاميركي. مشروع اسرائيلي لحل أزمة المنطقة على القاعدة الاسرائيلية، وطبقاً للشروط الاسرائيلية تحت العلم الاميركي.

● اذن، هذا رأيك في المبادرة الاميركية ؟

○ تراجعوا عنها. يكفي شيء واحد... القدس. هم صوتوا في مجلس الامن [الدولي] ضد ضمّ القدس. ومع ذلك وافقوا للاسرائيليين على ان لا ينضم للوفد الفلسطيني أي ممثّل عن القدس. أليس هذا تراجعاً؟ أليس هذا تراجعاً عن [القرار] ٢٤٢؟ أليس هذا تراجعاً عمّا تمّ الاتفاق عليه بيننا وبين الاميركيين في العام الماضي، [في] اثناء بحث مبادرة بيكر ذات النقاط الخمس للحوار الفلسطيني ـ الاسرائيلي؟ الاميركيون تراجعوا. هل أوقف الاميركيون الحوار مع الفلسطينيين خلال أزمة الخليج؟ قبل أزمة الخليج. ألم يستعملوا «الفيتو» في مجلس الامن [الدولي] في مذبحة القدس لحماية اسرائيل؟ وجاء المندوب الاميركي (توماس) بيكرينغ عندما أرسل رسائل لي عبر السكرتير العام للامم المتحدة وعبر المندوب المصري وعبر المندوب السوفياتي، واذ به يكذب علينا جميعاً ويتراجع عن كل ما قاله لي في جنيف [في] اثناء انعقاد مجلس الامن.

وبالرغم من اننا كنّا ايجابيين مع مبادرة السلام الاميركية، واصدرنا بياناً بتأييدها، وأبدينا استعداداً للتعاطي معها، وأصدرت القيادة الفلسطينية أوامر للوفود الفلسطينية أربع مرات لتقابل بيكر في

القدس، اضافة الى الوفود التي ذهبت من الداخل الى واشنطن. وبالرغم من هذا، حتى الآن ليس هناك أمام هذه الايجابية الفلسطينية الاّ مزيد من التعنّت الاميركي والرفض الاميركي والغموض الاميركي والضغوط الاميركية على الدول العربية الخليجية، لعدم دفع أي فلس، وأي مساعدة، للانتفاضة، أو لحماية القدس، أو لحراس المسجد الأقصى، أو للأوقاف الاسلامية.

• هل التمثيل الفلسطيني يشكّل عقبة في هذا المسعى الاميركي، أم ان كل المسعى تراجع كما تقول ؟

○ كل المسعى تراجع.

• ولكن هل ما زلت مستعداً للتعاطي معه ايجابياً؟ لنفترض ان بيكر عاد الى المنطقة، هل تسمح للشخصيات الوطنية في الداخل بان تقابله ؟

○ أنا سأتعامل مع كل شيء في حينه. أنا لا أعطي مقدّماً كما يعطي بعض العرب. أنا كل خطوة أعطي ردّاً عليها وأقرّر في وقتها ضمن منظور عام، وهو منظور البرنامج السياسي الذي أقرّه المجلس الوطني الفلسطيني، بما فيه مبادرة السلام الفلسطينية عام ١٩٨٨.

• ما هو موقفك من التمثيل الفلسطيني ؟

○ لقد اتفقنا مع الاميركيين في عام ١٩٩٠، وبوجود المصريين، على هذا التمثيل. أمّا اذا تراجع الاميركيون، فهذا شيء آخر. أنا مازلت ملتزماً بهذا الاتفاق.

• وهو ؟

○ هم يعرفونه.

• وفد فلسطيني مستقل ؟

○ هم يعرفون هذا الاتفاق. واذا تراجعوا عنه، فلي حساباتي في الموضوع.

• هل هناك توجّه لعقد دورة جديدة للمجلس الوطني الفلسطيني، لتقييم المرحلة ؟

○ نعم. نعم. وهناك دعوة استثنائية للمجلس المركزي في خلال اسبوعين سيتبعها مباشرة دعوة استثنائية لمجلس وطني استثنائي لبحث التطوّرات السياسية.

• متى تتوقّع ان ينعقد المجلس الوطني ؟

○ سيقرّر المجلس المركزي ذلك.

• هل ستدعي جميع الفصائل الفلسطينية المتواجدة في سوريا لحضور الاجتماع التحضيري للمجلس الوطني في تونس، في منتصف تموز (يوليو) ؟

○ نعم ستدعى.

• جميع الفصائل ؟

○ جميع الفصائل التي هي أعضاء في المجلس الوطني. كل من له حق الحضور سيحضر، أي أعضاء المجلس الوطني. حتى «حماس» أعضاء في المجلس الوطني. «حماس» لهم خمسة أعضاء في المجلس الوطني، ولهم ممثل في المجلس المركزي. أقول لك شيء: مقعد الشهيد خليل الوزير (عضو اللجنة المركزية لحركة فتح) ابو جهاد؛ عندما استشهد ابو جهاد في [العام] ١٩٨٨ خلا مقعده في المجلس الوطني، وهو مقعد لفتح، نحن قدّمناه لحماس. نحن من حقنا ان نملأ هذا المقعد الخاص بأخي ابو جهاد بشخص آخر من فتح. نحن قدّمناه هدية من فتح، وبما يحمل من معنى لن يكون مجرّد مقعد، لاخواننا في حماس. وقد عيّنت حماس أحد الاخوة وحضر.

• تصدر دعوات لضخ دم جديد في القيادة الفلسطينية لمساعدتك على التعاطي مع المتغيّرات الدولية والعربية. ما رايك بهذه الدعوات ؟

○ يبدو انك غريبة عن الجو الفلسطيني.

• (الجو الفلسطيني) الديمقراطي؟ لا، لست غريبة عنه ؟

○ لأن هذا أحد برامجي المستمرة في العمل الفلسطيني والقيادة الفلسطينية. هذه خطة اؤمن بها وأعمل لها. وهي مزيد من الدماء الجديدة من أعالي قمّة الهرم الى آخر جندي، والى آخر كادر.

• قلت ان المجلس الوطني سيقيّم المرحلة. هل لك ان تكون اكثر تحديداً ؟

○ لدى المجلس الوطني برنامج سياسي سيقيّمه حسب المرحلة ومدى تطابق هذا البرنامج السياسي مع المتغيّرات التي حدثت في المرحلة السابقة.

• ولكن البرنامج السياسي الذي اقرّ في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٨٨، اصبح (سياسة) ؟

○ سياسة الى ان يعقد المجلس الوطني.

• هل تلمّح الى انه يمكن ان يحدث تغيير ؟

○ لا ألمّح. هذا من حق المجلس الوطني.

ومن حق المجلس الوطني ان ينتخبني، أو يغيّرني. هذه الديمقراطية الحقيقية. ديمقراطيتنا هكذا. من حقه ان يغيّر البرنامج السياسي؛ من حقه ان يغيّر في أعضاء اللجنة التنفيذية؛ ومن حقه ان يغيّر في اللجان؛ ومن حقه كل شيء. هذا برلمان الشعب الفلسطيني.

• الانتفاضة تقف على مفترق طرق. ما هو التوجّه ؟

○ لا. لا. كل هذه الزوبعة التي عملوها طلعت تافهة. واليوم يعترفون، أكثر من أي وقت مضى، بأن الانتفاضة في مسيرتها وعمقها واندفاعاتها.

• كنت سألتك ما هو التوجّه الذي تتمنّى ان تأخذه الانتفاضة، هل هناك تفكير في اعادة التوجّه. فبعد ٤٣ شهراً، من الطبيعي ان يعاد التفكير في الاساليب وكل شيء نوع من اعادة التقييم ؟

○ نحن، دائماً وأبداً، نقوم بتقييم دقيق لكل مرحلة من مراحل نضالنا السياسية، والعسكرية، والاعلامية، والمالية. منذ ان قامت الانتفاضة، لدينا كل ثلاثة أشهر لجنة، تشترك فيها اللجنة العليا للانتفاضة مع اللجنة التنفيذية مع القيادة الفلسطينية، لتقييم هذه المرحلة. وبعد مرور أربعة أشهر على (انتهاء) حرب الخليج، بدأنا في تقييم مرحلة ما بعد الحرب. وهذه صحيفة «هآرتس» تنقل في عدد ١٩٩١/٦/٣٠ عن مصدر أمني اسرائيلي، قوله «ان الانتفاضة ليست في حالة جمود، بل على العكس حصلت مرة ثانية على اندفاعة». ويتوقع الاسرائيليون محاولات لعمليات مقاومة جديدة، في أعقاب تجميد المسيرة السلمية. كما انهم ينفون الاقوال «بأن الانتفاضة وصلت الى مرحلة الخمود وان المنظمة الارهابية تحاول اثبات ان هذه الانتفاضة ما زالت (مستمرة)، وهي تنجح في ذلك». وفي اجتماع عقده الجنرال روتشيلد مع عدد من القادة العسكريين، قالوا «ان الانتفاضة مستمرة وستستمر». وفي خبر آخر نقلت صحيفة «هآرتس» عن عسكريين في الارض المحتلة، والذين شاركوا في اجتماع للحكام العسكريين عقده منسّق النشاطات في الارض المحتلة، «انه لا توجد أية دلائل بأن الانتفاضة تخمد. وعلى العكس في الاراضي المحتلة ثمّة اتجاه للارتفاع بمستوى العنف وهو اتجاه سيستمر حسب اعتقادنا (العسكريون الاسرائيليون) خلال الاشهر المقبلة». وقال احدهم ان «المتطرفين، وعلى رأسهم القوات الضاربة، لا زالوا يؤثرون فينا (الاسرائيليين) وسيبحث المجلس السياسي الامني يوم الاربعاء المقبل (اليوم) طرق تصفية الانتفاضة». واتهم مندوب حركة «موليدت» بأن الحكومة لا تفعل المطلوب لانهاء الانتفاضة.

وقرّرت حركة «موليدت» الانسحاب من الحكومة «في حالة رفض شامير اجراء نقاش فوري، وجدّي، حول طرق تصفية الانتفاضة وبشكل سريع».

• ما هي نظرتكم المستقبلية للعلاقات بين منظمة التحرير وحماس ؟

○ اننا حريصون على وحدة البندقية الفلسطينية. وعلى وحدة العمل الفلسطيني، وعلى وحدة النضال داخل الانتفاضة بين القوى الفلسطينية، سواء كانت الحزب الشيوعي، الاخوان المسلمين، الجهاد الاسلامي، (الجبهة) الشعبية، (الجبهة) الديمقراطية، (جبهة التحرير) العربية، جبهة النضال، جبهة التحرير الفلسطينية. حصلت بعض المشاكل التنظيمية بين فتح، على سبيل المثال، وحماس، في نابلس، وقمنا بحلها. بعض المشاكل العشائرية في المعسكرات الوسطى في خان يونس قمنا بحلها أيضاً. وقبلها كانت بين الشعبية وفتح. وبعدها بين الشعبية والحزب الشيوعي، وتمّ حلها. هذه مشاكل الثورة. هل هناك ثورة بدون مشاكل؟

• ما هي مجالات التفاهم مع الحكومة اللبنانية حول موضوعي السلاح الفلسطيني والاتفاق السياسي؟ (أجريت المقابلة قبل اندلاع الاشتباكات) ؟

○ كما قلت، نحن حريصون على ان تقوم سلطة حقيقية للحكومة اللبنانية على كل الارض اللبنانية، بما فيها الشريط المحتل من كفرفالوس وحتى الناقورة. هذه الدائرة التي تشكّل أكثر من ١٥٠٠ كلم مربع.

لكن المحاباة الاميركية مستمرة، وما زالت واشنطن تتعامل بمعيار مزدوج وتتغاضى عن القرار [الرقم] ٤٢٥ الذي يطالب بانسحاب اسرائيل من كافة الاراضي اللبنانية المحتلة. ولماذا تريد ان تؤخّر هذا ليكون ضمن مؤتمر السلام في الشرق الاوسط؟ ما علاقة هذا الموضوع؟ لأن اسرائيل، بالنسبة للشريط اللبناني، أهمّ ما في الشريط ليس فقط الموضوع الامني أو العسكري أو التوسّعي، بما في ذلك الفلاشا التي بدأت تنشر لهم معسكرات ومستوطنات في سهل الخيام وفي منطقة كفرشوبا في لبنان، وانما تسرق منه منابع مياه رئيسة ثلاثة، الحاصباني والوزّاني والليطاني.

• **بالنسبة للوضع الفلسطيني (...) كيف سيكون الوضع على ضوء مطلب المنظمة منذ زمن بحوار حول اوضاع الفلسطينيين في لبنان، وطلبها بالاحتفاظ بالسلاح للدفاع عن المخيمات؟ هل فيه مجال للاتفاق ؟**

○ نحن، الآن، نجري اتصالات مكثّفة مع الاخوة اللبنانيين ومع الاخوة السوريين ومع أطراف اتفاق الطائف، لأن اتفاق الطائف هذا قرار من القمّة العربية التي نحن شركاء فيها، للوصول الى هذه الصورة التي نبتغيها كلّنا، بأن نصل الى اتفاق يحفظ أمن المخيمات ويحفظ البندقية الفلسطينية ضد الاحتلال الاسرائيلي، وفي نفس الوقت يحفظ السيادة اللبنانية وسيطرة الجيش اللبناني على كل شبر من الاراضي اللبنانية.

• **ما هي أوجه الخلاف و/او الاتفاق مع سوريا حول موضوعي لبنان والتسوية السياسية في المنطقة ؟**

○ في لبنان، الامور تجري بمسعى من الطرفين، الفلسطيني والسوري، للوصول الى حل يرضي الحكومة اللبنانية ويحفظ الحقوق الفلسطينية.

امّا العلاقة الفلسطينية ـ السورية حول مؤتمر السلام الدولي والتحرّكات الاميركية، فتقريباً المواقف متشابهة. فنحن مع المؤتمر الدولي؛ مع مشاركة الامم المتحدة، واوروبا، وقرارات الشرعية الدولية، وهي المطالب السورية.

• **وهل الاتفاق بالنسبة للبنان غير تامّ ؟**

○ لا، أبداً. بالعكس. هو حساسية الموقف السوري في لبنان. انه لا يجوز ان يتمّ هذا الّا من خلال الحكومة اللبنانية، لأن الحكومة السورية لا تتكلّم باسم الحكومة اللبنانية. ولكن نحن نطالبها لتقدّم مساعيها الخيّرة بيننا وبين الاخوة اللبنانيين في هذا المضمار.

• **قلت انك تريد حلاً يحفظ الحقوق الفلسطينية ويسمح للشرعية اللبنانية ان تمتد على كل اراضيها. اذن، هذا يعني ان منظمة التحرير تريد التمسّك بالبندقية الفلسطينية لحماية المخيمات ؟**

○ ما قلته واضح. واضح.

• **هل من كلمة، او رسالة مفتوحة، توجهونها الى كل من:**

١ ـ الرئيس بوش ؟

○ لقد قاد الحرب. فهل يستطيع ان يقود السلام؟

٢ ـ شامير ؟

○ لا تستطيع ان تعمل سلاماً من غير الفلسطينيين باعتبار ان الفلسطينيين هم الرقم الصعب في معادلة الشرق الاوسط.

٣ ـ المجموعة الاوروبية ؟

○ ان تقوم بواجبها وبما تمثّله من ثقل عالمي وعلاقات حميمة في المنطقة، لنستطيع، سوياً، ان نقيم السلام العادل والشامل في أرض السلام، في فلسطين.

٤ ـ الملك فهد ؟

○ خادم الحرمين، ان لا ينسى الحرم الثالث.

٥ ـ الرئيس مبارك ؟

○ ان نسعى نحن وإيّاه لتشكيل موقف عربي متضامن في مواجهة الخطة الاميركية ـ الاسرائيلية، التي تحاول ان تفرض نتائج أزمة الخليج وحرب الخليج في فلسطين وفي الصراع العربي ـ الاسرائيلي.

[القدس العربي، لندن، ١٩٩١/٧/٣؛ نقلاً عن ميدل ايست ميرور، بدون ذكر تاريخ النشر]

موجز الوقائع الفلسطينية
من ١٦/٤/١٩٩١ الى ١٥/٦/١٩٩١

١٦/٤/١٩٩١

• توقّع رئيس الحكومة الاسرائيلية، اسحق شامير، عودة العلاقات السوفياتية ـ الاسرائيلية في وقت قريب. واتهم شامير، في أعقاب مباحثات اجراها مع نظيره السوفياتي، فلاديمير بابلوف، بعض القيادات السوفياتية بعرقلة حل الاشكالات المتعلّقة بهذا الموضوع (**هآرتس**، ١٧/٤/١٩٩١).

• ذكر مراسلو الوكالة اليهودية في محطات عبور المهاجرين اليهود في بودابست وبوخارست ووارسو ان تحسّناً طرأ على أعداد اليهود الذين غادروا الاتحاد السوفياتي. وتوقّع هؤلاء ان يصل اسرائيل، في خلال نيسان (ابريل)، أكثر من ١٥ الف مهاجر. وكان وصل اسرائيل، منذ بداية الشهر عينه، حوالى ٧٤٥٠ مهاجراً، منهم ٦٧٠٠ من الاتحاد السوفياتي (**هآرتس**، ١٧/٤/١٩٩١).

١٧/٤/١٩٩١

• تواصلت المواجهات العنيفة بين المواطنين في الضفة الفلسطينية وقطاع غزة وقوات الاحتلال الاسرائيلية طوال اليومين الماضيين من أيام عيد الفطر السعيد، على الرغم من حظر التجوّل الذي فرضته سلطات الاحتلال على المناطق المحتلة كافة. واستشهد، في خلال ذلك، ثلاثة مواطنين في مدن الخليل والقدس ورفح (**الدستور**، عمّان، ١٨/٤/١٩٩١).

١٨/٤/١٩٩١

• واصلت سلطات الاحتلال الاسرائيلية غلق مدينة القدس ومنع المواطنين من الدخول اليها، وذلك تحسّباً لأية حوادث قد تقع بمناسبة زيارة وزير الخارجية الاميركية، جيمس بيكر، لاسرائيل، وذكرى اقامة الدولة العبرية. من جهة أخرى، أُلقيت الليلة الماضية زجاجة حارقة على حافلة اسرائيلية مرّت قرب مخيم شعفاط، فأُصيب مستوطن بجروح؛ كما هُوجمت دوريات عدّة للشرطة الاسرائيلية وقوات «حرس الحدود» والمستوطنين. وفي السياق عينه، وقعت اشتباكات متفرّقة بين المواطنين وقوات الاحتلال الاسرائيلية في مناطق عدّة من الضفة الفلسطينية وقطاع غزة (**الدستور**، ١٩/٤/١٩٩١).

• قال رئيس الاركان الاسرائيلية، الجنرال ايهود براك، في مقابلة متلفزة، ان أعمال التسلّل من الاردن أمر لا يمكن قبوله والتعايش معه، و«سنضطر الى ايجاد وسائل مع الاردنيين، الذين يبذلون الجهود للحؤول دون ذلك، أكثر نجاعة، بهدف ايقاف أعمال التسلّل» (**عل همشمار**، ١٩/٤/١٩٩١).

• ندّد رئيس الحكومة الاسرائيلية، اسحق شامير، لأول مرة، بتصريحات الوزير اريئيل شارون حول الاستيطان. وأعرب عن تأييده لآراء وزير الخارجية الاسرائيلية، دافيد ليفي، بعدم الاعلان عن استمرار الاستيطان عبر بوق كبير. وقال شامير، في تصريحات أدلى بها عشية الاحتفال بعيد تأسيس اسرائيل، انه «لا يوجد بين اعضاء الحكومة من يفكّر في ايقاف الاستيطان في أي منطقة، وان الخلاف ينحصر في طرق الاعلان عن الاستيطان، حيث لا ضرورة لابرازه» (**عل هشمار**، ١٩/٤/١٩٩١).

• دعا وزير الخارجية الاميركية، جيمس بيكر، اسرائيل، في أعنف تحذير توجّهه واشنطن الى تل ـ أبيب منذ مدة، الى ايقاف بناء مستوطنات جديدة وتوطين المهاجرين اليهود السوفيات فيها، معتبراً ان هذه العملية «ضمّ فعلي» للأراضي المحتلة. ووصف عملية التوطين بـ «تغيير الوقائع والظروف على الارض، في غياب مفاوضات بين الاطراف المعنيّة، تهدف الى حل النزاع العربي ـ الاسرائيلي» (**انترناشونال هيرالد تريبيون**، ١٩/٤/١٩٩١).

١٩/٤/١٩٩١

• تواصلت الاشتباكات في الضفة الفلسطينية

وقطاع غزة بين المواطنين وقوات الاحتلال الاسرائيلية، وأصيب، في اثنائها، عدد من المواطنين بجروح؛ فيما استمر فرض حظر التجوّل على بعض المناطق، وهدمت سلطات الاحتلال منزلاً في رفح يعود الى والد ياسر رزق الصوفي، المعتقل بتهمة طعن جندي اسرائيلي (**القدس العربي**، لندن، ٢٠ ـ ٢١/٤/١٩٩١).

١٩٩١/٤/٢٠

• تواصلت الصدامات بين المواطنين في المناطق المحتلة وقوات الاحتلال الاسرائيلية، التي استخدمت العيارات النارية والمطاطية وقنابل الغاز، ممّا أدّى الى اصابة عدد من المواطنين بجروح. وتمكّن شبان الانتفاضة من مهاجمة عدد من السيارات العسكرية وسيارات المستوطنين بالحجارة والزجاجات الفارغة، ممّا ألحق بها خسائر مادية؛ كما ألقى مواطنون زجاجتين حارقتين على دورية عسكرية اسرائيلية كانت تمرّ في جنين (**الدستور**، ٢١/٤/١٩٩١).

• قامت مجموعة من حركة «السلام الآن» الاسرائيلية، مهتمة بمتابعة النشاط الاستيطاني، بجولة على مستوطنة رفافاه واريئيل. وأفاد الناطق بلسان المجموعة بأن هدف الجولة هو محاولة التوصّل الى حوار مع المستوطنين، وايضاح الضرر الذي يسببه الاستيطان لعملية السلام ولأمن اسرائيل (**هآرتس**، ٢١/٤/١٩٩١).

• اتفق وزير الخارجية الاميركية، جيمس بيكر، وملك الاردن، حسين، على فتح صفحة جديدة من التنسيق والتعاون بين بلديهما، بعد طيّ صفحة «أزمة الخليج». جاء ذلك في اثناء محادثات أجرياها في العقبة، واتفقا، في خلالها، أيضاً، على ان يساعد الملك حسين في ايجاد حل لأزمة التمثيل الفلسطيني في المؤتمر الاقليمي، في اطار وفد اردني ـ فلسطيني مشترك. ومن جهته، وعد بيكر بالعمل على تحسين العلاقات بين الاردن وكل من السعودية ودول الخليج، واعطاء الاردن دوراً هامّاً في مسار السلام (**هآرتس**، ٢١/٤/١٩٩١).

١٩٩١/٤/٢١

• أجرى رئيس دولة فلسطين، ياسر عرفات، في صنعاء، جولة مباحثات مع الرئيس اليمني، علي عبدالله صالح، تناولت آخر تطوّرات الوضع على الساحة العربية، عموماً، والقضية الفلسطينية، خصوصاً. وركّز الجانبان على ضرورة بذل أقصى الجهود لتطوير الوضع العربي، بما يخدم مصالح الأمّة (**وفا**، تونس، ٢١/٤/١٩٩١).

• تعرّض مستوطن للطعن بسكين في منطقة القدس، وأصيب آخران بجروح وحروق عند مدخل بلدة السمّوع، بعد القاء زجاجة حارقة على سيارة كانت تقلّهما؛ كما أصيبت مجنّدة اسرائيلية في منطقة تل ـ أبيب بطعنة سكين. في هذا الوقت، تواصلت فعاليات الانتفاضة، فهاجم مواطنون دوريات للعدو بالحجارة والزجاجات الفارغة والحارقة، فردّت قوات العدو باطلاق العيارات النارية والمطاطية وقنابل الغاز، حيث أصيب عشرات المواطنين بجروح، جرّاء ذلك (**الدستور**، ٢٢/٤/١٩٩١).

١٩٩١/٤/٢٢

• أكد الرئيس الفلسطيني، ياسر عرفات، في حضور أعضاء المجلس المركزي، الذي بدأ اجتماعاته أمس، ان ما تمرّ به الثورة الفلسطينية، الآن، لا يعدو كونه «وضعاً صعباً مؤقتاً». وانتقد الرئيس عرفات الموقف الاميركي العدائي تجاه الثورة الفلسطينية، وقال انه موقف سابق لأزمة الخليج، وليس بسببها. وأعلن رفض م.ت.ف. السماح لاسرائيل، أو لأميركا، بتسمية أي كان لوفد فلسطيني، أو فرض الحكم الذاتي (**وفا**، ٢٣/٤/١٩٩١).

• شهدت المناطق الفلسطينية المحتلة صدامات بين المواطنين وقوات الاحتلال الاسرائيلية، أسفرت عن اصابة خمسين مواطناً بجروح واعتقال أكثر من أربعين آخرين، معظمهم من طولكرم، في سياق حملة تمشيط قامت بها قوات الاحتلال في المنطقة، بمشاركة مروحيات عسكرية (**الدستور**، ٢٣/٤/١٩٩١).

• جدّد رئيس الحكومة الاسرائيلية، اسحق شامير، في مقابلة مع صحيفة «لوموند» الفرنسية، رفضه المطلق للتخلّي عن المناطق الفلسطينية المحتلة. وقال انه أمين لتاريخه وأسلوبه في ادارة المسائل السياسية (**هآرتس**، ٢٣/٤/١٩٩١).

• أُقيمت، عشية زيارة وزير الخارجية الاميركية، جيمس بيكر، لاسرائيل، وبشكل سري، مستوطنة جديدة في الضفة الفلسطينية المحتلة، على بُعد حوالى عشرة كيلومترات شمال غرب مدينة رام الله. وقد أُطلق على هذه المستوطنة اسم «تلمون ـ ب»

(هآرتس، ٢٣/٤/١٩٩١).

١٩٩١/٤/٢٣

• اجتمع رئيس دولة فلسطين، ياسر عرفات، في العاصمة الليبية، طرابلس، مع وزير الخارجية الفرنسية، رولان دوما، وأجريا بحثاً شاملاً في آخر المستجدات على جبهة الصراع في الشرق الاوسط. وثمّن الرئيس عرفات المواقف الفرنسية من عقد المؤتمر الدولي على أساس الشرعية الدولية وبمشاركة م.ت.ف. وبالمقابل، أكد الوزير الفرنسي التزام الحكومة الفرنسية الشرعية الدولية ومؤتمر السلام، وضرورة حل القضية الفلسطينية، حلاً عادلاً، لضمان الأمن والاستقرار واقامة دولة فلسطينية مستقلة (وفا، ٢٣/٤/١٩٩١). من جهة أخرى، اجتمع الرئيس عرفات، في وقت لاحق، في تونس، مع نائب رئيس الجمهورية العراقية، طارق عزيز، في حضور الأمين العام للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، د. جورج حبش، حيث نوقشت مواضيع هامّة تخصّ العراق والأمّة العربية، بما في ذلك الاحداث الداخلية التي شهدها العراق في مناطقه الشمالية والجنوبية (المصدر نفسه).

• استمرت الصدامات العنيفة بين المواطنين في الضفة الفلسطينية وقطاع غزة وقوات الاحتلال الاسرائيلية، فأُصيب عدد من المواطنين بجروح وأُجهضت نساء عدّة في القطاع. بالمقابل، حطّمت القوات الضاربة الفلسطينية زجاج ثلاث سيارات اسرائيلية في قباطية، وأُصيب جندي اسرائيلي برصاص زميل له أطلق النار عليه وهو متنكّر بزي مدني (الدستور، ٢٤/٤/١٩٩١).

• نظّم نشطاء حركة «السلام الآن» الاسرائيلية تظاهرة احتجاجية على الطريق الى منزل رئيس الحكومة الاسرائيلية، وانضم اليهم أعضاء كنيست من حزب مبام وداديّ تسوكر من حركة راتس، ورفع المتظاهرون يافطات كثيرة، بينها «شامير رافض الخدمة في النضال من اجل السلام» و«دولتان لشعبين» (عل همشمار، ٢٤/٤/١٩٩١).

١٩٩١/٤/٢٤

• استشهد المواطن حسن ابو مرّ (٢٠ عاماً)، من رفح، جرّاء اصابته بعيار ناري أطلقه جندي اسرائيلي عليه. وعمّ الاضراب التجاري مناطق رام الله وجنين وطولكرم، وشهدت القدس اضراباً جزئياً، احتجاجاً على السياسة الاستيطانية. وفي السياق ذاته، صادرت سلطات الاحتلال الاسرائيلية مساحة قدّرت بستة دونمات من أراضي دير الحطب وأقامت عليها نقطة عسكرية، وهدمت ثمانية محال تجارية في سوق رفح، واستولت على ٤٠٠ دونم من أراضي المزرعة الغربية، قضاء رام الله. من جهة أخرى، ذكرت مصادر فلسطينية ان مواطنيْن اشتبه بتعاونهما مع سلطات الاحتلال قتلا في جنوب قطاع غزة على يد مجهولين، كما عثر على جثة متعاون ثالث، في يَعْبَد، وقد طعنت بسكين (الدستور، ٢٥/٤/١٩٩١).

• طالب ستة أعضاء كنيست، من المعراخ وراتس ومبام وشينوي، رئيس الحكومة الاسرائيلية، اسحق شامير، بتحديد موقف، بنفي، أو باقرار، المعلومات التي أوردها تقرير منظمة «بتسيلم» حول أساليب التحقيقات المتّبعة في جهاز الأمن العام الاسرائيلي (الشاباك). وكان التقرير اتهم الأجهزة المعنيّة باستخدام أساليب تضمّنت التعذيب والتنكيل بالمعتقلين الفلسطينيين (هآرتس، ٢٥/٤/١٩٩١).

١٩٩١/٤/٢٥

• استقبل رئيس دولة فلسطين، ياسر عرفات، في تونس، وعلى التوالي، سفير ايطاليا في تونس، كلاوديو مورينو، وسفير السويد، ماغنوس فكسن، وسفير الهند، راج سود. وخلال الاستقبالات، تمّ البحث في تطوّرات الموقف في الشرق الاوسط؛ وشرح الرئيس عرفات للسفراء الثلاثة توجّهات القيادة الفلسطينية وقرارات المجلس المركزي الفلسطيني، في ضوء اجتماعاته التي عقدت من ٢١ ـ ٢٤/٤/١٩٩١، وكذلك العلاقات الثنائية بين فلسطين وكل من ايطاليا والسويد والهند (وفا، ٢٥/٤/١٩٩١).

• تصاعدت حدّة الاشتباكات بين المواطنين في الضفة الفلسطينية وقطاع غزة وقوات الاحتلال الاسرائيلية، وتمكّن المواطنون، في خلالها، من تحطيم زجاج عشرات السيارات التابعة لقوات الاحتلال ولمستوطنين. وأُلقيت زجاجتان حارقتان على حافلة اسرائيلية عند مشارف بلدة برطعة، شمال تل ـ أبيب، ولم يبلغ عن اصابات؛ وأُلقيت زجاجة حارقة ثالثة على دورية اسرائيلية مرّت في نابلس؛ ورابعة في رفح؛ وخامسة على برج مراقبة عسكري في جنين. وأسفرت الاشتباكات، عموماً، عن اصابة ٢٢ مواطناً بجروح، واعتقال عشرات آخرين، وهدم أربعة منازل وغلق

مدرستين (الدستور، ٢٦/٤/١٩٩١).

• قال وزير الدفاع الاسرائيلي، موشي ارنس، في حضور أعضاء رابطة اصدقاء معهد وايزمان، ان صيغة عقد مؤتمر دولي للسلام وفكرة «مناطق مقابل السلام» لن تقود الى السلام. واتهم المطالبين بالتنازل عن «اراض» مقابل السلام بالتماثل مع زعيم ألمانيا في الثلاثينات، حين طالب بالحصول على مناطق مقابل عدم شنّ الحرب (عل همشمار، ٢٦/٤/١٩٩١).

١٩٩١/٤/٢٦

• انتشرت قوات كبيرة من الشرطة والجيش الاسرائيليين على شوارع بلدة القدس القديمة، وحاصرت أبواب الحرم القدسي، تحسّباً لوقوع صدامات بعد أداء صلاة الجمعة؛ فيما واصلت قوات أخرى فرض حظر التجوّل على بلدة دورا (قضاء الخليل) لليوم الثاني، وفرضت حظراً مماثلاً على الحي القديم في الخليل، بعد صدامات وقعت بين المواطنين وقوات الاحتلال الاسرائيلية. وكانت مناطق مختلفة في الضفة الفلسطينية وقطاع غزة شهدت صدامات بين المواطنين فيها وقوات الاحتلال، أسفرت عن جرح ٣٨ مواطناً، في مقابل اصابة جندي اسرائيلي بجروح (وفا، ٢٦/٤/١٩٩١).

١٩٩١/٤/٢٧

• اجتمع رئيس دولة فلسطين، ياسر عرفات، في صنعاء، مع الرئيس اليمني، علي عبدالله صالح، وأطلعه على نتائج اجتماعات المجلس المركزي الفلسطيني في دورته الاخيرة، والقرارات الهامّة التي صدرت عنه، بالاضافة الى التطوّرات الخاصة بالقضية الفلسطينية، والتحرّكات السياسية الجارية بخصوصها (وفا، ٢٧/٤/١٩٩١).

• شهدت مناطق الضفة الفلسطينية وقطاع غزة صدامات متفرّقة بين المواطنين فيها وقوات الاحتلال الاسرائيلية، أُصيب، في خُلالها، أكثر من خمسين مواطناً بجروح، واعتقل آخرون، فيما استمر الحصار مفروضاً على رفح ومخيماتها، وعلى الخليل ودورا اللتين لا تزالان تعيشان تحت ضغط حظر التجوّل وحصار عسكري شديد. من جهة أخرى، أُلقيت زجاجتان حارقتان على سيارتي دوريتين عسكريتين اسرائيليتين في حي الشجاعية، في غزة، فاشتعلت النيران باحداهما؛ فيما أُصيب بجروح أكثر من ٣٨ مواطناً، في مجموع الصدامات التي وقعت اليوم (الدستور، ٢٨/٤/١٩٩١).

• قال زعيم حزب «العمل» الاسرائيلي، شمعون بيرس، انه لا فرق بين مؤتمر دولي وآخر اقليمي. وأعرب عن سروره لموافقة الحكومة الاسرائيلية على المؤتمر الذي كانت تعتبره «خيانة للأمّة». وقال بيرس انه «اذا صحّ ما نشر حول هذا الموضوع، فان الحكومة تكون قد قبلت بما اقترحته في الماضي» (هآرتس، ٢٨/٤/١٩٩١).

• أكد وزير الخارجية الاميركية، جيمس بيكر، ان بلاده غير قادرة على فرض السلام في المنطقة، «ولا يمكن تحقيق السلام، ما لم تبد الاطراف المتنازعة، نفسها، الرغبة في ذلك». وأضاف، ان الدور الاميركي يبقى «دوراً مساعداً» للاطراف في حلّ مشاكلهم (انترناشونال هيرالد تريبيون، ٢٧ ـ ٢٨/٤/١٩٩١).

١٩٩١/٤/٢٨

• استشهد مواطن من رفح، جرّاء التعذيب الذي تعرّض له في المعتقل على يد جنود الاحتلال الاسرائيلي، فيما تواصلت الصدامات بين المواطنين في المناطق المحتلة وقوات الاحتلال، وتمكّن المواطنون، في خلالها، من اصابة جندي اسرائيلي بحجر في رأسه في جنين، واصابة آخر بجروح في يَعْبَد، وحطّموا زجاج عشرات السيارات الاسرائيلية. وأُصيب، بالمقابل، خمسون مواطناً بجروح، وأُجهضت نساء عدّة، واعتقل أكثر من ٢٥ مواطناً (الدستور، ٢٩/٤/١٩٩١).

• ذكرت أوساط سياسية اسرائيلية، رفيعة المستوى، ان اسرائيل عبّرت عن استعدادها للموافقة على عقد مؤتمر دولي للسلام في الشرق الاوسط، شرط ان يسبقه تفاهم واتفاقيات خلال المحادثات المباشرة بين اسرائيل والدول العربية؛ وبينها وبين وفد فلسطيني، بهدف الحصول على اقرار دولي بتلك الاتفاقيات (عل همشمار، ٢٩/٤/١٩٩١).

• اشترط رئيس الحكومة الاسرائيلية، اسحق شامير، مشاركة اوروبا في المسار السياسي في الشرق الاوسط من خلال تقديم ايضاحات مسبقة تجاه مواقفها السياسية تجاه سلسلة طويلة من القضايا، بينها علاقاتها بـ م.ت.ف. وموضوع اقامة دولة فلسطينية (عل همشمار، ٢٩/٤/١٩٩١).

١٩٩١/٤/٢٩

• رحّب رئيس دولة فلسطين، ياسر عرفات، برغبة ملك المغرب، الحسن الثاني، بعقد اجتماع عاجل لمؤتمر وزراء خارجيات الدول الاسلامية. وصرّح الرئيس عرفات بأن جميع التطوّرات والمستجدات، وبصورة خاصة تطوّرات القضية الفلسطينية والمخاطر المتزايدة حول القدس، تستدعي عقد هذا الاجتماع، «لاعادة تنشيط العمل الاسلامي المشترك، وتعزيز أواصر الوحدة الاسلامية - الاسلامية، وفتح صفحة جديدة في العلاقات العربية، والاسلامية، بعد التطوّرات الاخيرة» (وفا، ٢٩/٤/١٩٩١). من جهة أخرى، استقبل الرئيس عرفات رئيس مجلس السلم العالمي، روميش شاندرا، وبحث معه في آخر تطوّرات الوضع في الشرق الاوسط، والجهود التي يمكن ان يقوم بها مجلس السلم العالمي، لدعم، وتعزيز، كفاح الشعب الفلسطيني (**المصدر نفسه**).

• تواصلت الاشتباكات في انحاء متفرّقة من المناطق المحتلة بين المواطنين وقوات الاحتلال الاسرائيلية، فأسفرت عن اصابة عشرات المواطنين بجروح، واعتقال عشرات آخرين، خصوصاً في مناطق بيت لحم وطولكرم والخليل والقدس. وألقت القوات الضاربة الفلسطينية زجاجتين حارقتين، احداهما باتجاه سيارة عسكرية اسرائيلية في قلقيلية، والاخرى على نقطة مراقبة عسكرية اسرائيلية في نابلس. كما أُصيب ثلاثة جنود اسرائيليين بجروح وحروق، في غزة ويَعْبَد، اثر تعرّض دوريتين اسرائيليتين لزجاجات حارقة، ألقاها مواطنون (**الدستور**، ٣٠/٤/١٩٩١).

• هاجم عضو الكنيست، يوسي ساريد (راتس)، رئيس الحكومة الاسرائيلية، اسحق شامير، واتّهمه، في حضور لجنة الخارجية والامن التابعة للكنيست، بأنه يخدع العالم كله، ويضمنه أعضاء في الحكومة الاسرائيلية والمعارضة، وحتى الرئيس الاميركي، جورج بوش، ووزير خارجيته، جيمس بيكر. وخاطب ساريد شامير بقوله: «لقد أصبحت مشكلة قومية خطرة» (**وفا**، ٣٠/٤/١٩٩١).

١٩٩١/٤/٣٠

• استقبل الرئيس الفلسطيني، ياسر عرفات، في تونس، سفير جمهورية كوريا الديمقراطية الشعبية، وأشار في خلال اللقاء الى العلاقات المتينة بين الشعبين، الفلسطيني والكوري، وأعرب عن تأييد فلسطين لوحدة كوريا، طبقاً لمبادرة الزعيم الكوري، كيم ايل سونغ. من جانبه، جدّد السفير الكوري موقف بلاده الداعم لنضال الشعب الفلسطيني، من أجل حريته واستقلاله (**وفا**، ٣٠/٤/١٩٩١).

• ذكر ناطق اسرائيلي ان فلسطينياً طعن اسرائيلياً بالقرب من تل - أبيب وأصابه بجروح. وقع الحادث في مستوطنة ياغل، وقد لاذ المهاجم بالفرار؛ غير ان الشرطة الاسرائيلية ألقت القبض، في وقت لاحق، على مشتبه به، ذكرت انه اعترف بطعن الاسرائيلي. في السياق عينه، ذكرت الاذاعة الاسرائيلية ان سائحة فرنسية قُتلت طعناً بسكين في أحد مطاعم بيت لحم، ولم تعرف هوية القاتل. في هذا الوقت، تواصلت الصدامات العنيفة بين المواطنين في المناطق المحتلة وقوات الاحتلال، ممّا أدّى الى اصابة عدد من المواطنين بجروح (**الدستور**، ١/٥/١٩٩١).

• تبيّن من الوثائق التي أعدّتها طواقم عمل في وزارة البناء والاسكان الاسرائيلية، ان الوزارة خطّطت لبناء ٢٤ ألف وحدة سكنية في الضفة الفلسطينية، سيقطنها ٨٨ ألف يهودي (**هآرتس**، ١/٥/١٩٩١).

• سمح قائد المنطقة الوسطى الاسرائيلي، اللواء داني يتوم، لحركة «السلام الآن» بالقيام بجولات احتجاجية على شمال الضفة الفلسطينية، ضد تصاعد وتيرة الاستيطان في المنطقة. مع هذا، رفض قائد المنطقة الوسطى السماح للحركة بعقد اجتماع احتجاجي مقابل الكنيس القائم في مستوطنة اريئيل (**هآرتس**، ١/٥/١٩٩١).

• انضمت حركة تسومت الى حركة هتحياه في الدعوة الى الانسحاب من الائتلاف الحكومي القائم، في حال موافقة الحكومة الاسرائيلية على عقد مؤتمر اقليمي مستمر، وتعبيرها عن استعدادها لتقديم تنازلات جديدة للعرب بضغط اميركي. ومن جهته، بعث عضو الكنيست، يوآش تسيدون، بتحذير، بهذا المعنى، الى رئيس الحكومة الاسرائيلية، اسحق شامير (**معاريف**، ١/٥/١٩٩١).

١٩٩١/٥/١

• قام رئيس دولة فلسطين، ياسر عرفات، بزيارة مقر الأمانة العامة للاتحاد العام لعمّال فلسطين، وذلك بمناسبة عيد العمّال العالمي الذي يصادف اليوم. كما التقى الرئيس عرفات، في وقت لاحق، في تونس، مسؤولي وكوادر المنظمات الشعبية الفلسطينية،

وشرح، في حضورهم، مختلف تطوّرات القضية الفلسطينية (وفا، ١/٥/١٩٩١).

• استشهد، في مستشفى رام الله، الطفل نضال عينبوس (١١ عاماً)، متأثراً بجروح كان أُصيب بها في السادس والعشرين من نيسان (ابريل) الماضي، فيما استمرت الصدامات بين قوات الاحتلال الاسرائيلية والمواطنين في المناطق المحتلة، حيث أسفرت عن اصابة ٢١ مواطناً برضوض وجروح، واعتقال عدد آخر، واجهاض ثلاث نساء في غزة. وألقت القوات الضاربة الفلسطينية زجاجتين حارقتين على دورية اسرائيلية، في اثناء مرورها في رفح، ولم يسفر الحادث عن أضرار (وفا، ١/٥/١٩٩١).

• ردّ رئيس الحكومة الاسرائيلية، اسحق شامير، بالرفض على اقتراح وزير الخارجية الاميركية، جيمس بيكر، تجاه عقد المؤتمر الاقليمي بين الحين والآخر للبحث في ايجاد حل للنزاعات في الشرق الاوسط. وأشار شامير الى ان اسرائيل تعارض، بشدة، أيضاً، ضمّ ممثلين عن السوق الاوروبية في اللقاء الافتتاحي للمؤتمر، وعبّر عن استعداده لبدء مفاوضات بين اسرائيل والاردن وفلسطينيين بدون مشاركة سوريا ولبنان (معاريف، ٢/٥/١٩٩١).

• أكد الرئيس الاميركي، جورج بوش، انه «غير متشائم» ازاء فرص السلام في الشرق الاوسط، على الرغم من وجود «عقبات كثيرة»، مشيراً الى انه يريد مواصلة جهوده في هذا المجال (الواشنطن بوست، ٢/٥/١٩٩١).

٢/٥/١٩٩١

• بعث رئيس دولة فلسطين، ياسر عرفات، برسالة هامّة الى رئيس زيمبابوي، روبرت موغابي، تتعلّق بالاوضاع والتطوّرات الاخيرة في منطقة الشرق الاوسط. وقام مبعوث شخصي للرئيس عرفات بتسليم الرسالة، في خلال استقبال الرئيس موغابي له (وفا، ٢/٥/١٩٩١).

• استشهد المواطن مصباح عبدالحميد ابو ندى (٢٢ عاماً)، من مخيم جباليا، برصاص أحد عملاء الاحتلال الاسرائيلي. وكان الشهيد ضمن مجموعة حاولت اقناع العميل بالعودة عن خيانته، الّا ان العميل ردّ باطلاق النار فأصاب أبو ندى برصاصة قاتلة. وأدّى الحادث الى تفجّر الصدامات في المخيم، وامتدادها، لاحقاً، الى مخيمي خان يونس ورفح، اللذين شهدا، أيضاً، اشتباكات عنيفة بين المواطنين والقوات الاسرائيلية التي أصابت ثلاثة شبان بالرصاص، واعتدت على عشرين آخرين بالضرب (الدستور، ٣/٥/١٩٩١).

• كشف استقصاء أجراه معهد داحف في اسرائيل عن ان حوالى ٦٣ بالمئة من المهاجرين اليهود الجدد ينتمون، سياسياً، الى معسكر اليسار، بينما ١٨ بالمئة ينتمون، سياسياً، الى معسكر اليمين. وعلى الرغم من ذلك، فان ما يزيد على الـ ٦٠ بالمئة من بين المهاجرين يعتقدون بأنه ينبغي على اسرائيل عدم التخلّي عن المناطق المحتلة (دافار، ٣/٥/١٩٩١).

• رفض رؤساء مجلس مستوطنات الضفة الفلسطينية وقطاع غزة اقتراحاً قدّمه وزير الدفاع الاسرائيلي، موشي ارنس، يرمي الى الاسراع في تكثيف المستوطنات باقامة مئات من الوحدات السكنية، بدلاً من وضع بعض «الكرافانات» في نقاط استيطانية جديدة (هآرتس، ٣/٥/١٩٩١).

٣/٥/١٩٩١

• بعث رئيس دولة فلسطين، ياسر عرفات، برسالة الى الرئيس السنيغالي، عبدو ضيوف، تتعلّق بالاوضاع والتطوّرات في منطقة الشرق الاوسط والوضع على صعيد القضية الفلسطينية. وقد قام مستشار الرئيس عرفات للشؤون الافريقية بتسليم الرسالة الى الرئيس ضيوف، الذي التقاه في العاصمة السنيغالية داكار (وفا، ٣/٥/١٩٩١).

• تصاعدت المواجهات بين المواطنين في الضفة الفلسطينية وقطاع غزة وقوات الاحتلال الاسرائيلية، فأسفرت عن استشهاد عصام شحدة حامد قفيشة (١٨ عاماً)، من الخليل، اثر اصابته بعيار ناري، واستشهد، في وقت لاحق، حسن محمد ابو جراد (١٩ عاماً)، من بيت حانون، في قطاع غزة، متأثراً بجروح كان أُصيب بها في مواجهات في القرية وقعت في أيار (مايو) الماضي. واستشهد، أيضاً، نهاد حسن محمود زغلول (١٩ عاماً)، من دير شرف، في ظروف غامضة. وبوجه عام، أسفرت المواجهات، اليوم، عن اصابة ٤٢ مواطناً بجروح، واعتقال عشرات آخرين (الدستور، ٤/٥/١٩٩١).

١٩٩١/٥/٤

• اندلعت صدامات عنيفة في احياء عدّة من مدينة الخليل. وفرضت سلطات الاحتلال الاسرائيلية نظام حظر التجوّل، وأعلنت الخليل منطقة عسكرية مغلقة. كما فرضت حظر تجوّل مماثلاً على ميدان فلسطين في غزة، وأغلقت جميع المداخل المؤدية الى وسط المدينة. من جهة أخرى، ألقت القوات الضاربة الفلسطينية زجاجة حارقة باتجاه سيارة عسكرية اسرائيلية في مدينة طولكرم. وفي القدس، اعتدى جنود اسرائيليون على شاب من مخيم الجلزون، وقاموا بضربه بوحشية؛ كما اعتقلت سلطات الاحتلال الاسرائيلية عدداً من المواطنين من مناطق متفرّقة (الدستور، ٥/٥/١٩٩١).

• اتهم وزير البناء والاسكان الاسرائيلي، اريئيل شارون، في حضور نشيطي الجباية اليهودية في نيويورك، الادارة الاميركية بمحاولة فرض «صفقة مناطق مقابل يهود» على اسرائيل، عبر تهديدها بتأخير تقديم ضمانات للقروض المطلوبة لاستيعاب المهاجرين الجدد (معاريف، ٥/٥/١٩٩١).

• انتقد سفير الولايات المتحدة الاميركية في اسرائيل، وليام براون، سياسة اسرائيل في مجال الاستيطان في المناطق المحتلة، وفي المجال الاقتصادي، واستيعاب الهجرة (هآرتس، ٥/٥/١٩٩١).

١٩٩١/٥/٥

• تواصلت الصدامات العنيفة في مدن وقرى ومخيمات الضفة الفلسطينية وقطاع غزة بين المواطنين وقوات الاحتلال الاسرائيلية، فأسفرت عن اصابة عدد من المواطنين بجروح، واعتقال آخرين في اطار حملة دهم شنّتها قوات الاحتلال وطاولت مناطق بيت لحم وجنين ورام الله وطولكرم وقلقيلية. وتمكّنت القوات الضاربة الفلسطينية من مهاجمة دورية عسكرية اسرائيلية في جنين، وألقت عليها زجاجتين حارقتين. وذكرت الانباء، ان ثلاثة من رجال الشرطة الاسرائيلية أصيبوا بجروح في اشتباكات مع المواطنين، في القدس (الدستور، ٦/٥/١٩٩١).

• اجتمع، في عمّان، وفد فلسطيني، برئاسة عضو اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية، محمود عباس (ابو مازن)، مع رئيس وزراء الاردن، مضر بدران، بحضور سفير فلسطين ووزير خارجية الاردن. وأجري، في خلال الاجتماع، استعراض لآخر التطوّرات في منطقة الشرق الاوسط، والجهود الدولية الرامية الى تحقيق تسوية عادلة، وشاملة، للقضية الفلسطينية. وعبّر الجانبان، الفلسطيني والاردني، عن اتفاقهما على أهمية الاستمرار في تنسيق المواقف المشتركة (وفا، ٥/٥/١٩٩١).

• بعث عضوا الكنيست، ران كوهين ويوسي ساريد، برسائل الى كل من رئيس الحكومة الاسرائيلية، اسحق شامير، ووزير الدفاع، موشي ارنس، طالبا فيها بالعمل على منع اقامة مستوطنة جديدة بالقرب من الخليل، في موقع يدعى «هارمنوح». وكشف كوهين وساريد عن ان الاستعدادات العملية لاخلاء معسكر تابع للجيش الاسرائيلي قد استكملت، تمهيداً لاقامة المستوطنة الجديدة (دالفار، ٦/٥/١٩٩١).

١٩٩١/٥/٦

• اجتمع رئيس دولة فلسطين، ياسر عرفات، في تونس، مع الامين العام لمنظمة العمل الشيوعي في لبنان، محسن ابراهيم، وتناول الاجتماع العلاقات الفلسطينية ـ اللبنانية، ونتائج الاجتماعات التي عقدها ابراهيم مع القيادة اللبنانية ومختلف القيادات السياسية حول الوجود الفلسطيني في لبنان، وكذلك نتائج زيارته لدمشق ولقاءاته مع المسؤولين السوريين (وفا، ٦/٥/١٩٩١).

• استشهد المواطن عنان محمد خالد زيدان (١٧ عاماً)، وهو أصمّ وأبكم، في اثناء مواجهات شهدها مخيم طولكرم بين المواطنين وقوات الاحتلال الاسرائيلية؛ كما استشهد نمر حسن ضراغمة (٢٠ عاماً)، في اثناء اشتباكات مماثلة وقعت في طوباس، ليلة أمس؛ وعمّ الاضراب التجاري مختلف مناطق الضفة الفلسطينية وقطاع غزة، فيما اعتقلت سلطات الاحتلال عدداً من المواطنين في مناطق متفرّقة (الدستور، ٧/٥/١٩٩١).

• طلب المجلس الاقليمي لمنطقة بنيامين من الجيش الاسرائيلي توسيع المساحة القريبة من مستوطنة «دولب»، التي تمّ وضع اليد عليها بأمر عسكري بعد مقتل احد سكان المستوطنة، المدعو يائير مندسون، جرّاء اطلاق النار عليه من كمين قبل حوالى شهرين، لكي يصبح بالامكان اقامة مستوطنة ثابتة هناك (هآرتس، ٧/٥/١٩٩١).

• ذكر رئيس ادارة الوكالة اليهودية، سيمحا

دينتس، ان معدّل الهجرة اليهودية من الاتحاد السوفياتي الى الولايات المتحدة الاميركية تقلّص هذا العام كثيراً، ولم يهاجر سوى بضعة آلاف فقط، في اطار الحصة المسموح بها. ففي العام الماضي، لم يكتمل عدد المهاجرين وفق الحصة التي تبلغ اربعين ألف مهاجر يهودي. ويعود السبب الى استخدام الاتحاد السوفياتي معايير أكثر تشديداً من تلك المستخدمة تجاه المهاجرين الى اسرائيل (**هآرتس**، ١٩٩١/٥/٧).

١٩٩١/٥/٧

• بعث الرئيس الفلسطيني، ياسر عرفات، برسالة الى رئيس جمهورية تنزانيا، علي حسن موينى، يتعلّق مضمونها بآخر التطوّرات السياسية في المنطقة. وقام مبعوث شخصي للرئيس عرفات بتسليم الرسالة الى الرئيس موينى، الذي استقبله في دار السلام (**وفا**، ١٩٩١/٥/٧).

• شنّت قوات الاحتلال الاسرائيلية حملة اعتقالات واسعة تركّزت على مناطق نابلس وجنين والخليل، وطاولت أكثر من خمسين مواطناً؛ كما أصيب ثلاثون آخرون بجروح مختلفة، في خلال مواجهات مع قوات الاحتلال، وقعت في مناطق متفرّقة من الضفة الفلسطينية وقطاع غزة. من جهة اخرى، ألقى شبّان الانتفاضة زجاجة حارقة باتجاه دورية عسكرية اسرائيلية مرّت في رفيديا، القريبة من نابلس، وقد اشتعلت النار بالدورية (**الدستور**، ١٩٩١/٥/٨).

• قرّر الجيش الاسرائيلي اتباع سياسة عمل جديدة في المناطق المحتلة. وفقاً لهذه السياسة، سيتمّ تقليص القوات المتواجدة، وتخفيض عدد الحواجز والتقليل من تسيير الدوريات على مفارق الطرق. وبالمقابل، سيضاعف الجيش الاسرائيلي نشاط الوحدات المختارة، للقيام بمهمات خاصة (**معاريف**، ١٩٩١/٥/٨).

• صرّح الناطق بلسان وزارة الخارجية السوفياتية، فيتلي تشوركين، في مقابلة هاتفية مع اذاعة اسرائيل، بأن اعادة العلاقات الدبلوماسية مع اسرائيل مرحلة مستقبلية مرهونة بتقدّم مسار السلام في الشرق الاوسط. وأضاف الناطق ان بلاده لا تنوي رفع مستوى العلاقات مع اسرائيل في خلال زيارة وزير الخارجية السوفياتية، التي سيقوم بها لاسرائيل قريباً (**معاريف**، ١٩٩١/٥/٨).

• أفادت مصادر اميركية مطلعة بأن ثمّة اتفاقاً بين موسكو وواشنطن على ان تؤجّل منظمة التحرير الفلسطينية مشاركتها في العملية السياسية الى وقت لاحق، وان تكتفي المنظمة، في مرحلة أولى، بـ «تكليف» مَنْ ينوب عنها في هذه العملية (**الواشنطن بوست**، ١٩٩١/٥/٨).

• أشارت مصادر اميركية مسؤولة الى ان وزير الخارجية الاميركية، جيمس بيكر، أخفق في سدّ الفجوة بين موقفي سوريا واسرائيل في ما يتعلّق بمسألتين اجرائيتين محوريتين، هما دور الامم المتحدة في مؤتمر السلام، وما اذا كان يجب ان يعقد هذا المؤتمر مرة واحدة، أم أكثر (**انترناشونال هيرالد تربيون**، ١١ - ١٩٩١/٥/١٢).

١٩٩١/٥/٨

• استقبل رئيس دولة فلسطين، ياسر عرفات، في تونس، وزير الدولة للشؤون الخارجية في جمهورية اليمن، عبدالعزيز الدالي، ووفداً مرافقاً له. وتسلّم الرئيس عرفات من الدالي رسالة هامّة من الرئيس اليمني، علي عبدالله صالح، تتعلّق بالتضامن العربي، ومحاولات جمع شمل العرب. كما تمّت، في خلال اللقاء، مناقشة للاوضاع والمستجدات في المنطقة. من جهة أخرى، استقبل الرئيس عرفات القائم بالاعمال السوفياتي، روبرت توردييف، وبحث معه في آخر التطوّرات السياسية. ثمّ استقبل السفير الفرنسي لدى تونس، الان غرينيه، بحضور أمين عام منظمة العمل الشيوعي في لبنان، محسن ابراهيم، وبحث معه في آخر التطوّرات في منطقة الشرق الاوسط (**وفا**، ١٩٩١/٥/٨).

• تواصلت الاشتباكات بين المواطنين في المناطق الفلسطينية وقوات الاحتلال الاسرائيلية، وتمكّن المواطنون، في خلالها، من اصابة جندي اسرائيلي بجروح، وتحطيم زجاج سيارات اسرائيلية عدّة؛ وقد أصيب جرّاء الاشتباكات ٤٥ مواطناً بجروح، واعتُقل آخرون (**الدستور**، ١٩٩١/٥/٩).

• رفضت مصر، مؤخراً، نداء أطلقه رئيس الحكومة الاسرائيلية، اسحق شامير، لاقامة تطبيع حقيقي للعلاقات بين مصر واسرائيل، والافساح في المجال لتعاونهما الاقتصادي والثقافي. كذلك طلب شامير من مصر استثمار علاقاتها الطيبة في المناطق المحتلة، بهدف تهدئة الانتفاضة. في السياق عينه، انتقدت أوساط سياسية اسرائيلية مواقف القاهرة،

وقالت ان مصر غير معنيّة بتطبيع حقيقي للعلاقات مع اسرائيل (**يديعوت احرونوت**، ٩/٥/١٩٩١).

١٩٩١/٥/٩

• اجتمع الرئيس الفلسطيني، ياسر عرفات، في تونس، مع رئيس جمهورية بوركينا فاسو، الذي قام بزيارة رسمية لتونس. وقد تناول الرئيسان، في الاجتماع، مختلف جوانب نضال الشعب الفلسطيني وانتفاضته، وآخر التطوّرات على صعيد القضية الفلسطينية (**وفا**، ٩/٥/١٩٩١).

• ساد في المناطق الفلسطينية المحتلة اضراب شامل، بناء على نداء القيادة الوطنية الموحّدة الرقم ٧٠، الذي أُصدر بمناسبة دخول الانتفاضة شهرها الثاني والاربعين، في حين تواصلت الصدامات العنيفة بين المواطنين وقوات الاحتلال الاسرائيلية، فأسفرت عن اصابة حوالى ٢٤ مواطناً بجروح (**الدستور**، ١٠/٥/١٩٩١).

• قال رئيس الحكومة الاسرائيلية، اسحق شامير، للصحافيين، في ختام لقائه مع وفد زعماء اوروبا، في فندق الملك داوود، في القدس، ان اعادة العلاقات بين الاتحاد السوفياتي واسرائيل هي بطاقة دخول السوفيات الى مسار السلام في المنطقة (**عل همشمار**، ١٠/٥/١٩٩١).

١٩٩١/٥/١٠

• وصل رئيس دولة فلسطين، ياسر عرفات، صباح اليوم، الى لوساكا، قادماً من ليبرفيل، لحضور اجتماعات قمّة دول المواجهة الافريقية التي تعقد في العاصمة الزامبية. وكان الرئيس عرفات وصل ليبرفيل في زيارة قصيرة للغابون، التقى، في خلالها، رئيس الغابون، الحاج عمر بونجو، ووزير الخارجية علي بونجو، واستعرض معهما تطوّرات الوضع السياسي في منطقة الشرق الاوسط (**وفا**، ١٠/٥/١٩٩١).

• استشهد احمد ابو شعلة (١٥ عاماً)، من العين، قرب نابلس، في اثناء مواجهة بين مجموعة من الشبان وقوات اسرائيلية. وكانت اشتباكات عنيفة وقعت في انحاء مختلفة من الضفة الفلسطينية وقطاع غزة، أسفرت، اضافة الى استشهاد ابو شعلة، عن اصابة عدد من المواطنين بجروح، واعتقال عدد كبير من مناطق بيت لحم وطولكرم ونابلس والخليل ورام الله وغزة؛ كما أغلقت سلطات الاحتلال مدرسة في مخيم قلنديا (**الدستور**، ١١/٥/١٩٩١).

• كشفت مصادر اميركية مطلعة النقاب عن أفكار محدّدة حملها وزير الخارجية الاميركية، جيمس بيكر، في جولته على المنطقة، أبرزها عقد مؤتمر سلام ترعاه واشنطن وموسكو، ويحضره «ممثل صامت» عن الامم المتحدة، وممثّل عن المجموعة الاوروبية يكون له دور يتجاوز قليلاً دور المراقب. وتشمل الافكار الاميركية، كذلك، عقد المؤتمر مرة كل ستة شهور، اذا وافقت الاطراف المتنازعة على ذلك، للاستماع الى تقارير المتفاوضين عن مجرى المحادثات (**نيويورك تايمز**، ١٠/٥/١٩٩١).

١٩٩١/٥/١١

• اجتمع رئيس دولة فلسطين، ياسر عرفات، في لوساكا، مع رئيس جمهورية زيمبابوي، روبرت موغابي، وذلك على هامش اجتماعات جبهة المواجهة الافريقية المنعقدة في العاصمة الزامبية. وأُجري، في خلال الاجتماع، استعراض شامل للتطوّرات في منطقة الشرق الاوسط. كذلك اجتمع الرئيس عرفات مع الرئيس الزامبي، وبحثا في الاوضاع في الشرق الاوسط وتطوّر العلاقات الثنائية بين دولتي فلسطين وزامبيا (**وفا**، ١١/٥/١٩٩١).

• أعلنت نابلس الاضراب التجاري، حداداً على روح الشهيد احمد حسن شعلان (١٥ عاماً)، من مخيم عين بيت الماء، الذي استشهد مساء أمس في خلال المواجهات العنيفة التي شهدها المخيم بين ابنائه وقوات الاحتلال الاسرائيلية. في خلال ذلك، تواصلت الاشتباكات في مختلف مناطق الضفة الفلسطينية وقطاع غزة بين المواطنين وقوات الاحتلال، فأُصيب أكثر من أربعين مواطناً بجروح واعتقل آخرون. واعترفت الاذاعة الاسرائيلية بالقاء مجهولين زجاجتين حارقتين على منزل الحاكم العسكري الاسرائيلي في قلقيلية، ولم تشر الى وقوع خسائر (**الدستور**، ١٢/٥/١٩٩١).

• أعلن الناطق بلسان المؤتمر اليهودي العالمي، في نيويورك، ان شركتي السيارات «نيسان» و«مازدا» وافقتا على بيع السيارات مباشرة لاسرائيل. ووفقاً للبيان، فان الشركتين سوف تبدآن ببيع السيارات في اسرائيل قبيل نهاية العام ١٩٩١. وان شركة نيسان تحضر شحنة أولية تضمّ أربعة آلاف سيارة. أمّا مازدا، فتعد شحنة تضمّ ألفين (**هآرتس**، ١٢/٥/١٩٩١).

١٩٩١/٥/١٢

• شهدت المناطق الفلسطينية المحتلة المزيد من الصدامات بين المواطنين وقوات الاحتلال الاسرائيلية، وقع أعنفها في مخيم رفح، حيث أُصيب خمسة برصاص الاحتلال. وذكرت تقارير صحافية ان أكثر من ستين مواطناً آخرين أُصيبوا بجروح مختلفة؛ كما اعتقل اربعون آخرون من مناطق جنين وبيت لحم والقدس والخليل ونابلس ورام الله؛ وأُجهضت ست نساء، جرّاء استنشاقهن الغاز المسيّل للدموع (الدستور، ١٣/٥/١٩٩١).

• أعلن رئيس الحكومة الاسرائيلية، اسحق شامير، في الاحتفال المركزي لـ «يوم القدس»، ان اسرائيل ترفض ليس فقط التنازل عن القدس بل وعن أي جزء آخر ممّا أسماه «أرض ـ اسرائيل». وقال، ان «ارض ـ اسرائيل كلّها مقدّسة» (يديعوت احرونوت، ١٣/٥/١٩٩١).

• حاول وزير الخارجية الاميركية، جيمس بيكر، التقليل من قدر الخلافات في المواقف بين الاطراف المتنازعة في الشرق الاوسط، وقال: «لا اعتقد بأننا وصلنا الى طريق مسدود لا يمكن اختراقه». ولاحظ بيكر انه «مع استمرار وجود خلافات في وجهات النظر بين الاطراف، فان نقاط الاتفاق تفوق، بوضوح، نقاط الخلاف» (انترناشونال هيرالد تربيون، ١٣/٥/١٩٩١).

١٩٩١/٥/١٣

• تصاعدت حدّة الاشتباكات بين المواطنين في الضفة الفلسطينية وقطاع غزة وقوات الاحتلال الاسرائيلية، وألقى المواطنون أربع زجاجات حارقة على نقطة عسكرية اسرائيلية في جنين، فأصابوا أربعة جنود اسرائيليين بجروح؛ كما حطّموا زجاج ثلاث حافلات تنقل مستوطنين قرب بيت وزن، وزجاج أكثر من عشر سيارات أخرى تابعة لقوات الاحتلال. وبالمقابل، أُصيب، من الجانب الفلسطيني، ٣٥ مواطناً بجروح، واعتقل أكثر من ثمانية وعشرين (الدستور، ١٤/٥/١٩٩١).

• عرض وزير البناء والاسكان الاسرائيلي، اريئيل شارون، على اللجنة الاقتصادية التابعة للكنيست، خطته لتحويل القدس الى «القدس الكبرى»، بحيث تضمّ حولها مدناً عدة. وذكر شارون ان خطته تمكّن القدس من استيعاب مليون يهودي. ويبلغ عدد سكان القدس حالياً ٥٠١ الف شخص، من بينهم ٣٦٦ الف يهودي (دافار، ١٤/٥/١٩٩١).

• تبيّن من معطيات الغرف التجارية في القدس، انه، منذ بداية العام الجاري، ارتفعت الصادرات الاسرائيلية الى الصين بدرجة كبيرة، فبلغت، بين كانون الثاني (يناير) ونيسان (ابريل) من العام الجاري، ٣,٥ ملايين دولار، بزيادة تفوق الـ ٤٠٠ بالمئة، مقارنة بصادرات الفترة عينها من العام الماضي، والتي بلغت ٧٦٠ الف دولار فقط (هآرتس، ١٤/٥/١٩٩١).

١٩٩١/٥/١٤

• أُصيب بجروح، في اشتباكات مع قوات الاحتلال الاسرائيلية، أكثر من ٥٥ مواطناً، واعتقل حوالى ٦٥ آخرين. وكانت مناطق الضفة الفلسطينية وقطاع غزة شهدت مواجهات عنيفة، القت القوات الضاربة الفلسطينية، في خلالها، زجاجة حارقة باتجاه نقطة مراقبة عسكرية في جنين، واشتبكت، في غير موقع، ممّا أدّى الى جرح مستوطن في القدس، وتحطيم زجاج سيارات عسكرية ومدنية اسرائيلية عدّة (الدستور، ١٥/٥/١٩٩١).

١٩٩١/٥/١٥

• عمّ الاضراب الشامل جميع المناطق الفلسطينية المحتلة، بمناسبة ذكرى اغتصاب فلسطين، في حين وقعت صدامات متفرّقة بين المواطنين وقوات الاحتلال الاسرائيلية، استشهد، في خلالها، معين محمود دامو (١٩ عاماً)، من مخيم رفح (الدستور، ١٦/٥/١٩٩١).

• ذكر رئيس دائرة الهجرة والاستيعاب في الوكالة اليهودية، اوري غوردون، ان حوالى ثلاثة آلاف مهاجر جديد قدّموا طلبات للحصول على جوازات سفر للخروج من اسرائيل، خلال الربع الاول من العام ١٩٩١، وذلك بسبب الأزمة الحادّة التي تمر بها شؤون الاستيعاب، والرغبة في النزوح. وأضاف غوردون، ان غالبية طالبي جوازات السفر (٦١ بالمئة) ينتمون الى مجموعة الاعمار ٢١ ـ ٤٠ سنة، وان غالبية المطالبين بالنزوح (٨١ بالمئة) هم من مهاجري الاتحاد السوفياتي (دافار، ١٦/٥/١٩٩١).

١٩٩١/٥/١٦

• تلقّى الرئيس الفلسطيني، ياسر عرفات، برقية شكر جوابية من الوزير الاول في الجمهورية التونسية، د. حامد القروي، ردّاً على تهنئة بعيد الفطر السعيد بعث بها الرئيس عرفات (وفا، ١٦/٥/١٩٩١). كذلك تلقّى عرفات برقية شكر مماثلة من امير دولة البحرين، الشيخ عيسى بن سليمان آل خليفة (المصدر نفسه)؛ ورسالة من الرئيس الكوري، كيم ايل سونغ، أعرب فيها سونغ عن تضامن بلاده بمناسبة اسبوع التضامن مع الشعب الفلسطيني (المصدر نفسه)

• كثّف الفلسطينيون في المناطق المحتلة هجماتهم ضد الدوريات العسكرية الاسرائيلية، فهاجموا احداها في نابلس بزجاجات حارقة، واخرى في الخليل بالاسلحة الرشاشة، وأضرموا النار بجسر في القدس. كذلك اعترفت الاذاعة الاسرائيلية بوقوع هجوم مسلّح آخر على مفتشي البلدية الاسرائيلية في القدس، في اثناء قيامهم بجولة على بلدة سلوان لهدم عدد من المنازل فيها (الدستور، ١٧/٥/١٩٩١).

• ذكر مصدر حكومي اسرائيلي ان اسرائيل وافقت على عقد «مؤتمر سلام» بدلاً من «لقاء واحد» أو «مؤتمر اقليمي»، وكذلك اعطاء دور لاوروبا في هذا المؤتمر. بالمقابل، وعد وزير الخارجية الاميركية، جيمس بيكر، بعدم تحميل اسرائيل مسؤولية اضاعة فرصة السلام، غير ان الاتفاق بين الجانبين حول استمرارية المؤتمر ومشاركة الامم المتحدة فيه لم يتم (هآرتس، ١٧/٥/١٩٩١).

• ندّد البرلمان الاوروبي، في قرار اصدره، بسياسة اسرائيل الاستيطانية في المناطق المحتلة، ووصفها بأنها «تهديد خطر لمسار السلام». وممّا جاء في قرار البرلمان الاوروبي، ان «دول السوق الاوروبية المشتركة تعلّق أهمية بالغة، في سياستها الخارجية، على موضوع الاستيطان، وهي ستضمّ اسرائيل اليها، فقط، في حال ساد السلام في الشرق الاوسط» (دافار، ١٧/٥/١٩٩١).

• أعلن وزير الخارجية الاميركية، جيمس بيكر، ان عملية السلام في الشرق الاوسط يمكنها ان تستمر، ولكن لا تزال هناك مشكلات تتطلب حلاً، ولن يعقد مؤتمر للسلام قبل ايجاد هذا الحل، وقبل ان تتّخذ الاطراف المشاركة القرار الحازم بالمضيّ قدماً (نيويورك تايمز، ١٧/٥/١٩٩١).

١٩٩١/٥/١٧

• استقبل رئيس دولة فلسطين، ياسر عرفات، في تونس، رئيس لجنة العلاقات الخارجية في مجلس الشيوخ الايطالي، ميكلي أكيلي، ونظيره الاسباني، خوان ريفنتوس. وأجري، في خلال اللقاء، استعراض للتطوّرات في الشرق الاوسط، خصوصاً ما يتعلّق منها بالقضية الفلسطينية (وفا، ١٧/٥/١٩٩١). من جهة أخرى، هنّأ الرئيس عرفات ملك نيبال، بيرندرا بيكرام شاه ديف، وعقيلته الملكة ايشواريا ريجايا لاكسمي ديفي شاه، بمناسبة حلول العام النيبالي الجديد (المصدر نفسه).

• هاجم فلسطيني، بسكين، اربعة مستوطنين في حي المصرارة في القدس وأصابهم بطعنات الواحد تلو الآخر وهو يهتف: «الله اكبر». وقد تابع المهاجم الركض وطعن طالباً في مدرسة تلمودية واثنين آخرين، فأطلق عليه المستوطن دافيد يوحنان الرصاص من مسدس كان يحمله، فلم ينجح في اصابته لعطل أصاب مسدّسه. من جهة أخرى، جرح جندي اسرائيلي في مخيم جباليا، وآخر في رفح، نتيجة اصابتهما بحجارة قذفها مواطنون (الدستور، ١٨/٥/١٩٩١).

١٩٩١/٥/١٨

• استقبل رئيس دولة فلسطين، ياسر عرفات، في تونس، سكرتير اللجنة المركزية مسؤول العلاقات الخارجية في حزب «العمل» الكوري، تشين تي بول، وتسلّم منه رسالة من الرئيس الكوري، كيم ايل سونغ؛ وتمّ، في اثناء اللقاء، استعراض لآخر تطوّرات الوضع السياسي في الشرق الاوسط (وفا، ١٨/٥/١٩٩١).

• عمّ الاضراب قطاع غزة، احتجاجاً على ابعاد أربعة مواطنين من القطاع الى جنوب لبنان؛ فيما تصاعدت المصادمات في بقية المناطق الفلسطينية المحتلة الاخرى، بين المواطنين وقوات الاحتلال الاسرائيلية، وأُلقيت، في اثنائها، ثلاثون زجاجة حارقة على دوريات عسكرية اسرائيلية في مخيم رفح؛ كما أُطلقت النار على دورية أخرى في رفح المدينة، وأُحرقت سيارتان اسرائيليتان في القدس. وبالمقابل، أسفرت الصدامات عن اصابة أكثر من أربعين مواطناً بجروح، واعتقال عشرات آخرين (الدستور، ١٩/٥/١٩٩١).

١٩٩١/٥/١٩

• اتسع الاضراب الذي نُفّذ في قطاع غزة، احتجاجاً على ابعاد أربعة مواطنين منه، فشمل معظم مدن وقرى ومخيمات الضفة الفلسطينية. وتظاهر مئات المواطنين واشتبكوا مع قوات الاحتلال الاسرائيلية في غير مكان، فأُصيب ٥٥ مواطناً، واعتقل ١٥ آخرون (الدستور، ٢٠/٥/١٩٩١).

• أكد وزير خارجية مالطا، جيدو داكاركو، في تقرير قدّمه الى الامم المتحدة، بعد زيارة قام بها الى المناطق المحتلة، ان ١١٢٦ فلسطينياً قتلوا و٨٢٧٣٥ جرحوا، خلال الفترة الممتدة بين التاسع من كانون الاول (ديسمبر) ١٩٨٧ (بداية الانتفاضة) و٣١/١٢/١٩٩٠ (هآرتس، ٢٠/٥/١٩٩١).

• أوضحت أوساط سياسية اسرائيلية، رفيعة المستوى، لوزير الخارجية الاميركية، جيمس بيكر، ان اسرائيل مستعدة للبدء، على الفور، بمحادثات مع وفد فلسطيني مستقل، اذا اتضح ان الاردن خضع لشروط سورية قاسية، في ما يتعلّق بالمؤتمر الاقليمي (هآرتس، ٢٠/٥/١٩٩١).

١٩٩١/٥/٢٠

• بعث رئيس دولة فلسطين، ياسر عرفات، برسالة خطيّة الى الرئيس العراقي، صدام حسين. جاء ذلك في خلال استقبال الرئيس العراقي عضو اللجنة التنفيذية لـ م.ت.ف. عبدالله حوراني، مبعوثاً شخصياً من الرئيس عرفات. وتتعلّق رسالة عرفات بالتطوّرات الاخيرة حول القضية الفلسطينية والجهود الدولية المبذولة لاحلال السلام في المنطقة (وفا، ٢٠/٥/١٩٩١). كذلك بعث الرئيس عرفات برسالة أخرى الى ملك الاردن، حسين، الذي استقبل، في عمّان، رئيس الدائرة السياسية في م.ت.ف. فاروق القدومي (ابو اللطف)، وتحادث معه في آخر التطوّرات ومساعي السلام في المنطقة (المصدر نفسه).

• شهدت مناطق الضفة الفلسطينية وقطاع غزة اضراباً تجارياً استجابة لنداء القيادة الموحّدة في ذكرى استشهاد سبعة من المواطنين من قطاع غزة في مجزرة ريشون لتسيون (عيون قاره)، ووقعت مواجهات عنيفة بين المواطنين وقوات الاحتلال الاسرائيلية، أُصيب، في خلالها، عدد من المواطنين بجروح. من جهة أخرى، عثرت الشرطة الاسرائيلية على جثة مستوطن في مستعمرة بيتح تكفا. وذكرت الاذاعة الاسرائيلية ان القتيل وجد مقيّداً في محل بقالة في المستوطنة، وانه قُتل طعناً بسكين، وان مرتكبي الحادث فرّوا بسيارة القتيل. الى ذلك، ألقى شبان الانتفاضة عبوة ناسفة على مركز للشرطة الاسرائيلية في قطاع غزة، وزجاجة حارقة على محطة الباصات المركزية في القدس، وأخرى على دورية اسرائيلية راجلة في مدينة القدس القديمة (الدستور، ٢١/٥/١٩٩١).

• قدّمت اسرائيل الى الولايات المتحدة الاميركية قائمة سرية، تضمّنت مطالب تفصيلية من عتاد أميركي بلغت قيمته ٣٠٠ مليون دولار، يخزن في اسرائيل كجزء من تخزين الاسلحة فيها، ويبقى، في الوقت عينه، ضمن ممتلكات الولايات المتحدة الاميركية، وتستطيع اسرائيل استخدامه في الحالات الطارئة (عل همشمار، ٢١/٥/١٩٩١).

• دعا رئيس الحكومة الاسرائيلية، اسحق شامير، الرئيس البولوني، ليش فاليسا، في خلال حديث ودّي أُجري في القدس، الى العمل على غلق سفارة م.ت.ف. في وارسو (عل همشمار، ٢١/٥/١٩٩١).

١٩٩١/٥/٢١

• تلقّى رئيس دولة فلسطين، ياسر عرفات، برقية شكر جوابية من الرئيس المصري، محمد حسني مبارك، ردّاً على برقية تعزية بعث بها الرئيس عرفات بوفاة الموسيقار العربي، محمد عبدالوهاب (وفا، ٢١/٥/١٩٩١).

• شهدت المناطق الفلسطينية المحتلة سلسلة مصادمات بين المواطنين وقوات الاحتلال الاسرائيلية، أدّت الى اصابة أربعين مواطناً بجروح، واعتقال أكثر من ٣٢ آخرين. من جهة أخرى، صادرت سلطات الاحتلال مساحات من الاراضي؛ وهدمت منزلاً في مخيم طولكرم؛ وأنذرت أصحاب ثلاثة منازل أخرى بالهدم (الدستور، ٢٢/٥/١٩٩١).

• قال رئيس الحكومة الاسرائيلية، اسحق شامير، لوزراء حكومته، ان الفلسطينيين مستعدون، على ما يبدو، لاجراء مفاوضات مع اسرائيل حول تسوية مرحلية على «غرار كامب ديفيد». وأضاف شامير ان موضوع التمثيل الفلسطيني لم يتمّ الاتفاق بشأنه بعد، على الرغم من موافقة الاردن، من حيث المبدأ، على تشكيل وفد اردني ـ فلسطيني مشترك (عل همشمار، ٢٢/٥/١٩٩١).

• حدّد وزير الخارجية الاميركية، جيمس بيكر، في شهادة له الى لجنة الاعتمادات التابعة لمجلس النواب الاميركي، النقاط التي تمّ الاتفاق بشأنها بين الاطراف المعنيّة بالنزاع العربي ـ الاسرائيلي، والنقاط التي لا تزال في حاجة الى المزيد من المساعي. وقال ان الاطراف المعنيّة متّفقة على ان هدف العملية هو التوصّل الى حل شامل لهذا النزاع، من خلال المفاوضات (**نيويورك تايمز**، ٢٢/٥/١٩٩١).

١٩٩١/٥/٢٢

• التقى رئيس دولة فلسطين، ياسر عرفات، في صنعاء، القائد العام للقوات المسلّحة الليبية، ابو بكر يونس، حيث أجريا بحثاً في تطوّرات الاوضاع على الساحة العربية والتطوّرات الخاصة بالقضية الفلسطينية. وكان الرئيس عرفات وصل صنعاء، أمس، للمشاركة في احتفالات ذكرى الوحدة اليمنية (**وفا**، ٢٢/٥/١٩٩١). من جهة أخرى، بعث الرئيس عرفات ببرقية تعزية الى رئيس جمهورية الهند، راما سوامي فنكاتارامان، بوفاة الزعيم الهندي، راجيف غاندي، رئيس الوزراء السابق رئيس حزب المؤتمر (**المصدر نفسه**).

• وقعت في الضفة الفلسطينية وقطاع غزة اشتباكات بين المواطنين وقوات الاحتلال الاسرائيلية أسفرت عن اصابة ٤٥ مواطناً بجروح، واعتقال ثلاثين آخرين؛ وأُلقيت زجاجات حارقة على دوريات اسرائيلية في نابلس وجنين وقباطية، دون ان يبلغ عن اصابات. من جهة أخرى، هدمت سلطات الاحتلال الاسرائيلية ثلاثة منازل في بيت لحم ومخيم طولكرم (**الدستور**، ٢٣/٥/١٩٩١).

• تتابع اسرائيل، باهتمام بالغ، التطوّرات على الحدود الشمالية مع لبنان، في اعقاب توقيع «اتفاق الاخوّة...» الذي يمنح الرئيس السوري، حافظ الاسد، سيطرة واسعة على الوضع في لبنان. وقد أوضح قادة جهاز الامن الاسرائيلي، وبينهم وزير الدفاع موشي ارنس، ان اسرائيل لم تجر تغييرات جوهرية على استعداداتها الحالية، في جنوب لبنان، وان هدفها الوحيد هو ضمان أمن الحدود الشمالية (**معاريف**، ٢٣/٥/١٩٩١).

• قال وزير الخارجية الاسرائيلية، دافيد ليفي، ان حكومة اسرائيل أقرّت اقتراحه بشأن مشاركة اوروبا في مؤتمر السلام. وأوضح ان مكانة الممثلين سوف تحدّد في خلال زيارته القصيرة لبروكسيل عمّا قريب (**معاريف**، ٢٣/٥/١٩٩١).

• حمل وزير الخارجية الاميركية، جيمس بيكر، على اسرائيل لتعمّدها بناء مستوطنات كلّما زار المنطقة. وقال: «لا اعتقد بأن هناك عقبة أمام السلام أكبر من المضيّ في بناء المستوطنات» (**انترناشونال هيرالد تريبيون**، ٢٣/٥/١٩٩١).

١٩٩١/٥/٢٣

• اجتمع رئيس دولة فلسطين، ياسر عرفات، في صنعاء، بالرئيس اليمني، علي عبدالله صالح، وبحث الرئيسان في تطوّرات الوضع على صعيد القضية الفلسطينية والتحرّكات الدولية في المنطقة، وشدّدا على أهمية التركيز على وحدة الموقف العربي في مواجهة التحدّيات (**وفا**، ٢٣/٥/١٩٩١). كما اجتمع الرئيس عرفات مع نائب رئيس الجمهورية العراقية، طه ياسين رمضان، وبحثا في التطوّرات على الساحة الفلسطينية، وفي المنطقة عموماً (**المصدر نفسه**). الى ذلك، استقبل الرئيس عرفات نائب رئيس جمهورية افغانستان ووفداً يرافقه وبحث معه في العلاقات الثنائية بين فلسطين وافغانستان، واستعرض الاوضاع في المنطقة العربية، والتطوّرات على صعيد القضية الفلسطينية (**المصدر نفسه**).

• تواصلت المصادمات في الضفة الفلسطينية وقطاع غزة بين المواطنين وقوات الاحتلال الاسرائيلية، وتمكّن المواطنون من جرح جندي اسرائيلي في قرية عينبوس؛ وأطلقوا النار على حافلتين اسرائيليتين في بيت لحم؛ وألقوا زجاجة حارقة على دورية عسكرية في رفح؛ وزجاجة حارقة في مخيم طولكرم؛ واضرموا النار بسيارة في القدس؛ وحطّموا زجاج أكثر من عشر سيارات اسرائيلية. في المقابل، أسفرت الإشتباكات عن اصابة أكثر من ثلاثين مواطناً بجروح، واعتقال عدد مماثل (**الدستور**، ٢٤/٥/١٩٩١).

• قال زعيم حزب «العمل» الاسرائيلي، شمعون بيرس، في خلال زيارته لمدينة اشدود، ان التغييرات على صعيد الوضع في لبنان لا تستلزم تدخّل الجيش الاسرائيلي، ولكن تفترض توضيح الخطوط الحمر مجدداً للسوريين، وهو ما يعتقد بيرس بأن سوريا سوف «تحترمه» كما «احترمته» في الماضي (**دافار**، ٢٤/٥/١٩٩١).

• في تراجع ملحوظ، خفّف وزير الخارجية الاميركية، جيمس بيكر، من حدّة كلامه بشأن المستوطنات الاسرائيلية، وقال ان اقامة المستوطنات في الاراضي الفلسطينية المحتلة هي واحدة من العقبات الكبيرة في وجه السلام، وليست العقبة الوحيدة (**انترناشونال هيرالد تريبيون**، ٢٤/٥/١٩٩١).

١٩٩١/٥/٢٤

• منعت سلطات الاحتلال الاسرائيلية المواطنين في المناطق المحتلة من الدخول الى مدينة القدس لاداء الصلاة في الحرم القدسي، في اعقاب مقتل سائحة استرالية برصاص مسلّحين في باب المغاربة؛ فيما أسفرت المواجهات، التي وقعت اليوم، بين المواطنين وقوات الاحتلال الاسرائيلية، عن استشهاد المواطن جلال عبدالله شهوان (٤١ عاماً)، من قضاء رام الله، حيث وجد مقتولاً قرب مستوطنة جفعتايم؛ كما أصيب ٣٤ مواطناً بجروح (**الدستور**، ٢٥/٥/١٩٩١).

١٩٩١/٥/٢٥

• أجرى رئيس دولة فلسطين، ياسر عرفات، في نيودلهي، لقاءات عدّة، في أعقاب مشاركته في تشييع جثمان الزعيم الهندي الراحل، راجيف غاندي. فقد التقى الرئيس عرفات بكل من ملك بوتان، ورئيسة وزراء بنغلادش، ونائب رئيس جمهورية ايران، وتناولت اللقاءات تطوّرات الاوضاع في المنطقة، والعالم، وتطوّرات القضية الفلسطينية. كذلك اجتمع عرفات برئيس وزراء الهند، شاندرا شيكر، وقدّم اليه التعازي باسم شعب فلسطين ودولة فلسطين وم.ت.ف. وقد قدّم رئيس وزراء الهند شكره للرئيس عرفات على لفتته الكريمة بالمشاركة في تشييع فقيد الهند، غاندي (**وفا**، ٢٥/٥/١٩٩١).

• تواصلت المواجهات بين المواطنين في الضفة الفلسطينية وقطاع غزة وقوات الاحتلال الاسرائيلية، ممّا ادّى الى اصابة عدد من المواطنين بجروح، واعتقال عدد آخر. وأورد تقرير لمؤسسة حقوق المواطن اذاعته اذاعة «صوت اميركا»، ان سلطات الاحتلال صادرت، في خلال شهر أيار (مايو) الجاري، خمسين الف دونم من أراضي قضاء رام الله وحده، في أوسع هجمة استيطانية منذ بداية أزمة الخليج (**الدستور**، ٢٦/٥/١٩٩١).

• قدّر مدير عام الوكالة اليهودية، اللواء (احتياط) موشي نتيفي، تكلفة الجسر الجوي الذي نقل ١٤٣٧١ مهاجراً يهودياً من اثيوبيا الى اسرائيل بأحد عشر مليون دولار. وقال ان تكلفة استيعاب المهاجرين في اسرائيل، في خلال العام الاول، سوف تبلغ مئة مليون دولار (**معاريف**، ٢٦/٥/١٩٩١).

١٩٩١/٥/٢٦

• استشهد المواطن ابراهيم عبدالرحمن قاسم (٢٣ عاماً)، من قرية دورا القرع، في منطقة رام الله، في خلال مواجهة عنيفة وقعت بين المواطنين في القرية وقوات اسرائيلية. في هذا الوقت، هاجم شبان الانتفاضة دوريات اسرائيلية بالزجاجات؛ كما اعتصمت نساء عدّة في مقر الصليب الاحمر الدولي، في نابلس، احتجاجاً على ممارسات الاحتلال بحق المعتقلين الفلسطينيين (**الدستور**، ٢٧/٥/١٩٩١).

• ندّد وزير الخارجية الاسرائيلية، دافيد ليفي، بشدة، بنظيره الاميركي، جيمس بيكر، بسبب تأكيد بيكر ان الاستيطان في المناطق المحتلة يشكّل عقبة كبيرة أمام مسيرة السلام في الشرق الاوسط. لكن ليفي دعا وزراء الحكومة الاسرائيلية الى ضبط النفس و«عدم التحوّل الى جوقة تنديد بالولايات المتحدة الاميركية» (**دافار**، ٢٧/٥/١٩٩١).

١٩٩١/٥/٢٧

• انضم المواطنان محمد ابراهيم القواسمي (١٨ عاماً) ومهدية ابو حميذق (٣٣ عاماً)، من خان يونس، الى قافلة شهداء الانتفاضة. فقد استشهد القواسمي في اشتباكات مع قوات الاحتلال الاسرائيلية في الخليل، وسقطت مهدية في اثناء ذهابها الى «مدرسة مصطفى حافظ» لاحضاء ابنائها، حيث وقعت صدامات في المنطقة، وقد شاركت في منع جنود الاحتلال من اقتحام المدرسة، وتوفّيت بعد ان تلقّت ضربات مبرحة من الجنود. في هذا الوقت، شهدت بقية المناطق المحتلة اشتباكات متفرّقة بين المواطنين وقوات الاحتلال، أُصيب، في اثنائها، خمسون مواطناً بجروح، وتمّ اعتقال أكثر من ستين آخرين (**الدستور**، ٢٨/٥/١٩٩١).

• قال وزير الخارجية الاسرائيلية، دافيد ليفي، ان اسرائيل تعهّدت عدم توجيه المهاجرين اليهود القادمين من الاتحاد السوفياتي للاستيطان في الضفة الفلسطينية وقطاع غزة. وقال انها تصرّفت كذلك

فعلاً، لكنه استدرك قائلاً: «اننا لا نمنع أي يهودي، اذا رغب في السكن في مستوطنات [الضفة الفلسطينية] وقطاع غزة، من القيام بذلك. والحكومة التي تتصرّف عكس هذا تكون حكومة غير مسؤولة وغير ديمقراطية؛ [اذ] لا يوجد تعهّد اسرائيلي بوقف الاستيطان» (معاريف، ٢٨/٥/١٩٩١).

١٩٩١/٥/٢٨

• أجتمع رئيس دولة فلسطين، ياسر عرفات، في طرابلس الغرب، مع الرئيس الليبي، معمّر القذافي. وتبادل الرئيسان، في خلال الاجتماع، الرأي ووجهات النظر حول الاوضاع السياسية الراهنة والتحرّكات السياسية الجارية في المنطقة وزيارات وزير الخارجية الاميركية، جيمس بيكر، ووزير الخارجية السوفياتية، الكسندر بسميرتنيخ، والمبعوثين الاوروبيين جميعاً، الى المنطقة وأثرها على القضية الفلسطينية وقضايا الأمة العربية (وفا، ٢٨/٥/١٩٩١).

• استشهد مواطنان برصاص جنود الاحتلال الاسرائيلي في اثناء اشتباكات عنيفة وقعت في منطقة جنين. فقد استشهد جمال عمر كامل (١٨ عاماً)، من بيت قاد، في اشتباك مع قوات الاحتلال في القرية، واستشهد مواطن آخر، لم يعرف اسمه، في قرية جلبون، شرق جنين، عندما اطلق ضابط اسرائيلي النار عليه، في اثناء عمليات رشق حجارة. كما أسفرت الصدامات، التي وقعت اليوم بين المواطنين وقوات الاحتلال، عن اصابة أربعين مواطناً بجروح، واعتقال أكثر من ثلاثين آخرين (الدستور، ٢٩/٥/١٩٩١).

• تعتقد اوساط اسرائيلية، رفيعة المستوى، بأن الجيش السوري سيحاول، قدر المستطاع، تقليص العمليات العسكرية ضد اسرائيل، انطلاقاً من على الاراضي اللبنانية، لكي تسحب دمشق من تل ـ ابيب حجّة الارهاب التي تتذرع بها لعدم الانسحاب من «حزام الامن» في جنوب لبنان (دافار، ٢٩/٥/١٩٩١).

• أكدت أوساط أمنية اسرائيلية، ان وزير الدفاع الاسرائيلي، موشي ارنس، متمسّك بفكرة تقليص حجم قوات الجيش الاسرائيلي العاملة في الضفة الفلسطينية وقطاع غزة، والاستعاضة عنها بقوات مختارة لكي تجعل أنشطة الجيش الاسرائيلي أكثر نجاعة (دافار، ٢٩/٥/١٩٩١).

١٩٩١/٥/٢٩

• تلقّى الرئيس الفلسطيني، ياسر عرفات، برقية شكر جوابية، من ملك الاردن، حسين، ردّاً على برقية تهنئة بعث بها اليه بمناسبة ذكرى عيد الاستقلال (وفا، ٢٩/٥/١٩٩١). كما تلقّى برقية أخرى من رئيس مجلس الوزراء في جمهورية البانيا، فاتوس نانو، ردّاً على برقية تهنئة بعث بها الرئيس عرفات بمناسبة اعادة تعيين نانو رئيساً للمجلس (المصدر نفسه).

• استشهد المواطن علي طاهر نعمة (٦٥ عاماً)، من قرية قفين، حيث وجد مقتولاً في مكان عمله في كيبوتس «نورديه»، حيث يقوم بالحراسة. كما أسفرت الاشتباكات بين المواطنين وقوات الاحتلال الاسرائيلية عن جرح ٣٢ مواطناً، واعتقال ٢٢ آخرين. واقتلعت الجرّافات الاسرائيلية ٢٥٤ شجرة من أراضي قرى زعترة وعابود وكفر قدّوم (الدستور، ٣٠/٥/١٩٩١).

• رفض ٣٠٠ نازح يهودي، يعيشون، حالياً، في برلين، العودة الى اسرائيل، بعد أوامر أصدرها وزير الداخلية الالماني باعادتهم. وقدّم هؤلاء رسالة الى رئيس بلدية برلين، ايرهارد ديفغن، طالبوه فيها باعتبارهم لاجئين في المانيا، وأخبروه بأنهم لا يريدون العودة والاستيطان في المناطق المحتلة، كي لا يصبحوا «خدماً لسياسة حكومة اسرائيل» (معاريف، ٣٠/٥/١٩٩١).

١٩٩١/٥/٣٠

• تواصلت الصدامات بين المواطنين في الضفة الفلسطينية وقطاع غزة وقوات الاحتلال الاسرائيلية، فأسفرت عن اصابة أكثر من ستين مواطناً بجروح، واعتقال عشرات آخرين؛ فيما شهدت جنين اضراباً تجارياً شاملاً، ردّاً على حملة دهم تعرّضت لها والقرى المجاورة؛ وألقى شبان الانتفاضة زجاجة حارقة على نقطة مراقبة عسكرية اسرائيلية، في جنين، ولم يبلّغ عن خسائر معيّنة (الدستور، ٣١/٥/١٩٩١).

• أجرى حسين خطاب، سكرتير الامير السعودي، تركي بن عبدالعزيز، محادثات سياسية في اسرائيل، واجتمع بكل من وزير الخارجية الاسرائيلية، دافيد ليفي، ووزير الدفاع، موشي ارنس، وبزعيم حزب «العمل» الاسرائيلي، شمعون بيرس. وقال خطاب لمراسل صحيفة «دافار»: «جئت لأرى بلادكم الجميلة»! (دافار، ٣١/٥/١٩٩١).

١٩٩١/٥/٣١

• استشهد أربعة مواطنين، ثلاثة منهم من

شفاعمرو، كانوا يعملون في مصنع اسرائيلي، وواحد من مخيم النصيرات، أُصيب برصاص أطلقه احد المتعاونين. من جهة أخرى، أصدرت القيادة الموحّدة نداءها الرقم ٧١، دعت فيه المواطنين الى التنبّه الى مخططات الاحتلال. وشدّدت على ترسيخ الوحدة الوطنية، وتصليبها، وتوسيع الهياكل التنظيمية لمختلف اللجان والهيئات والمؤسسات، ونبذ الاسلوب الاداري الأوامري في التعامل مع الجماهير، وايقاف المنافسات الفئوية، ومنع أسلوب التلثّم في التعامل مع المواطنين (الدستور، ١/٦/١٩٩١).

١٩٩١/٦/١

• تواصلت الصدامات في انحاء الاراضي المحتلة كافة، بين المواطنين وقوات الاحتلال الاسرائيلية، فأُصيب، في خلالها، أكثر من خمسين مواطناً بجروح، واعتقل خمسة وثلاثون آخرون. وفي محاولة منها للحدّ من نشاطات الانتفاضة، قررت السلطات الاسرائيلية عدم السماح لأي مواطن من الضفة الفلسطينية بالعمل وراء «الخط الاخضر» اذا لم يحصل على التصريح المغنط الذي أصدرته في أوقات سابقة (الدستور، ٢/٦/١٩٩١).

١٩٩١/٦/٢

• تلقّى رئيس دولة فلسطين، ياسر عرفات، برقية جوابية من رئيس السنغال، عبدو ضيوف، ردّاً على رسالة بعث بها الرئيس عرفات في وقت سابق، وتتعلّق بتطوّرات الوضع في المنطقة. كما تلقّى برقية شكر جوابية من رئيس جمهورية بولندا، ليش فاليسا، ردّاً على برقية بعث بها الرئيس عرفات بمناسبة اليوم الوطني لبولندا (وفا، ٣/٦/١٩٩١).

• ساد في مدينة نابلس موقف متفجّر اثر اشتباك وقع بين مؤيدي «فتح» ومؤيدي «حماس»، استخدمت فيه الاسلحة والخناجر، فأُصيب خمسة من الطرفين، واغلقت المحال التجارية. وسعت شخصيات نابلسية الى تسوية الخلاف، وانتهى الحادث باصدار نداء وقعته «فتح» و«حماس»، طالبتا فيه انصارهما بالتحلّي باليقظة والحذر من محاولات مشبوهة لزعزعة الوحدة الوطنية. من جهة أخرى، تواصلت الاشتباكات بين المواطنين في المناطق المحتلة وقوات الاحتلال الاسرائيلية، فأسفرت عن اصابة عدد من الجنود الاسرائيليين بجروح. وهاجم المواطنون ١١ سيارة اسرائيلية بالحجارة، فيما اقتلعت سلطات الاحتلال ٢٢٥ شجرة زيتون من أراضي قرية عزّون، وصادر مستوطنون ٢٠ دونماً من أراضي قرية يطّا (الدستور، ٣/٦/١٩٩١).

• بعثت سفارة اسرائيل في واشنطن بتقرير الى وزارة الخارجية الاسرائيلية ذكرت فيه ان م.ت.ف. توافق على تشكيل وفد اردني ـ فلسطيني مشترك بدون حضور ممثليها في المؤتمر الاقليمي للسلام. وأضافت السفارة الاسرائيلية ان المعلومات هذه قدّمها ممثل المنظمة الى الاتحاد السوفياتي (دافار، ٣/٦/١٩٩١).

١٩٩١/٦/٣

• وصل رئيس دولة فلسطين، ياسر عرفات، الى العاصمة النيجيرية للمشاركة في أعمال القمة الافريقية، التي تبدأ اليوم. وكان في استقبال الرئيس عرفات، لدى وصوله أرض المطار، الرئيس النيجيري، ابراهيم بابنجيدا (وفا، ٤/٦/١٩٩١).

• ذكرت الاذاعة الاسرائيلية ان حافلة كانت تنقل مستوطنين هوجمت في اثناء توجّهها الى مستعمرة جفعات زئيف القريبة من القدس. ولم تذكر الاذاعة حجم الخسائر. كذلك أكدت الاذاعة تعرّض سيارة أخرى لهجوم بزجاجة حارقة قرب مستوطنة غيفون في منطقة القدس، فاشتعلت بها النيران. الى ذلك، وقعت صدامات متفرّقة في أنحاء الضفة الفلسطينية وقطاع غزة بين المواطنين وقوات الاحتلال الاسرائيلية، أُصيب، في اثنائها، عدد من المواطنين بجروح (الدستور، ٤/٦/١٩٩١).

• وجّه الرئيس الاميركي، جورج بوش، رسالة الى رئيس الوزراء الاسرائيلي، اسحق شامير، دعاه فيها الى ابداء «ليونة» في الموقف من اشراك ممثل عن الامم المتحدة في مؤتمر السلام المقترح، لكي تتمكّن الولايات المتحدة الاميركية من دعوة الاطراف المتنازعة للبحث في حل لأزمة المنطقة (الواشنطن بوست، ٤/٦/١٩٩١).

١٩٩١/٦/٤

• عقد رئيس دولة فلسطين، ياسر عرفات، سلسلة لقاءات مع عدد من رؤساء الدول المشاركة في الدورة السابعة والعشرين لمنظمة الوحدة الافريقية، المنعقدة في العاصمة النيجيرية أبوجا، وذلك على هامش المؤتمر. وركّزت اللقاءات، التي شملت الزعيم الافريقي،

نيلسون مانديلا، والرئيس الزامبي، سام نجوما والرئيس السيراليوني سعيد مومو، على وحدة النضال الفلسطيني ـ العربي ـ الافريقي (**وفا**، ١٩٩١/٦/٤).

• استمرت المواجهات في معظم المناطق الفلسطينية المحتلة بين المواطنين وقوات الاحتلال الاسرائيلية، وأُصيب، في اثنائها، عدد من المواطنين بجروح. وشنّت قوات الاحتلال حملة دهم على قرى ارطاس وروجيب وأبو ديس ودورا القرع وسبسطية وعنبتا ودير الغصون ومدينة قلقيلية ومدن وقرى قطاع غزة. وهاجم شبان الانتفاضة بالزجاجات الحارقة ابراج المراقبة العسكرية المحيطة بمبنى الحاكمية العسكرية الاسرائيلية في جنين، فأُصيبت سيارة عسكرية اسرائيلية بأضرار (**الدستور**، ١٩٩١/٦/٥).

١٩٩١/٦/٥

• شهدت الاراضي الفلسطينية المحتلة اضراباً عاماً في ذكرى الخامس من حزيران (يونيو)، ورُفعت رايات سود على المنازل، فيما تصاعدت حدّة الاشتباكات بين المواطنين وقوات الاحتلال الاسرائيلية. وهاجم مواطنون عدداً من الدوريات العسكرية الاسرائيلية بالحجارة والزجاجات الحارقة والعبوات الناسفة. ووقع أعنف تلك الهجمات في رام الله، التي أُصيبت فيها مستوطنة بجروح اثر رشق حافلة اسرائيلية بالحجارة؛ كما أُصيب اربعة مستوطنين بجروح، احدهم في حالة خطرة، اثر رشق سيارة أقلّتهم كانت تمر في قلقيلية (**الدستور**، ١٩٩١/٦/٦).

• قال وزير الدفاع الاسرائيلي، موشي ارنس، في مقابلة مع صحيفة «جينس ديفينس» اللندنية، ان لبنان «تحوّل الى دولة خاضعة لسوريا»؛ وان الحكومة اللبنانية باتت «دمية» تحرّكها سوريا، ممّا يشكّل خطراً، فعلياً، على اسرائيل، حيث تستطيع سوريا شنّ عدوان على اسرائيل انطلاقاً من الجولان ومن على الاراضي اللبنانية ايضاً (**معاريف**، ١٩٩١/٦/٦).

١٩٩١/٦/٦

• عقدت القيادة الفلسطينية، أمس، اجتماعاً هامّاً، ترأسه الرئيس الفلسطيني، ياسر عرفات، الذي وصل من ابوجا في نيجيريا، قاطعاً مشاركته في اجتماعات القمة الافريقية، وذلك لمتابعة تطوّرات الوضع في لبنان، وتصاعد الاعتداءات الاسرائيلية ضد المخيمات الفلسطينية، والقرى والمدن اللبنانية في الجنوب. وتدارست القيادة الفلسطينية المعلومات والمؤشرات التي توفّرت لديها، والتي دلّت، جميعها، على نوايا وأهداف اسرائيلية مبيّتة تستهدف الوجود الفلسطيني في جنوب لبنان. وقرّرت القيادة ابقاء اجتماعاتها في حالة انعقاد دائم، لمتابعة التطوّرات (**وفا**، ١٩٩١/٦/٦).

• ذكرت الاذاعة الاسرائيلية ان مستوطناً وجد مقتولاً في مكبّ للنفايات في مستوطنة بيتح تكفا القريبة من تل ـ أبيب. وقامت الشرطة الاسرائيلية بعملية تمشيط واسعة بحثاً عن الفاعلين. من جهة أخرى، تمكّن شبان الانتفاضة الفلسطينية من تحطيم زجاج ١٢ سيارة اسرائيلية، في خلال اشتباكات وقعت بينهم وبين قوات الاحتلال الاسرائيلية. وبالمقابل، أُصيب ٢٦ مواطناً بجروح، واعتقل ١٦ آخرون (**الدستور**، ١٩٩١/٦/٧).

١٩٩١/٦/٧

• تلقّى رئيس دولة فلسطين، ياسر عرفات، برقية شكر جوابية من الرئيس الايراني، هاشمي رفسنجاني، رداً على التهنئة التي بعث بها اليه بمناسبة الذكرى السنوية لانتصار الثورة الاسلامية. وقد عبّر رفسنجاني عن شكره وسعادته لتهنئة عرفات (**وفا**، ١٩٩١/٦/٧).

• استشهد محمود اسماعيل صوالحة المناصرة (٢٨ عاماً)، من بني نعيم، وعثر على جثته فجر أمس في حرج يقع بين عزّابة البطوف وعيلبون، وبها آثار طعنات بسكاكين. وهزّ انفجار عنيف مستوطنة عيطروت الواقعة شمال رام الله؛ كما أُلقيت ثلاث زجاجات حارقة على أهداف عسكرية في جنين، وزجاجة رابعة في اتجاه برج عسكري للمراقبة. وفي خلال ذلك، أُصيب أكثر من خمسين مواطناً بجروح، وتمّ اعتقال ستين آخرين بعد، وفي اثناء، اشتباكات متفرّقة شهدتها المناطق المحتلة بين المواطنين وقوات الاحتلال الاسرائيلية (**الدستور**، ١٩٩١/٦/٨).

• وصف الناطق باسم البيت الابيض، مارلن فيتزووتر، مواقف الاطراف المتنازعة في الشرق الاوسط بأنها «مقبولة ومائعة» في آن. وقال: «هناك كل يوم أفكار مختلفة، بعضها مشجّع، والآخر غير مشجّع». وأضاف، ان بلاده ستمضي في اجراء الاتصالات في شأن عملية السلام (**انترناشونال هيرالد تربيون**، ٨ ـ ١٩٩١/٦/٩).

١٩٩١/٦/٨

• أعلن في كل من يطّا وترقوميا اضراب تجاري، حداداً على استشهاد مواطنين من البلدتين، هما محمود حمد النواجعة (٥٥ عاماً)، من يطّا، وعيسى عبدالرحمن ابو حلتم (٢٧ عاماً)، من ترقوميا، حيث صدمته سيارة اسرائيلية على طريق الطيبة. وشهدت الاراضي المحتلة تصعيداً في المواجهة مع قوات الاحتلال الاسرائيلية التي اقتحمت عشرات القرى الفلسطينية واعتقلت عدداً من المواطنين (**الدستور**، ١٩٩١/٦/٩).

• وافق وزير الدفاع الاسرائيلي، موشي ارنس، على توصية رئيس الاركان الاسرائيلية، الجنرال ايهود براك، الخاصة باقامة قيادة الجبهة الداخلية. وسوف يترأس هذه القيادة ضابط اسرائيلي برتبة لواء (**معاريف**، ١٩٩١/٦/٩).

١٩٩١/٦/٩

• استشهد المواطن علي حسن الشاهد (٤٦ عاماً)، من طولكرم، جرّاء عمليات تعذيب تعرّض لها في اثناء التحقيق معه في سجن طولكرم. وعمّ الاضراب العام الاراضي المحتلة بمناسبة دخول الانتفاضة شهرها الثالث والاربعين. وتعرّض رئيس جمعية الدراسات العربية، فيصل الحسيني، لاعتداء بعد ان هاجمه عشرات من أفراد عصابة حركة «كاخ» العنصرية المتطرّفة، وقاموا برشق سيارته بالحجارة، وقد تدخّل مواطنون ومنعوا العنصريين من مواصلة اعتداءاتهم. الى ذلك، تواصلت الصدامات بين المواطنين وقوات الاحتلال الاسرائيلية، فأُصيب، في اثنائها، عدد من المواطنين بجروح (**الدستور**، ١٩٩١/٦/١٠).

• أبلغ رئيس الحكومة الاسرائيلية، اسحق شامير، الى حكومته ان الرئيس الاميركي، جورج بوش، طالبه بالاتفاق مسبقاً حول موضوع التمثيل الفلسطيني في المؤتمر الاقليمي قبل توجيه الدعوات الى المؤتمر، اضافة الى الاتفاق حول الموضوعين الآخرين حول مشاركة الامم المتحدة واستمرارية المؤتمر (**دافار**، ١٩٩١/٦/١٠).

١٩٩١/٦/١٠

• استقبل رئيس دولة فلسطين، ياسر عرفات، في تونس، رئيس لجنة العلاقات الخارجية في مجلس النواب الياباني، تاكوموري ماكينو، ونائب رئيس جمعية الصداقة البرلمانية اليابانية ـ الفلسطينية، واكي كي بي. وأُجري استعراض لآخر تطوّرات القضية الفلسطينية. وأكد الرئيس عرفات للوفد الياباني تصميم الشعب الفلسطيني على مواصلة انتفاضته حتى دحر الاحتلال الاسرائيلي. من جانبه، أعرب الوفد الياباني عن كامل تأييده وتأييد بلاده لنضال الشعب الفلسطيني العادل، في سبيل استعادة حقوقه غير القابلة للتصرّف (**وفا**، ١٩٩١/٦/١٠). كما استقبل الرئيس عرفات وزير خارجية مالطا، اليكسي شيب الراس تراغونا، وبحث معه في آخر تطوّرات الوضع السياسي الراهن في المنطقة (**المصدر نفسه**).

• تواصلت الاشتباكات بين المواطنين في المناطق المحتلة وقوات الاحتلال الاسرائيلية. والقى المواطنون، في قباطية، ثلاث زجاجات حارقة على سيارة دورية عسكرية وسط البلدة، ممّا أدّى الى احراقها واصابة من فيها. بالمقابل، أسفرت الاشتباكات عن اصابة أكثر من ٢٦ مواطناً بجروح، واعتقال ٣٥ آخرين (**الدستور**، ١٩٩١/٦/١١).

• قال نائب وزير الخارجية الاسرائيلية، بنيامين نتنياهو، في مقابلة مع التلفزة البريطانية، وفقاً لتقارير الاستخبارات العسكرية الاسرائيلية، ان ثمّة خططاً تعدّ للهجوم على اسرائيل انطلاقاً من على الاراضي اللبنانية. ونفى نتنياهو ان يكون للقصف الذي قام به سلاح الجو الاسرائيلي في لبنان علاقة بالترتيبات السورية الاخيرة فيه، وقال انه نُفّذ للحؤول دون تهديد اسرائيل. واتهم سوريا بابتلاع لبنان (**معاريف**، ١٩٩١/٦/١١).

• قال رئيس الحكومة الاسرائيلية، اسحق شامير: «ليس من الغريب الاعتقاد بأنني سوف أفوز، يوماً ما، بالتوقيع على السلام مع الاردن». وأضاف: «الاردن هو احد الجيران المهمّين جداً بالنسبة الينا؛ وهدفنا هو تحقيق سلام معه يكون انجازاً كبيراً للاردن ولاسرائيل» (**معاريف**، ١٩٩١/٦/١١).

١٩٩١/٦/١١

• استشهد خالد اسماعيل خضر (١٤ عاماً)، من قرية بيت سيرا (قضاء رام الله). ووقعت مواجهات عنيفة في عدد من مناطق الضفة الفلسطينية وقطاع غزة المحتلين، أُصيب، في اثنائها، ثلاثون مواطناً

بجروح، واعتقل أكثر من عشرين آخرين. وقتل مقنّعون فلسطينية تبلغ الحادية والعشرين من عمرها في مخيم المغازي، بسبب تعاونها مع سلطات الاحتلال (الدستور، ١٢/٦/١٩٩١).

• أعرب وزير الداخلية الاسرائيلية، آرييه درعي، في خلال جولته على مشارف جبل الشيخ في الجليل الاعلى، عن استعداده للبحث مع سوريا حول السيادة في هضبة الجولان، شرط ان تُجرّد المنطقة من السلاح وابقاء المستوطنات اليهودية فيها قائمة (عل همشمار، ١٢/٦/١٩٩١).

١٢/٦/١٩٩١

• أجرى الرئيس الفلسطيني، ياسر عرفات، اتصالاً هاتفياً مع ملك الاردن، حسين، للاطمئنان منه على صحته، اثر الوعكة الصحية التي ألّمت بالملك (وفا، ١٢/٦/١٩٩١).

• تواصلت المواجهات بين المواطنين وقوات الاحتلال الاسرائيلية في عدد من المدن والقرى والمخيمات في الضفة الفلسطينية وقطاع غزة، وأسفرت عن اصابة أكثر من ٢٥ مواطناً بجروح، واعتقال عشرين آخرين. وهدمت سلطات الاحتلال منزلين في قرية عزموط، وأغلقت مدرسة في جلجول، وجرفت مساحة ٣٠ دونماً من أراضي قرية حوسان، واقتلعت أشجاراً مثمرة في قرية السمّوع (الدستور، ١٣/٦/١٩٩١).

١٣/٦/١٩٩١

• ألقت القوات الضاربة الفلسطينية ست زجاجات حارقة على دوريات عسكرية اسرائيلية وسيارات تابعة لمستوطنين في القدس وبيت لحم وجنين. وأُصيب مستوطنان بجروح، ليلة أمس، عندما تعرّضت سيارتهما لرشق حجارة قرب بديا. من جهة أخرى، شنّت قوات الاحتلال حملة دهم تركّزت على طولكرم وجنين وبيت لحم ورام الله، وطاولت ٣٥ مواطناً، في حين أُصيب، في اشتباكات مع قوات الاحتلال، ثلاثون آخرون (الدستور، ١٤/٦/١٩٩١).

• اسفرت نتائج محادثات وزير الخارجية الاميركية، جيمس بيكر، مع نظيره الاسرائيلي، دافيد ليفي، في واشنطن، عن عدم اتفاق الطرفين على التحرّك الاميركي الاخير، حيث لم يبرز في تصريحات ليفي، ما يشير الى تبدّل في الموقف الاسرائيلي، سواء من مؤتمر السلام، أو من المضيّ في بناء المستوطنات (انترناشونال هيرالد تريبيون، ١٤/٦/١٩٩١).

١٤/٦/١٩٩١

• واصلت قوات الاحتلال الاسرائيلية اجراءاتها التعسّفية ضد المواطنين في الاراضي الفلسطينية المحتلة؛ كما واصلت الاستيلاء على المزيد من الاراضي لتوطين المهاجرين اليهود الجدد. فقد أعلنت الادارة المدنية الاسرائيلية اجراءات كفيلة بالاستيلاء على مئات الدونمات من أراضي قريتي عزّون وجيّوس (قضاء طولكرم)، بهدف توسيع مستوطنة معاليه شومرون. من جهة أخرى، دهمت قوات اسرائيلية بلدة اليامون (قضاء جنين)، بهدف اعتقال مطاردين، الّا ان شبان البلدة تصدّوا للقوة الاسرائيلية ورشقوها بالحجارة والزجاجات الفارغة، وقد تمكّن الجنود الاسرائيليون من اعتقال شابين. في هذا الوقت، شهدت مناطق مختلفة في الضفة الفلسطينية وقطاع غزة اشتباكات مع قوات الاحتلال الاسرائيلية، أسفرت عن جرح واعتقال عدد من المواطنين (الدستور، ١٥/٦/١٩٩١).

١٥/٦/١٩٩١

• شهدت الاراضي الفلسطينية المحتلة اشتباكات بين المواطنين وقوات الاحتلال الاسرائيلية تركّز أغلبها على القدس وبيت لحم ورام الله وجنين، وتمكّنت فلسطينية من طعن مستوطن في القدس بسكين عند مدخل باب العمود؛ كما هاجم شاب فلسطيني، بسكين، ثلاثة مستوطنين في مستعمرة اسرائيلية؛ وألقى مواطنون زجاجة حارقة على نقطة عسكرية اسرائيلية في رفح (وفا، ١٥/٦/١٩٩١).

• تخلّى الليكود، رسمياً، عن شعار «ضفتين للاردن»، واكتفى «بتطبيق السيادة الاسرائيلية فقط على المناطق الواقعة غرب نهر الاردن». فقد تبنّت سكرتارية الحركة، بالاجماع، الفصل الايديولوجي في دستورها الجديد. وحتى هذا الوقت، كان هناك فصلان في الدستور: واحد لحركة حيروت والآخر للاحرار (معاريف، ١٦/٦/١٩٩١).

بيبليوغرافيا

القضية الفلسطينية والصراع العربي ـ الاسرائيلي

(قائمة مختارة)

اسرائيل

○ الاجتماع

١ الجندي، سليم؛ «اليهود المغاربة في اسرائيل»، **الكاتب الفلسطيني** (دمشق)، العدد ٢٢، شتاء ١٩٩١، ص ٧٥ ـ ٩١.

٢ حسن، عبدالله محمود؛ «الهجرة اليهودية بداية وجود ونهاية أمل»، **الكاتب الفلسطيني**، العدد ٢٢، شتاء ١٩٩١، ص ٩٢ ـ ١١٤.

٣ الخير، عزالدين، «الهجرة الصهيونية في أجواء حرب الخليج»، **الى الأمام** (دمشق)، السنة ١٩، العدد ٢٠٨٠، ١/٣/١٩٩١، ص ١٨ ـ ١٩.

○ الاحزاب والتكتلات

٤ تيّم، سعيد؛ «التيارات الدينية في اسرائيل»، **شؤون فلسطينية**، العدد ٢١٧ ـ ٢١٨، نيسان (ابريل) ـ ايار (مايو) ١٩٩١، ص ٦٥ ـ ٨٢.

○ الاستيطان والمستوطنات

٥ «تقرير فلسطيني جرى اعداده لتسليمه الى بيكر [بشأن الاستيطان والتهويد]»، **فلسطين الثورة** (نيقوسيا)، السنة ١٩، العدد ٨٤٢، ١٢/٥/١٩٩١، ص ١٦ ـ ١٨.

٦ الخطيب، روحي؛ «شارون وشامير يقودان عمليات التوسّع الاستيطاني الاسرائيلي في الاحياء العربية بالقدس الشريف، وما حولها» **القدس الشريف** (عمّان)، السنة ٦، العدد ٧١، شباط (فبراير) ١٩٩١، ص ٦ ـ ١١.

٧ العشعوش، كميليا؛ «الجولان وسياسة الاستيطان الصهيوني»، **الكاتب الفلسطيني**، العدد ٢١، خريف ١٩٩٠، ص ١٧٧ ـ ١٨٥.

٨ Hiltermann, Joost R.; "Setting for War; Soviet Immigration and Israel's Settlement Policy in East Jerusalem", *Journal of Palestine Studies*, Vol. XX, No. 2 (78), Winter 1990, pp. 71 - 85.

○ الاقتصاد

٩ بسطامي، مها؛ اقرار الميزانية الاسرائيلية؛ حصّة المتديّنين أنقذت الائتلاف [تقرير]»، **شؤون فلسطينية** ، العدد ٢١٧ ـ ٢١٨، نيسان (ابريل) ـ أيار (مايو) ١٩٩١، ص ٩٦ ـ ١٠٠.

○ العلاقات الخارجية

١٠ صراص، سمير؛ «الدور الاسرائيلي المؤجّل [في حرب الخليج]»، **مجلة الدراسات الفلسطينية** (بيروت)، العدد ٥، شتاء ١٩٩١، ص ٩٥ ـ ١٠٤.

١١ هيبي، احمد؛ «ردود فعل الاسرائيليين في الأيام الاولى من الحرب»، **مجلة الدراسات الفلسطينية**، العدد ٥، شتاء ١٩٩١، ص ٨٤ ـ ٩٥.

١٢ Finkelstein, Norman; "Israel and Iraq; A Double Standard", *Journal of Palestine Studies*, Vol. XX, No. 2 (78), Winter 1991, pp. 43 - 56.

١٣ Schiff, Ze'ev; "Israel after the War", *Foreign Affairs*, Vol. 70, No. 2, Spring 1991, pp. 19 - 33.

فلسطين

○ الاجتماع

١٤ سرحان، باسم؛ «التغيّر البنيوي في العلاقات الأسرية الفلسطينية»، **الكاتب الفلسطيني**،

العدد ٢٢، شتاء ١٩٩١، ص ١٥ ـ ٢٩.

١٥ علقم، نبيل ووليد ربيع؛ «ظاهرة الهجرة في المجتمع الفلسطيني»، **الكاتب الفلسطيني**، العدد ٢٢، شتاء ١٩٩١، ص ٢٧١ ـ ٢٧٨.

١٦ Hiltermann, Joost R.; "The Women's Movement during the Intifadah", *Journal of Palestine Studies,* Vol. XX, No. 3 (79), Spring 1991, pp. 48 - 57.

○ الاقتصاد

١٧ «تقرير أمانة ' الانكتاد' عن الاقتصاد الفلسطيني تحت الاحتلال؛ (٣) السكان والقوى العاملة والعمالة»، **فلسطين الثورة**، السنة ١٩، العدد ٨٣٢، ١٩٩١/٢/١٧، ص ٢٤ ـ ٢٦.

١٨ «تقرير أمانة ' الانكتاد' عن الاقتصاد الفلسطيني؛ (٤) أسباب ضعف الاداء التصديري»، **فلسطين الثورة**، السنة ١٩، العدد ٨٣٣، ١٩٩١/٢/٢٤، ص ٢٤ ـ ٢٦.

١٩ حسين، محمود؛ «الزراعة والانتاج الزراعي في قطاع غزة»، **صامد الاقتصادي** (عمّان)، السنة ١٣، العدد ٨٤، نيسان (ابريل) ـ حزيران (يونيو) ١٩٩١، ص ٨١ ـ ٩٦.

٢٠ شهابي، غسان؛ «الطبقة العاملة وحركتها النقابية في قطاع غزة»، **صامد الاقتصادي**، السنة ١٣، العدد ٨٤، نيسان (ابريل) ـ حزيران (يونيو) ١٩٩١، ص ٦٨ ـ ٨٠.

٢١ صيام، وليد؛ «الثروة الحيوانية في قطاع غزة»، **صامد الاقتصادي**، السنة ١٣، العدد ٨٤، نيسان (ابريل) ـ حزيران (يونيو) ١٩٩١، ص ٩٣ ـ ٩٩.

٢٢ الكرمي، زهير؛ «اسرائيل واقتصاد المناطق المحتلة»، **القدس الشريف**، السنة ٦، العدد ٧١، شباط (فبراير) ١٩٩١، ص ١٢ ـ ١٩.

٢٣ «مذكرة المدير العام لدائرة الشؤون الاقتصادية والتخطيط في م.ت.ف. حول الخسائر الاقتصادية الفلسطينية، جرّاء أزمة الخليج»، **صامد الاقتصادي**، السنة ١٣، العدد ٨٣، كانون الثاني (يناير) ـ آذار (مارس) ١٩٩١، ص ١٨٧ ـ ١٩٩.

٢٤ Reuveny, Jacob; "The Financial Liquidation of the Palestine Mandate", *Middle Eastern Studies,* Vol. 27, No. 1, January 1991, pp. 112 - 130.

٢٥ Roy, Sara; "The Political Economy of Despair; Changing Political and Economic Realities in the Gaza Strip", *Journal of Palestine Studies,* Vol. XX, No. 3 (79), Spring 1991, pp. 58 - 69.

○ الثقافة

٢٦ الجعيدي، محمد عبدالله؛ «مصادر الأدب الفلسطيني الحديث؛ (١)»، **فلسطين الثورة**، السنة ١٩، العدد ٨٣٣، ١٩٩١/٢/٢٤، ص ٢٨ ـ ٢٩.

٢٧ ـــ، ـــ؛ «مصادر الأدب الفلسطيني الحديث؛ (٢)»، **فلسطين الثورة**، السنة ١٩، العدد ٨٣٦، ١٩٩١/٣/١٧، ص ٢٨ ـ ٢٩.

٢٨ اليوسف، أكرم؛ «السمات العامة للحركة المسرحية الفلسطينية تحت الاحتلال»، **الكاتب الفلسطيني**، العدد ٢١، خريف ١٩٩٠، ص ٦٤ ـ ٨٢.

٢٩ قرقطي، فيصل؛ «الانتفاضة في أدب الجليل الفلسطيني»، **شؤون فلسطينية**، العدد ٢١٥ ـ ٢١٦، شباط (فبراير) ـ آذار (مارس) ١٩٩١، ص ١٦ ـ ٣٩.

الفلسطينيون

○ الاضرابات والتظاهرات

٣٠ «اسرائيل تفتح ' جبهة العملاء' في وجه منظمة التحرير الفلسطينية»، **الجذور** (عمّان)، العدد ٦، نيسان (ابريل) ١٩٩١، ص ٥٢ ـ ٥٦.

٣١ «الانتفاضة والإبعاد وقضايا الساعة؛ حوار شامل مع المبعدين الأربعة [العلمي، واللداوي، والزهار، وقانوع]»، **فلسطين المسلمة** (لندن)، السنة ٩، العدد ٤، نيسان (ابريل) ١٩٩١، ص ٣٢ ـ ٣٥.

٣٢ شحرور، خالد؛ «المعتقلون الفلسطينيون؛ ' جيش منضبط في صفوف م.ت.ف.' »، **الهدف** (دمشق)، السنة ٢٢، العدد ١٠٥٠،

١٤/٤/١٩٩١، ص ١٢ ـ ١٣.

٣٣ سارة، فايز؛ «الانتفاضة بعد ثلاث سنوات؛ قراءة في محصلة القمع الاسرائيلي في قطاع غزة»، **صامد الاقتصادي**، السنة ١٣، العدد ٨٤، نيسان ـ حزيران (ابريل ـ يونيو) ١٩٩١، ص ٥٩ ـ ٦٧.

٣٤ سعد، احمد؛ «الانتفاضة الفلسطينية تعمّق أزمة الاقتصاد الفلسطيني»، **اللجنة الملكية لشؤون القدس** (عمّان)، العدد ٢٠٤، ١٩٩١/٥/٣١، ص ١ ـ ٦؛ نقلاً عن **الاتحاد** (حيفا)، بدون ذكر تاريخ النشر.

٣٥ صايغ، يزيد؛ «المقاومة الفلسطينية ـ عسكرياً؛ من الترقّب الى المواجهة [تقرير]»، **شؤون فلسطينية** ، العدد ٢١٧ ـ ٢١٨، نيسان (ابريل) ـ أيار (مايو) ١٩٩١، ص ١٢٩ ـ ١٣٣.

٣٦ عايد، خالد؛ «تقويمات الاسرائيليين للانتفاضة في عامها الثالث بين هاجس السكاكين وشبح الرصاص»، **مجلة الدراسات الفلسطينية**، العدد ٥، شتاء ١٩٩١، ص ٢١٣ ـ ٢٢٠.

٣٧ عبدالله، صلاح؛ « ' يوم الارض ' ، الانتفاضة الأولى [تقرير]»، **شؤون فلسطينية** ، العدد ٢١٧ ـ ٢١٨، نيسان (ابريل) ـ أيار (مايو) ١٩٩١، ص ٩١ ـ ٩٥.

٣٨ العبد، جورج؛ «المجتمع المدني في ظل الانتفاضة؛ المقاومة الشعبية والحركة الوطنية الفلسطينية»، **مجلة الدراسات الفلسطينية**، العدد ٥، شتاء ١٩٩١، ص ١٠٥ ـ ١٢٦.

٣٩ عبدالخالق، إياد؛ «الانتفاضة المتجوّلة»، **فلسطين الثورة**، السنة ١٩، العدد ٨٣٧، ١٩٩١/٣/٢٤، ص ١٤ ـ ١٥.

٤٠ Tamari, Salim; "The Palestinian Movement in Transition; Historical Reversals and the Uprising", *Journal of Palestine Studies*, Vol. XX, No. 2 (78), Winter 1991, pp. 57 - 70.

○ بيانات وتصريحات وخطب

٤١ العلمي، سعدالدين؛ «[نص النداء الذي وجّهه الى ' المسلمين المؤمنين في ايران المسلمة العظيمة ' بالوقوف الى جانب العراق]»، **فلسطين الثورة**، السنة ١٩، العدد ٨٣٣، ١٩٩١/٢/٢٤، ص ٩.

٤٢ القيادة الوطنية الموحّدة للانتفاضة؛ «[نص ملحق النداء الرقم ٦٧ الصادر عن القيادة الموحّدة، أواسط شباط (فبراير) ١٩٩١]»، **الحرية** (نيقوسيا)، العدد ٣٩٧، ١٩٩١/٢/٢٤، ص ٣٨ ـ ٣٩.

٤٣ ـــــ ؛ «[نص النداء الرقم ٧٠، الصادر بتاريخ ١٩٩١/٥/١]»، **فلسطين الثورة**، السنة ١٩، العدد ٨٤٣، ١٩٩١/٥/١٢، ص ٦ ـ ٧.

٤٤ ـــــ ؛ «[نص بيان القيادة الموحّدة في قطاع غزة، الصادر بتاريخ ١٩٩١/٤/٣، الذي ينتقد تصريحات وزير الخارجية الاميركية، جيمس بيكر]»، **الحرية**، العدد ٤٠٤، ١٩٩١/٤/١٤، ص ١١.

٤٥ «[مذكرة الشخصيات الفلسطينية الثلاث، الحسيني والآغا وعشراوي، الى وزير الخارجية الاميركية، جيمس بيكر، خلال الاجتماع المشترك، بتاريخ ١٩٩١/٤/٣٠]»، **فلسطين الثورة**، السنة ١٩، العدد ٨٤١، ١٩٩١/٤/٢٨، ص ٨ ـ ٩.

٤٦ «[مذكرة الشخصيات الوطنية الفلسطينية في الاراضي المحتلة الى وزراء خارجيات الدول العربية والمطالبة بالتدخّل لايقاف أعمال الارهاب والانتقام من الفلسطينيين في الكويت ووفاء الدول العربية بالتزاماتها المالية تجاه الانتفاضة]»، **فلسطين الثورة**، السنة ١٩، العدد ٨٣٩، ١٩٩١/٤/٧، ص ٧.

٤٧ «[نص المذكرة التي سلّمتها الشخصيات الفلسطينية العشر الى وزير الخارجية الاميركية، بيكر، بتاريخ ١٩٩١/٣/١٢]»، **فلسطين الثورة**، السنة ١٩، العدد ٨٣٦، ١٩٩١/٣/١٧، ص ٩.

٤٨ «مذكرة الشخصيات والهيئات الوطنية في الوطن المحتل الى المجلس المركزي [الفلسطيني]»، **الحرية**، العدد ٤٠٥، ١٩٩١/٤/٢٨، ص ٧ ـ ٩.

٤٩ الهيئة الاسلامية العليا ـ القدس؛ «[بيان

الهيئة الذي يستنكر أعمال التنكيل الكويتية بالجالية الفلسطينية، والجاليات العربية]»، **فلسطين الثورة**، السنة ١٩، العدد ٨٤٠، ٢١/٤/١٩٩١، ص ١٢.

القضية الفلسطينية

٥٠ شاهين، احمد؛ «المقاومة الفلسطينية ـ عربياً؛ أي سلام عربي؟ [تقرير]»، **شؤون فلسطينية**، العدد ٢١٧ ـ ٢١٨، نيسان (ابريل) ـ أيار (مايو) ١٩٩١، ص ١١٥ ـ ١٢١.

٥١ شبيب، سميح؛ «المقاومة الفلسطينية ـ سياسياً؛ ' السلام' الامريكي والتحرّك الفلسطيني [تقرير]»، **شؤون فلسطينية**، العدد ٢١٧ ـ ٢١٨، نيسان (ابريل) ـ أيار (مايو) ١٩٩١، ص ١١٠ ـ ١١٤.

٥٢ العبدالله، هاني؛ «اسرائيليات؛ محادثات بيكر في اسرائيل [تقرير]»، **شؤون فلسطينية**، العدد ٢١٧ ـ ٢١٨، نيسان (ابريل) ـ أيار (مايو) ١٩٩١، ص ١٣٤ ـ ١٤١.

٥٣ عبدالرحمن، خيرالدين؛ «تعامل اليابان مع الصراع العربي ـ الاسرائيلي»، **شؤون فلسطينية**، العدد ٢١٧ ـ ٢١٨، نيسان (ابريل) ـ أيار (مايو) ١٩٩١، ص ٥٤ ـ ٦٤.

٥٤ كيالي، ماجد؛ التصوّرات والمشاريع الاسرائيلية حول قطاع غزة منذ حرب حزيران (يونيو) وحتى الانتفاضة»، **صامد الاقتصادي**، السنة ١٣، العدد ٨٤، نيسان (ابريل) ـ حزيران (يونيو) ١٩٩١، ص ٤٧ ـ ٥٨.

٥٥ المدهون، ربعي؛ «المناطق المحتلة؛ ثلاثة لقاءات فلسطينية مع بيكر [تقرير]»، **شؤون فلسطينية**، العدد ٢١٧ ـ ٢١٨، نيسان (ابريل) ـ أيار (مايو) ١٩٩١، ص ١٤٢ ـ ١٤٧.

٥٦ ن. ح.؛ «المقاومة الفلسطينية ـ دولياً؛ دبلوماسية ' الخط المزدوج' [تقرير]»، **شؤون فلسطينية**، العدد ٢١٧ ـ ٢١٨، نيسان (ابريل) ـ أيار (مايو) ١٩٩١، ص ١٢٢ ـ ١٢٨.

٥٧ Levenberg, Haim; "Abdullah and Cunningham; Palestine 1945 - 1948", *Middle Eastern Studies*, Vol. 27, No. 1, January 1991, pp. 22 - 34.

٥٨ Lustick, Ian; "Changing Rationales for Political Violence in the Arab - Israeli Conflict", *Journal of Palestine Studies*, Vol. XX, No. 1 (77), Autumn 1990, pp. 54 - 79.

منظمة التحرير الفلسطينية

○ بيانات وتصريحات وخطب

٥٩ «[بيانان بشأن قصف الطيران الاميركي والمتحالف للمناطق المدنية الآهلة بالسكان المتواجد فيها الفلسطينيون والعرب في الكويت، وللحافلات المدنية التي تقلّ فلسطينيين وعرباً على الطرق البرية]»، **فلسطين الثورة**، السنة ١٩، العدد ٨٣٢، ١٧/٢/١٩٩١، ص ٩.

٦٠ «[بيان صادر عن قيادة المنظمة بعد اجتماعها الطارىء صباح ٢٤/٢/١٩٩١، بشأن استمرار العدوان الاميركي ـ الاطلسي وحلفائه ضد العراق]»، **فلسطين الثورة**، السنة ١٩، العدد ٨٣٤، ٣/٣/١٩٩١، ص ٩.

▷ الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين

٦١ «بيان مشترك [مع الجبهة الشعبية] في الوطن المحتل»، **الحرية**، العدد ٤٠٥، ٢٨/٤/١٩٩١، ص ١٨.

٦٢ «نص ورقة عمل الجبهة الديمقراطية المقدّمة الى المجلس المركزي»، **الحرية**، العدد ٤٠٥، ٢٨/٤/١٩٩١، ص ٩ ـ ١٥.

▷ الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين

٦٣ «[مذكرة الجبهة الى رئيس دولة فلسطين، ياسر عرفات، محتوية على أفكار تهدف الى اعادة ترتيب البيت الفلسطيني...]»، **الهدف** (دمشق)، السنة ٢٢، العدد ١٠٥١، ٢٨/٤/١٩٩١، ص ٤ ـ ٦.

▷ دائرة شؤون الوطن المحتل

٦٤ «[تقرير ' لجنة اسرى الوطن المحتل' في

الدائرة بخصوص مخالفة اسرائيل للمواثيق الدولية بممارسة سياسة ما يسمّى الدروع البشرية، تجاه الاسرى الفلسطينيين في السجون]»، **فلسطين الثورة**، السنة ١٩، العدد ٨٣٥، ١٠/٣/١٩٩١، ص ٩.

▷ عرفات، ياسر (ابو عمار)

٦٥ «[رسالته] الى بيريز ديكويلار حول الخسائر المادية للفلسطينيين في الكويت»، **صامد الاقتصادي**، السنة ١٣، العدد ٨٣، كانون الثاني (يناير) ـ آذار (مارس) ١٩٩١، ص ٢٦٠ ـ ٢٦١.

٦٦ «[رسالته الى الرئيس العراقي صدام حسين، بتاريخ ٢٥/٢/١٩٩١]»، **فلسطين الثورة**، السنة ١٩، العدد ٨٣٤، ٣/٣/١٩٩١، ص ٦.

٦٧ «[وقائع مؤتمره الصحافي الذي عقده في عمّان بتاريخ ١٦/٢/١٩٩١، بشأن أزمة الخليج]»، **فلسطين الثورة**، السنة ١٩، العدد ٨٣٣، ٢٤/٢/١٩٩١، ص ٦ ـ ٧.

٦٨ «[رسالته] بمناسبة دخول الانتفاضة شهرها الحادي والاربعين»، **فلسطين الثورة**، السنة ١٩، العدد ٨٤٠، ٢١/٤/١٩٩١، ص ٨ ـ ٩.

▷ اللجنة العليا للانتفاضة

٦٩ «[بيانها الصادر اثر دورة عملها برئاسة الرئيس عرفات بتاريخ ٣٠ و٣١/٥/١٩٩١، بشأن قضايا الانتفاضة]»، **فلسطين الثورة**، السنة ١٩، العدد ٨٤٨، ١٦/٦/١٩٩١، ص ٩.

▷ مصدر رسمي

٧٠ «[تصريحه بتاريخ ١٦/٢/١٩٩١، بشأن ترحيب المنظمة بالمبادرة العراقية]»، **فلسطين الثورة**، السنة ١٩، العدد ٨٣٣، ٢٤/٢/١٩٩١، ص ٩.

▷ ناطق رسمي

٧١ «[تصريحه، بتاريخ ١٣/٤/١٩٩١، بشأن اهتمام المنظمة البالغ بالاتصالات وبالحوارات التي يجريها وزير الخارجية الاميركية، بيكر، سواء مع الوفد الفلسطيني في داخل الارض المحتلة أو في القاهرة ودمشق وجنيف]»، **فلسطين الثورة**، السنة ١٩، العدد ٨٤٠، ٢١/٤/١٩٩١، ص ٧.

٧٢ «[تصريحه بعد اجتماع القيادة الفلسطينية في تونس، ظهر ٢٦/٢/١٩٩١، بشأن استمرار الحرب ضد العراق بعد تنفيذه الانسحاب العسكري من الكويت]»، **فلسطين الثورة**، السنة ١٩، العدد ٨٣٤، ٣/٣/١٩٩١، ص ٧.

○ العلاقات الخارجية

٧٣ الازهري، محمد خالد؛ «السياسة الخارجية الفلسطينية قبل، وبعد، اعلان الاستقلال»، **شؤون فلسطينية** ، العدد ٢١٧ ـ ٢١٨، نيسان (ابريل) ـ أيار (مايو) ١٩٩١، ص ٣ ـ ٢١.

٧٤ حيدري، نبيل؛ «الاتحاد السوفياتي ومنظمة التحرير الفلسطينية (١٩٧٠ ـ ١٩٧٣)»، **شؤون فلسطينية** ، العدد ٢١٧ ـ ٢١٨، نيسان (ابريل) ـ أيار (مايو) ١٩٩١، ص ٢٢ ـ ٥٣.

٧٥ س. ش.؛ «المقاومة الفلسطينية ـ سياسياً؛ الموقف من أزمة الخليج [تقرير]»، **شؤون فلسطينية** ، العدد ٢١٥ ـ ٢١٦، شباط (فبراير) ـ آذار (مارس) ١٩٩١، ص ٩٥ ـ ٩٨.

٧٦ شاهين، أحمد؛ «المقاومة الفلسطينية ـ عربياً؛ عرب على جبهتي الحرب [تقرير]»، **شؤون فلسطينية** ، العدد ٢١٥ ـ ٢١٦، شباط (فبراير) ـ آذار (مارس) ١٩٩١، ص ٩٩ ـ ١٠٤.

٧٧ كامل، عصام؛ «مصداقية م.ت.ف.»، **فلسطين الثورة**، السنة ١٩، العدد ٨٤٠، ٢١/٤/١٩٩١، ص ٢٠ ـ ٢١.

٧٨ Hallaj, Mohammed; "Taking Sides; Palestinians and the Gulf Crisis", *Journal of Palestine Studies*, Vol. XX, No. 3 (79), Spring 1991, pp. 41 - 47.

المقابلات

٧٩ عرفات، ياسر (ابو عمار)، «أقبل بحوار تحت اشراف دولي»، **فلسطين الثورة**، السنة ١٩، العدد ٨٣٨، ٣١/٣/١٩٩١، ص ١٨ ـ ١٩؛ نقلاً عن **الفيغارو**، بدون ذكر تاريخ النشر.

٨٠ ـــ ، ـــ ؛ «[حاولت حل أزمة الخليج لانقاذ السلام]»، **فلسطين الثورة**، السنة ١٩، العدد ٨٣٧، ٢٤/٣/١٩٩١، ص ١٨ ـ ١٩؛ نقلاً عن **دير شبيغل**، بدون ذكر تاريخ النشر.

٨١ ـــ ، ـــ ؛ «قضيتي ليست في حال تراجع»، **فلسطين الثورة**، السنة ١٩، العدد ٨٣٩، ٧/٤/١٩٩١، ص ١٨ ـ ١٩؛ نقلاً عن **لوماتان**، ٥ و٦/٣/١٩٩١.

٨٢ لانغر، فيليتسيا؛ «الفلسطينيون لن يستسلموا أبداً، ولن يتخلّوا عن الأمل في دولتهم»، **الحرية**، العدد ٤٠٩، ٢٦/٥/١٩٩١، ص ١٥ ـ ١٧.

٨٣ مصطفى، ابو علي؛ «[مقابلة حول] آخر قضايا الساعة»، **الهدف**، السنة ٢٢، العدد ١٠٥٠، ١٤/٤/١٩٩١، ص ٧ ـ ١١.

٨٤ ابو علاء، احمد؛ «الفلسطينيون أكبر المتضررين مادياً من أزمة الخليج»، **صامد الاقتصادي**، السنة ١٣، العدد ٨٣، كانون الثاني (يناير) ـ آذار (مارس) ١٩٩١، ص ٢٦٢ ـ ٢٦٥؛ نقلاً عن **الشروق** (تونس)، ١٧/١١/١٩٩٠.

٨٥ الحسيني، فيصل؛ «سنسبب تصادماً اميركياً ـ اسرائيلياً»، **فلسطين الثورة**، السنة ١٩، العدد ٨٤٤، ١٩/٥/١٩٩١، ص ١٤ ـ ١٦.

٨٦ حواتمة، نايف؛ «سنواصل العمل على احباط الهجمة الاميركية ـ الاسرائيلية على العراق والانتفاضة»، **الحرية**، العدد ٣٩٧، ٢٤/٢/١٩٩١، ص ٦ ـ ٩.

٨٧ سنيوره، حنا؛ «الواقعية السياسية الجديدة بين مؤثرات الحاضر وآفاق المستقبل»، **الاسبوع الجديد** (القدس)، السنة ١٢، العدد ٥٢، ١/٤/١٩٩١، ص ٢٢ ـ ٢٣.

٨٨ الشكعة، بسّام؛ «[حوار] حول الانتفاضة وعلاقة الداخل بالخارج»، **الكاتب الفلسطيني**، العدد ٢١، خريف ١٩٩٠، ص ٢٩٤ ـ ٣٠٠.

٨٩ عرّاف، شكري؛ «ماضي، وحاضر، القرية الفلسطينية»، **شؤون فلسطينية** ، العدد ٢١٥ ـ ٢١٦، شباط (فبراير) ـ آذار (مارس) ١٩٩١، ص ٩١ ـ ٩٤.

٩٠ Husseini, Faisal; "Negotiation Not Force", *New Outlook*, February/March 1991, p. 10.

الكتب ـ عروض ومراجعات

٩١ ديب، سميح؛ العنف الصهيوني؛ ايديولوجية وممارسة، **صوت فلسطين** (دمشق)، العدد ٢٨٠، أيار (مايو) ١٩٩١، ص ٣٤ ـ ٣٥ (مراجعة عمر كيلاني).

٩٢ ساره، فايز؛ الحركة العمّالية الفلسطينية في مواجهة الاستيطان والاحتلال، **الكاتب الفلسطيني**، العدد ٢١، خريف ١٩٩٠، ٣٥٣ ـ ٣٥٦ (مراجعة نضال الصالح).

٩٣ غراهام، ساره؛ الفلسطينيون؛ التعليم والقمع والتحرير (مترجم)، **صامد الاقتصادي**، السنة ١٣، العدد ٨٣، كانون الثاني (يناير) ـ آذار (مارس) ١٩٩١، ص ٢٣٦ ـ ٢٤١ (مراجعة وفاء آغا).

٩٤ محادين، موفق؛ العلاقات الاردنية ـ الفلسطينية من الالحاق الى الكونفدرالية، **شؤون فلسطينية** ، العدد ٢١٧ ـ ٢١٨، نيسان (ابريل) ـ أيار (مايو) ١٩٩١، ص ١٠١ ـ ١٠٩ (مراجعة نبيل الملحم).

٩٥ محافظة، علي؛ الفكر السياسي في فلسطين، **صوت فلسطين**، العدد ٢٧٨، آذار (مارس) ١٩٩١، ص ٢٥ ـ ٢٧ (مراجعة ع. كيلاني).

٩٦ مندس، هاني؛ الصهيونية في الاتحاد السوفياتي؛ يفغيني يفسييف، دوره الفكري والسياسي في المواجهة، **الهدف**، السنة ٢٢، العدد ١٠٥٠، ١٤/٤/١٩٩١، ص ٣٦ ـ ٣٧ (مراجعة محمود حسن).

الكتب

٩٧ تراكي، ليز؛ **المجتمع الفلسطيني في الضفة الغربية وقطاع غزة**، عكا: دار الاسوار، ١٩٩٠.

٩٨ دراغمة، عزت؛ **الحركة النسائية في فلسطين، ١٩٠٣ ـ ١٩٩٠**، القدس: مكتب ضياء للدراسات، ١٩٩١.

٩٩ درباس، ساهرة؛ **طيرة حيفا: وطن عصيّ على النسيان**، بلا مكان نشر: بلا ناشر، ١٩٩١، ٦٩ صفحة.

١٠٠ سمارة، عادل؛ **احتجاز التطوّر**، دمشق: دار كنعان للدراسات والنشر، [١٩٩١؟]، ٢٠٢ صفحة.

١٠١ الشريف، محمد عادل؛ **الخطب المنبرية في المسجد الاقصى المبارك والمسجد الحسيني الكبير**، الجزء الاول، عمّان: دار الفقيه، ١٩٩١، ٦٤٤ صفحة.

١٠٢ الصليبي، كمال؛ **حروب داود**، عمّان: دار الشروق للنشر والتوزيع، ١٩٩١.

١٠٣ **كلمات على بوّابة النصر: نداءات الانتفاضة، بيان الاستقلال**، نيقوسيا: مؤسسة عيبال للدراسات والنشر، [١٩٩١؟]، ٤٣٢ صفحة.

١٠٤ مزنر، فؤاد حسين؛ **هكذا حرّفوا التوراة**، بيروت: دار الخلود، ١٩٩١.

١٠٥ الموعد، حمد سعيد؛ **حرب المياه في الشرق الاوسط**، دمشق: دار كنعان للدراسات والنشر، [١٩٩١؟]، ٢٢٧ صفحة.

١٠٦ نصرالله، ابراهيم؛ **الامواج البرية: سيناريو الانتفاضة: المقدّمات**، دمشق: دار كنعان للدراسات والنشر، ١٩٩٠.

١٠٧ اليوسف، يوسف سامي؛ **الشخصية والقيمة والاسلوب؛ دراسة في ادب سميرة عزّام**، دمشق: دار كنعان للدراسات والنشر، [١٩٩١؟]، ٩٠ صفحة.

١٠٨ Asali, K. J. (Ed.); *Jerusalem in History*, New York: Olive Branch Press, 1990, 295 Pages.

١٠٩ Bialer, Uri; *Between East and West; Israel's Foreign Policy Orientation, 1948 - 1956*, Cambridge and New York: Cambridge University Press, 1990, 292 Pages.

١١٠ Hudson, Michael C. (Ed.); *The Palestinians; New Directions*, Washington, D.C.: Center for Contemporary Arab Studies, Georgetown University, 1990, 268 Pages.

١١١ Golan, Galia; *Soviet Policies in the Middle East; From World War II to Gorbachev*, Cambridge and New York: Cambridge University Press, 1990, 319 Pages.

١١٢ Lave, Zvi (Ed.); *Kibbutz Members Study Kibbutz Children*, Westport, C.T.: Greenwood Press, 1990, 237 Pages.

١١٣ Ro'i, Yaacov; *The Struggle for Soviet Jewish Emigration, 1958 - 1967*, Cambridge and New York: Cambridge University Press, 1991, 458 Pages.

١١٤ *The Israeli Army and the Intifadah; Policies that Contribute to the Killings*, New York and Washington, D.C.: Human Rights Watch, 1990, 126 Pages.

اعداد: ماجد الزبيدي

تصويب

سقطت سهواً من دراسة د. محمود ميعاري، «الحركة الاسلامية في اسرائيل»، التي نشرت في **شؤون فلسطينية**، العدد ٢١٥ ـ ٢١٦، شباط (فبراير) ـ آذار (مارس) ١٩٩١، ص ٣ ـ ١٥، الاشارة الى اسم السيد يحيى حيدر، الذي شارك في جمع البيانات لتلك الدراسة، فاقتضى التصويب.

ISSN 0258 - 4026

SHU'UN FILASTINIYAH

(Palestine Affairs)

No. 219 - 220 , June - July 1991

Published monthly in Arabic, for the P.L.O. Research Center, by

Al - Abhath Publishing Co. Ltd

16 Artemidos Street, Strovolos

P.O.Box 5614, Nicosia, Cyprus

Tel 429396, Fax 312104, Telex 4706 PALCU CY, Cables: PLOCS

Annual Subscription

Surface Mail: Arab countries & Europe - Individuals: $40, Institutions: $50 (add $30 for airmail postage); Other countries - Individuals: $50, Institutions: $60 (add $50 for airmail postage)

الثمن دينار في الاردن والكويت ■ ١,٥ جنيه في مصر والسودان ■ ١,٥ دينار في العراق
وليبيا ■ ١٥ درهماً في دولة الامارات العربية المتحدة ■ دينار في تونس ■ ١٠٠
دراهم في المغرب ■ ١٠ دنانير في الجزائر ■ دولاران في الاقطار العربية الاخرى